من كنوز التراث

وصف نعال النبي ﷺ

المسمى

بفتح المتعال في مدح النعال

تأليف

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني

صاحب كتاب نفح الطيب

المتوفى في عام ١٠٤١ هجرية

تحقيق

أ. د/ علي عبد الوهاب

وكيل كلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر

وفضيلة الشيخ محمد [illegible] درويش

من علماء الأزهر الشريف

دار القاضي عياض للتراث

القاهرة ت: ٢٤٩٩٥٧٧١

وصف نعال النبى ﷺ

المسمى

بفتح المتعال فى مدح النعال

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

دار القاضي عياض للطباعة والنشر والتوزيع



من كنوز التراث

وصف نعال النبي صلى الله عليه وسلم

المسمى

بفتح المتعال في مدح النعال

تأليف

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني

صاحب كتاب نفح الطيب

المتوفى في عام ١٠٤١ الهجرية

تحقيق

أ. د/ علي عبد الوهاب

وكيل كلية الدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر

فضيلة الشيخ/ عبد المنعم فرج درويش

من علماء الأزهر الشريف

دار القاضي عياض للتراث

القاهرة البرقية ٣٥٢٩٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

﴿ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

(النساء : ١١٣)

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

(الأحزاب : ٥٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين أتمَّ على أهل الإيمان نعمتهُ بنعمتهِ، وأرسل لهم رحمته برحمته وبعث لهم نُوره بنورهِ.. سبحانه من إله عظيم رافع ذكر النبىّ ومُجلّه، وقاهر شانئه ومذله.. اختار نبيه من صفوة صفوة الخلق فكأن الكل قد خلقوا من أجله ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى عترته الطاهره وسائر أهله، ومن دعا بدعوته واستن بسنته وجعل طاعة الله وحب رسوله غايته شغله.

وبعد:

فرسولنا ﷺ خاتم أنبياء الله ورسله، وخيرتُه من خلقه، وأمينُه على وحيه فاتحُ أبواب الهدى، ومنقذ البشرية من الرّدى، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط الله العزيز الحميد.

بعثه ربه للإيمان مناديًا، وإلى الصراط المستقيم هاديًا، وإلى ساحة القرب من الله داعيًا، وبكل معروف آمرًا، وعن كل منكرٍ ناهيًا، فأحيا به الحق القلوب بعد مواتها، وأنارها بعد ظلماتها،

وألف بين شتاتها، فسارت دعوته سيرة الشمس فى الأنظار، وبلغ دينه الذى ارتضاه لله مبلغ الليل والنهار.

والإنسان منذ وجد على الأرض وهو طُلعة مشوق دائما إلى تعرف ما فى كون الله المحيط به من سنن إلهية مطردة أودعها الله تعالى فى حركة نظامه وكلما أمعن النظر فيما عليه الكون من ترتيب دقيق، ونظام عجيب، وصنع بديع سبحت روحه فى ساحة التفكير ممجدة ذلك الخالق العظيم.

ونبى الإسلام ﷺ شبيه بالوجود كله، فهو كون إنسانى محشودٌ بالفضائل الربانية، والمنح الإلهية.. وها هو موكب العلماء منذ أشرقت الأرض بنور الله فى رسوله وهم يتلمسون جوانب العظمة الانسانية فيه، ويتأملون مظاهر اسماء الله جلت قدرته فى عقله وفى خلقه، وفى حلمه وكماله، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شىء فقد فاتهم كمال المعرفة، وأمامهم أمد طويل، وبعد شاسع، وطريق لا ناهية له، وإلا فمن ذا الذى يستطيع أن يجمع نور الشمس كله فى يده؟.

ولا عجب فمحمد ﷺ أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه أحمره وأسوده إنسه وجنه.. وأعد ـ كذلك ـ لأن يحمل رسالة اكمل دين، ويختم به وكْب النبيين والمرسلين، وأن يكون شمس الهداية للناس أجمعين، وفيضاً من رحمة الله للعالمين والمتأمل فى سيرته ﷺ يجد من جوانب العظمة نواحى شتى يقف العقل الانسانى أمامها منبهراً، وفى رحاب جلالها خاشعًا، ويقلب المؤمن

بصره فى هذا الكون الإنسانى الذى جمع الله تعالى كل صفات من صفات جلاله وجماله وكماله فى رجلٍ واحـدٍ، وهنا يرجع البصر وهو حسير، ويتوقف العقل أمام سر هذه العظمة وهو كليل إذ:

ليس على الله بمستنكر　　أن يجمع العَالَمَ فى واحد

ومن ثَمَّ فليس هناك أمة من الأمم تعلقت برسولها، كما تعلقت هذه الأمة الخيِّرة برسولها البتة ﷺ فعاش فى قلوبهم، وخالطت بشاشة حبه شغافها، فرصدوا من رصيد حبه كل حركاته، وسكناته، وأقواله، وأفعاله.. لم يتركوا من ذلك كله شاردة، ولا واردة، ولا كبيرة ولا صغيرة، ولم يغب عنهم من سيرته لفافة قطمير، ولا شروى نقير، حتى أصبحت مجالى السيرة النبوية رياضًا غناء، وحدائق فيحاء، تصدح على أغصان أشجارها حمائم الحب والوفاء، وتنتقل فى أزهار رياضها لواقح الأفكار لتتغذى على رحيقها أفهام المحبين الابرار، فيجتمع من هذا وذاك: ما بدع وشاق، ورق وراق من الحديث عن صاحب هذه المآثر الكريمة، والذات الشريفة... والحديث عن سيرة خير الخلق ورد فياض يأخذ منه كل مؤمن بقدر ما وقر فى قلبه من رصيد إيمانى، ويكفى.. وهذه صورة من مديح محب ذاق فعرف، ورأى فكشف فشاطر شيخ المداحين - الإمام البوصيرى - فى بردته فقال فى تخمسيها:

حسْبُ الورى من علاهُ أنه رجلٌ

لولاه لم تخرج الدنيا من العَدَمِ

نبينا الآمر الناهي فلا أحد
سواه أفضل من يمشي على قدم

ولا شريف سما نحو العلا شرفًا
أبر في قول «لا» منه ولا «نعم»

فاق النبيين في خلق وفي خُلق
وسابق الرسل في حلم وفي حُلم

فلم يجاروه في فضلٍ ومنقبة
ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ
يرجو مواهبَ غيث منه منسجم

وواردون عليه يسألون به
غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

فهو الذي تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
بغير حقٍ ولا وحيٍ ولا ذمم

ونزّه المصطفى عن مثل ما زعموا
واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

فمبلغ العليم فيه أنه بشرٌ
وأنه خير خلق الله كلهم

ومن بين أرصدة الحب الايمانى التى لا يقع عليها حصر، ولا يحصرها عد هذا السفر النفيس الذى نضعه أمام القارئ الكريم، والمرسوم بـ (فتح المتعال فى مدح النعال) للشيخ الفهامة والعالم العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقّرى التلمسانى.

وهو يعد فريداً فى بابه، عجيبا فى إطنابه، غريبا فى إغرابه كما أنه يدل على ثراء علمى فى موضوع بعينه، فقد جمع فيه مؤلفه ما يتعلق بالنعال الشريفة ومثالها وليست النعال مقصودة لذاتها. . . ولكن ـ هكذا مذهب المحبين كما يقول الشاعر:

يا عين إن بَعُدَ الحبيبُ ودارُهُ

ونأتْ مرابعُه وشطَّ مَزَارُهُ

فلقدْ ظَفِرتُ من الزمان بطائلٍ

إن لم تُريه فهذه آثاره

وما أجمل قول المجنون فى ليلاه:

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها

تريدُ أم الدنيا وما فى زواياهَا

لقال غبارٌ من تراب نعالها

أحبّ إلى نفسى وأشفى لبلْواها

وقول كُثير عزة:

وسعى إلى بعيب عَزّة نسوةٌ جعل الإله خُدودهنّ نِعَالَهَا

فإذا كان هذا مذهب المحبين من البشر للبشر، فما بالك بحب من يحب خير البشر.

ومن ثم فلا حرج ولا ملام.

يا لائمى فى الهَوى العذرىّ معذرةً
منّى إليك ولو أنصفتَ لمْ تَلُم

عَدَتْكَ حالى لا سرّى بمستتر
عن الوشَاة ولا دائى بمنحيم

محضتنى النصح لكن لستُ اسمعه
إن المحبَّ عن العذَّال فى صمم

وصاحب هذا الكتاب سار على هذا النهج فأصم أذنيه عن أقوال الوشاة والعاذلين، وتهكمات الهازئين والساخرين، وسخرية الغامزين الجاهلين وتيقن أن المرء مجزى بعمله ونيته، ومحاسب بسريرته وطوتيه... فالأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى..

والكتاب بجانب موضوعيته، قد حفل بالآثار الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأخبار المنيفة، صاحب ذلك كله آراء منقولة، ونقود معقولة، وخواطر مقبولة كل ذلك من نثير الكلام ونظيمه مما يعد زاداً أدبيًا نرجو أن ينتفع به - ان شاء الله تعالى الذاكرون، ويفرح بمطالعته المحبون... ولله الأمر من قبل ومن بعد ويؤمئذ يفرح المؤمنون... والله من وراء القصد الطيب خير موفق ومعين فهو ولى التوفيق والهادى إلى أقوم طريق... نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحققان

ترجمة المؤلف

هو الإمام المؤرخ الأديب الشاعر الفقيه المحدث «أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن ابن أبى العيش بن محمد المالكى التلمسانى المقَّرى» نسبة إلى قرية مقَّرة أصل أسرته، ومنها انتقل جده عبد الرحمن بن أبى بكر بن على فى القرن السادس إلى تلمسان فاستقر بها وأنجب ذرية نالوا دنيا عريضة لقيامهم على التجارة بينها وبين الصحراء والسودان وتمهيدهم الطرق بحفر الآبار وتأمين التجار.

ولد بتلمسان سنة ٩٨٦هـ ، وقيل سنة ٩٩٢هـ وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم، وكان أهم شيوخه بها عمه سعيد مفتى تلمسان واحد كبار علمائها، قرأ عليه صحيح البخارى سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة بسنده عن أبى عبد الله التنيسى، عن والده حافظ العصر محمد بن عبد الله التنيسى، عن أبى عبد الله بن مرزوق، عن أبى حيان، عن أبى جعفر بن الزبير، عن أبى الربيع، عن القاضى عياض بأسانيده المذكورة فى «كتاب الشفا فى حقوق المصطفى، ﷺ».

رحل إلى فاس سنة ١٠٠٩ هـ فطار بها صيته وسار ذكره وأقبل الناس والطلبة عليه، واستجار العلماء واستجازوا من علمه بواسطته. . ويبهرهم بقوة عارضته وشدة ذاكرته، وحضور حجته

وكثرة حفظه. وبقى كذلك حتى نزل فيها الفقيه إبراهيم بن محمد الأيسى أحد قواد السلطان أحمد المنصور الذهبى، فأعجب بالمقَّرى واصطحبه معه إلى مراكش، فقدمه إلى السلطان المذكور الذى سُرَّ به كثيراً ولم يجهل مكانته، والتقى عنده بابن القاضى وبأحمد بابا التنبكتى صاحب نيل الابتهاج وحصل على إجازتهما، كما التقى بغيرهما من علماء مراكش وأدبائها وروى عنهم واستجازهم. وكان له معهم مساجلات.

وفى ربيع الثانى عام ١٠٠١هـ غادر مراكش إلى فاس فبقى فيها إلى أواخر العام المذكور حين رجع إلى بلده تلمسان.

وفى رحلته إلى مراكش أخذ يجمع مادة كتابه «روضة الآس» ليقدمه إلى السلطان المنصور الذى توفى والمقَّرى فى مسقط رأسه، فغادرها نهائياً إلى فاس سنة ١٠١٣هـ وأقام بها نحو خمسة عشر عاماً، حيث صار من صدور علمائها المرموقين، وحيث كانت الظروف متقلبة مضطربة بسبب الغزوات الأسبانية والبرتغالية وسقوط الأندلس.

وحدث فى زمن إقامته بفاس أن الشيخ المأمون أحد أبناء المنصور لجأ إلى الأسبان يطلب منهم المعونة، فوعدوه بها لقاء إعطائه لهم مدينة العرائش المغربية وأخذوا منه أولاده رهينة ليفى لهم، فاستنكر الناس منه ذلك، فلجأ إلى الفقهاء ينتزع منهم فتوى فى القضية: أَمِن حقه أن يعذبهم بتلك المدينة أم لا؟ وعلى إثر ذلك اختفى جماعة من المفتين عن الأنظار وكان المقرى أحدهم، ولكنه مع ذلك

لم يغادر مدينة فاس بل بقى فيها عدة سنوات أخرى، وأحرز فيها منصب الفتوى رسميًا فى جامع القرويين بعد وفاة شيخه محمد الهوارى سنة ١٠٢٢هـ إلى جانب منصب الخطابة والإمامة فى الجامع نفسه.

وفى أواخر رمضان سنة ١٠٢٧هـ غادر مدينة فاس إلى المشرق، فوصل تطوان فى ذى القعدة ومن هناك أخذ سفينة عرجت به على تونس، وسوسة، حتى وصلت الاسكندرية، ومنها انتقل إلى القاهرة فالحجاز، ووصل مكة فى ذى القعدة من العام التالى وبقى فيها بعد العمرة ينتظر موسم الحج، فلما قضى مناسكه توجه إلى المدينة المنورة، وعاد بعدئذ إلى مصر فى محرم من سنة ١٠٢٩هـ فتزوج بها من إحدى الأسر الشريفة وتدبرها.

ولما كان شهر ربيع من تلك السنة زار بيت المقدس وأخذ يتوجه إلى الحرمين الشريفين، فى الحجاز حتى لقد قصد مكة المكرمة خمس مرات والمدينة المنورة سبعًا، وأملى دروسًا على نية التبرك فى المسجد الحرام، وألَّف بجوار مقر النبى ﷺ بعض مؤلفاته وأملى هناك الحديث الشريف.. ثم رجع فجاور بالأزهر بعد أن قضى حجته الخامسة فى صفر من سنة ١٠٣٧هـ.

ورحل فى أوائل رجب من عامه ذاك إلى بيت المقدس فأقام فيه خمسة وعشرين يومًا، وألقى عددًا من الدروس فى المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وزار مقام إبراهيم عليه السلام ومزاراتٍ أخرى، ثم غادر إلى دمشق فدخلها أواخر شعبان، وتلقاه فيها المغاربة فأنزلوه فى مكان لا يليق به، وعندئذ بعث إليه الأديب أحمد بن

شاهين[1] مفتاح المدرسة الجقمقية ومعه أبيات فيها:

كنف المقرئ شيخي مقري
وإليه من الزمــان مَفَرِي

كنف مثل صدره في اتساع
وعلوم كالبحرِ في ضمن بحرِ

أيُّ بدر قد أطلع الدهر منه
مـلأ الشرق نوره اى بدرِ

أحمد سيدى وشيخى وذخرى
وسميى وذاك أشرف فَخْرِى

لو بغير الأقدام يسعى مشوق
جئته زائراً على وَجْه شكرِى

فأجابه المقرى بقوله:

أيُّ نظم في حسنه حار فكرى
وتحلى بِدُرِّهْ صدرُ ذكرى

طائرُ الصيت لابن شاهين ينمي
مَنْ بروض الندى له خير ذكرِ

أحمد المنتقى ذُروةَ مجدٍ
لعوانٍ من المعالى وبِكْرِ

حَلَّ مفتاح وصلِهِ بابَ وصل
مِن معانى تعريفهِ دُونَ نُكْرِ

---

(1) أحمد بن شاهين القبرسي، المعروف بالشاهين ٩٩٥ - ١٠٥٣ هـ/ ١٥٨٧ - ١٦٤٣ م: أديب، له شعر رقيق. أصل أبيه من جزيرة قبرس - معجم البلدان الأعلام - ص ٤٢.

يا بديعَ الزمانِ دُمْ فى ازديادٍ

بالعلى وازدياد تجنيسِ شكرٍ

ولما شاهد الجقمقية أعجبته فانتقل إليها وبقى فيها مدة إقامته بدمشق التى لم تبلغ أربعين يومًا.

وخلال ذلك أملى صحيح البخارى فى الجامع الأمويّ تحت قبة النسر بعد صلاة الفجر، ولما كثر الناس بعد أيام خرج إلى صحن الجامع تجاه القبة الباعونية، وحضره غالب أعيان علماء دمشق ولم يتخلف من الطلبة أحد، وكان يوم ختمه فى السابع والعشرين من رمضان سنة ١٠٣٧ هـ حافلاً جدًا، اجتمع فيه الألوف من الناس وعلت الأصوات بالبكاء، فنقلت حلقة الدرس إلى وسط الصحن حيث الباب الذى يوضع فيه العلم النبوى فى الجمعات من رجب وشعبان ورمضان، وأتى له بكرسى الوعظ فصعد عليه وتكلم على ترجمة البخارى وأنشد له بيتين وأفاد أن ليس للبخارى غيرهما:

إغتنمْ فى الفراغ فَضلَ ركوعٍ

فعسى أنْ يكون مَوتُكَ بغته

كمْ صحيحٍ قد مات قبلَ سقيمٍ

ذهبت نفسُه النفيسة فلته

وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر، ثم ختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى ﷺ:

يا شفيعَ العصاة أنتَ رجائى

كيف يخشى الرجاءَ عندك خيبه

وإذا كنتُ حاضراً بفؤادى
غيبةُ الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيشِ فى البلاد انقطاعٌ
أطيبُ العيش مَا يكونُ بِطيبه

ونزل عن الكرسى فازدحم الناس على تقبيل يده، قال المحبى: «ولم يتفق لغيره من العلماء الواردين إلى دمشق ما اتفق له من الحظوة وإقبال الناس».

ولما غادر دمشق توجه إلى غزة فنزل ضيفًا على الشيخ الفصين عند أمرها.. وبعد مدة رجع إلى مصر وما إن أقام مدة حتى توفيت بنته الوحيدة عام ١٠٣٨هـ ولما لم يكن على تفاهم مع زوجته فقد طلقها.. ثم لم يطب له العيش بعدئذ لما وجد حوله من الحسد والنفاق فأزمع الهجرة إلى الشام ليستوطنها فوافته المنية دون أن يحقق رغبته.

قال عنه المحبى: «حافظ المغرب، جاحظ البيان، ومن لم ير نظيره فى جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة، وكان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث، معجزًا باهرًا فى الأدب والمحاضرات».

توفى بالقاهرة ودفن بقرافة المجاورين.

• المراجع •

آداب اللغة ٣/ ٣٠١، الأزهرية ٣/ ٩٧، الأعلام ١/ ٢٣٧، والبستان ١٥٥، تراجم اسلامية ٢٤٥، تعريف الخلف ١/ ٤٤، الخزانة العامة فى الرباط و ٩٨٤, ١٢١٥، خلاصه ١/ ٣٠٢، فهرس الفهارس ١/ ٣٣٧ المقرى لعثمان العكاك: المقرى صاحب نفح الطيب للحبيب الجنحانى التونسى، نفح الطيب، المقدمة و ١/ ٦٦ ـ ١٠٧، اليواقيت الثمينة ٢٩.

أهمية الكتاب

تعود أهمية الكتاب إلى عدة أمور جليلة منها:

١ - إحاطته بكل ما كتب فى موضوع النعال عند المشارقة والمغاربة، فالمؤلف طاف البلاد شرقًا وغربًا، وهو العالم الجليل، اجتمع بالعدد الكبير من العلماء، وكانت مجالس العلماء تطرح فيها الموضوعات وكل عالم يدلى بدلوه، وهناك المطارحات الأدبية والمناقشات العلمية، فكان المؤلف يحضرها ويكون المجلى فيها.

٢ - جمع المؤلف فى هذا الكتاب كل ما يتعلق بالموضوع من حديث ولغة، وشعر، وسيرة، وتاريخ، ووصف للنعال، وبيان لأوضاعها وأشكالها.

٣ - فى المقدمة يذكر أسماء النعال وبيان معانيها لغة، ثم تتوارد الأبواب على النحو التالى:

الباب الأول: وفيه يروى الأحاديث الشريفة التى وردت فى النعال الشريفة مع تفسير ألفاظها وما يتبع ذلك من الكلام.

الباب الثانى: وفيه يتناول المؤلف صفة مثال النعل الشريف وما يدل على هيئته.

الباب الثالث: وفيه جمع المؤلف ما استطاع جمعه من القصائد والمقطعات فى مدح النعال الشريفة، مرتبةً على حروف المعجم، وهذا الكَمُّ الكبيرُ من القصائد يدل على ما وصل إليه المؤلف من

أدبٍ رفيعٍ وانتقاءٍ منيفٍ.

الباب الرابع: في جملة خواص مثال نعل النبي ﷺ.

أما الخاتمة: فهي في الفوائد التي جمعها المؤلف عن الموضوع.

وتظهر أهمية الكتاب بما كتبه علماء العصر الذين عاصروا المؤلف عن الكتاب وأهميته فكتبوا التقريظات التي تشيد بفضله وأهميته، منهم العلامة أحمد بن عبد الرحمن المالكي الصديقي الذي وصف المؤلف بقوله إمام العلماء غير أنه خطيبهم، وقدوة العلماء إلا أنه رئيسهم وأريبهم»، ومنهم العلامة الشيخ أحمد بن محمد الغنيمي الخزرجي الأنصاري[1] فقد قال: «فما رأيت والله من نسج على منواله ولا أتى بمثاله، ولا أقول إلا حقًا ولا أتكلم إن شاء الله تعالى إلا صدقًا» ومنهم الشيخ العلامة عبد الكريم القاضي بالقاهرة، ومنهم الشيخ تاج الدين المالكي عالم مكة المكرمة والخطيب والإمام بالمسجد الحرام، ومنهم الشيخ العارف سيدي أبو الإسعاد، وغيرهم.

٤ - وقد رسم المؤلف صوراً للنعال الشريفة تداولها الناس حتى يومنا هذا فمن هذا يتبين لنا الفائدة الكبيرة من هذا الكتاب إذ جمع فأوعى، ولم يترك أمراً يتعلق بالنعال الشريفة إلا وتناوله بالبحث والدرس والتفصيل والحجة.

٥ - من خلال كتابات المؤلف في هذا الكتاب يتبين لنا ما أوتيه المؤلف من محبة صادقة للنبي ﷺ، ففي أشعاره نجد الحب

---

(١) أحمد بن محمد بن علي، شهاب الدين الغنيمي الأنصاري الخزرجي ٩٦٤ - ١٠٤٤ هـ/ ١٥٥٧ - ١٦٣٥م: فقيه باحث، نسبته إلى غنيم، وهو أحد جدوده. معجم الأعلام - ص٧٤.

والعاطفة الصادقة الجياشة التى تدل على تعلق كبير بكل ما هو صفة، وخلق، وفعل وقول للنبى ﷺ، فرحم الله المؤلف وجزاه خير الجزاء.

* * *

الأسباب التى دعت المؤلف لتأليف الكتاب:

يقول المؤلف: جمعنى فى مصر مرةً مع بعض الأعلام ناد جرى به فى شجون الكلام ذكر النعل النبوية العظيمة ومثالها الشريف، وما قيل من الأمداح النثيرة والنظيمة، وما بالمواهب اللدنية فى ذلك من المقال اللائق بالمقام، والمديح الشافى من السقام، فقلت: إنى كنت أذكر فى محاسن المثال الواخية أكثر من مئة قافية، مما جمعته بالمغرب... ثم إنى لما ذكرت ذلك العدد شممت من بعض الناس رائحة الاستغراب، وفهمت من حاله الظاهرة الإعراب أن ضميره على حرف مبنى، واستفهامه دل على الإنكار الذى هو به معنى، إذ قال: هل يمكن ذكر جمع هذا العدد بما تصدق عليه بصيغة جموع الكثرة المستقلة، وهذا صاحب المواهب اللدنية على جلالته وحفظه لم يأت من ذلك المقول فى المثال من القصائد إلا بجمع القلة، فسكت عن الجواب، ورأيت الإعراض عنه عين الصواب، فقال لى بعض من صحت منه السريرة وأضحت عين العلم والعمل به قريرة، لا بأس أن تجمع فى هذا الغرض للغرض ما يسمح به الوقت الحاضر.. فأجبته إلى ذلك.

* * *

نسخ الكتاب المخطوط منها والمطبوع

من كتاب «فتح المتعال فى مدح النعال» عدد من النسخ المخطوطة فى مكتبات العالم ففى باول م ٣ /٢٨، سرايفو ٢/٨٠، ليبزج ٤١، ليدن ثان ٨٧٦، الجزائر ٢٧/١١٨، تونس الزيتونة ٢/٢٩٨، القاهرة أول ١/٢٨، القاهرة ثان ١/١٣٤، تركيا آيا صوفيا ٣٣٣٧، تركيا نور عثمانية ٣٣٩٧، ووهبى ١٣٠٧، وسليم أغا ٨٢٧، وفى فاس المغرب ـ القرويين ٧٢٣، وفى حلب (انظر مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ١٢/ ٤٧٣، بنى ٢٦٠، قوله ١/ ١٤١، وياتنة ١/ ١٤٨.

وتوجد قطعة منه فى مسألة ترك قدم الرسول آثاراً على الأحجار وأنها يمكن أن تمضى على الرمال دون أن تترك أثراً، فى نسخة مخطوطة فى برلين ٢٥٩٥.

طبعة الكتاب

تم طبع الكتاب فى يوم الاثنين المبارك رابع عشر شهر شوال المكرم سنة ١٣٣٤ هـ فى حيدر آباد الدكن أشرف على طبعه أبو المظفر محمد المدعو بشريف الدين الفاروقى الحنفى القالمى الدكنى الحيدر آبادى، وذلك بعد أن نسخه من نسخة بخط المؤلف فى المدينة المنورة حين مجاورته سنة ١٣٠٧ هـ.

كما قابل هذه النسخة على نسخة أخرى كتبت سنة ١٠٧٠ هـ كتبها عبد الفتاح الأشمولى.

وقابلها أيضًا على نسخة ثالثة كتبها عبد الفتاح الأزهرى سنة ١٠٦٥هـ.

تاريخ تأليف الكتاب

مر تأليف الكتاب بمرحلتين:

الأولى: أصل الكتاب انتهى منه فى شوال عام ١٠٣٠هـ بالقاهرة وكتب منه عدة نسخ حملت إلى بلاد الروم وغيرها، ثم ألحق بها زيادات بعد هذ التاريخ.

٢ ـ ثم حرر نسخةً منها بالمدينة المنورة فى الروضة، بين القبر الشريف، والمنبر المنيف، تجاه الرأس الشريف، لصق شباك الحجرة المعظمة النبوية، فى الناحية التى تليها سارية التوبة، فى الصف الذى فوق باب الحجرة النبوية، المعروف بباب الوفود، وكان ابتداء ذلك يوم الثلاث المبارك غرة رمضان من عام ثلاث وثلاثين وألف، وانتهاؤه يوم الثلاث الخامس عشر من الشهر المذكور، قال المؤلف: وكنت أكتب كل يوم من وقت الضحى إلى الظهر، فكملت ولله الحمد والمنة على هذه الصفة فى نصف شهر.

المؤلفات فى وصف النعال ومدحها

قال المقَّرى:

١ ـ وقفت فى هذا الأمر العظيم على كراسة لبعض المغاربة السبتيين مشتملة على مقطعات تقرب من الثلاثين، رتبها على حروف المعجم، وقد استوعبت ذلك فى كتابى هذا.

٢ ـ ثم وقفت له أيضًا على قصائد ومقطوعات لم يلتزم فيها الابتداء بحرف الروىّ.

٣ ـ وقد ألف الإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى الأندلسى جزءًا حافلاً ضمنه نظمًا ونثرًا وسماه «نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم».

٤ ـ ومنهم الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج المزنىّ الأندلسى رحمه الله.

٥ ـ ثم ألف الحافظ ابن عساكر فى ذلك وهو فى كراسة صغيرة، وقد مثل فيه النعل النبوية، ذات الفضائل الشهيرة، وذكر بعض ما يتعلق بها على سبيل الاختيار، وأورد فيه قصيدة من نظمه ومقطوعتين مما أنشده ابن الحاج، وبنص خواص المثال الأسمى.

٦ ـ ثم اختصره شيخ الإسلام السراج البلقينى، ولم يزد على ما ذكره ابن عساكر إلا يسيرًا، وهو أصغر حجمًا من تأليفه وسماه: «خدمة نعل القدم المحمدى» وهو فى سبعة أوراق صغار.

٧ ـ كتابنا هذا «فتح المتعال فى مدح النعال» وقد أفردنا له بحثًا له أهميته ومواضيعه وتاريخ تأليفه، والأسباب التى دعت إلى التأليف.

٨ ـ ذكر من ترجم للمقرى: أن له كتابين آخرين فى الموضوع نفسه: أ ـ نفحات العنبر فى وصف نعل ذى العلاء والعنبر.

٩ ـ ب ـ النفحات العنبرية فى نعل خير البرية.

وقد ذكرنا تفصيلاً عن مخطوطاتهما فى مؤلفات المؤلف.

مؤلفاته:

١ ـ (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب[1]) وهو تاريخ للدولة والعلماء فى الأندلس مع تفصيل حياة لسان الدين، ألفه بطلب من علماء دمشق بعد عودته منها، ودوّنه بالقاهرة فى عام كامل من ٢٧ رمضان ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م، ثم ختمه فى آخر أيام سنة ١٠٣٩هـ / ١٦٣٠م. ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة متعددة فى مكتبات العالم. وقد طبع الكتاب كاملاً فى مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠٢ هـ فى أربعة مجلدات ثم طبعه د. إحسان عباس فى بيروت فى ٨ مجلدات.

٢ ـ نفحات العنبر فى وصف نعل ذى العلاء والمنبر، وهو منظومة تعليمية فى نعال النبى ﷺ. من نسخة مخطوطة فى جوتا رقم ١/٦٣١

٣ ـ النفحات العنبرية فى نعل خير البرية، نثراً وشعراً منه نسخة مخطوطة فى المغرب تطوان رقم ٦٢، القاهرة ثان ١/١٥٨، مدارس ٣٠٦، دار الكتب الظاهرية رقم ٧٤ وانظر، كتب عنه فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ١٠/٦٣.

ومنه نسخة فى تركيا عاشر أفندي، ومكتبة الاسكندرية تحت رقم تاريخ ١٧.

٤ ـ فتح المتعال فى مدح النعال. وقد ذكرنا التفصيى عنه فى

---

(١) محمد بن عبد الله بن سعيد السالمانى اللوشى الأصل، الغرناطى الأندلسى، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب ٧١٣ ـ ٧٧٦هـ/ ١٣١٣ ـ ١٣٧٤م: وزير مؤرخ، أديب نبيل ـ معجم الأعلام ـ ص ٧٤٠.

التعريف بالكتاب.

٥ - نيل المرام المقنط لطالب الخمس الخالى الوسط. يتضمن ٣١٣ بيت رجز موضوعها إعداد مربعات الطلسمات ذوات الحقول الخماسية المخمسة خالية الوسط. منه نسخة مخطوطة برلين ٤١١٩، الإسكندرية حروف ١٧.

٦ - العقيدة المقَّرية: مرثية فى فناء الدنيا، ومدح غرناطة، ووزيرها لسان الدين الخطيب، منه نسخة مخطوطة فى القاهرة ثان ٣/ ٢٨٧، برلين ٧٩٦٥.

ولها عدد من الشروح شرحها عدد من العلماء.

٧ - رفع الغلط عن المخمس الخالى الوسط. منه نسخة مخطوطة فى القاهرة أول ٥/ ٣٤٢.

٨ - قواعد السرية فى حل مشكلات الشجرة النعمانية، وهو مجموعة لأحداث السنوات ١٠١٠ هـ - ١١١٠/ ١٦٠٠ - ١٦٩٨ مخطوط برلين ٤٢٢٢.

٩ - حسن الثنا فى العفو عمن جنى. منه نسخة مخطوطة فى القاهرة ثان ٣/ ٨٤، وطبع بالهند دون تاريخ، القاهرة أول ٧/ ٢٢٧، ثان ٣/ ٨٤.

١٠ - إضاءة الدُجُنَّة فى عقائد أهل السنة، وهو نظم لكتاب العقائد النسفية، يوجد منه نسخ مخطوطة فى القاهرة ثان ١/ ١٦٢، برنستون ٣٢٠، بريل أول ٥٢٢، وثان ١١٤٨، وياتافيا ملحق ٢١٠، ورامبور ١/ ٢٨٢/ ٨، همبورج المعهد الشرقى ١٤/ ٥،

جاريت ٢٠٠٣/١، الإسكندرية توحيد ٣٨، القاهرة أول ٢/ ٥٢, ٧/ ٢٨٨, ٣٠٣.

وشرحه عدد من العلماء منهم الشيخ عبد الغنى النابلسى[1].

١١ ـ أزهار الرياض فى أخبار عياض. منه نسخ فى مكتبات العالم. فى باريس ٢١٠٦، ٥٢٠٧، مدريد كوديراض ١٧٦، باريس ٥٠٢٧ وفى تركيا فاتح ٤١٨٥، ودمشق الظاهرية تاريخ ٨٣٠ وانظر ما كتب فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٢/ ٧٠٣.

وطبعه مراد التركى فى الجزائر سنة ١٩٠٦، ونشر ومصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وغيرهما القاهرة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٨ وطبع مؤخرًا فى المغرب.

١٢ ـ الحاف المعزم المعزى بتكميل شرح الصغرى.

١٣ ـ أرجوزة الإمامة.

١٤ ـ له قطع أدبية من أيام إقامته بدمشق ابتداء من سنة ١٠٣٧ مع بيان مناسباتها، كتبها تلبية لرغبة معاصرين. توجد منها نسخة مخطوطة فى ليبزك ٨٦٣/ ٥.

١٥ ـ الجمان من مختصر أخبار الزمان. ترجم إلى اللغة الفرنسية سنة ١٧٨٨م.

* * *

---

(١) عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى النابلسى ١٠٥٠ ـ ١١٤٣هـ/ ١٦٤١ ـ ١٧٣١م: شاعر، عالم بالأدب والدين، مكثر من التصانيف، متصوف، ولد ونشأ فى دمشق، وتوفى بها ـ معجم الأعلام ـ ص٤٢٣.

توثيق الكتاب:

١ ـ جميع مـن ترجم للمؤلف يشير إلى هذا الكتـاب من جملة مؤلفاته كالمحبي[١] في خلاصة الأثر، والكتاني في فهرس الفهارس، والمقري نفسه في نفح الطيب.

٢ ـ أشار الشيخ محمد المدعـو بشريف الدين الفاروقي في طبعته للكتاب أنه قد طبع عن نسخة بخط المؤلف.

---

(١) محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي (١٠٦١ ـ ١١١١هـ/ ١٦٥١ ـ ١٦٩٩م): مؤرخ، باحث، أديب، عني كثيراً بتراجم أهل عصره. الأعلام للزركلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة، الحافظ البحر المتقن المحرر الفهامة، صاحب الفوائد الفريدة، والتصانيف العديدة، أفصح البلغاء، وأبلغ الفصحاء، سيدى أحمد بن محمد المقرى المالكى، التلمسانى الأصل والمولد، الفاسى الدار، نزيل القاهرة المحروسة، أدام الله بقاءه، وحفظه، وتولاه، بجاه سيدنا محمد نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم آمين.

نحمدك اللَّهمَ أن جعلتنا من أمة خير من لَبِس النّعلين، وسما على أهل الأرض والسماء الأعلين، وشرفتنا باتباع سيد الكونين والثقلين، الطاهر الأصلين، تفضلاً منك وامتنانًا، وعرفتنا من أحواله الجميلة، وأقواله الجليلة، محاسن الشريعة، فسرّحنا النواظر فى رياضها النواضر المونقة المريعة، وحدائقها المشرقة البديعة الرائقة افتنانا، وهديتنا به إلى الطريق الأقوم الأقوى[1]، وألزمتنا ببركته كلمة التقوى، نَعْمُرُ بها ربعَ قلوبنا ولولا فضلك درس وأقوى[1]، فلم نثن ولا نثنى بحولك وقوتك عنها عنانا، حمداً يحلى جيد عملنا العاطل[2] بدرره السامية ويشنِّف مسامعه ويحيى أرض نفوسنا الميتة بمطره[3] الهاطل، ذى السُحُبِ الهامية الهامعة، فتنبت من زرع

(١) الأقوى فى الأولى بمعنى القوى. والأقوى فى الثانية بمعنى باد وفنى وذهب وهو من باب الجناس التام.

(٢) العاطل المجرد من الزينة فيقال امرأة معطال أى خالية من الزينة.

(٣) فى الأصل بمطهرة والصواب بمطره ليتسق المعنى والله أعلم.

التوفيق منانا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضدٌّ ولا ندٌّ، ولا ظهيرَ ولا متجدِّدَ، ولا مساوٍ، ولا مقاوٍ، ولا مضاضد، الواحد الأحد، الفرد الصمد، شهادة دامغةً للباطل قاصمةً له قامعة، شاهدةً بالحق على كل مماطل، مؤسسة لحسن عبادتنا جامعة، محصلة افتقارنا إلى خيرك موصلة لعدم التفاتنا إلى غيرك واكتفائنا بك وعنائنا، وأن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبدك ورسولك أفضل الخلق من منتعلٍ وحافٍ، ملاذُ كُلِّ من اتقى وخاف، أو جار وحاف، الذي علت نعله الشريفة على هام الثريا وسمت فاتسمت بالخواص المنيفة العاطرة الريَّا، وأعجزت مدائحها الوسيمة المحيا، كل بليغ أعمل في وصفها بيانا وبنانا، البشير النذير، السراج المنير، الخاتم الفاتح، الباذل المانح، المتسم بأحسن سمة وأشرف سيرة دافع أشتات الضلالات، مانع أنواع الجهالات، جامع أجناس الكمالات، التي لا تحصرها كثيرات المقالات، فضلا عن اليسيرة رافع ما أتعبنا وعنانا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين سح(1) عليهم نافع سحابه فرووا ورَوَوا وجمعوا وحووا آثاره النبوية، وأخباره المروية، وفضائله الطاهرة، وشمائله الظاهرة، صلاة وسلاماً نتبوأ بهما بفضل الله في الفردوس غُرُفًا وجنانًا.

وبعد فيقول العبد الفقير البائس الحقير الراجي من ربه غفران ما

---

(1) سَحَّ الإنسانُ والحيوانُ سَحّاً وسحوحاً: سمن غاية السمن فهو ساحٌّ والمطر انصبّ وكثر. المعجم الوسيط ج١.

عَظُمَ من ذنبه والنجـاة من كل خطب مهول، الجـانى المسرف على نفســه العاصى الجهول، أحـمد بن محـمد الشهيـر بالمقرى المالكى المغربى، رجحت أعماله ونجحت آماله، إن هذا كتاب (فتح المتعال) ضــمنته ذكـر وصف النِّعال، وقـد سـألت الله أن يكون من خيـر الفعَال، وذلك أنه لما جرت الأقدار برحلتى من المغرب المحروس إن شاءَ اللهُ مـن الأكدار[1] والترُوح[2] عن أرض النشــأة والدار، أرض سقتهـا العَوادى بكل مـزن يسيل، مـواطنى وبلادى وظل عيشى الظليل والخـروج من حضـرة فاس، الطيـبة الأنفـاس، نابذًا الولد والمال، والمناصب التى تشـغل من التفت إليـها أو مال، راجـيا من الكريم الوهاب المتعـال، بلوغ الآمال، قـاصدًا الأمـكنة الشريفـة الحجازية، متعلقًا بأذيال من كانت التقوى شعاره والحجازية، ركبت البحار، وخضت المهامة التى يضل فيها القطا ويحار، حتى وصلت إلى أشرف أرض، وأديت الفـرض، وشاهدت روضة الشـفيع يوم العرض، خير البـرية من بدْوٍ ومن حَضَرَ، وأشرف الخلق من حافٍ ومنتـعلٍ صلى الله عليـه وآله وسلم و وكـرم، وتفيـأت دوح ظله الوريف، وتوسلت إلى الله بـجنابه الشـريف، منشـدًا عند رؤيتى أعلام طيبة المشرفة، تخميس الأستاذ القرطبى المغربى الأندلسى ابن العريف.

---

(١) الأكدار جمع كدر وهو ضد الصفو.

(٢) والترُوح: جمع ترح وهو الأحزان. ويقال أتراح.

أشعار

دِيارُ النبى ما نلت من وصلها المنى
سوى نظرةٍ أهدت إلى جسمى الضّنا
نعم وثنت قلبى إلى العشق فانثنى
ولما رأينا رسم من لم يدع لنا
فواد العرفان الرســوم ولاَ لُباًّ
ركبنا مطايا الشوق نقصد رامة
تميد كأنا قـد شربنا مُدامـة
ولما عرفنا للدّيار علامـةً
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامـة
لمن بان عنـه أن نلمَّ به ركْبا
بقلبى داءٌ ما وجدت له دَوا
حشاشةُ نفسى قـد تملكهَا الهوَى
إلى الله أشكو ما ألاقى من الجوى
فيا شوق ما أقوى وما لى من الهوى
ويا دمع ما أجرى ويا قلبَ ما أصبَا
صحا كلُّ ذى سكر وقلبىَ ما صَحَا
وروض اصطبارى قد ذَوى وتصرحا
وعوضت بعد القرب بُعداً مبرّحَا
وكيف التذاذى بالأصائل والضُّحى
إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هبَّا

ثم أبت ولو شاء الله ما فعلت واتخذت الرجوع إلى الوطن هجيرا، أى وجعلت أقول:

سَلامٌ مثل ما فاحت رياض ... وقد مرّت بها ريحُ الشَّمال

على دهرٍ مضَى ما فيه عيبٌ ... يُعَاب به سِوَى قِصرِ اللّيالى

فلما وصلت إلى مصر المحروسة من السوابق، عاقتنى عن السفر الموانق، فأقمت بها برهةً من الزمان، إقامة من لم ينس معاهده التى التحف فيها رداء الأمان وشاهدت من محاسن كثيرة من أهلها ما ينظم فى لبة الدهر نظم الجُمان، إذ هى قبة الدنيا الحائزة المفاخر بلا ثنيا والبلد العليا المتقلدة من المآثر حُليًا، وباب البيت المقدَّس والحَرمَيْن، بغيرِ ريْبٍ ولاَمَيْن.

بلادٌ حَوتْ شتَّى المحاسنِ فاعتدتْ ... بأزهرها المعْمُور تَزْهى ووَسْمها

ومن ذا الذى عنْ مِصرَ يَدْفَعُ فَضْلها ... وهذا كتاب الله نوَّه باسمها

حضرت الأكابر الذين يعترف لهم المنصف والمكابر، فإن ذكر العلم فهم سبَّاق غاياته، أو الفهم، فهم رافعوا راياته، أو الإحسان فهم شموس آياته، أو القرآن فهم حافظوا آياته، ذات الأزهر الأبهى الأبهر، (فجمعنى) فيها مرة مع بعض الأعلام، إذ جرى به فى شجون الكلام، ذكر النَّعل النبوية العظيمة، ومثالها الشريف وما قيل فيه من الأمداح النثيرة والنظيمة، وما بالمواهب اللدنية فى ذلك من المقال اللائق بالمقام، والمديح الشافى من السقام، فقلت إنى كنت

أذكر في محاسن المثال الوافية، أكثر من مائة قافية، مما جمعت بالمغرب وبرود الاشتغال ضافية، وسماء الأفكار من قزع[1] الأكدار صافية، وطيرُ الهنا الصادح بأفنان المنى موفور القادمة والخافية، ومعاهد الأتراب ومشاهد الجيرة والأصحاب لم تهب عليها رياح البين السافية، فقلت:

ليالي وصَالٍ قد مضين كأنها
لآلي عقودٍ في نحور الكواعب

وأيام هجر أعقبتها كأنها
بياضُ مشيبٍ في سواد الذوائب

فكأنني بلسان الحال قد قال، وعن عهد اللوم ما حال، دع الالتفات إلى ما فات، والطماح إلى ما طاح وانبذ ليت، وخلّ كان، فكان جوابي له التأسّي بقول قاضي القضاة ابن خلكان[2]:

يا ديارَ الأحبابِ لا زالت
الأعينُ في ترب ساحتيك مُذَاله

ويمشي النسيم وهو عليل
في مغانيك ساحبًا أذياله

أين عيشٌ مضى لنا فيك ما
أسرع عنا ذهابُه وزواله

---

(١) القزع: هو كل شيء يكون قطعًا متفرقة منه قطع السحاب المتفرقة في السماء وقطع الشعر المتفرقة في الرأس. المعجم الوسيط ج ١.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس ٦٠٨هـ - ٦٨١هـ/ ١٢١١ - ١٢٨٢م: المؤرخ الحجة، والأديب الماهر - معجم الأعلام ص ٦٩.

حيثُ وجه الشباب طلقٌ نضيرٌ

والتصابى غُصُـونه ميَّـالَه

ولنا فيك طيبُ أوقـاتِ أنسٍ

ليتنا فى المنام نلقى مثالَه

ثم إنى لما ذكـرت ذلك العـدد شممت من بعض الناس رائحـة الاستغراب، وفهمت من حـاله الظاهرة الإعراب، أن ضميره على حرف مبنى، واستفهامه دال على الإنكار الذى هو به مَعْنِى، إذ قال هل يمكن ذكر جمع هذا العدد بما تصدق عليه بصيغة جموع الكثرة المستقلة، وهذا صاحب المواهب عـلى جلالته وحفظه، لم يأت مَنْ ذلك المقـول فى المثال من القـصائـد إلا بجمع القلة، فـسكت عن الجواب، ورأيت الإعراض عنه عين الـصواب، فقال لى بعض من صحت منه السريرة، وأضحت عين العلم والعمل به قريرة، لابأس أن تجمع فى هذا الفـرض المعترض مـا يسمح به الوقت الحـاضر، ونقر بثوابه طـرف من سكن منزل الإخلاص، ونوى به كيمـا يثمر غصنه الناضر، مـا يستحسنه الحاضر والـناظر، وتقام بمجمله، عند من حمل الكلام على خـير محمله، الحجـة على المعترض المناوى والمناظر، إذ التفاصيل متعذرة أو متعسرة، والدَّواعى غير متهيئةٍ ولا متيسرة فـتلك بجملة عللٍ منها الـغربة واضحة بـينة، وهى جملة معترضة لعذرى مفسرة، فقال هذه جملة ليس لها محل، والأريب ليس بينه وبين بلدٍ نسب، فخير البلاد ما حمله ومحله حيث حل، وعلى تقـدير تسليم هذا العـذر الذى تلاشى واضمـحل، والعقـد

الذى نقض وانحل، فلست وفقك الله لمرضاته بأول من بان[1] عن وطنه وارتحل، ممن انتحى العلم وانتحل، هذا إمام المعقولات بالاتفاق، صاحب التصانيف التى أضاءت شمسها بجميع الآفاق، مولانا سعد الله والدين التفتازانى[2]، سقيت عهاده وقدس سره العرفانى، صرح فى شرحه لتلخيص المعانى، الذى فك فيه أسر العانى، وأزاح إشكال المعانى، وعالج أوصاب المعضلات فابرا، بأنه حرر كل سطر منه فى شطر من الغبرا.

يوما بحزوى ويوما بالعقيق   وبالعذيب يومًا ويومًا بالخليصا

فقلت له هيهات[3] وشتان، وإنى بقاس الجهام بالصيب الهتان، أو يتساوى النفع والضر، والحلو والمر، وأين الصدف من الدر، والقيظ من القر، فقال لى ما ذكرت فى غاية القرب إلا أنه من الأمثال السائرة قول القائل: ومن لم يجد ماء تيمم بالترب، ولما لم يزده امتناعى إلا إلحاحًا، أجبته وقدحت من فكرتى زندًا شحاحًا، لما رجوت من الأجر الجزيل، فى هذا القصد الجليل والتبرك بخدمة السنّة ولو بالنزر القليل، والاقتداء بمن صرف لها منحاه الجميل، فبلغ قصدًا وأملاً، والنمل يعذر فى القدر الذى حملا، جعلنا الله ممن أخلص قولاً وعملا، بجاه خير الخلق صلى الله عليه وآله وسلم على أننى علم الله ما وقفت فى هذا الأمر العظيم القدر على

---

(١) بان: أى ابتعد.

(٢) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، سعد الدين ٧١٢، - ٧٩٣ هـ/ ١٣١٢ - ١٣٩٠م،: من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان، من بلاد خراسان - معجم الأعلام - ص ٨٣٦.

(٣) هيهات اسم فعل معناه البعد وفى التنزيل العزيز: ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ المعجم الوسيط ج ٢.

مصنف يثلج الصدر للمتقدمين أو العصريين، سوى كراسةٍ لبعض المغاربة السبتيين مشتملة على مقطعات تقرب من الثلاثين، بحسب الظن والتخمين، رتبها على حروف المعجم، وأسرج فيها أفراس قريحته وألجم، وسقط في النسخة التي رأيت من حرف الواو إلى الختم، ولم يتعرض فيها لغير النظم الذي له فقط، وقد استوعبت ذكر ما لفظ، وليس فيه مما يتعلق على التعيين، شيء من الأمور التي تقع بنا إن شاء الله لها التبيين، ثم وقفت له أيضا على قصائد ومقطعات بعيدة من تلك النزعات، إذ لم يلتزم فيها الابتداء بحرف الروى، وسلك المنهج السوى، وقد ألف في المثال المقدس جماعة غيره منهم: الإمام الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي[1] الأندلسي، فله فيه جزء حافل ضمنه نظما ونثراً، وسماه تيجة الحب الضميم وزكاة المنثور والمنظوم قال ابن رشيد ويرحم الله أبا الربيع لو قال النثير والنظيم لكان أنسب للقرينة الأولى.

ومنهم الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج المزنى الأندلسي رحمه الله وتأليفه على ما قيل غير واسع، ولم يقرب فيه كل شاسع، ولم أقف على شيء منهما بعد الفحص الشديد عنهما.

وتلا ابن الحاج في التأليف تلميذه الحافظ ابن عساكر أحد الأعالي الأكابر، وقد كنت كتبت مسودة هذا الكتاب قبل العثور

---

(١) سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع ٥٦٥ - ٦٣٤ هـ/ ١١٧٠ - ١٢٣٧م: محدث الأندلس وبليغها في عصره - الأعلام - جـ ٣ - ص ١٣٦.

عليه، والوقوف على ما لديه، وكتب الناس منها عدة نسخ حملت إلى الديار الرومية وغيرها، فلما وقفت على تأليفه وجدته فى كراسة صغيرة، وقد مثل فيه النعل النبوية ذات الفضائل الشهيرة، وذكر بعض ما يتعلق بها على سبيل الإختصار، لأن التأليف فى نحو سبعة أوراق غير كبار، وأورد فيه قصيدة من نظمه ومقطوعتين مما أنشده ابن الحاج المذكور وبعض خواص المثال الأسمى، وأصاب فى ذلك المرمى، ثم عثرت على اختصاره لشيخ الإسلام السراج البلقينى[1] بخطه المشهور ولم يزد عليه إلا يسيرا وهو أصغر جرمًا من تأليف ابن عساكر المذكور ابتدأه بقوله:

الحمد لله الذى أظهر الآثار المحمدية فى الآفاق، وجعلها نور البصائر وجلاء الأحداق، وأقام بخدمتها طائفة روتها عن ظهر قلب ودوتها بطون الأوراق، فهم للقدم المحمدى متبعون وتطيب منهم الأخلاق، ويخدمون نعال أقدامه وهم إلى رؤسهم بالأشواق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى علت طبقته على جميع الطباق، المخصوص بالشرع العام والمقام الذى أقامه به الخلاّق، وعلى آل سيدنا محمد وصحبه ومن تبعهم فى آثارهم المضيئة بالإشراق.

أما بعد فقد رغّب إلىّ بعض الأعيان، ممن يوصف بالشرف والإحسان، أن أكتب له شيئا يتعلق بالنعل الشريف المبارك المنيف

---

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين ٧٢٤ - ٨٠٥ هـ/ ١٣٢٤ - ١٤٠٣م: مجتهد، حافظ للحديث، من العلماء بالدين، ولد فى بلقينة، من أعمال غربية مصر، وتوفى بالقاهرة - الأعلام جـ ٥، ص ٤٦.

تعل القدم المحمدى، وأن أذكر له سنداً به يقتدى، فأجبته إلى ما رَغِبَ فيه منح الله كل من يؤمله ويرتجيه، وكتبت فى ذلك هذا الجزء وذكرت فيه سندى، وسميته خدمة نعل القدم المحمدى، جعلنا الله ممن بآثاره يقتدى، آمين والحمد لله رب العالمين انتهى، وهو فى سبعة أوراق صغار جداً وهذه الخطبة منه نصف ورقة بخطه فهى نصف سبعة عداً، والله يجازيه عن نيته، ويبلغه من رضوانه منتهى أمنيته، وقد ذكر رحمه الله بخطه النعل والقدم وهما مؤنثان كما يأتى بيانه، ولعله أمر جرَّه، من القلم طغيانه، أو أولهما بشىء مُذَّكرٍ، على ما سيفسر بعد ويذكر والله أعلم.

وقد استوفيت ولله الحمد من قبل ومن بعد فى هذا المؤلف جميع ما ذكره ابن عساكر والسبتى[1] والبلقينى، وزدت عليهم ما يكون مجموع كلامهم لعُشْرِهِ عُشْراً، حسبما يسَّره الله الذى يرسل الرياح بين يدى رحمته نشرا، واستخرجت الدرر من معادنها، واستطلعت الغرر من مواطنها، وأضفت إلى الجميع بعدما أنشد به جماعة من أصحابنا المغاربة، الذين امتطوا سنام المجد وغاربه، وما أنشد به لنفسه بعض من لقيته بالقاهرة من الكبراء والأدباء الأعلام، والمشائخ الذين يَفتخر بهم العصر ويُزاحُ بنورهم الظلام، مع ما سمحت به قريحتى الخامدة، وفكرتى الجامدة، وبضاعتى الكاسدة، وصناعتى الفاسدة، وإن لم أكن من رجال هذا المجال، ولا من

(١) محمد بن على بن هانئ، أبو عبد الله، اللخمى السبتى، ويلقب بجده «توفى عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م»: عالم بالأدب، أندلسى، من أهل سبتة - معجم الأعلام - ص٧٥٦.

فرسان ميدان الرواية والارتجال، وتتبعت ما خلص إلىَّ من الأمثلة وأبرزته للعيان، بعد إيراد جملة من الأحاديث المتعلقة بالنعل النبوية وما يحتاج إليه من التفسير والبيان، ثم عززت ذلك بخواص المثال، المحاكى للنعال، بعد أن أوردت فيه من النظم المزرى باللآل، مقطعات وقصائد تزيد على ثلاث مائة حسبما اقتضاه الوقت والحال، وهذبت كل ذلك وكملته، فجاء بحمد الله فوق ما أمَّلته، ولم يكن بيدى من المقيدات إلا اليسير حين ألّفته، لأن جُلَّها تركته بالمغرب وخلَّفته، والله ينفع جميعنا به بجاه من أَلِفَ فى جنابه صلى الله عليه وآله وسلم ورتبته على فاتحة غادية بالفوائد رابحة وأربعة أبواب رج[1] منها أذكى رائحة، وخاتمة فائحة بسرها بائحة.

أما الفاتحة: ففى معنى النعل والقبال والشِّراك والشِّسْع فى اللغة وما يناسب ذلك من موارد مسوغة، وشوارد مقتضية، وموائد مستطابة وفوائد مبلغة.

وأما الأبواب:

فالباب الأول: فى بعض ما ورد فى النعال الشريفة، الطاهرة السامية المنيفة من الأحاديث النبوية، وتفسير ألفاظها اللغوية، وما يتبع ذلك من الكلام عليها وإرشاد الناظر إليها وجنسها ولونها وذكر الخلف المخصوص بحوط قدم العلى وصونها ونظم بعض الفرائد، فى سلك هذه المقاصد والفوائد.

---

(١) رج: أى فاح.

والباب الثانى: فى صفة المثال العظيم البركات والمنافع، الحاكى لنعال أفضل مشفع وأكرم شافع، وما يدل على هيئته من الكلام، لبعض أئمة الإسلام، الخادمين سنة من تشرف به عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

والباب الثالث: فى إيراد نبذة من المقطعات الرائقة، والقصائد الفائقة، المقولة فى المثال المعظم، ووصف درّه المنظم، مرتبة على حروف المعجم، على ما يسّره الذى وفق لجمعه وألهم، من كلام المتقدمين وأهل العصر من أهل فاس، وبعض من لقيته بمصر أحاط الله الجميع من الأغيار، وسلك بى وبهم سبيل الأخيار.

والباب الرابع: فى جملة من خواص المثال المجربة، ومنافعه المنقولة عمن كرع فى منهلها وعلم مشرَبه، من الثقات الذين لا يمترى فى صدق أخبارهم، والأثبات المعتمدين المستضاء بشموسهم وأقمارهم، الملحوظين بعين تعظيمهم وإكبارهم.

والخاتمة: واسأل الله حسنها فى ذكر ما منَّ الله به علىَّ، وساق فيه الخيرات بفضله إلىَّ، مشتملٌ على زبدة ما يتعلق بالنعل والمثال، لمن أراد الاقتصار عليه عوضا عن النثر منظوما نظم اللآل، وبعض مسائل منثورة، ومنظومة، مناسبة فى الجملة، كان حقها أن تتقدم هذا المحل وتكون قبله، وقد كنت بعدما انتشرت المسودة الأولى، التى هذه بالنسبة اليها طولَى، سميتها بعد إبراز أبكارها العين، من خدور الصدور، وإهدائها للحضرة الشريفة، ولا مهر إلا القبول، وبلوغ المأمول، فى الورود والصدور (بالنفحات العنبرية فى نعال

خير البرية) فيحسن أن تسمى هذه الكبرى، بغير اسم تلك الصغرى، وهو (**فتح المتعال فى مدح النعال**) المتشرفة بخير الأنام عليه الصلاة والسلام، ووصف المثال وما يتبعه من الكلام، جعل الله الجميع عاصماً من العذاب الأليم، نافعا «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

وهذا أوان الشروع فى الورود، من هذا المنهل المشروع، وعلى الله سبحانه أعتمد، ومن عونه أستمد، فهو الهادى إلى سواء السبيل، وهو حسبى ونعم الوكيل، لا رب غيره، ولا خير إلا خيره.

* * *

الفاتحة

فى معنى النعل والقبال والشراك والشسع

فى اللغة وما يناسب ذلك من موارد مسوغة، وشوارد مقتضية وموائد مستطابة وفوائد مبلغة

قال ابن سيده[1] فى المحكم: النعل ما وقيت به قدم وقال بعض أئمة اللغة النعل ما وقيت به القدم عن الأرض، ولم يصل الساق. انتهى.

وقال صاحب القاموس: النعل ما وقيت به القدم عن الأرض كالنعلة مؤنثة وجمعه نعال. وقال الحسن بن أحمد بن طاعة وإسحاق بن محمد وأبو على ابن دوما: النعاليون محدثون ونعِل كفرِح وتنعل وانتعل لبسها، وحديدة فى أسفل عمد السيف والقطعة الغليظة من الأرض يبرق حصاها ولا تنبت والرجل الذليل يوطأ كما توطأ الأرض ثم قال والزوجة ثم قال وما وُقِيَ به حافر الدابة ونَعَلَهُمْ كمنع وهَبَ لهم النعال، والدابة ألبسها النعل كأنعلها ونعلها وأنعل فهو ناعل كثرت نعاله، ورجل ناعل ومنعل كمكرَم ذو نعلٍ، وحافرٌ ناعل صلب وفرس منعل كمكرم شديد الحافر ثم قال وانتعل الأرض سافر راجلا وزرع فى الأرض الغليظة أو ركبان

(١) على بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن ٣٩٨ - ٤٥٨هـ/ ١٠٠٧ - ١٠٦٦م: إمام فى اللغة وآدابها، ولد بمرسية (شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية فتوفى بها - الأعلام - جـ٤، ص٢٦٣.

ثم قال والمنعل كمعقد ومقعدة الأرض إسم وصفة (ثم قال) والتنعيل تنعيلك حافر البرذون[1] بطبق من حديد وكذا خف البعير بجلد لئلا يحفى انتهى ببعض اختصار.

وفى كتاب عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ للشيخ الشهاب أحمد بن السمين الحلبى[2] رحمه الله فى مادة نعل ما نصه قوله تعالى ﴿اخلع نعليك﴾[3]، النعل ما ينتعله الإنسان أى يلبسه فى رجله وانتَعَل لبَس نعلا، قال الأعشى.

فى فتيةٍ كسيوف الهند قدَ علموا
أنْ هـالكٌ كلُّ من يَحْفى وينْتَعِلُ

والنعل مؤنثة، قال:

ألقى الصحيفةَ كىْ يُخفِّفَ رَحْلَهُ
والزّادَ حتىَّ النعل قَدْ ألقاها

وبه شُبِّهَ نعلُ الفرس ونعلُ السيف وهو الحديدةُ المجعولةُ فى أسفله وفى الحديث: «كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فضة»[4]، قال شمر النعل من السيف الحديدة التى تكون فى أسفل قرابه وفيه «إذا ابتلّت النعال فالصلاة فى الرحال»، قيل: هى هنا ما غلظ من الأرض وقيل: هى النعال المعروفة ويكنى

---

(١) البرذون يطلق على غير العربى من الخيل والبغال ج براذين. ج ١ المعجم الوسيط.

(٢) هو أحمد بن يوسف بن محمد الحلبى المشهور بابن السمين المتوفى سنة ستٍ وخمسين وسبع مائة ذكره ابن الحنبلى فى شرح الشفا وكذا فى كشف الظنون.

(٣) سورة طه: من الآية رقم ١٢.

(٤) سنن النسائى بشرح السيوطى - ج٨، ص ٦١٠. والحديث عن أنس.

بالنعل عن الرجل الذليل، قال وأنشد للعجاج:

* ألم أكن ذراعه ونعلا *

قيل إنما أمر «موسى» عليه السلام بخلعهما لأنهما كانا من جلد حمار ميت لم يُدبغ وفى المثل: اضربى فإنك ناعلة أصله أن رجلا كان معه أمتان، إحداهما حافيةٌ والأخرى متنعلةٌ، فقال للمتنعلة: اضربى أى اسلكى الضراب وهى الحجارة فأنت ذاتَ نعلٍ. يضرب مثلاً لمن تقاعد عن أمرٍ فيه طاقة له به انتهى كلام ابن السمين رحمه الله.

وقوله وفى الحديث إلى آخره لعله أشار به إلى ما رواه الطبرانى كان له صلى الله عليه وآله وسلم سيف محلى قائمه فضة، ونعله فضة، وفيه حلق من فضة وكان يسمى ذا الفقار انتهى وقوله «قيل إنما أمر موسى عليه السلام إلى آخره» قد رواه الترمذى عن ابن مسعود مرفوعًا كان على موسى يوم كلمه ربه كساءَ صوفٍ، وجبةَ صوفٍ، وسراويلَ صوفٍ، وكانت نعلاه من جلد حمارٍ ميت انتهى.

قلت وقد تذكرت هنا والحديث شجون ما حكاه أحد أسلافى رحمهم الله وهو الإمام الصوفى العلامة وحيد دهره قاضى الجماعة الشيخ أبو عبد الله المقرى القرشى التلمسانى النشأة والمقَرّ، قاضى حضرة فاس رحمه الله فى كتابه الحقائق والدقائق عن الإمام فخر الدين الرازى ونصه حُدِّثت أن الإمام الفخر مر ببعض المشيخة من الصوفيين فقيل للشيخ هذا يقيم على الصانع ألف دليل فلو قمت

إليه فقال لو عرفه ما استدل عليه. فبلغ ذلك الإمام فقال نحن نعلم من وراء الحجاب وهم ينظرون من غير حجاب وهذا قوله في التفسير أن النعلين اللّذين أمر موسى بخلعهما هما المقدمتان اللتان يتوسل إلى المعرفة بهما فقيل: إنك قد حللت بالوادى المقدس بسماع «إنى أنا ربك» فلا تنصرف عن مقام التحقيق الى طلب التصديق فليس الخبر كالمعاينة انتهى.

وذكر التوزرى فى شرح الشقراطية ما فيه بعض مخالفة لبعض كلام السمين السابق ولنذكره بجملته فنقول قال رحمه الله والمتنعل الماشى بالنعل يقال نعَلَ بالفتح وانتَعَلَ بمعنى واحد ورجل ناعل ذو نعل وفى المثل أطرى فإنكَ ناعلةٌ، وهو من قولك أطرَى فلان إذا مشى فى أطرار الوادى أى نواحيه والطاء منه مهملة وذكروا أن أصل المثل لرجل قال: لراعيةٍ كانت ترعى فى السهولة دون الحزونة فقال لها: أطرى أى خذى أطرار الوادى وهى نواحيه فإن عليك نعلين ثم صار يضرب لكل من يؤمر بارتكاب أمر شديد إذا كان يقوى عليه ولما كان أصل هذا المثل جاريًا على خطاب امرأة استعمل للمذكر والمؤنث بلفظ واحد، لأن الأمثال لا تغيَّر ويحتمل قوله فانك ناعله وجهين أحدهما ما قاله أبو عبيد أحسبه عنى بالنعلين غِلَظ جلد القدمين فيكون على هذا التأويل كقول أبى الطيب.

ويُعْجِبُنِى رِجْلاك فى النعل أنَّى

رأيتكَ ذا نعلٍ إذا كنتَ حافيًا

انتهى المقصود منه وبعضه بالمعنى مع بعض اختصار انتهى.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول فى المصباح وغيره النعل مؤنثة وتطلق على التاسومة انتهى وقول جَمْعٍ منهم العلاَّمة «ابن حجر الهيثمى»[1] فى شرح الشمائل: النعل ما وقيت به القدم عن الأرض وأفرد يعنى الترمذى الخفَّ عنها بباب لتغايرهما عُرفًا بل لغةً أن جعلنا من الأرض قيداً فى النعل انتهى، وقد يقال فيه إن ظاهر كلام صاحب القاموس وبعض أئمة اللغة أنه قيد وقد صرح بالقيدية المولى عصام الدين إذ قال ولا يدخل فيه الخف لأنه ليس مما وقِيت به القدم عن الأرض انتهى وابن حجر لا يقيم له وزنا وكثير من اعتراضاته عليه غير لازم عند التأمل وإمعان النظر ولعله هنا لم يرض ما قاله فلذا لم يعتمده هو والله أعلم، فإن قلت أما ما ذكرتموه من أن النعل مؤنثةٌ غير مُسَلَّمٌ من وجهين أحدهما ما سمع من تصغيرها على نُعَيل بغير تاء وقد علم أن تصغير المؤنث الخالى من التاء لابد فيه من ردها إذ به يُعرَف تأنيث الإسم لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها كما قال ابن مالك فى الألفية حيث قال:

ويعرف التقدير بالضمير ... ونحوه كالرد فى التصغير

الثانى قول بعض الأنصار يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا خير من يمشى بنعلٍ فرد، فذكر فرداً وهو صفة للنعل

---

(1) احمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى السعدى الأنصارى، شهاب الدين، شيخ الإسلام، ابو العباس ٩٠٩ - ٩٧٤هـ/ ١٥٠٤ - ١٥٦٧م»: فقيه باحث مصرى، مولده فى محلة أبى الهيثم من إقليم الغربية بمصر - الاعلام - جـ١، ص ٢٣٤.

ولو كانت مؤنثة لأنّثه، قلت لا دلالة فى واحدٍ منهما على التذكير أما الأول فهو من باب الشذوذ فلا يلتفت إليه، ونظيره ألفاظ مؤنثة سُمع تصغيرها بغير تاء شذوذًا منها درع، وحرب وذود، وشول وناب وهى المسِنّةُ من الإبل فى عدة كلمات تحفظ ولا يقاس عليها حسبما ذكره، وصرح بذلك «ابن هشام» و «الماوردى»[1] وغير واحد على أن بعض الأئمة اقتصر فى تصغير نعلٍ على نعيلة وليلة تبيين لما يقتضيه القياس.

وأما الثانى بما تقرر فقال فيه ابن الأثير إنما وصف النعل وهى مؤنثة بالفرد وهو مذكر لأن تأنيثها غير حقيقى انتهى.

قلت لم أزل أستشكلُ إطلاق ابن الأثير فى فن العربية أن المؤنَّث على نوعين نوعٌ ظهرت فيه التاء ونوع قُدِّرت فيه التاء.

فالأول ثلاثة أقسام مؤنث المعنى نحو عائشة فهذا لا يذكر إلا ضرورة ومؤنث اللفظ نحو حمزة فهذا عكس ما قبله لا يؤنث إلا ضرورة كقوله أبوك خليفة ولدته أخرى وما ليس معناه مذكرًا حقيقة نحو خشبة فهذا يؤنث نظرًا إلى لفظه نحو خشبة واحدة، وليعلم أن هذا التقسيم إنما يتأتى فيما يمتاز مذكره عن مؤنثه، فإن لم يتميز نحو نملة أُنِّثَ مطلقًا ولذا وَهِمَ من استدل على كون نملة نبى الله سليمان على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه أنثى بقوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾[2]، حسبما هو مبسوط فى محله.

---

(١) على بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردى «٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨م»: أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، ولد فى البصرة وتوفى ببغداد ـ الأعلام ـ جـ٤، ص٣٢٧.

(٢) سورة النمل: من الآية رقم ١٨.

وأما النوع الثانى وهو الذى قُدِّرت فيه التاء نحو كتف ويدٌ ونَعلٌ ونحوها فمأخذه السماع ويدل على أن فيه تاء مقدرة رجوعها فى التصغير نحو كتيفة ويُدَيَّةٌ ونحوهما ويحذف[1] ثانيه من غير التصغير بعود الضمير، وحذف تاء العدد وغيرهما مما هو مقرر فى محله فإن سمع ثانيه، ولم ترد التاء فى تصغيره فَشَاذٌ كالألفاظ المذكورة آنفا التى منها نعل والله أعلم.

ثم رأيت للمولى عصام الدين[2] رحمه الله فى شرح الشمائل[3] اعتراضا على نحو إطلاق «ابن الأثير» عند شرح قوله نعل واحد ونصه الظاهر واحدة، ومن وجه تذكير واحد بأن النعل مؤنث غير حقيقى يردُّ عليه: بأن الفرق بين الحقيقى وغير الحقيقى فى إسناد الفعل وشبهه إليه لا فى العدد فلا يقال عشرة تمرات انتهى وهو موافق لما سنح لى ولله الحمد إذ ليس مراده بالعدد الحصر فيه حسبما هو معلوم ومن يده تلقف العلامة ابن حجر إذ قال فى شرح الحديث المذكور وفى نسخة واحد ويحتاج إلى تأويل ولا يكفى فيه كون تأنيثها غير حقيقى انتهى، وفى تفسير الكافى قال فى موضع آخر ذكر فيه النعل وصورته إلا أنه لما كان تأنيثها غير حقيقى صح تذكيرها باعتبار الملبوس انتهى وأنت تعلم أن كون تأنيثها غير حقيقى لا مدخل له فى التعليل فى هذا الموضع والله أعلم.

---

(١) فى الأصل يعزف والصواب يحذف والله أعلم.

(٢) هو عصام الدين إبراهيم بن محمد الإسفراينى المتوفى سنة ثلاث وأربعين وتسع مائة.

(٣) وفى كشف الظنون اسمه شمائل النبى لأبى عيسى محمد بن سورة الإمام الترمذى المتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين.

وقال حافظ الحفاظ محلى لبات المعانى بجواهر الألفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى رحمه الله فى فتح البارى عند ما تكلم فى حديث الإسراء قوله صلى الله عليه وآله وسلم بطست من ذهب ممتلء حكمة وإيمانا، ما نصه كذا وقع بالتذكير على معنى الإناء لا على لفظ الطست لأنها مؤنثة وهو أيضا مما يرد كلام ابن الأثير السابق إذ لو كان إطلاق ابن الأثير كافيًا لاعتذر الحافظ به عن التذكير من غير زيادة تأويل الطست بالإناء على ما لا يخفى، وقوله لا على لفظ الطست هو نفى لما قاله ابن الأثير ومن تبعه نظائر ذلك، وتأمل قوله لأنها مؤنثة يظهر لك ما قررته والله أعلم.

وفى كلام الحافظ المذكور ما يوهم كلام العلامة ابن حجر السابق حيث جعل كون تأنيثها غير حقيقى جزء علة، والحافظ ابن حجر لم يجعل كذلك بل جعل العلة غيره فافهم، على أن كلام «الزجاج»[1] يقتضى أن الطست يجوز فيها التذكير بقلة والتأنيث أكثر فى كلام العرب ونحوه لبعضهم وعليه فلا تأويل أن حُمل على اللغة القليلة نعم يصح ما قاله ابن الأثير فى مثل قول قتادة لأنس ابن مالك رضى الله عنه كيف كان نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحذف تاء التأنيث من كان لإسناد هذا الفعل إلى النعل وهى غير حقيقية التأنيث ومثل ذلك جائز إذا كان غير

---

(١) إبراهيم بن السرى بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ٢٤١؟ - ٣١١هـ/ ٨٥٥ - ٩٢٣م: عالم بالنحو واللغة، ولد ومات ببغداد - الأعلام - جـ١، ص ٤٠.

الحقيقى التـأنيث المسند إليه الفعل وشبهه اسـما ظاهراً نحو طلعت الشمس بخلاف الإسناد إلى ضميره نحو الشمس طلعت فلابد من التاء ولا تحذف إلا فى ضرورة الشعر كقوله:

* ولا أرض أبقل أبقالها *

وإلى هذا أشار العصام بقوله السابق يرد عليه بأن الفرق إلى آخره على أن العلاَّمة ابن حجر قال فى قوله كان نعلٌ إلى آخره لَمَّا كان التأنيث غير حقيقى صح تذكيرها باعتبار الملبوس.

والظاهر الجـارى على القواعـد العربيـة أنه لا يحتـاج فى إسناد الفعل الى النعـل بحذف التاء للاعـتذار بالتأويل بالمذكـور إذ الأمر جائزٌ بدونه إلا أن يقال إنه زيادة خير فلا تضر والله أعلم.

ولنرجع إلى مـا كنا بصدده فنقـول ويقال أنعلت الخـيل بالهـمز كاكرمت ومنه الحـديث أن غسان كانت تنعل خيلهـا وقد سبق فى كلام القاموس مثل ذلك وسيأتى فى الباب الأول إن شاء الله ضبط قوله صلى الله علـيه وآله وسلم فينعلهـما جميعا عنـد تعرضنا له هنالك وتسمى النعل الحذاء بالمد، ومنه قول بعض المحدثين:

النـاسُ مثلُ زمـانهم	قَدُّ الحذاء على مثاله
ورجـالُ دهرِكَ مثلَ	دَهْرِك فى تقلُّبه وحالِه
وكذا إذا فسد الزما	نُ جَرى الفسادُ على رجالِه

ويقال احتذى أى لبس الحذاء ومنه قول الشاعر:

* كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع *

أى أن الحافى الوقع وهو الذى يشتكى رجليه من الحجارة يرضى

بكل النعال لضرورته إليها ويقال حذا النعل يحذو كدعا يدعو ومنه قول الشاعر:

قِسْ بالتجاربِ إغفالَ الأمور كمَا
تَقِيسُ نعلاً بنعلٍ ثم تَحذُوها

أموالُنا لذوى الميراثِ نجمعها
ودُورُنا لخرابِ الدَهر نبنيها

وقد مثل بهذين البيتين العروضيون فى القوافى عند ذكر السناد[1] كما علم فى محله وخالد الحَذَّاء المحدِّث المشهور لم يكنْ حذَّاءَ النعال وإنما جلس عند حَذَّائيها فقيل له الحذَّاء قاله العراقى وغير واحد ممن تقدمه وتأخر عنه.

وممن ذكر ذلك الترمذى فى الجامع، وله نظائر مذكورة فى علوم الحديث وفى الحديث لتركبن سَنَنَ من قبلكم حذْو النَّعل بالنَّعَل اى قطع النعل على النعل، وروى الترمذى عن عبد الله بن عمر ومرفوعًا «ليأتين على أمتى مَا أتى على بنى إسرائيل حَذْو النعل بالنعل الحديث».

وفى الحديث فى ضالة الإبل وفى الحديث: «مالك ولها معها حذاؤها وسقاؤها»[2] أراد بالحذاء وهو النعل اخفافها، وهو استعارة لصبرها على المشى وكذا قوله وسقاؤها من الاستعارة بصبرها عن الماء أياما.

---

(١) السناد بالكسر اختلاف الردفين فى الشعر.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - جزء اول - ص ٢٢٥.

وفى الحديث: «إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال» ورحل الرجل منزله والمعنى صلوا فى منازلكم عند ابتلال أحذيتكم من المطر، وقيل إن النعال[1] فى هذا الحديث جمع نعل وهو ما صلب من الأرض كذا قاله الحريرى فى درة الغواص[2] فى أوهام الخواص.

وروى ثعلب عن أبى سلمة عن الفراء أنه قال النعال الأرضون الصلاب.

وأنشد

قومٌ إذا اخضرَّتْ نعالُهمْ   يتناهقُون تناهق الحُمرُ

قال ثعلب ومنه إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال يقول إذا أنزلقت الأرض فصلوا فى منازلكم انتهى.

وقد تقدم عن القاموس إطلاق النعل على الأرض الغليظة وعن السمين هذا الحديث وتفسيره بالوجهين كما هنا فراجعه، وتطلق النعل على الزوجة كما فى القاموس، ومنه ما ألغزه[3] الحريرى[4] فى مقاماته أن من لمس ظهر نعله ينتقض وضوءه مِن فِعْلِه فراجعه فيها.

فائدة:

ومن أمثال العرب فى كاد قولهم كاد المنتعل أن يكون راكبا، وكاد العروس أن يكون ملكًا، وكاد الحريص أن يكون عبداً، وكاد

---

(١) النعال وفى الأصل نعل والصواب ما أثبتناه اهـ.

(٢) لأبى محمد قاسم بن على الحريرى المتوفى سنة عشرة وخمس مائة اهـ.

(٣) الغزة جعله من الألفاظ التى يحتاج فهمها إلى جهد.

(٤) القاسم بن على بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريرى البصرى ٤٤٦ - ٥١٦هـ/ ١٠٥٤ - ١١٢٢م، الأديب الكبير - معجم الأعلام - ص ٦٠٣.

الفقر أن يكون كفراً، وكاد البيان أن يكون سحراً، وكاد النعام أن يكون طيراً، وكاد البخيل أن يكون كلبًا، وكاد سيءُ الخُلق أن يكون سبعًا، على أن بعض هذه الأمثال وارد عن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم كما سنذكره قريبا.

وقد ذكر الحريرى فى درة الغواص والمسعودى فى شرح المقامات فى هذه الأمثال حكاية تركتها لأنها لا تناسب هذا التأليف والله الموفق.

وفى حديث جابر مرفوعا «للمنتعل - بمنزلة الراكب» - وروى ابن عساكر عن أنس مرفوعا المنتعل راكب - وروى غير واحد كالبخارى فى التاريخ وأحمد فى المسند والحاكم فى المستدرك عن جابر والطبرانى فى الكبير عن عمران بن حصين وفى الأوسط عن ابن عمر حديث: «استكثروا من النعال فإن الرجل لا يزال راكبًا ما دام منتعلاً». انتهى.

وأما حديث: «كاد الحليم أن يكون نبيًا»، فقد رواه الخطيب عن أنس مرفوعًا. وحديث: «كادت النميمة أن تكون سِحْرًا»، رواه ابن لال عن أنس مرفوعا وحديث: «كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسدُ أن يسبق القدر»، رواه أبو نعيم[1] فى الحلية ويقال زلت به القدم والنعل، ومنه الحكاية الغريبة التى ذكرها صاحب كتاب تنبيه الأخيار على ما فى المنامات من الأشعار.

---

(١) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى، أبو نعيم ٣٣٦ - ٤٣٠هـ/٩٤٨ - ١٠٣٨م: حافظ، مؤرخ، من الثقات فى الحفظ والرواية. معجم الأعلام - ص ٤٩.

ونصها: رأيت فى مجموع أنه لما ظهر أمر بنى العباس واختفى بنو أمية أمَّنوهم ليظهروا فظهر منهم جمع كثير بالحيرة، فَحكِى عن واحد منهم، سماه أنه كان له ولد صغير وابنة جميلة فحين أمر بقتلهم أسلم ابنته لرجل من أهل الحيرْة[1]، وكان للرجل أربعة بنين كالأسْدِ يرابطون فى الثغور فدلت بنو العباس على الإبنة المذكورة فراودوا المودع فى تسليمها إليهم فأبى فهددوه بالقاء أكبر أولاده فى غيظة[2] مسبعة لا ينجو منها من يلقى فيها فاستمر على منعه فأُلقِىَ الأكبر منهم ثم أغفل أمره ووشّى به أن الإبنة عنده فأنكر ذلك فهددوه بإلقاء ولده الآخر فقال ما شئتم فافعلوا فلم يزل إلى أن ألقوا الأربعة ولم يسلّم البنت فدخل بعض الأيام فوجد البنت تبكى فقال ما يبكيها فقالت أم الأولاد إننى سرحتها فأوجَعَتْها أسنان المشط فبكت فقال: لا إله إلا الله أنت من هذا تبكين وأنا لا أبكى من فقد الأولاد الأربعة ثم بكى وتألم فرأى فى النوم والد البنت المقتول وهو يعنى والد البنين ينشده هذه الأبيات:

صَبرتُ على فقد البنين وذقتها
مرارة صبرٍ منه تحلو منيتى
فيا مقلتى جُودى عليهم بأدمع
ويا كبدى الحرىْ عليهم تفتَّتِ

---

(١) بلدة بالعراق.

(٢) غيظة مكان مقفهر ملئ بالوحوش.

وَيا صاحبى قاسيتُ فى طلب الوفا

مَواقفَ أهوالٍ بها النعلُ زلَّتِ

لتعلمَ أنى قَدْ وَفَّيتُ وَقلما

وفَّى من جميع الناس حىٌّ لميت

فأنشده المقتول وهو والد البنت:

صبرتَ جزاكَ اللهُ خيراً ونلتها

مراتبَ أجرٍ أشرقتْ وتَعلَّت

فدونك غَيضَان الجزيرة عندها

بَنُوك تجدهم بين سبع ولبوة

ودونك أصل السرو كنزاً دفنته

تجده وقَسِّم فى البنين مع ابنتى

فانتبه فزعًا ودخل الغيضة فوجد أولاده الأربعة وأسداً ولبوة يحرسانهم فتفرقا[1] عنهم واجتمع بهم وحفر فى أصل السرو فأخرج كنزاً وقَسَّمه بين أولاده الأربعة وزَوَّجَها من الأكبر منهم. انتهى.

وكتبت هذه الحكاية لغرابتها وعهدتها على ناقلها والمؤلف لهذا الكتاب هو قاضى القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم بن نصر الله العسقلانى الكنانى الحنبلى رحمه الله تعالى وهو كتاب عجيب فى معزاه، وقد جمع فيه فأوعى، وزاد عليه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر زيادات فى كل حرف من حروف المعجم وقد أثبتها فيه نقلا

(١) يعنى الأسد واللبوة.

عن ابن حجر رحمة الله على الجميع.

ولنرجع فنقول وقبال النعل بقاف مكسورة وموحدة تحتية كقتال زمام يكون بين الأصبع الوسطى والتى تليها حسبما ذكره صاحب القاموس وغيره:

وقال الزمخشرى[1]: قبالُ الشىء وقبلته ما استقبلك منه انتهى، ويقال أقبل نعله وقابلها إذا عمل لها قبالا.

وفى الحديث: «قابلوا النعال»[2] أى اعملوا عليها القبال وهى مثل الزمام تكون فى وسط الأصابع، يقال نعل مقابلة ومقبلة قاله أبو عبيدة قال وقد فسر بعضهم قابلوا النعال بأن تُثْنَى ذؤابة الشراك إلى العقدة قال والأول أوجه.

وقال صاحب سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد: القِبال بكسر القاف وتخفيف الموحدة وآخره لام السير الذى يعقد فيه الشسع الذى يكون بين الأصبع الوسطى والتى تليها انتهى.

وقال جماعة: القِبال السير الذى يكون بين الأصبعين، وقال ابن عساكر يحتمل أن يكون القبال مشتقا من قبال القدم وقبال كل شىء أوله وما يستقبلك منه وقبله أيضا انتهى، وقد تقدم كلام الزمخشرى وهو قريب من هذا، ثم قال ابن عساكر ومنه يقال للناصية والعرف القبال لأنهما يستقبلان الناظر.

---

(1) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمى الزمخشرى، جار الله، أبو القاسم «٤٦٧ - ٥٣٨هـ/ ١٠٧٥ - ١١٤٤م»: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآدب، ولد فى زمخشر، من قرى خوارزم - معجم الأعلام - ص ٨١٩.

(2) رواه ابن سعد البغوى والباوردى والطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم، عن إبراهيم الطائفى. وما له غيره: حديث حسن. ذكره السيوطى فى الجامع الصغير - جـ٢، أول ص ١٣٣.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «طلقوا النساء لقبل عدتهن»[1]، وفى رواية: «فى قبل طهرهن»: أى: فى إقباله وأوله حين يمكننا الدخول فى العدة والشروع فيها فيكون ذلك محسوبا لها وذلك فى حال الطهر يقال كان ذلك فى قبل الشفاء أى فى إقباله.

وفى الحديث نهى ﷺ أن يضحى بالمقابلة وهى التى يقطع من مقدم أذنها شىء، ثم يترك معلقا كالزنمة انتهى كلام ابن عساكر.

واعترضه السراج البلقينى حسبما رأيته بخطه بما نصه وما ذكره الشيخ أبو اليُمْن[2] من قوله ولعله يكون مشتقا من قبال القدم إلى آخره متعقب فإن القُبال بضم القاف إسم لأول الشيىء والقِبال بكسر القاف إسم للزمان فقد اختلفا فى المعنى وشرط الاشتقاق التوافق فى المعنى انتهى.

وحديث: «قابلوا النعال»، رواه غير واحد كابن سعد والبغوى والطبرانى فى الكبير وأبى نعيم مرفوعا والمادة تحتمل أكثر من هذا وفيما ذُكِر كفاية.

والشِراك بالكسر أحد سيور النعل يكون منه على وجهها كما قاله جمع وهو قريب من قول جماعة أنه السير الرقيق الذى يكون فى النعل على ظهر القدم، وفى الصحيح: أن الصِّديق رضى الله عنه كان ينشد حين وعك بحمى المدينة أول قدومهم إليها.

---

(١) عن عبد الله بن دينار، أنه قال: سمعت عبد الله بن عمر قرأ «يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لقُبُل عدتهن». رواه الإمام مالك فى الموطأ. ص ٥٨٧.

(٢) زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميرى، من ذى رعين، أبو اليُمن، تاج الدين الكندى ٥٢٠ - ٦١٣هـ/ ١١٢٦ - ١٢١٧م: أديب من الكتاب الشعراء العلماء - معجم الأعلام - ص ٢٨٥.

كُل امرىءٍ مصبحٍ في أهله ... والموت أدنى من شِراك نعله

وروى البخارى وأحمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله والنارُ مثلُ ذلك»[1].

والشسع هو القبال قاله فى القاموس من قال ويقال الشِعسن والشِسع بكسرتين ويقال شسع النعل شسا وأشسها وشسعها جعل لها شسعا انتهى بمعناه وجمعه شسوع.

وقال الحافظ ابن عساكر: الشسع أحد سيور النَّعل وهو الذى يدخله المتنعل بين أصبعيه، ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعال المشددود فى الزمام والزمام السير الذى يعقد فيه الشسع، وما قاله الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى: هو مذكور فى تآليفه ونحوه للنووى فى شرح مسلم وهو غير مخالف لما فى القاموس نعم كلام صاحب سبل الهدى والرشاد السابق فى القبال يقتضى أن الشسع غير القبال وهو مخالف لما فى القاموس.

ثم قال ابن عساكر أنبأنا الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن ظفر بن أحمد المقدسى رحمه الله قراءة عليه أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الله اللبان قراءة عليه بأصبهان قال أنبأنا الحسن بن أحمد بن الحسن قال أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن إسحاق الحافظ، قال أنبأنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس أنبأنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر، حدثنا أبو داود سليمان بن داود، حدثنا

---

(١) أخرجه البخارى فى الرقاق (٢٩ : ١) عن أبى حذيفة موسى بن مسعود عن سفيان عن به. تحفة الأشراف ٤٦/٧.

عمرو بن قيس عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله[1] بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: «كنت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الطواف، فانقطعت شسعه فقلت يا رسول الله ناولنى أصلحه، فقال هذه إثرة ولا أحب الأثرة، الشسع تقدم، والأثرة بفتح الهمزة والثاء الإسم من آثر يؤثر إذا أعطى، والأثرة الاستيثار وهو الإنفراد بالشىء فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم كره أن ينفرد أحد بإصلاح نعله فيحوز فضيلة الخدم، ويكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وآله وسلم ترفُّع المخدوم على خادمه كره ذلك لتواضعه صلى الله عليه وآله وسلم ترفعه على من يصحبه صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيده ما رُوِىَ أنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يمهن نفسه فى عمل شىء فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله فقال: قد علمت أنكم تكفوننى ولكن أكره أن أتميَّزَ عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه. قال ابن عساكر فالله أعلم أراد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم لا وإنما شرحنا على مقتضى اللغة والله أعلم..

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «سترون بعدى أثرة»[2] هو الإسم من الإيثار أى ترون استيثارا عليكم واستبداداً بالحظ دونكم وكم بين من يؤثر على نفسه عند الخصاصة وبين من يستأثر بحق غيره عند السعة يقال أثرت الرجل بالشىء أوثره إيثاراً والله اعلم.

---

(١) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموى، أبو عبد الرحمن ٤ - ٥٩ هـ/ ٦٢٥ - ٦٧٩م: أمير.

(٢) رواه البخارى فى فتح البارى جـ ٥، ص ٥٩ عن أنس.

وأورد العينى[1] عند ذكره حديث الاستخارة فى الأمور قوله صلى الله عليه وآله وسلم لِيسألْ أحدكم ربَّه فى شِسع نعله.

وروى أبو يعلى فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها رفعته «سَلُوا الله كلّ شىء حتى الشسع فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر».

وروى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى هريرة ليسترجع أحدكم فى كل شىء حتى فى شسع نعله فإنها من المصائب.

وروى ابن العربى فى الكامل عن أبى هريرة رضى الله عنه: «إذا انقطع شسع أحدكم فليسترجع فإنها من المصائب»[2].

فوائد

الأولى:

كان لكل واحدة من نَعْلَىْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قِبَالان كما يأتى بيانه قريبًا إذ القبال الواحد للنعل إنما حدث من أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه كما نبين ذلك فى محله.

الثانية:

أفاد بعض الحفاظ أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضع أحد الزمامين بين إبهام رجله، والتى تليها، والآخر بين الوسطى والتى

(١) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفى ٧٦٢هـ - ٨٥٥هـ/ ١٣٦١ - ١٤٥١م: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب، ومولده فى عينتاب. معجم الأعلام - ص ٨١٥.

(٢) رواه أبو داود فى عون المعبود - جـ١١، ص ١٣١، ١٣٢.

تليها ويجمعهما أى الزمامين إلى السير الذى يظهر قدمه وهو الشراك الذى على وجهها، وسنذكر أن الشراك كان مثنى كما فى عدة أحاديث.

الثالثة:

استشكل بعضهم تفسير القبال بما ذكر وقال أن فيه تدافعا مع غيره، وأجاب المولى عصام الدين رحمه الله بأن الزمام فى النعل بين الأصبع الوسطى والتى تليها سواء جعل بينهما وبين أصبعين أخريين انتهى فليتأمل.

الرابعة:

قال الإمام ابن العربى[1] رحمه الله النعل لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإنما اتخذ الناس غيره لما فى أرضهم من الطين أو قال المطر انتهى. ونقله عنه غير واحد كالعصام، وبالله سبحانه الاعتصام، وهو المسئول أن يجعلنا ممن تمسك بالعروة الوثقى التى ليس لها انفصام، وليكن هذا آخر هذه الفاتحة إذ التطويل المخل لا يحتمله هذا المصنف والله أعلم وهو المستعان.

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الإشبيلى المالكى، أبو بكر ابن العربى ٤٦٨ - ٥٤٣هـ/١٠٧٦ - ١١٤٨م: قاض، من حفاظ الحديث. معجم الأعلام - ص ٧٣٩.

الباب الأول

فى ذكر ما جاء فى النعال الشريفة

فقد ورد فى النعال الشريفة، الطاهرة السامية، من الأحاديث النبوية وتفسير ألفاظها اللغوية، وما يتبع ذلك من الكلام عليها، وإرشاد الناظر إليها، وجنسها ولونها، وذكر الخف المخصوص بحوط قدم العلى وصونها، ونظمِ بعضِ الفوائدِ فى سلكِ هذه المقاصدِ والفوائد.

اعلم وفقنى الله وإياك لرضوانه، وجنب الجميع أسباب هوانه أن الأحاديث الواردة فى هذا الباب كثيرة، ومراد التبرك ببعضها والتشبث بأذيال خدمة السنة الأثيرة.

أنبأنا عمنا ومفيدنا شيخ الإسلام ومفتى الأنام سيدى الشيخ سعيد ابن أحمد المقرى، صب الله عليه شآبيب رحماته، فى عموم إجازاته أنبأنا كذلك الشيخ أبو عبد الله التنيسى التلمسانى أخبرنى والدى شيخ الإسلام الحافظ الشهير المؤلف الكبير سيدى الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل القَيْسِى الأموى أنبأنا عالم الدنيا الإمام الوقاد أبو عبد الله سيدى محمد بن مرزوق العجمى التلسمانى ، أخبرنى إجازةً جدى خطيب الخطباء المحدّث الرحالة أبو عبد الله محمد بن مرزوق عن شيخه الحافظ بدر الدين محمد الفارقى سماعا عن أبى اليُمن عبد الصمد بن أبى الحسن

عبد الوهاب بن الحسن بن عساكر ثنا أبو الفضل مكرم بن محمد ابن حمزة وأم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب بن على بن الخضر القرشيان قراءة عليهما والقاضى أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله الفقيه المفتى فى إذنه قالوا جميعًا أخبرنا أبو يعلى حمزة بن على بن الحسن، قال ابن عساكر وأخبرنى جَدى أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن رحمه الله قراءة عليه أنبأنا أبو العشائر محمد بن الخليل بن فارس القَيْسِى قالا يعنى أبا يعلى وأبا العشائر أنبأنا أبو القاسم على بن محمد المصيصى أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ثنا محمد بن أبى بكر ثنا محمد بن مصعب ثنا حماد عن همام عن قتادة عن أنس قال: «كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها قِبَالان»[1].

قال ابن عساكر: وأنبأنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن أبى على الحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصارى رحمه الله، قراءة عليه، أنبأنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلانى ببغداد، أنبأنا أبو بكر محمد بن عمر بن جعفر بن درهم الخرقى، ثنا أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الله الترمذى البزار ثنا جدى أبو أمى أبو بكر محمد ابن عبيد الله بن مرزوق بن دينار الخلال ثنا عفان بن مسلم أبو عثمان الصفار ثنا حماد بن سلمة ثنا قتادة عن أنس بن مالك قال:

---

(١) عون المعبود، شرح سنن أبى داود ـ جـ١١، ص ١٣٠.

«كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها قِبالان»[1]، قال ابن عساكر هذا حديث صحيح من حديث أبى حمزة[1] أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثابتٌ من رواية أبى الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى[2] عنه أخرجه البخارى فى صحيحه، عن حجاج بن المنهال، ثنا همام عن قتادة كما أنبأنا الشيخ أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى البغدادى الفقيه، قدم علينا دمشق قراءة عليه بها أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزى قراءةً عليه ببغداد أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر، أنبأنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن حمويه السرخسى، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريرى، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى أنبأنا حجاج ابن المنهال حَدَّثنا همام عن قتادة ثنا أنس: «أن نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان لها قِبالان». اهـ.

وأخبرنا عمنا الإمام ـ مفتى الأنام ـ ملحق الأحفاد بالأجداد ـ المبرز عن الأقران والأنداد ـ الولى الصالح الربانى سيدى الشيخ سعيد المقرى المذكور بسنده السابق أولاً إلى الحفيد بن مرزوق : أنبأنا الشيخ أبو الطيب محمد بن علوان التونسى عن الشيخ أبى العباس الغبرينى عن أبى عبد الله محمد بن صالح عن القاضى أبى الحسن بن قطران القرطبى عن أبى الحسن بن كوثر عن أبى الفتح

---

(١) أبو حمزة كنية أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه كذا وجد فى تهذيب التهذيب.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسى البصرى ٦١ـ ١١٨هـ/ ٦٨٠ ـ ٧٣٦م: مفسر، حافظ ـ معجم الأعلام ـ ص ٦٠٧.

عبد الملك الكروخى عن القاضى أبى عامر الأزدى عن أبى محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى عن أبى العباس محمد بن أحمد بن محبوب المروزى عن الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ثنا إسحاق بن منصور حَدَّثنا حبان بن هلال ثنا همام أنبأنا قتادة عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نعلاه لهما قبالان، قال أبو عيسى[1] هذا حديث حسن صحيح، وفى الباب عن ابن عباس وأبى هريرة وهذا سندنا فى جامع الترمذى ولى فيه عدة أسانيد غيره ولله الحمد.

وأما الشمائل فلى فيها طرق منها:

ما أخبرنى إجازةً شيخنا القاضى أبو العباس أحمد بن أبى العافية رحمه الله، عن الشيخ عبد الرحمن بن فهد، عن عمه الشيخ عبد العزيز بن فهد، عن الشيخ نجم الدين بن فهد، أنبأنا أبو بكر ابن الحسين المراغى، أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبى طالب الصالحى عن عجيبة بنت الحافظ أبى بكر محمد بن أبى غالب الباقدارى عن أبى محمد القاسم بن الفضل بن أحمد الصيدلانى إذنًا عن أبى محمد القاسم الدهان عن الشريف أبى القاسم على بن أحمد بن محمد بن عبد الله الخزاعى أنبأنا الأديب أبو سعيد الهيثم بن كليب ابن شريح الشاشى قراءة عليه فى بخارى سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة قال أنبأنا الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى رحمه الله

---

(١) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى، أبو عيسى ٢٠٩ - ٢٧٩ هـ/ ٨٢٤ - ٨٩٢م: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) - معجم الأعلام - ص ٧٦٧.

بكتاب الشمائل. وأخبرني مولاي العم المذكور فيما سبق بالشمائل عن شيخه عبد الرحمن عن سفيان العاصمي عن القلقشندي عن الواسطي عن الميدومي أنبأنا الشيخ صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد البكري بقراءتي عليه لجميع الكتاب في مجلس واحد يوم الأربعاء ثامن عشر شوال سنة ست وأربعين وست مائة بالقاهرة قلت له أخبركم العلامة أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي بدمشق والشريف أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الفقيه العباسي بحلب وأبو الفتوح نصر بن عبد الجامع بن عبد الرحمن الفاسي وأبو بكر محمد بن عبد الجليل بن أبي بكر يعرف أبوه بنجيب العدول بهرات قالوا أربعتهم متفرقين أنبأنا أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله ابن نصر البسطامي زاد العباسي وأبو الفتح عبد الرشيد بن النعمان الولوالجي، وأبو جعفر - عمر بن علي بن الحسن الأديب الكرابيسي وأبو علي الحسن بن بشير النقاش البلخي قالوا كلهم أنبأنا أبو القاسم أحمد بن محمد الخليلي أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ رحمه الله بكتاب الشمائل وقال فيه ثنا إسحاق بن منصور أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: «كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قِبَالان».

وبهذين السندين إلى الترمذي حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو داود أنبأنا همام عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك: كيف كان نعل

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لها قبالان اهـ.

قال بعض الأئمة في قوله: (لها قبالان) أى مجعول لها قبالان، إذ لا معنى للإضافة إلا ذلك أو نحوه. وقال بعضهم: سؤال قتادة هنا عن الهيئة التى كانت عليها النعل النبوية؟ وهل كان لها قبالان أم قبال واحد انتهى وجعل المولى عصام الدين ما ذكرناه احتمالين إذ قال يحتمل أن يكون سأل هل لها قبالان ويحتمل أن يكون طالبا لمعرفة نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى معرفة كانت فأجاب عنه بما أجاب قال والأول أظهر وإن كان إطلاق السؤال أظهر فى الثانى، ثم قال: ولا يخفى أن الظاهر فى الجواب كان لها قبالان فكأنه جعل الجملة إسمية ليدل على الاستمرار، وقوله: كان لها قبالان أى لكل واحدة منهما بدليل رواية البخارى وقد سبق تفسير القبال فاغتنى عن إعادته، وقال العلامة ابن حجر الهيثمى جواب أنس بهذا إمّا لأنه فهم أنه مرادُ السائل أو أنه بيَّن له أن هذا أخص أحوال النعل التى سئل عنها.

وبالسند إلى الترمذى ثنا أبو كريب محمد بن العلاء أنبأنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال: «كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبالان» مثْنِىٌّ شراكهما انتهى، والشراك تقدم تفسيره مع القبال، وقوله مُثَنًّى بضم ففتح بصيغة اسم المفعول من ثُنِّى بتشديد النون والتثنية جعل الشىء اثنين أو بفتح فسكون وتنوين آخره مع تشديده كمَرْمِىّ وإمّا جعله من الثنى وهو رد شىء إلى شىء فاعترضه العصام بأنه لا يليق

بالمقام، ثم قال ومن قال أن المعنيين متقاربان لم يتأمل انتهى. وقال الزين العراقى[1]: إن هذا الحديث إسناده صحيح.

وبالسند إلى الترمذى الحافظ ثنا أحمد بن منيع أنبأنا أبو أحمد الزبيرى أنبأنا عيسى بن طهمان قال أخرَجَ إلينا أنس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان قال فحدثنى ثابت بعْدُ عَنْ أنس أنهما كَانَتا نَعْلَىّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله جرداوين بالجيم أى لا شعر عليهما قاله فى النهاية استعارة من أرض جرداء لانبات فيها، وفسره فى شرح السنة بالخلقين وقوله لهما قبالان قال الحافظ زين الدين العراقى هكذا رواه المؤلف كشيخ الصناعة البخارى بالإثبات دون قوله ليس وأماما رواه أبو الشيخ من هذا الوجه بعينه من قوله ليس لهما قبالان، على النفى فلعله تصحيف من الناسخ، أو من بعض الرواة، وإنما هو لُسْن بضم اللام وسكون السين وآخره نون جمع لسن وهو النعل الطويل كما سيجىء فى الملسن، قال: وهذا هو الظاهر فلا ينافى ما ذكره المؤلف كالبخارى وقوله قال فحدثنى ثابت قائله عيسى بن طهمان كما صرح به فى رواية الجامع قيل فلعله رأى النعلين عند أنس ولم يسمع منه نسبتهما إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فحدثه ثابت[2] بذلك بعد هذا المجلس عن أنس فبعد مبنى على الضم مقطوع عن الإضافة.

---

(1) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى «٧٢٥ - ٨٠٦هـ/ ١٣٢٥ - ١٤٠٤م»: من كبار حفاظ الحديث. معجم الأعلام - ص ٤١٠.

(2) ثابت بن دينار الثمالى الأزدى بالولاء، أبو حمزة «توفى عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م»: من رجال الحديث الثقات - معجم الأعلام - ص١٥٥.

وأما قول العلامة ابن حجر بعد إخراج أنس النعلين إلينا، فتعقب بأنه غير سديد لصدقه بما إذا كان التحدث بعد الإخراج وهما فى المجلس، وذلك لا يناسب سياق قوله عن أنس أنهما كانتا نَعْلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لو كان هذا القول بعد إخراج النعلين لسمعه من أنس بغير واسطة ثابت فدل السياق على أن المجلس قد اختلف وهذا التعقيب متجه فى غاية الوضوح بالإنصاف، وقد شرح العصام على بعدية المجلس لا بعدية الإخراج فأصاب وهو الأسوة رضى الله عنه.

وأخرج ابن عساكر خبر ابن طهمان عن شيخه[1] أبى الحسن على ابن هبة الله بن سلامة وغيره فيما لا يحصيه فى إذنهم عن الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى أنبأنا أبومحمد هبة الله ابن محمد بن أحمد الاكفانى بدمشق حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكتانى[2] حدثنى أبو طالب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن ابن المثنى بن معاذ العنبرى[3] حدثنى محمد بن عدى بن على بن زحر، حدثنى جعفر بن محمد بن الحسن، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا بكر بن خداش، ثنا عيسى بن طهمان قال أخرج إلينا أنس ابن مالك رضى الله عنه نعلين بقبالين، وهما جرداوان ليس عليهما شعر فرأينا أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قال وحدثنا

---

(١) هو عيسى.
(٢) مُحَدِّث بالعراق.
(٣) المثنى بن معاذ العنبرى المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائتين وثّقه ابن حبان يُروى عنه ابنه الحسن رحمهم الله تعالى.

ثابت عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال السراج البلقينى رحمه الله ومن خطه نقلت ما صورته وبسندنا إلى البخارى ـ رحمه الله ـ ثنا محمد أنبأنا عبد الله أنبأنا عيسى ابن طهمان أخرج إلينا أنس بن مالك رضى الله عنه نعلين لهما قبالان فقال ثابت البنانى هذه نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أخرج ذلك البخارى فى كتاب اللباس فى باب قبالان فى نعل.

ثم قال بعد كلام وقد أخرج البخارى هذا الحديث فى الخمس فى باب ما ذكر فى درع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه وسيفه وقَدَحِه وخاتمه، فقال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن عبد الله الأسدى قال حدثنا عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس رضى الله عنه نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثنى ثابت البنانى بعدُ عن أنس أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم، هذه رواية البخارى وهى دالة على أن قوله فى الرواية التى قبلها فقال ثابت البنانى هذه نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن حين إخراج أنس لها وإنما كان بعد ذلك وذكر فيه ثابت لعيسى عن أنس أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعيسى فى هذه القضية راوٍ عن ثابت عن أنس.

وفى القصة الأولى وهى إخراج أنس النعلين يرويها عيسى بن طهمان عن أنس وقد وقع فى ذلك تخليط للحافظ المزى فى

الأطراف فقال فى ترجمة عيسى بن طهمان عن ثابت عن أنس حديث أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثنى ثابت البنانى بعدُ عن أنسٍ أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يقتضى أن عيسى بن طهمان روى عن ثابت عن أنس فى إخراج النعلين، وليس كذلك فحديث أخرج إلينا أنس يرويه عيسى ابن طهمان عن أنس من غير واسطة ثابت، وحديث أن النعلين اللذين أخرجهما أنس هما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم يرويه عيسى عن ثابت عن أنس.

وقد ذكر صاحب الأطراف فى ترجمة عيسى عن أنس قصة الإخراج فكان ينبغى أن يُفصِّل ذلك، وقد ذكر أبو اليُمن فى جزئه فى ذلك بإسناده إلى عيسى بن طهمان قال أخرج إلينا أنس نعلين بقبالين وهما جرداوان ليس عليهما شعر فرأينا أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم، قال يعنى عيسى، وحدثنا ثابت عن أنس أنهما نعلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذا وهذا يؤكد ما قررناه انتهى كلام السراج البلقينى رحمه الله، وهو يؤيد التعقيب الذى قدمناه على كلام العلامة ابن حجَر أعنى الهيثمى، وحيث قلت العلامة ابن حجر فهو المراد والحافظ ابن حجر فالعسقلانى صاحب فتح البارى رحمه الله، وأخبرنى العم المذكور بقراءتى عليه غير مرة بسنده السابق الى خطيب الخطباء ابن مرزوق، ثنا المعمر شرف الدين عيسى بن جمال الدين الحجى بحق سماعه على الولى أبى عبد الله محمد بن أبى البركات الهمدانى، العابد قال أجلسنى

أبو الوقت سديد الدين عبد الأول السجزى الهروى فى حجره والجامع الصحيح يُقرأ عليه وأنا أسمع وقال لى: إذا سألوك هل رأيت أبا الوقت فقل لهم نعم فإن قالوا ماذا قال لك فقل لهم أجزتكم حمل كتاب البخارى عنه[1]، وبالسند إلى الخطيب بن مرزوق ثنا البدر الفارقى عن الحافظ ابن عساكر بسنده السابق فى صحيح البخارى إلى أبى الوقت، وأخبرنى العمُّ والشيخُ العلامة مفتى مدينة فاس أبو عبد الله سيدى محمد القصار القيسى الغرناطى الأصل رحمهما الله قالا أنبأنا الشيخ جار الله المحقق محمد بن أبى الفضل الشهير بخروف التونسى نزيل فاس الأنصارى، عن شيخ الإسلام الكمال الطويل القادرى عن الحجارى عن ابن أبى المجد عن الحجار عن الزبيدى عن أبى الوقت وأخبرنى العم عن شيخ الإسلام مفتى الأنام الشيخ عبد الرحمن سقين العاصمى الفاسى، عن شيخ الإسلام القاضى زكريا الأنصارى الشافعى، والشيخ القلقشندى كلاهما عن حافظ الإسلام ابن حجر، عن التنوخى عن الحجار، عن الزبيدى، عن أبى الوقت عن أبى الحسن الداودى، جمال الإسلام بحق سماعه عن السرخسى، عن الفربرى، عن الإمام محمد بن إسماعيل البخارى، ثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك عن سعيد المقبرى، عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها قال: وما هى يا ابن جريج قال: رأيتك

---

(١) كذا فى النسخ والظاهر اجازتى بحمل كتب البخارى عنه.

لا تمس من الأركان إلا اليمانيين ورأيتك تلبس النعال السبتية ورأيتك تصبغ بالصفرة ورأيتك إذا كنت بمكة أهلَّ الناس إذا رأوا الهلال ولم تَهلَّ أنتِ حتى كان يوم التروية. قال عبد الله: أما الأركان فإنى لم أر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين، وأما النعال السبتية فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال فإنى لم أر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَهلَّ حتى تنبعث به راحلته، هذا حديث صحيح أخرجه البخارى فى الوضوء بهذا السند وفى اللباس عن القعنبى عن مالك.

وأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك، وأخرجه أبو داود فى الحج والنسائى فى الطهارة عن أبى كريب، و أخرجه ابن ماجه فى اللباس عن أبى بكر ابن أبى شيبة، وأخرج الترمذى فى الشمائل طرفًا منه، وهو المتعلق بالنعل عن إسحاق بن موسى الانصارى أنبأنا مَعْنٌ أنبأنا مالك أنبأنا سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن عبيد بن جريج أنه قال لابن عمر، رأيتك تلبس النعال السبتية فقال إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها فإنى أحب أن ألبسها، وعبيد بن جريج السائل لابن عمر فى هذا الحديث مدنى مولى بنى تيم ثقة من الثقات أخرج حديثه الشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه

والترمذى فى الشمائل وليس بينه وبين عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الفقيه الإمام المكى نسبة والمكى مولى بنى أمية، وقد يظن من لا خبرة له بالفن أن عبيد بن جريج المذكور فى حديث ابن عمر هاهنا عم الإمام عبد الملك بن جريج وليس كذلك فليعلم.

وممن نبه على هذا الحافظ فى الفتح قوله لم أر أحداً من أصحابك يصنعها يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى فتح البارى والمراد بعضهم ثم قال: والظاهر من السياق انفراد ابن عمر بما ذكر دون غيره ممن رآهم عبيد وقال المازرى يحتمل أن يكون المراد لا يصنعهن غيرك مجتمعة وإن كان يصنع بعضها انتهى. وقوله السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة التحتانية مع تشديد الياء المثناة التحتية نسبة إلى سبت بالكسر بمعنى جِلْد البقر المدبوغ مطلقا، أو المدبوغ بالقرظ خاصة كما قاله الأصمعى. وهو ورق السلم ويجلب من اليمن كما قاله جمع، وفى عبارة بعضهم ومن الطائف، وقال المولى عصام الدين إن هذا من باب نسبة المصنوع إلى ما يتخذ منه انتهى، وقال أبو عمر وكل مدبوغ فهو سبت وقال أبو زيد السبت جلود البقر خاصة مدبوغة كانت أو غير مدبوغة، وفى المحكم خص بعضهم به جلد البقر مدبوغة، أو غير مدبوغة وهو نحو قول أبى زيد، وقيل السبتية التى لا شعر عليها، وفى التهذيب للأزهرى ونحوه لغير واحد: أنها سميت سبتية لأن شعرها سَبِتَ عنها أى حُلق وأزيل، ويقال منه سَبتَ رأسه أى حلَقه، وأزال شعره وقطعه، والسَّبت

القطع، قيل ومنه سمى يوم السبت لأنه قطعة من الزمان، وقيل إنما سمى سبتا لانقطاع الخلق، فيه لأنه أى الخلق كمل يوم الجمعة واجتمع فيسمى يوم الجمعة وانقطع يوم السبت لكماله فى اليوم قبله، كذا قيل وفيه ما لا يخفى للحديث المسلسل بتشبيك اليد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: شبَّك يدى أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم وقال: خلق الله الأرض يوم السبت» الحديث رواه أحمد فى مسنده ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه، وانظر شرح الهمزية للعلامة ابن حجر ففيه كلام نفيس يتعلق بالأيام وستذكره، قريبا وقد نسب غير واحد كالسهيلى القول بأن الخلق انقطع يوم السبت لليهود والله أعلم، وقال فى تعليل أسماء الأيام غير ذلك مما هو مقرر فى محله.

وقال الشيخ ابن حجر عند قوله فى الهمزية هو يوم مبارك السبت بعد حكايته عن شارحها كلاما، وهو قوله والسبت آخر الأسبوع، والأربعاء رابعه، وقيل: السبت أوله، والأربعاء خامسه انتهى ما نصه.

واعلم أن قول الشيخ والسبت إلى آخره عجيب منه إذ ما حكاه قيل هو الذى صح به الخبر وعليه الأكثرون وهو مذهبنا كما فى الروضة وأصلها، ونقله فى شرح المهذب بخبر مسلم عن أبى هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدى فقال: «خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبث

فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر، من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل»، ولهذا الخبر صوب الإسنوى كالسهيلى وابن عساكر أن أوله السبت وجرى النووى فى موضع على ما يقتضى أن أوله الأحد فقال فى يوم الاثنين، سمى به لأنه ثانى الأيام إلا أن يجاب بأنه جرى فى توجيهه التسمية المكتفى فيها بأدنى مناسبة على القول الضعيف نعم انتصر لكون أوله الأحد الذى جزم به القفال من أصحابنا بأن الخبر السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحافظ على بن المدينى والبخارى، وغيرهما وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه منه لكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بأن من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه بمجرد الظن، ولذلك أعرض مسلمٌ عما قاله أولئك واعتمد الرفع وخرج طريقه فى صحيحه فوجب قبولها ومن ثم انتصر - ابن عساكر لكون أوله السبت بما حاصله إن تأييد ابن جرير يكون أوله الأحد بأن هذا العالم خلق فى ستة أيام وآدم خلق يوم الجمعة إنما يصح بتقدير أن يوم الجمعة داخل فى الستة التى فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم فسر خلق الأشياء وجعل خلق آدم فى اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم يثبت أنه خلق آخر الأيام وإنما أخبر تعالى أنه خلق العالم فى ستة فآخرها يوم الخميس وخلق آدم بعد الفراغ من خلقها إشارة لكونها خلقت لمصالحِهِ كَبنيَه وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر فى ذلك.

ويؤيده أيضا الخبر الصحيح أن الله هدانا ليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى لأن اليهود لما اعتقدوا أن أول الأسبوع الأحد كان الجمعة سادسا فأخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا أن أوله يوم الاثنين أخذوا الأحد وأما هذه الأمة فاعتقدوا أن أوله السبت فأخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة اشتقاق نحو الأحد من الواحد، وهكذا لأن التسمية لم تثبت بأمر من الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فأخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن إلا الجمعة والسبت، وليسا من أسماء العدد انتهى، على أن هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لأن العرب تسمى خامس الورد أربعًا وهكذا وهذا هو الذى أخذ منه ابن عباس رضى الله عنهما قوله الذي كاد أن ينفرد به يوم عاشوراء وهو يوم تاسع المحرم وتاسوعاء ثامنه وهكذا هو أى يوم السبت يوم مبارك لأن الله ابتدأ فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود أنه ابتدأ يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت، قالوا ونحن نستريح فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباواتهم وسفاهتهم، ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قائلاً: **﴿وما مسنا من لغوب﴾**[1]، أى تعب تعالى الله عن ذلك عُلوا كبيراً، إذ لا يتصور التعب إلا من حادث مفتقر للغير فى الأسباب والله تعالى بخلاف ذلك **﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** أى أن نوجده فوراً فلا يتخلف عن الإرادة

---

(١) سورة ق: من الآية رقم ٣٨.

فقول كن كناية عن ذلك انتهى، ما رأيت جلبه من كلام العلامة ابن حجر وانما اوردته مع كون بنصه قد تقدم لارتباط بعضه ببعض والله سبحانه وتعالى اعلم.

وسبتة بلدة عظيمة بالمغرب على بحر الزقاق وإليها ينسب القاضى أبو الفضل عياض صاحب الشفاء والمشارق وغيرهما رحمه الله ورضى عنه، ومما قيل فى سبب تسميتها بذلك أنها من السبت الذى هو القطع، وقيل غير ذلك مما أشبعت الكلام عليه فى مؤلفى الموسوم «بأزهار الرياض فى أخبار عياض» وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض، وفى الغربين للهروى سميت النعال سبتيه لأنها انسبتت بالدباغ أى لانتب به يقال رطبة منسبتة أى لينة، وفى كتاب ابن التين عن الداودى أنها منسوبة إلى سوق السبت ويلزم عليه أن يكون بفتح السين وهو مردودٌ إذ لم نحفظ إلا بالكسر كما نذكره قريبا.

وقال صاحب المنتهى[1] أنها منسوبة للسُّبت بضم أوله وهو نبت يدبغ به انتهى قلت وعليه فالنسب إليها بكسر السين من شذوذ النسب إذ لا نعلم من ضبطها بضم السين وإنما المحفوظ فيها الكسر لا غير والله أعلم.

ورأيت لقطرب : السبت بضم السين نبت يشبه الخطمى، قال الشاعر:

---

(١) قال المؤلف اظن هو منتهى السول فى سيرة الرسول لأبى المظفر يوسف بن قزارغلى سبط ابن الجوزى المتوفى سنة أربع وخمسين وست مائة كما هو مذكور فى كشف الظنون والله أعلم.

وأرضٌ بَحَارُ المُدْ لِجونَ

ترىَ السُّبْتَ فيها كَرُكْنِ الكَثِيبِ

يريد تبين بها الصغير كبيراً وقال ناظم مثلثة قرطب[1]:

حَمِدْتُ يَوْمَ السبتِ ... إِذْ جاءَ مَحْذى السِّبْتِ

عَلَىَّ بنات السُّبْتِ ... المهمــةِ المسْتصعبْ

وقد علم أن عــادته البدء بالمفتوح من المثلث ثم يليـه المكسور ثم المضموم ولذا قال شارحه القادرى فى مزجه الشرح بالمشروح نظما:

حَمِدتُ يومَ السبتِ ... وَوقتِـه فى الزَّمـنِ

إذ جاءهُ محذى السبتِ ... والسِّبْتِ نَعْلَ يَمنِى

علَى ثباتِ السبتِ ... نبتَ بأرض المَغْربِ

والمَهَمـةَ المستصعَبْ

وقال شارحه الآخر:

وآخِرُ الأيام يَوْمُ السبتِ ... واخمرُ النِّعالِ فهى السُّبْت

كـذلك الخيير فهو السبت ... ينبتُ فى مَواضع الأمطارِ

وقال شارحه المغربى رحمه الله تعالى عنه:

والسَبت يَوْمٌ عُبِدَا ... والسِّبْتُ نَعْلٌ خَمِدَا

والسَّبت نَبْتٌ وُجِدَا ... فَى مَعْمَرٍ أوْ سبسَبِ

وقال العصــام رحمه الله تعالى ورضــى عنه عند تكلمه على هذا الحديث سـياق الكلام يفيـد أن ابن عمر رضى الله عنهــما لم يكن

---

(١) كشف الظنون (مثلثات فى اللغة) أول من وضع بهـا أبو على محمـد بن المستير المعروف بقطرب النحوى المتوفى سنة ست ومائتين وهى اثنان وثلاثون بيتا أولها يا مولعًا بالغضب شرحها أبو عبد الله محمد بن جعفر القرواتى النحوى المتوفى سنة ٤١٢ وابن عديس وغيره. اهـ ملخصاً.

حين التخاطب لابساً النعال السبتية فيسئل عن وجه الترك انتهى.
وتعقب بأن الترك حين السؤال لايستدعى الترك المطلق وعلى التنزل فيحتمل تركها - بعذر كعدم وجدانها وبأنه ليس هنا ترك بل الظاهر المتبادر أن السؤال وقع حال كون ابن عمر جالسا بمجلسه على فراشه وهذه ليست بحال لبس ولا ترك وهذا فى غاية الوضوح.

وقوله فأنا أحب أن ألبسها أى السبتية، قال العصام لكونها عارية من الشعر لا لخصوصها، وقال وبهذا يندفع ما فى النهاية عن أنه اعترض عليه لأنها نعال أهل النعمة والسعة انتهى بمعناه وأكثر لفظه.

ثم قال وفى الشرح إن سياق الحديث فى البخارى يدل على أن السؤال لمخالفته أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك اللبس حيث قال له تفعل أربعةً لم يفعلها أصحابك ومن جملة الأربعة المذكورة لبس السبتية انتهى. وتعقب بعض الأئمة كلام العصام بما معناه إنَّا وإن تنزلنا على أنها نعال أهل النعمة والسعة فإن محبة لبسها من قبيل التحدث بنعمة الله تعالى وقد نطق التنزيل بالأمر به انتهى.

وقد عرفت ما قدمناه عن الحافظ ابن حجر فى معنى قوله لم أر أحداً من أصحابك إلى آخره والأحسن عندى فى توجيه محبة ابن عمر لها الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لا ماقاله المولى عصام الدين وإن تبعه على ذلك بعض المحققين.

وممن صرح بالتعليل بما ذكرته الأمام العارف الربانى سيدى محمد

ابن يوسف السنوسى[1] صاحب العقائد المشهورة رحمه الله تعالى ورضى الله عنه، ثم رأيت للعلامة ابن حجر التعليل بذلك إذ قال فى شرح قوله: فأنا أحب أن ألبسها أى اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى، وسياق الحديث يقتضيه بل هو صريح فيه أو كالصريح فأى حاجة بنا إلى غيره والله أعلم.

وقال بعض الأئمة كون الصحب لم تلبسها لا يخلو من نزاع، وقال العلامة ابن حجر: نَفْيُ السائل عنهم ذلك يحتمل باعتبار علمه، وبفرض التنزل وصحة الاستغراق فلعله إنما هو لكونهم لم يبلغهم فيه شيء وابن عمر امتاز عنهم بحفظ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الحجة فيما قاله وفعله. انتهى.

وكأنه لم يقف على ما قدمناه من فتح البارى أو وقف عليه ولم يرتضه أو ارتضى منه قوله والظاهر من السياق انفراد ابن عمر بما ذكر دون غيره ممن رآهم عبيد ولعل هذا هو المتعين والله أعلم.

واعلم أن حديث ابن عمر المذكور يدل على طهارة هذه النعال، وقد سبق أنها كانت متخذة من جلد مدبوغ، على قول كثير، فيحتمل أنها من مذكًّى ويكون دبغها لإزالة الشعر فقط ولا اشكال حينئذ يحتمل أن يكون طهارتها بالدبغ والغسل كما قال به جماعة من العلماء، قيل وعلى كل حال ففيه حِلُّ لبس النعال السبتية.

وقال محدث بلاد الأندلس وحافظها الإمام أبو عمر بن عبد البر

---

(1) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسى الحسنى، من جهة الأم، أبو عبد الله ٨٣٢ ـ ٨٩٥هـ/١٤٢٨ ـ ١٤٩٠م: عالم تلمسان فى عصره، وصالحها ـ معجم الأعلام ـ ص ٨١٣.

النووي رحمه الله لا أعلم خلافا فى جواز لبسها فى غير المقابر، ثم حكى حديث ابن عمر المذكور أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لبسها، ثم قال إنما كره قوم لبسها فى المقابر لقوله عليه السلام: «للماشى بين المقابر إلق أو أخلع نعليك»[1]، وقال قوم بجواز ذلك، ولو فى المقابر لقوله عليه الصلوة والسلام إذا وضع الميت فى قبره إنه ليسمع قرع نعالهم.

وقال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول[2] أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما قال لذلك الرجل إلق نعليك لأن الميت كان يسئل فلما أبصر ذلك الرجل شغله عن جواب الملكين فكاد يهلك لولا أن ثبته الله تعالى انتهى.

وقال قوم: يحتمل أن يكون أمره صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يخلع النعلين لأذى فيهما، وقال ابن حجر النهى لإكرام الميت والله أعلم، وقال العينى فى شرحه على البخارى فى باب الميت يسمع خفق النعال بعد أن شرح حديث الباب وأطال وذكر فوائد ما صورته وفيه جواز لبس النعل لزائر القبور الماشى بين ظهرانيها، وذهب أهل الظاهر إلى كراهة ذلك وبه قال يزيد بن زريع وأحمد بن حنبل وقال ابن حزم فى المحلى[3] ولا يحل لأحدٍ أن يمشى بين القبور بنعلين سبتيتين وهما اللتان لا شعر عليهما فإن

---

(١) روى مثله ابن ماجه فى السنن - جزء أول - صفحة ٥٠٠ - عن بشير بن الخصاصية.

(٢) نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول لأبى عبد الله محمد بن على بن حسن بن بشير المؤذن الحكيم الترمذى المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومائتين وعليه زوائد الجلال السيوطى كشف الظنون.

(٣) المحلى فى الخلاف العالى فى فروع الشافعية فى ثلاثين مجلداً لأبى محمد بن حزم على الظاهرى المتوفى سنة ست وخمسين وأربع مائة.

كان فيهما شعر جاز ذلك، وإن كان فى إحداهما شعر والأخرى بلا شعر جاز المشى فيهما.

وفى المغنى ويُخلع النعال إذا دخل المقابر، وهذا مستحب واحتج هؤلاء بحديث بشير ابن الخصاصية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا يمشى بين القبور فى نعلين فقال: ويحك يا صاحب السبتيتين ألق سبتيتك. رواه الطحاوى.

وأخرجه أبو داود وابن ماجه بأتم منه، وأخرجه الحاكم وصححه وكذا صححه ابن حزم والخصاصية أمه واختلف فى اسم ابيه فقيل بشير بن نذير، وقيل ابن معبد بن شراحيل[1].

وقال الجمهور من العلماء بجواز ذلك، وهو قول الحسن وابن سيرين والنخعى، والثورى، وأبى حنيفة، ومالك والشافعى، وجماهير الفقهاء من التابعين ومن بعدهم.

وأجيب عن حديث ابن الخصاصية بأنه إنما اعترض عليه بالخلع احتراما للمقابر وقيل لاختياله فى مشيه، وقال الطحاوى: إن أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالخلع لا لكون المشى بين القبور بالنعال مكروها ولكن لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قذرا فيهما يقذر القبور أمر بالخلع.

وقال الخطابى: يشبه أن يكون إنما كره ذلك لأنه فعل أهل النعمة والسعة فأحب أن يكون دخوله المقبرة على زى التواضع والخشوع.

---

(١) وفى تجريد أسد الغابة فى أسماء الصحابة رضى الله عنهم بشير بن الخصاصية وهى أمه فقيل هو بشير بن يزيد بن معبد وقيل بشير بن معبد بن شرحبيل وكان اسمه زحما فسماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بشيرا وفى تقريب التهذيب وقيل بشير بن زيد صحابى جليل رضى الله عنه كشف الظنون اهـ.

وقال ابن الجوزى[1]: ليس فى الحديث سوى الحكاية عمن يدخل المقابر وذلك لا يقتضى إباحة ولا تحريمًا، ويدل على أنه أمره بالخلع احترامًا للقبور أنه نهى عن الاستناد والجلوس عليه وفيه ذهول عما ورد فى بعض الأحاديث: أن صاحب القبر كان يسئل فلما سمع صرير السبتيتين أصغى إليه فكاد يهلك لعدم جواب الملكين فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «ألقهما لئلا يؤذى صاحب القبر»، ذكره أبو عبيد ـ الترمذى انتهى، وجلبته وإن كان فيه بعض تكرار مع ما قدمته لما اشتمل عليه من المطلوب وزيادة.

وقوله: ورأيتك تصبغ بالصفرة، يحتمل الثياب ويحتمل الشعر، واستظهر عياض الأول، واستظهر غيره الثانى، ويشهد للأول ما فى سنن أبى داود كان يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته، وللثانى ما فى السنن أيضا أنه كان يصفر بها لحيته وكان أكثر الصحابة والتابعين يصبغون بالصفرة.

وقال المولى عصام الدين عند تكلمه على قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم»[2]، ما معناه لم نقل خير ثيابكم لئلا يلزم تفضيل الأبيض على الأصفر وقد علم فضله انتهى.

---

(1) عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى، أبو الفرج ٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ/ ١١١٤ ـ ١٢٠١م: علامة عصره فى التاريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد ـ معجم الأعلام ـ ص ٤٠١.

(2) رواه أحمد، والنسائى، والحاكم فى المستدرك، عن سمرة ـ حديث صحيح ـ هكذا ذكره السيوطى فى الجامع السيوطى ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٤.

ورده العلامة ابن حجر بأنه غلطٌ فاحش بأن الأصفر لا فضل له البتة[1] بل المزعفر والمعصفر حرام كما ورد قول العصام إيضاحًا عن ابن عمر أن الأصفر كان أحب الثياب عنده بما معناه إن هذا لا دليل فيه لما زعمه لأنه بفرض صحته مذهب صحابى وليس بحجة عندنا انتهى، وتعقب كلام ابن حجر هذا بأمرين الأول أن هذا التعقيب ليس له بل أخذه من ابن العربى حيث قال لم يرد فى اللباس الأصفر حديث الثانى أن ما جاء عن ابن عمر لا يمكنه جعله مذهبا له فإنه لما سئل عن صبغه بالصفرة قال أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن شيىء أحب إليه من الصفرة كما فى أبى داود وغيره.

وقد أورد الحافظ عبد الحق وغيره عن قيس التميمى[2] قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب أصفر ولا يختار صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما كان فاضلا. نعم ما ادعاه العصام من عدم أفضلية البياض عليه فى حيز المنع فقد جاء فى عدة أحاديث: إن أحبَّ الألوان إلى الله تعالى البياض، وذلك يوجب القطع بكونه أفضل ويتردد النظر بين الأصفر والأخضر ونجد ترجيح الأخضر والله أعلم وسيأتى عن بعض الحفاظ أن نعله صلى الله عليه وآله وسلم كانت صفراء، وقوله ويتوضأ فيها أى فى النعال

---

(١) فى الأصل التبة والحق البتة. أى على الإطلاق.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المنقرى السعدى التميمى، أبو على «توفى نحو ٢٠ هـ/نحو ٦٤٠م»: أحد أمراء العرب وعقلائهم، والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعرًا، اشتهر، وساد فى الجاهلية، ووفد على النبى ﷺ فى وفد تميم عام ٩، فأسلم.

وفيه التصريح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يغسل رجليه الشريفين وهما فى نعله.

ولذا ترجم له البخارى بقوله: باب غسل الرجلين فى النعلين ولا يمسح على النعلين، وأما حديث المغيرة فى مسح النعلين المروى عن أبى داود مرفوعا فقد ضعفه جماعة منهم عبد الرحمن بن مهدى[1] وغيره.

وقال الحافظ فى الفتح وأما ما وقع عند أبى داود والحاكم فرش على رجله اليمنى وفيها النعل ثم مسحها بيديه يد فوق القدم، ويد تحت النعل، فالمراد بالمسح تَسْيِيلِ الماء حتى يستوعب العضو.

وأما قوله تحت النعل، فان لم يحمل على التجوز عن القدم وإلا فهى رواية شاذة وراويها هشام بن سعد لا يحتج بما ينفرد به فكيف إذا خالف انتهى على أنه روى عن جماعة من الصحابة علىٌّ وغيره رضى الله عنهم أنهم مسحوا على نعالهم ثم صلّوا.

وقد روى عن ابن عمر أنه كان إذا توضأ ونعلاه فى قدميه مسح على ظهر قدمه بيده ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصنع هكذا أخرجه الطحاوى والبزار.

وأخرج الطحاوى، والطبرانى، فى الكبير عن رفاعة بن رافع[2] أنه كان جالسًا عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحديث، وفيه

---

(١) عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى اللؤلؤى، أبو سعيد «١٣٥ - ١٩٨هـ/ ٧٥٢ - ٨١٤م»: من كبار حفاظ الحديث - معجم الأعلام - ص ٤٠٨.

(٢) رفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الأنصارى الزرقى، أبو معاذ «توفى عام ٤١ هـ/ سنة ٦٦١م»: صحابى - معجم الأعلام - ص ٢٧٢.

ومسح برأسه ورجليه، والجواب عن حديث ابن عمر كما قاله جماعه: إنه كان فى وضوء متطوع به، لا فى وضوء وجب عليه هكذا نقله بعض الأئمة عندما عارض من الحديث السابق الذى عند الطحاوى والبزار بماله فى الصحيح.

وأجابوا عن حديث رفاعة بأن المراد أنه مسح برأسه وخفيه على رجليه. واستدل الطحاوى على عدم إجزاء المسح على النعلين بالإجماع على أن الخفين إذا تخرقا حتى تبدو القدمان أن المسح لا يجزى عليهما، قال فكذلك النعلان لأنهما لا يغيبان القدمين انتهى.

قال فى فتح البارى وهو استدلال صحيح لكنه منازع فى نقل الإجماع المذكور انتهى والله أعلم، واعترضه العينى بأن مذهب الجمهور أن مخالفة الأقل لا تضر الإجماع ولا يشترط فيه عدد التواتر عند الجمهور انتهى وأنت خبير بما فيه.

وروى الطحاوى بسند إلى عبد الملك قلت لعطاء أبلغك عن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه مسح على النعلين؟ قال لا، والكلام على حديث ابن عمر يحتمل أكثر مما ذكرناه فلنمسك العنان وبالله المستعان.

وبالسند إلى ابن عساكر قال أنبأنا الحسين بن المبارك أنبأنا عبد الأول بن عيسى أنبأنا عبد الرحمن بن محمد أنبأنا أبو محمد بن محمد - أنبأنا محمد بن يوسف أنبأنا محمد بن إسماعيل حدثنى محمد قال أنبأنا عبد الله قال أنبأنا عيسى بن طهمان قال أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين لهما قبالان فقال: لى ثابت البنانى هذه نعل

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى. وقد سبق عن الترمذى وغيره هذا الحديث.

وقال ابن عساكر أنبأنا الشيخ أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ قراءة عليه رحمه الله أنبأنا القاضى أبو الحسين على بن محمد بن يحيى بن على القرشى أنبأنا أبو الحسن على بن الحسن ابن الحسين السلمى أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن أبى نصر المعدل أنبأنا القاضى أبو بكر يوسف بن قاسم ابن يوسف بن فارس الميانخى أنبأنا أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى التميمى أنبأنا مسروق بن المرزبان ثنا ابن أبى زائدة عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة[1] : أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى فى نعليه.

وقال أيضا أنبأنا الشيخ أبو الحسن على بن المبارك بن أحمد الواسطى المقرى العبد الصالح قراءة عليه رحمه الله أنبأنا أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحافظ أنبأنا محمد بن ذاكر بن محمد الخرقى قراءة عليه رحمه الله أخبرنا الحسن بن أحمد - القارى أنبأنا محمد بن أحمد الكاتب أنبأنا على بن عمر الحافظ أنبأنا أبو بكر يعقوب بن إبراهيم البزار ثنا العباس بن يزيد ثنا غسان بن مضر ثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد الأزدى قال سألت أنسَ بن مالك قلت: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فى النعلين قال

---

(1) حذيفة بن اليمان حسل بن جابر العبسى، أبو عبد الله «توفى عام ٣٦هـ/ سنة ٦٥٦م»: صحابى، من الولاة الشجعان الفاتحين - معجم الأعلام - ص ١٨٩.

نعم. قال أبو الحسن الدارقطني هذا إسناد صحيح.

وقال ابن عساكر أيضا أنبأنا جدى - رحمه الله - أنبأنا عمى - رحمه الله - أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى أنبأنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الجنزرودى أنبأنا أبو عمر محمد بن أحمد بن حمدان ثنا أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى، ثنا أبو سعيد الموصلى ثنا أبو سعيد وهو القواريرى حدثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا سفيان عن أبى إسحاق عمن سمع عمر ابن حريث يقول: رأيت النبى - صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فى نعلين مخصوفتين، وأخرجه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى فى سننه عن أحمد بن يعلى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر القواريرى. انتهى.

وقد أخرجه أيضا الحافظ أبو نعيم رحمه الله.

وقد أخرج الترمذى هذا الحديث فقال: حدثنا أحمد بن منيع، ثنا أبو أحمد أنبأنا سفيان عن السدى، حدثنى من سمع عمرو بن حريث، يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فى نعلين مخصوفتين[1] قوله مخصوفتين أى مخروزتين من الخصف وهو ضم شىء إلى شىء وجمعه إليه، وفى القاموس خصف النعل خرزها، ويقال نعل خصيف بمعنى مخصوفة، وقيل: إن المراد بها فى هذا الحديث المرقمة.

---

(١) رواه الترمذى فى الشمائل (١١: ٦) عن أحمد بن منيع عن أبى أحمد الزبيرى عن سفيان عن السدى عنه به. والنسائى فى الزينة (الكبرى ٩٤: ٤) عن أبى بكر بن على عن القواريرى عن أبى أحمد الزبيرى عن سفيان عن أبى إسحاق عنه به و (٩٤/ ٥) عن محمد بن يسار والاستدراك عن يحيى (٩٤: ٦) عبد الرحمن قرمهى كلاهما عن سفيان السدى عنه به. تحفة الأشراف ١٠٧٢٥ ٨/ ١٤٦.

وقال العلامة ابن حجر وغيره: هذا الحديث وإن كان فى سنده مجهول لكنه صحَّ من غير ما طريق: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يخصف نعله أى يضع طاقا فوق طاق فيستفاد منه أن لكل واحدة من نعليه طاقين أو أكثر انتهى.

وقال بعض من شرح الشمائل: أن المراد فى هذا الحديث أن نعله صلى الله عليه وآله وسلم وضع فيها طاق على طاق[1]، وبهذا يرد قول من زعم أنها كانت من طاقة واحدة وأن العرب كانت تتمدح به وتجعله من لباس الملوك لكن جمع بأنه كانت له نعل من طاق واحدة ونعل من أكثر، كما دلت عليه عدة أخبار وهو جمع حسن، وأن غبر فى وجهه ما يأتى من أنه لم يكن له زوجان من النعال، على أن العلامة ابن حجر شغب فيه إذ قال فى شرح حديث قتادة رحمه الله قلت لأنس إلى آخره ما نصه: قيل وظاهره أنها كانت من طاق واحدة وهو ممدوح إذ العرب تتمدح برقة النعال وتجعل ذلك من لباس الملوك انتهى. وفيه نظر وبتسليمه فسيأتى فى مخصوفتين ما يرده إلا أن يثبت أنه كان له نعل من طاق واحدة ونعلٍ من أكثر على أن اللائق بأحواله العلية مخالفته للملوك وزيهم فلا يكون ذلك فى حقه مما يتمدح به انتهى كلام ابن حجر.

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن الشخير[2] قال: قال أعرابى لنا: رأيت نعل نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم مخصوفة.

---

(١) فى الأصل طاق والصحيح طاقًا الأولى والثانية طاق إذا الأولى مفعول به يضع هو فاعل طاقًا اهـ.

(٢) مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى العامرى، أبو عبد الله المتوفى عام ٨٧هـ/ سنة ٦٠٧م؛ زاهد من كبار التابعين - معجم الأعلام - ص ٨٤٦.

حكم الصلاة فى النعال

وفى حديث عمرو بن حريث جواز الصلاة بالنعلين لكن إن كانتا طاهرتين، وفى الإكمال: الصلاة فى النعل رخصةٌ مباحةٌ فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وذلك ما لم تعلم نجاسة النعل انتهى.

وروى الشيخان وأحمد والترمذى عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فى نعليه[1] انتهى.

وقال الأبى: ثم إنه وان كان جائزاً فلا ينبغى أن يفعل اليوم لاسيما فى المساجد الجامعة فانه قد يؤدى إلى مفسدة أعظم يعنى من إنكار العوام ثم ذكر حكاية وقعت من ذلك أدت إلى قتل اللابس، وقال أيضا فإنه قد يؤدى أن يفعله من العوام من لا يتحفظ فى المشى بنعله، ثم قال الأبى بل لا يدخل المسجد بالنعل مخلوعة إلاّ وهى فى كن[2] وذكره فى باب البول فى المسجد أيضا وذكر كراهته عن الشيخ أبى محمد الزواوى وأنه أنكر على الشيخ الصالح أبى على الفروى إدخاله نعله غير مستورة وقال: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدى بكم فلا تفعل.

والحكاية التى أدت إلى قتل اللابس هى حكاية هداج كبير عرب افريقية لما دخل جامع الزيتونة بنعله. فقال له العامة: إنزعها فقال:

---

(١) وأخرج أبو داود فى الصلاة (٦٠٩٠) من مسلم بن إبراهيم (رأيت رسول الله ﷺ يصلى حافيا ومتنعلا) وكذا ابن ماجه عن بشر بن هلال الصواف عن يزيد بن زريع كلاهما عنه به. اهـ تحفة الأشراف ٨٦٨٦/٦/ ٣١٠.

(٢) الحفظ.

قد دخلت بها على السلطان فكيف لا أدخل بها هذا الموضع فوثبوا عليه فقتلوه وأثار ذلك شراً على أهل تونس فى ذلك التاريخ وإلى الله ترجع الأمور وفى (المدخل)[1] لسيدى أبى عبد الله بن الحاج المالكى العبدرى الفاسى نزيل مصر ودفينها رحمه الله «فى فضل الخروج إلى المسجد»، ما مثاله وينوى امتثال السُّنة فى أخذ القدم يعنى النعل، بالشمال حين دخول المسجد، وحين خروجه منه. ثم قال: لعله يسلم من هذه البدعة التى يفعلها كثير ممن نسب الى العلم فترى أحدهم إذا دخل المسجد يأخذ قدمه بيمينه وقلَّ أن يخلو أحدهم من كتاب فيكون الكتاب فى شماله فيقع فى محذورات منها جهل السُّنة فى مناولة كتابه وقَدَمِه، ومنها مخالفة السُّنة عند أول دخول بيت ربه، ومنها ارتكابه للبدعة فيستفتح عبادة ربه بها، ومنها اقتداء الناس، ومنها التفاؤل وهو أعظم الجميع فى أخذ الكتاب بالشمال، وينوى امتثال السُّنة بأن لا يجعل نعله فى قبلته ولا من خلفه لأنه إذا كان خلفه يتشوش فى صلاته، وقلَّ أن يتحصل له جمع خاطر ولا عن يمينه فإن السُّنة أن تكون اليمين للطهارات.

وقد ورد النهى عن ذلك فى أبى داود صريحا وفى البخارى ومسلم النهى عما هو أقل من ذلك، وهو النخامة مع كونها طاهرة فما بالك بالقدم التى قل أن تسلم فى الطريق مما هو معلوم فيها،

---

(١) فى كشف الظنون (مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة للإمام الفاسى المتوفى سنة سبع وثلاثين وسبع مائة. قال ابن حجر هو كثير الفوائد كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها اهـ.

فيجعلها عن يساره، إلا أن يكون على يساره أحد فلا يفعل لأنه يكون عن يمين غيره فيجعله إذ ذاك بين يديه فإذا سجد كان بين ذقنه وركبتيه، ويتحفظ أن يحركه في صلاته لئلا يكون مباشراً له فيها فيستحب له لأجل ذلك أن يكون له خرقة أو محفظة يجعل فيها قدمه انتهى واكثره بلفظه.

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «ألزم نعليك قدميك فإن خلعتهما فاجعلهما بين رجليك ولا تجعلهما عن يمينك ولا عن يمين صاحبك ولا وراءك فتؤذي من خلفك»[1]، وهذا الحديث يشهد لبعض ما قاله ابن الحاج والله أعلم.

وقال الحافظ أبو زرعة العراقي الشافعي في جواب من سأله عن المشي في المسجد بالنعل التي يمشي بها في الطرقات إذا لم تكن بها نجاسة هل هو مكروه احتراما للمسجد أم لا؟ وهل صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نعليه كانت في المسجد أم ما نصه؟ الجواب: أنه لا كراهة في المشي في المسجد بالنعل التي يمشي بها في الطرقات إذا تحقق أنه لا نجاسة فيها فإن تحقق فيها نجاسة حرم المشي بها في المسجد إن كانت النجاسة رطبة أو مشى بها على موضع رطب في المسجد أو كانا حافيين لكن كان ينفصل بالمشي من تلك النجاسات شيء فيقع في المسجد ففي هذه الأحوال يحرم

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الصلاة (٢٤٤: ٢) عن إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ومحمد بن إسماعيل الأحمسي كلاهما عن المحاربي عنه به.
وفي الزيادات روى عن سعيد المقبري.
وأبو داود في الصلاة (٩: ٢٠) عن أبيه عن أبي هريرة.
تحفة الأشراف ٩/٤٧٤ رقم الحديث ١٢٩٦٩.

المشى بها فى المسجد، فان انتفت الرطوبة من الجانبين ولم ينفصل
من النجاسة شيىء لم يحرم المشى بها فى المسجد، وفى الكراهة
نظر لأن القول بها يحتاج إلى دليل ولا يجوز القول به بالهجوم
وإن كانت له حرمة لكن قد يقال إن ذاك لا ينافى احترامه، وإن
ظن النجاسة ظنا يستند إلى غلبتها، ولم يتحققها ففيه قول يعارض
الأصل، والغالب. فإن حكمنا للغالب فهى كمتحققة النجاسة
فيعود ما تقدم، وإن حكمنا للأصل فهى كمتحققة الطهارة لكن
ينبغى القول بالكراهة إذا كانت رطبة، أو مشى بها على رطب،
وانفصل منها بالمشى شيء لما فى ذلك من تعريض المسجد للتنجيس
وإن لم يكن محققا فأنه لو كان محققا لوصل الأمر فى ذلك
للتحريم كما تقدم.

وأما صلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى نعليه فالظاهر أنه
كان فى المسجد فإن فى الصحيحين وغيرهما عن سعيد بن يزيد أبى
مسلمة قال: قلت لأنس بن مالك: أكان النبى صلى الله عليه وآله
وسلم يصلى فى نعليه قال: «نعم»، وظاهرٌ أن هذا كان شأنه
وعادته المستمرة دائما، وفى سنن أبى داود وصحيح ابن حبان
ومستدرك الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال: بينما رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن
يساره. . . الحديث، وصلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم
بأصحابه إنما كانت غالبا فى المسجد.

ثم قال بعد كلام وقال: والدى رحمه الله فى شرح الترمذى

اختلف نظر الصحابة والتابعين فى لبس النعال فى الصلاة هل هو مستحب؟ أو مباح؟ أو مكروه؟ ثم بسط ذلك والدى ثم قال حكى والذى يترجَّح التسوية بين اللبس والنزع ما لم تكن فيهما نجاسة محققة أو مظنونة انتهى. من خطه نقلت، وحديث أبى سعيد الذى ذكر بعضه تمامه فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما انقضت الصلاة قال: مالكم خلعتم نعالكم؟ قالوا: يا نبى الله رأيناك خلعت نعليك فخلعنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنما نزعتهما لأن جبريل أخبرنى أن فيهما دم حلمة[1].

قال بعض الشافعية: المراد به الدم اليسير المعفو عنه وإنما فعله النبى صلى الله عليه وآله وسلم تنزهًا عن النجاسة وإن كان معفوًا عنها انتهى.

وقال بعض متأخرى المالكية: لا مانع من حمله على الكثير ويكون حجة لقول سحنون[2] وجماعة أن ذاكر النجاسة إن أمكنه النزع نزع وتمادى فى صلاته انتهى.

وقد مر أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يخصف نعله، وثبت عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت وقد سئلت عما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصنع فى بيته: كان بشرًا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه، وفى رواية لأحمد

---

(١) الحلمة واحد حلم وهو القراد العظيم (حشرة مؤذية). والحديث روى مثله الإمام أحمد فى المسند جـ٣، ص٩٢.

(٢) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى، الملقب بسحنون ١٦٠ ـ ٢٤٠هـ/٧٧٧ ـ ٨٥٤م: قاض، فقيه، انتهت إليه رياسة العلم فى المغرب ـ معجم الأعلام ـ ص ٤١٣.

وابن حبان يخيط ثوبه ويخصف نعله، ولابن سعد يرقع ثوبه ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم، وفى رواية يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة.

وروى ابن عساكر عن أبى أيوب: كان صلى الله عليه وآله وسلم يركب الحمار، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويلبس الصوف، ويقول: «من رغب عن سنتى فليس منى».

وفيه الترغيب فى التواضع، ترك التكبر وخدمة الرجل نفسه وأهله، ولذا قال على لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما: يا أمير المؤمنين «إن سَرَّكَ أن تلحق بصاحبيك فاخصف النعل واقصر الأمل وكُلْ دون الشبع تلحق بهما». فقال: زودنى كلمات غير هذه. وقد نظم معنى هذا الحديث الحافظ العراقى فى ألفية السيرة بقوله يخصف نعله يرقع ثوبه ـ يحلب شاته ولن يعيبه يخدم فى مهنة أهله كما يقطع بالسكين لحما قدما.

ثم إن ظاهر ما سبق كحديث فَلّى أم حرام رأسه المروى فى الصحيح انه الفَلْى من القمل وبه صرح فى فتح البارى إذ قال فى تفلى رأسه أى من القمل، لكن الذى ذكره ابن سبع وتبعه بعض من شرح الشفاء إنه لم يكن فيه صلى الله عليه وآله وسلم قمل لأنه نور وأصل القمل من العفونة، ولا عفونة فيه ولأن أكثره من العرق، وعرقه صلى الله عليه وآله وسلم طيب بلا مِرْية، ومن قال إن فيه قملا فقد تنقصه، وأهل هذه المقالة يجيبون عن حديث الفلى فإنه لا يلزم منه وجود القمل، فقد يكون للتعليم أو لتفتيش

ما فيه وما علق به من نحو شوك ووسخ كذا فى عبارة بعضهم قلت ولفظ الوسخ وسخ فينبغى إزالته.

وقال بعضهم إنه كان فى ثوبه قمل ولا يؤذيه وإنما كان يُلتقط استقذاراً له والله أعلم.

وقال بعض الأئمة بعد ذكره صلى الله عليه وآله وسلم: لا يخرج منه إلا طيبٌ. ولذلك قيل إنه لم يتسخ له ثوب ولم يَقمُلْ جسده.

ونقل جماعة: أنه كان لا ينزل عليه ذباب ولا يمص دمه البعوض صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الدلجى عند قول صاحب الشفاء يُفْلِى ثوبه ما نصه من فلا الثلاثى أى يزيل قمله، قيل وكان لا يؤذيه تكريما له وتعظيما انتهى.

وقال العلامة ابن اقبرس[1] فى ذلك ما صورته قوله: يُفْلِى ثوبه وهو بفتح أوله وسكون ثانيه من فلى يفْلى مثل رمى يرْمى ونقل بعضهم: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن الذباب يعلو ثوبه، ولا القمل يؤذى بدنه تعظيما له وتكريما، وأول قوله لم يكن القمل يؤذيه باحتمال معنيين: أحدهما: احتمال أنه لم يكن عليه قمل بالكلية. والثانى: أن يكون عليه ولكنه لا يؤذيه، قال: والأول يحتاج إلى الجمع بينه وبين ما نقله المصنف وكذا ما روى

---

(١) على بن محمد بن أقبرس ٨٠١ - ٨٦٢هـ/١٣٩٨ - ١٤٥٨م؛ من فضلاء الشافعية، مولده ووفاته بالقاهرة - معجم الأعلام - ص ٥٣٤.

ان أم حرام كانت تَفْلِى رأسه.

قلت وفى هذا نظر لأنه إن ثبت ذلك بطريقة تعين الحمل على الاحتمال الثانى مطلقا - لأن لفظه ولم يكن القمل يؤذيه، ولو كان الإحتمال الاول مراداً لقال لم يكن الذبابُ يعلو ثوبه ولا القملُ بدنهُ ولا سيماً، وقد صح ما يدفعه فتبين أنه لم يكن لما ذُكره احتمالا ولا أثر البتة فتأمل، ثم إن فى الثانى بحثًا أيضًا لأنه نفى أذاه عنه وأذاه هو غذاؤه من البدن على ما أجرى الله به العبادة وإذا امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان.

فان قلت يجوز أن يكون وجوده عليه فى مدة لا تقتضى ذلك بأن يكون متعلقا قلت لو لم تكن فيه إلا كلفة الفلى، وكلفة النفس للرؤيا المكروهة وهو تَأذٍّ فى الجملة انتهى كلام ابن اقبرس، وليعط حقه من التأمل، وقوله ونقل بعضهم محله إشارة إلى ما فى شفاء الصدور، وتاريخ ابن النجار[1] مسنداً أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقع الذباب على جسده، ولا ثيابه أصلاً انتهى، ويفلى كيرمى فَلْيَا والفَلْى تفحص الثوب ونحوه لدفع القمل وشبهه هكذا وقع فى كلام جماعة وقد سبق قريبا ما يدل عليه، وفى عبارة بعضهم التفلية وهى مصدر الرباعى وهو يخالف ما تقدم من أنه ثلاثى وأن مصدره فَلْى كرمْى والله أعلم.

وأما حديث إذا تخففت أمتى بالخفاف ذات المناقب الرجال

---

(١) محمد بن جعفر بن محمد بن هارون التميمى، أبو الحسن، المعروف بابن النجار ٣٠٣ - ٤٠٢هـ/ ٩١٥ - ١٠١١م: عالم بالعربية، له اشتغال بالتاريخ - معجم الاعلام - ص ٦٩٠.

والنساء وخصفوا نعـالهم تخلى الله عنهم، وهو مذكور فى الجامع الصغير[1] وغيره فمـا وقفت فيه على كلام أجمـع من قول محدث العصـر علامة مـصر سيدى الشيخ عـبد الرؤف المناوى الشـافعى أنسئ[2] الله فى أجله وقد لقـيته بالقـاهرة المحروسة وزرته فى بيته وجاءنى إلى بيتى فى شرحـه الكبير للجامع الصغيـر الذى مزج فيه الشرح بالمشروح كامتزاج الحياة بالروح ونصه.

إذا تخففت أمتى بالخفاف ذات المناقب أى لبست الخـفاف المتلونة أو البيض المزينة، أو المجعـول عليها رقاع زينة فـفى القاموس ثقب الخف رقعه، الرجـال والنساء مشتركـين فيها بقدر الزينة وخـصفوا نعـالهم وكان القـياس خـصـفت أى الأمة لكن غُلِّب المذكـر لأنه الأصل، وهذا يدل من الأمة لفـائدة النص على البدع التى يشـترك فيه الفريقان تخلى الله عنهم أى ترك حفظهم فأعرض عنهم، ومن تخلى عنه فـهـو من الهـالكين، وأصل الخـصف ترقـيع النعل لو خرزها أو نسجـها ويظهر أن المراد هنا جعلوها براقة لامـعة متلونة لقصد الزينة والمباهات.

قال الراغب: الأخصف والخصيف الأبرق من الطعـام، وحقيقته ما جعل من اللبن ونحوه فى خصفة فيتلون بلونها، وفى الميزان من حـديث أبى هريرة: «أربع خصـال من خصـال آل قارون: لبـاس الخـفاف الملونة، ولبـاس الأرجوان، وجـر نعال السـيوف، وكـان

(١) فى الجامع الصغير جـ ١، ص ٣٥ - عن ابن عباس - رواه الطبرانى - ضعيف.

(٢) أنسئ: أى أخر.

أحدهم لا ينظر إلى وجه خادمه تكبراً» انتهى فلعل الإشارة بالخفاف فى الحديث المشروح إلى ذلك وقضيته أن المراد بالنعال هنا نعال السيوف.

وفيه النهى عن لبس الخفاف المزينة الملونة، والنعال المذكورة ونحوها مما ظهر بعده من البدع، والتحذير منه، وأنه علامة على حصول الوبال، والنكال، وأما لبس الخف الخالى عن ذلك فمباح، بل مندوب فقد كان للمصطفى عدة خفاف وكان الصحب يلبسونها حضرا وسفراً. انتهى كلام شيخ الإسلام المناوى حفظه الله وكثَّر من أمثاله.

وروى ابن ماجه عن عقبة بن عامر: لئن أمشى على جمرة أو سيف، أو أخصف نعلى برجلى أحب إلىَّ من أن أمشى على قبر وما أبالى أوسط القبر قضيت حاجتى أم وسط السوق.

وفى أبى داود مرفوعا: إذا وطىء أحدكم بنعله الأذى فإن التراب له طهور، وروى الدارقطنى فى الإفراد، والخطيب فى التاريخ عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا: تعاهدوا نعالكم عند أبواب المساجد.

وفى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما يرفعه - تعاهدوا نعالكم عند أبواب المساجد.

وحديث الحافى أحق بصدر الطريق من المتنعِّل - أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا.

وحديث السراويل لمن لا يجد الإزار والخف لمن لا يجد النعلين،

رواه أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا وهذه الأحاديث وإن لم تتعلق بنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلها مناسبة فى الجملة.

ولنرجع إلى المقصود فنقول وقال ابن عساكر أنبأنا الشيوخ أبو الحسن المؤيد بن محمد بن على وأم المؤيد زينب بنت أبى القاسم عبد الرحمن من نيسابور، وشيخ القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى من دمشق قالوا أنبأنا الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوى - فى اذنة قال حدثنى جدى الإمام أحمد بن محمد الصاعدى أنبأنا الفقيه أبو سعد أحمد بن عيسى ثنا أبو محمد الفارسى حدثنا أبو على الحسن بن أحمد الخطيب حدثنا أبو الحسين يحيى بن محمد بن يحيى بن محبوب حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا بكير بن محمد القرشى «مصرى» ثقة حدثنا سهيل بن أبى حزم عن ثابت قال مَرَّةً عن أنس: «أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن ينتعل، فقال له رجل: دعنى أنعلك يا رسول الله، فتركه فلما فرغ قال: اللهم إنه أرادَ رضِائى فارضَ عنه». حديث غريب من حديث ثابت تفرد بِه بكير بن محمد انتهى.

وبالسند الذى قدمناه فيما مضى إلى أبى الحسن بن قطوان القرطبى عن أبى محمد بن بونه عن أبى بحر سفيان بن العاصى الأندلسى عن أبى العباس أحمد بن عمر العذرى عن أبى العباس أحمد بن الحسن بن بندار الرازى عن أبى احمد محمد بن عيسى

ابن عمرويه الجلودى عن أبى إسحاق ابراهيم بن محمد بن سفيان عن الإمام الحافظ أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى رضى الله عنه قال حدثنى زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفى ثنا عكرمة بن عمار حدثنى أبو كثير قال حدثنى أبو هريرة قال كنا قعوداً حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعنا أبو بكر وعمر فى نفر فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين أظهرنا فابطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا - فكنت أول من فزع فجئت أوْ فخرجْتُ أبتغى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتيت حائطا للأنصار لبنى النجار فدرت به هل أجِدُ له بابا فلم أجد فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بير خارجة والربيع «الجدول» فاحتفزت أى انضممت فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو هريرة فقلت: نعم يا رسول الله قال: ما شأنك؟ قال: كنتَ بين أظهرنا فقمت فابطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعت فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائى فقال: يا أبا هريرة، وأعطانى نعليه قال: اذهب بنعلَىَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة. فكان أول من لقيت عمر رضى الله عنه فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت: هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثنى بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة، قال: فضرب عمر يده بين ثديى

فخررت لإستى فقال: ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجهشت بكاء وركبنى عمر وإذا هو على إثرى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مالك يا أبا هريرة قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربة خررت لإستى، فقال: ارجع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمر ما حملك على ما فعلت قال: يا رسول الله بأبى أنت وأمى أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة، قال: نعم قال: فلا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس فخلهم يعملون قال رسول الله: فخلهم، قوله: فأجهشت يقال: جهشت إلى الشىء وأجهشت أسرعت متباكيا، وقال بعض أهل اللغة: إذا تهيأ الرجل للبكاء ولم يكن فى عينه دمع قيل أجهش فإن امتلأت عينه بالدمع قيل: اغرورقت فإن سال الدمع وكان معه رنة فهو نوح وإن كان معه صراخ فهو بكاء انتهى.

واعلم أن هذا مما يمكن أن يعد فى موافقات عمر رضى الله عنه، وأنا لم أر من ذكره فى الموافقات ثم بعد مدة وقفت على كلام الحافظ ابن حجر فى حديث معاذ يقضى بأنه من الموافقات إذ قال فى باب من خص بالعلم قومًا دون قوم ما نصه وروى البزار من حديث أبى سعيد الخدرى هذه القصة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أذن لمعاذ فى التبشير فلقيه عمر فقال: لا تعجل ثم دخل فقال: يا نبى الله أنت أفضل رأيًا أن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا

عليها قال: فرده، وهذا معدودٌ من موافقات عمر وفيه جواز الاجتهاد بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم ذكر الحافظ ابن حجر في آخر الباب حديث أبي هريرة الذي عند مسلم وقال كان قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ أخاف أن يتّكلوا كان بعد قصة أبي هريرة فكان النهي لمصلحةٍ لا للتحريم انتهى.

وحديث معاذ هو: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: مَا مِنْ أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله صدقًا من قلبه إلاّ حرّمه الله على النار.

موافقات عمر رضى الله عنه للوحى

ومنها حديث أنس الذى أخرجه البخارى عن عمرو بن عون عن هشيم عن حميد عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربى فى ثلاثة مواضع، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[1]، وآية الحجاب قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنهن يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب[2]، واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن﴾[3] فنزلت هذه الآية، وأخرجه الترمذى فى التفسير عن أحمد بن منيع عن هشيم بالقصة الأولى وعن عبد ابن حميد عن حجاج، وأخرجه النسائى فيه عن هناد عن يحيى بن أبى زائدة عن حميد بالقصة الأولى، وعن محمد بن المثنى عن خالد عن حميد بالقصة الثانية، وأخرجه ابن ماجه فى الصلاة عن محمد بن الصباح عن هشيم بالقصة الأولى وأخرجه البخارى فى الصلاة كما قدمناه عن عمرو بن عون وفى التفسير عنه، وفى التفسير أيضا عن مسدد عن يحيى بن حميد بقصة الحجاب فقط.

ومن موافقات عمر رضى الله عنه قضية أسارى بدر حيث كان

---

(١) البقرة آية (١٢٥).

(٢) ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ الأحزاب آية (٥٣).

(٣) التحريم آية (٥).

رأيه عدم الفداء فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾[1] الآية، ومنها ما وقع فى منع الصلاة على المنافقين فنزلت: ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم﴾[2] الآية وهى والتى قبلها فى الصحيح أيضا.

ومنها فى تحريم الخمر ومنها ما رواه أبو داود والطيالسى من حديث حماد بن سلمة بسنده إلى أنس قال عمر: وافقت ربى فى أربع وذكر الثلاث التى عند البخارى قال ونزلت: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طِين إلى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقًا آخر﴾[3] فقلت أنا: تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كذلك، ومنها فى شأن عائشة رضى الله عنها لما قال أهل الإفك ما قالوا فقال: يا رسول الله من زوجكها فقال الله تعالى فقال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾[4] فأنزل الله ذلك، ذكره المحب الطبرانى فى أحكامه، وقد ذكر أبو بكر ابن العربى أن الموافقات فى أحد عشر موضعا، وقال العينى رحمه الله: لما شرح حديث نزول آية الحجاب ما نصه قلت: هذه إحدى ما وافق بها يعنى عمر ربه والثانية فى قوله: عسى ربه إن طلقكن والثالثة قوله: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وهذه الثلاثة ثابتة فى الصحيح والرابعة موافقته فى أسارى بدر والخامسة فى منع الصلاة على المنافقين

---

(١) الأنفال آية (٦٧).
(٢) التوبة آية (٨٤).
(٣) المؤمنون آية (١٤).
(٤) سورة النور آية ١٦.

وهاتان فى صحيح مسلم والسادسة موافقة فى آية المؤمنين.

وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده فى حديث على بن زيد وافقت ربى ما نزلت ثم أنشأناه خلقا آخر فقلت: أنا تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت والسابعة موافقته فى تحريم الخمر كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى والثامنة موافقته فى قوله تعالى: ﴿من كان عدواً لله وملائكته﴾[1]، ذكره الزمخشرى وقال ابن العربى: قدّمنا فى الكتاب الكبير أنه وافق ربه تلاوة ومعنى فى أحد عشر موضعا.

وفى جامع الترمذى مصححًا عن ابن عمر رضى الله عنهما ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال عمر فيه إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر وهذا دال على كثرة موافقاته واكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلك بحسب المنقول انتهى.

وقال الحافظ ابن الشحنة ناظما موافقات عمر رضى الله عنه للذكر:

شعر

لقد وافقَ الفاروقُ مِن محكَم الذِّكر

ثمانٍ من الآيات ضُمت إلى عشرِ

---

(١) سورة البقرة آية ٩٨.

قيامُ حجابٍ مع عسى ربُّه ولا
تصلِّ وفى إنَّ الصفا وفداء بدرِ
عداوةُ جبريلَ وحلُّ النساء فى
ليالٍ بشهرِ الصوم مع حرمة الخمرِ
نساؤكم حرث وحكم كلالة
ولا تسألوا خوف الإجابة بالشرِ
تبارك فى التخليق كادوا ليفتنوا
ثلاثة استئذن مملوك أوحرِ
وفى آية المؤمنين وفى فلا
وربك فانظر ما لِذا الحبر من فخرِ

وقال الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله ناظمًا للموافقات وسماه: (اقتطاف الثمر فى موافقات عمر) الحمد لله وصلى الله على نبيه الذى اجتباه.

شعر

يا سائلى والحادثات تكثر	عن الذى وافق فيه عمر
وما يرى أنزل فى الكتاب	موافقًا برأيه الصواب
خذ ما سألت منه فى أبيات	منظومة ثامن من شتات
ففى المقام وأسارى بدر	وآيتى تظاهر وستر
وذكر جبريل لأهل الغدر	وآيتين أنزلا فى الخمر
وآية الصيام فى حل الرفث	وقوله نساءكم حرث يبث
وقوله لا يؤمنون حتى	يحكموك إذ بقتلٍ افتى

وآية فيها لبدرٍ أو به   ولا تصل آية فى التوبة

وآية فى النور هذا بهتان   وآية فيها بها الاستئذان

وفى ختام آية للمؤمنين   تبارك الله بحفظ المتقين

وثلة من صفات السابقين   وفى سواء آية المنافقين

وعددوا من ذاك نسخ الرَّسْم   لآية قد أنزلت فى الرجم

وقال قومٌ هو فى التوارة قَدْ   نَبَّهه كعبٌ عليه فسجد

وفى الأذان الذكر للرسول   رأيته فى خبر موصول

وفى القرآن جاء بالتحقيق   ما هو من موافق الصديق

كقوله هو الذى يصلى   عليكم أعظم به من فضل

وقوله فى آية المجادلة   لا تجد الآية فى المخاللة

نظمت ما رأيته منقولا   والحمد لله على ما أولى

* * *

كراهة المشى بنعل واحدة

وبالسند إلى جامع الترمذى قال باب ما جاء فى كراهة المشى بنعل واحد حدثنا قتيبة عن مالك وحدثنا الأنصارى قال حدثنا معن ثنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يمشى أحدكم فى نعل واحدٍ لينعلهما جميعًا أو ليخلعهما - جميعًا»، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن جابر، باب الرخصة فى ذلك حدثنا القاسم بن دينار الكوفى ثنا إسحاق بن منصور السلولى الكوفى ثنا هريم بن سفيان البجلى الكوفى عن ليث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ربما مشى صلى الله عليه وآله وسلم فى نعل واحدة».

حدثنا أحمد بن منيع ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها مشت بنعل واحدة قال أبو عيسى وهذا أصح وهكذا رواه سفيان الثورى وغيره عن عبد الرحمن بن القاسم موقوفًا وهو أصح انتهى.

وروى أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يمشى الرجل فى نعل واحدة أو خُف واحد.

وروى البخارى فى الأدب والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه

والطبرانى عن شداد بن أوس رضى الله عنه مرفوعا: «إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمش فى الأخرى حتى يصلحها»[1].

وبالسند إلى شمائل الترمذى حدثنا إسحاق بن موسى الأنصارى أنبأنا معن أنبأنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يمشى أحدكم فى نعل واحدة لينعلهما جميعًا وليخلعهما جميعًا».

قوله فى نعلٍ واحدةٍ يروى بالتأنيث فى واحدة ولا إشكال حينئذ، ويروى واحد بالتذكير وقد سبق ما يتعلق به فى الفاتحة، فراجعه وحمل بعضهم قوله لا يمشى على الخبر الواقع موقع النهى لا على النهى لأن الفعل مرفوع والدليل على هذا الحمل رواية لا يمشين بالنون المؤكدة للفعل، وعكس العصام ومن تبعه إذ قال ما نصه: وفى بعض النسخ لا يمشى وهو يستدعى حمل لا يمشين على الخبر الواقع موقع النهى دون النهى فتأمل. انتهى وإليك النظر، وكان العلامة ابن حجر مائلا إلى الأول إذ قال وفى أخرى يمشى وهو خبر بمعنى النهى انتهى، وقال رحمه الله فى تعليل النهى المحمول على الكراهة لما فيه من قلة المروءة بالتسوية والمثلة ومخالفة الوقار، وتمييز إحدى جارحتيه وذلك يؤدى إلى اختلال المشى أو ضعفه وفيه إيقاع غيره فى الإثم لاستهزائه به وقد أرشد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن الإنسان ينبغى له أن يحترز من إيقاع غيره

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وزاد الباقون (ولا يحتبى بالثوب الواحد ولا يلتحف بالصماء) مسلم فى اللباس (١٩/ ٢) وأبو داود فيه (٤٣/ ٥) والنسائى فى الزينة. تحفة الأشراف ٢/ ٢٩٩.

فى الإثم ما أمكنه بأمره من أحدث فى الصلاة بالقبض على أنفه ليوهم الناس أنه رعف حتى لا يخوضوا فى عرضه فيأثموا، قال ابن العربى: ولأن ذلك من مشية الشياطين - قال غيره ولما فيه من المشقة والخبط فى المشى لأن المتعلة أرفع من الأخرى فيخشى منه العثار ومحله لغير ضرورة وإلا فلا كراهة كما هو ظاهر وعليه يحمل ما ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم ربما فعله والخُفّ والمداس فى ذلك كالنعل انتهى كلامه، وجُلُّه[1] بلفظه وأصل أكثره فى معالم السنن للإمام أبى سليمان الخطابى رحمه الله تعالى.

وقال صاحب سبل الهدى والرشاد فى مثل ما ذكرناه ما نصه: ورد مشيه صلى الله عليه وآله وسلم فى نعل واحدة، وقد ورد أيضا النهى عن المشى فى نعل واحدة فيحتمل أن يقال إنما قبله بيانا للجواز وللضرورة وقال ابن عبد البر فى التمهيد: ربما انقطع شسع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمشى فى النعل الواحدة حتى يصلحه انتهى.

وقد روى الطبرانى وحسن الحافظ الهيثمى إسناده عن علىّ رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا انقطع شسع نعله مشى فى نعل واحدة والأخرى فى يده حتى يجد شسعا.

وأما خبر: «إذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمشى فى نعل واحدة حتى يُصْلحه»، فقال بعض المحققين: لامَفهوم له حتى يدل

---

(١) جلّه أى أكثره.

على الإذن فى غير هذه الصورة بل هو تصوير خرج مخرج الغالب أو هو من مفهوم الموافقة والتنبيه بالأدنى على الأعلى لأنه إذا امتنع مع الحاجة فمع عدمها أولى.

ثم إن هذا وما فى معناه لا يعارض ما فى جامع الترمذى من أنه صلى الله عليه وآله وسلم ربما مشى بنعل واحدة لأن ذلك النهى محله لغير ضرورة كما سبق فى كلام ابن حجر وغيره.

وقال ابن حجر أيضا فى بعض كتبه صح النهى لمن انقطع شسع نعله عن المشى فى نعل واحدة فمشيه صلى الله عليه وآله وسلم فيها فى حديث حسن لبيان الجواز انتهى.

وقد قدمنا الحديث الذى أشار إليه رحمه الله تعالى، وقال جماعة موضع النهى: استدامة المشى فى نعل واحدة، أما لو انقطعت نعله فمشى خطوة أو خطوتين لإصلاحها فلا بأس وليس بقبيح ولا منكر وقد عهد فى الشرع اعتقاد القليل دون الكثير الا ترى أنه يغتفر فى الصلاة الفعل القليل لا الكثير على أن الحافظ القسطلانى فى شرحه للشمائل وجه إيراد حديث النهى عن المشى فى نعل واحدة بأن فيه الإشارة إلى أن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم يمش هذه المشية المنهى عنها أصلا، وفيه كما قيل إيماء إلى تضعيف حديث جامع الترمذى السابق والله أعلم.

وأما بعض الأحاديث أن أنصاريًا شكا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا خير من يمشى بنعل فرد» فليس من هذا القبيل إذ قال فيه الحافظ الزين العراقى: الفرد هنا هى التى لم

تخصف ولم تطارق وإنما هى طاق واحدة والعرب تمدح برقة النعال فمن توهم التعارض فقد وهم انتهى.

وخرج بذكر المشى الوقوف أو القعود فقد قال بعض السلف: أنه لا يكره وذهب جمع إلى الكراهة نظراً إلى التعليل بطلب العدل بين الجوارح.

وأما ما ورد عن جمعٍ من الصحابة أنهم مشوا فى نعل واحدة فهو محمول على العذر والضرورة كما سبق نظيره فى فعله صلى الله عليه وآله وسلم، وقول ابن سيرين لا بأس به قال غير واحد يرده صريح السنة وقد تقدم تعليل النهى قريبا، ونحوه قول البيهقى وجه النهى ما فيه من القبح والشهرة ومد الأبصار نحو ما يفعل ذلك وكل لباس صار صاحبه شهيراً فى القبح فحكمه أن يتقى لأنه فى معنى المثلة انتهى ونحوه للخطابى رحمه الله.

وقد حكى الشيخ محى الدين النووى الإجماع على ندب لبس النعلين - جميعا وأنه غير واجب لكن تُوزع بقول ابن حزم لا يحل وقد يجاب كما قاله بعض الأئمة بأن مراده الحل المستوى الطرفين انتهى.

قلت ربما حكى الإمام النووى الإجماع فى بعض ما يخالف فيه أهل الظاهر وقد اعتذر عنه الحافظ ابن حجر بأنه لم يعتبر خلافهم أو لم يقف عليه والله أعلم، وقد وقع فى آخر جامع الترمذى حكاية الإجماع على عدم العمل بحديث قتل شارب الخمر فى المرة الرابعة مع أنه خالف فيه الظاهرية بناء على أن خلاف الظاهرية لا يقدح فى الإجماع، وممن حكى الإجماع أيضا النووى وقال القول

بقتل شارب الخمر قول باطل مخالف لإجماع الصحابة فمن بعدهم والحديث الوارد فيه منسوخ إما بحديث: لا يحل دم امرىء، مسلم إلا بإحدى ثلاث، وإما بأن الإجماع دل على نسخه انتهى، فأنت ترى النووى لم يعتبر خلاف أهل الظاهر مع وقوفه عليه على أن الترمذى قال: إن الناسخ فى ذلك وارد فى حديث جابر وقبصة بن ذويب أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد أمره بقتل من شرب فى الرابعة أتى برجل قد شرب فيها فضربه ولم يقتله انتهى. وقد ذهب جماعة من العلماء إلى عدم الاعتداد بأهل الظاهر فى الإجماع والاختلاف وهو قول الاسفراينى والجوينى وأبى بكر الرازى وابن[1] أبى هريرة وقال ابن الصلاح[2] فى فتاواه الاعتداد بداود فى الإجماع وفاقا وخلافًا وقع فيه منا ومن غيرنا الخلاف.

فذهب الجمهور أن نفاة القياس لا يبلغون منزلة الاجتهاد، إلى آخر كلامه فراجعه إن شئت. وإذا عرفت ما ذكرناه ظهر لك أن الاعتذار الأول من اعتذارى ابن حجر عن النووى هو المعول عليه أعنى أنه لم يعتبر خلافهم.

وأما قول ابن حجر لم يقف عليه فأنت خبير بما فيه بعدما قدمناه والله أعلم.

نرجع إلى ما كنا بسبيله، وألحق ابن قتيبة وتبعه البغوى والخطابى بالنهى إخراج إحدى يديه من كميه وإلقاء الرداء على إحدى

---

(١) فى الأصل «ابن أبى هريرة» ولم يسمع وغير مشهور ولعله غير «أبو هريرة» الصحابى المشهور المعروف اهـ.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن (الصلاح) ابن عثمان بن موسى بن أبى النصر النصرى الشهرزورى الكردى الشرخانى، أبو عمرو، تقى الدين، المعروف بابن الصلاح ٥٧٧ - ٦٤٣هـ/ ١١٨١ - ١٢٤٥م: أحد الفضلاء المقدمين فى التفسير، والحديث، والفقه - معجم الأعلام - ص ٤٨٥.

منكبيه، وتعقبه العلامة ابن حجر بأنهما من داب أهل الشطارة كما صرح به الأئمة فلا وجه للكراهة فيهما والكلام فى غير الصلاة أما فيها فيكره الثانى وقياسه الأول فيمن لا تختل مروءته بذلك وإلا فلا شك فى الكراهة فى ذلك كله بل تحريمه عليه أن تحمل شهادة لأن من تحملها يحرم عليه تعاطى خارم مروءته إلى هنا كلام العلامة ابن حجر.

وقال المولى عصام الدين: النهى يشمل ما إذا لبس نعلاً واحدة ومشى فى خف واحد، ورده العلامة ابن حجر بأن من العلل السابقة تمييز إحدى الرجلين وأنها مشية الشيطان، وفيه مثلة وتخبط فى المشى وغير ذلك، وكل ذلك يقتضى عدم الكراهة هنا انتهى.

وتعقب بأن من العلل السابقة التسوية ومخالفة الوقار وإن المتعلة تكون أرفع من الأخرى فيخاف منه العثار وذلك كله يقتضى الإلحاق والحكم يبقى ما بقيت علته، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لينعلهما بلام الأمر أى القدمين وإن لم يتقدم لهما ذكر اكتفاء بدلالة السياق على حد قوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾.

وضبطه النووى بضم الياء من الإنعال يقال أنعل الدابة إذا ألبسها نعلاً كما فى حديث إن غسان تنعل خيلها ـ وقد سبق، وضبطه غيره بفتح الياء والعين من نعل كفرح يقال نَعِلَ وانتعل أى لبس النعل أو من نعلٍ كمنع بمعنى أنعل على ما فى القاموس، وتعقب الزين العراقى ضبط النووى بأن أهل اللغة قالوا نَعِلَ بفتح العين وبكسر ـ وانتعل أى لبس النعل لكن قال أهل اللغة أيضا نعل رجله

اليسها النعل.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الحاصل أن الضمير إن كان للقدمين جاز الضم والفتح وإن كان للنعلين تعين الفتح، قال الزين العراقى فى شرح الترمذى: وهو الأظهر انتهى.

قال المولى عصام الدين رحمه الله بعد حكاية كلام الحافظ ابن حجر ما صورته وتوجيهه إنَّ جعل الضمير للقدمين يقتضى إرادة الإلباس وهو موجود فى المجرد فاندفع ما ذكره الشارح رحمه الله أن جعل الضمير للقدمين يحتمل المجرد لأنه لا معنى للبس القدمين على أنه مندفع بأنه يحتمل بتقدير المضاف اى فلينعل نعليهما جميعا، وأما ما ذكر، من أن جعل الضمير للنعلين محوج إلى التجريد فى الثلاثى المجرد ومع التجريد يصح تعلق الانعال أيضا بالنعلين فلا وجه لتخصيصه بالمجرد فيما يعجب كيف وتجريد الالباس عن خصوص النعل لا يدفع اقتضاء الإلباس كون النعل لابسه وامتناع تعلق الانعال بالنعلين لاستحالة كونهما لابسين ولو جعل الضمير مفعولا ثانيًا للالباس وجعل الأول محذوفا لكان مبالغة فى التكلف فلا يكون نفى وجه التخصيص موجها انتهى كلامه رحمه الله، وقوله ليحفهما من الإحفاء وهو الإعراء عن النعل والخف ومنه الحفاء وهو المشى بلا خف ونعل والتعدية حينئذ مجازية والأصل ليحف بهما فحذف الجار اختصاراً أو ضمن المجرد معنى المتعدى فلا حذف، هذا ملخص كلام العلامة ابن حجر.

وقال العصام بعد ذكره الاحفاء والحفاء ما نصه: وهو مشكل إذ لا

وجه لتعديته وكان وجهه الحذف والإيصال أى ليحف بهما جميعا، وفى بعض النسخ مكانه أو ليخلهما جميعا أى ينزعهما يقال هذا يقتضى أن يكون ضمير لينعلهما إلى النعلين دون القدمين قلت: يصح جعله للقدمين بحذف مضاف أى فليخلع نعليهما انتهى.

وروى أبو داود فى مراسيله عن رجل من الصحابة إذا وجد أحدكم عقربا وهو يصلى فليقتلها بنعله اليسرى.

وبالسند إلى الترمذى حدثنا إسحاق بن موسى أنبأنا معن أنبأنا مالك عن أبى الزبير عن جابر: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يأكل يعنى الرجل بشماله أو يمشى فى نعل واحدة قوله يعنى الرجل هو من كلام الراوى عن جابر أو من قبله قاله العصام وذكر الرجل لأنه الأصل والأشرف لا للاحتراز عن المرأة بل هى كذلك وقيل المراد بالرجل الشخص بطريق عموم المجاز فيصدق على الصبى لأنه من أفراده، وفى البخارى ما يدل له.

وقال العصام ما معناه: إنما قال يعنى الرجل ففسر دفعًا لتوهم رجوع الضمير إلى جابر، وقوله بشماله بكسر المعجمة اليد اليسرى فالأكل بها بلا ضرورة مكروه كراهة تنزيه عند جماعة من المالكية وجلٍّ الشافعية، وتحريمها عند بعض المالكية والحنابلة واختاره بعض الشافعية لما فى مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا يأكل بشماله فقال له: «كل بيمينك» فقال: لا أستطيع فقال له: لا استطعت. فما رفعها إلى فيه بعد ذلك[1] انتهى.

---

(١) رواه مسلم - جـ٣، ص ١٥٩ - كتاب الأشربة.

وأخبرنى من يوثق به من أئمة الحنابلة ـ بمصر المحروسة: أن المعروف عند الحنابلة الكراهة لا التحريم انتهى، على أن حديث مسلم قد استبعد بعض الأئمة الاستدلال به على التحريم.

وقوله: أو يمشى فى نعل واحدة، أو فيه للتقسيم لا الشك فكل واحدة منهما منهى عنه على حدته، على حد ﴿ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا﴾، قال المولى عصام الدين وزيف قول من قال إنها للشك بأنه لا فائدة فى رواية جابر النهى مع الشك فى المنهى إذ لا يثبت به حكم فحمله على الشك مما لا يلتفت إليه واستبعد رحمه الله كون أو هنا بمعنى الواو، وتبعه العلامة ابن حجر بل قال: إن حملها على الواو يفسد المعنى لإيهامه أن المنهى عنه اجتماعهما وليس كذلك انتهى، وقد مر ـ فى الحديث قبله بعض ما يتعلق به.

وروى أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا لبس نعليه بدأ باليمنى وإذا خلع خلع اليسرى، وفى جامع الترمذى باب ما جاء بأىِّ رجل يبدأ إذا انتعل حدثنا الانصارى ثنا معن حدثنا مالك، وحدثنا قتيبة عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين ـ وإذا انتزع فليبدأ بالشمال ـ فلتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى.

وأخرجه فى الشمائل إذ قال حسبما رويناه بالسند إليه حدثنا قتيبة عن مالك ح وأنبأنا إسحاق أنبأنا معن أنبأنا مالك عن أبى

الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين وإذا انتزع فليبدأ بالشمال فلتكن اليمين أولهما تنعل وآخرهما تنزع»[1].

قوله فليبدأ باليمين أى بالجانب اليمين وبالشمال أى بالجانب اليسار، ومما عللوا به أن الانتعال من باب تكريم الرجل والخلع تنقيص وإهانة، واليمين لشرفه يقدم فى كل ما كان من باب الكمال والتكريم، ومنه ما قصد به زينة، ونظافة من غير مباشرة، مستقذر والخلع كما سبق تنقيص وإهانة وهو ضد الكمال فيقدم فيه اليسار كالخروج من المسجد ودخول الخلاء والسوق والاستنجاء، وتناول الأحجار، ومس الذكر والامتخاط وتناول المستقذر ونحوه والثوب والخف والسراويل كالنعل، ولما كان فى إطلاق كون الخلع تنقيصا وإهانة ما فيه إذ كل من الحفاء والانتعال له محل يليق به وقد يكون الحفاء فى بعض المواطن ليس بإهانة للرجل بل إكراما، قال العصام منفصلا عن ذلك ونحن نقول: إن التنعل حمل مؤنة وحمل من الرجل واليمين قوى فينبغى أن يقدم اليمنى على اليسرى فى التحمل لكونها أقوى والعكس فى التفريع لأنه الذي ينبغى فى سلوك الأقوى مع الأضعف انتهى.

ورده العلامة ابن حجر بأنه اخرج الأمر إلى انه إرشادى لا شرعى وهو باطل مخالف للسنة وكلام الأئمة انتهى، وللنظر فيه

(١) أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى جميعاً فى اللباس (خ ٣٩/ د ٤٣:٧) عن القعنبى - والترمذى فيه اللباس ٣٧) عن قتيبة و (٣٧) عن إسحاق بن موسى عن معن ثلاثتهم عن مالك به وقال الترمذى: حسن صحيح.

مجال، وتعقبه بعضهم - بأنه يقتضى أنه لو كان أعسر وقوته إنما هى فى الجانب الأيسر أنه يقدم الشمال على اليمين قال: وهو زلل فاحش لم يذهب إليه أحد من أئمة مذهبه فالأولى قول الحكيم الترمذى: اليمين محبوب الله ومختاره من الأشياء، فأهل الجنة عن يمين العرش يوم القيامة وأهل السعادة يعطون كتبهم بأيمانهم، وكاتب الحسنات من ناحية اليمين، وكفة الحسنات من الميزان عن اليمين وإذا كان الحق فى التقديم لليمين أخر فى النزع ليبقى ذلك الحق له فجعل الآخر لأمرين كى يبقى له ذلك الحق أكثر انتهى.

وقوله: «فلتكن اليمين أولها»، ذكر بتأويل العضو وهو متعلق بتنعل الذى هو خبر يكن أو مبتدأ خبره تنعل والجملة خبر، قال العلامة ابن حجر: وفيه دفع لبعض ما وقع للعلامة العصام هنا ونصه: «فلتكن اليمنى» وفى بعض النسخ: (فلتكن اليمين) على طبق السابق أولهما كان الظاهر أولاهما وهذا يريد نسخة اليمين ولعل المراد فلتكن اليمنى أول زمان فعلهيما تنعل على أن يكون أولى منصوبًا بالظرفية دون الخبرية لكان ويكون تنعل خبر الا حالاً، وكذا الحال فى قوله وآخر ما تنزع انتهى.

وقال العلامة ابن حجر فى قوله وآخرهما تنزع، فائدته أن الأمر بتقديم اليمنى فى الأول لا يقتضى تأخر نزعها لاحتمال إرادة نزعهما معا، فمن زعم أنه للتاكيد للاستغناء عنه بالأول فقد وهم وكذلك من تكلف له معنى غير ما قلته يخرجه به عن التأكيد فقد أتى بما يمجه السمع فلا يعول عليه انتهى وهو تعريض بالعصام إذ

قال: ولعل فائدة هذه الجملة الأمر بجعل هذه الخصلة ملكة إلى آخر ما ذكر.

وقال أيضا: ولك أن تجعل ذلك تأكيداً لأن النفوس تأخذ الأمر هيِّنا أو لأنها اعتادت بتقديم اليمين ـ فكأنه مظنة فوت تقديم الأيسر ـ بما ينتهى ولقد وقع اعتراض العلامة ابن حجر عليه موقعه فى هذا الموضع والكمال لله سبحانه وتعالى.

وبالسند إلى الترمذى حدثنا هنّاد أنبأنا أبو الأحوص عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليحب التيامُنَ فى طهوره إذ تطهر، وفى تَرَجُّلِه إذ تَرَجَّلَ وفى انتعاله إذ تنعلٌ قيل، لعل الراوى لم يستحضر باقى الحديث وهو فى شأنه كله كما فى الصحيحين. وأخرج البخارى فى الوضوء والصلاة والأطعمة واللباس ومسلم فى الطهارة وأبو داود فى اللباس والترمذى فى آخر الصلاة وقال حسن صحيح، وفى الشمائل أيضًا والنسائى فى الطهارة والزينة وابن ماجه فى الطهارة عن عائشة رضى الله عنها بألفاظ متقاربة المعنى قالت: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه التيمن فى تنعله وترجله وطهوره فى شأنه كله.

وممن رواه أيضًا الإمام: أحمد رضى الله تعالى عنه وللأكثر فى البخارى إسقاط الواو من قوله وفى شأنه كله، والتيمن لفظ مشترك بين الابتداء باليمين وتعاطى الشىء والتبرك وقصد اليمين ولكن القرينة هنا دلت على أن المراد المعنى الأول.

وفى رواية الترمذى ما استطاع. وكذا البخارى فى الصلاة أى مدة دوام قدرته على تقديم اليمنى احترازاً عما إذا احتج لليسار لعارضٍ باليمين فإنه لا كراهة فى تقديمها حينئذ ولو فيما هو من باب التكريم قاله العلامة ابن حجر وسبقه إليه فى فتح البارى إذ قال: فنبه بالمحافظة على ذلك ما لم يمنع مانع انتهى، وكأنه أعنى العلامة ابن حجر عرض بالعصام حيث قال ما استطاع تأكيد الاختيار التيمن ومبالغة فى عدم تركه كما هو العرف فى مثاله ولم يرد أنه ربما يترك للضرورة ولعدم القدرة والإرادة مساغ أيضًا انتهى. وهذا كله يقوى أن ما مصدرية ظرفية وهو الشائع فى مثله وأبعده بعضهم فجوز أن تكون موصولة.

وقوله: كان يعجبه التيمن، أى فى الأمور الشريفة كما يأتى، وقال فى فتح البارى فى حكمة كونه صلى الله عليه وآله وسلم يحب التيمن، قيل: لأنه كان يحب الفأل الحسن إذ أصحاب اليمين هم أهل الجنة انتهى، وقد تقدم كلام الحكيم الترمذى فى هذا.

وقوله فى تنعله أى فى لبس نعله وترجله أى ترجيل شعره وهو تسريحه وتدهينه قاله فى فتح البارى وتعقبه العينى بأن اللفظ لا يدل على الدهن إذ لم يفسره أحد من أهل اللغة بذلك قال وإنما المراد تسريح وهو أعم من أن يكون فى الرأس أو فى اللحية والمرجل بكسر الميم المشط وكذلك المسرح بالكسر ذكره فى الغريبين انتهى بمعناه وفى النهاية ما يقوى به كلام ابن حجر إذ قال: الترجل والترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه. انتهى. على أنه قد

يقال لا دلالة فيه على الدهن إلا بلزوم ولا يسلم.

قال الزمخشرى: رجّل الشعر سرّحه، وفى المصباح: رجّلْت الشعر ترجيلا سرحته سواء كان شعرك أو شعر غيرك وترجّلْت إذا كان شعر نفسك - وفى المشارق رجل شعره مشطه وأرسله وهذا كله مما يؤيد كلام العينى وفى المشارق عن الجوهرى الترجيل أن يبل الشعر ثم يمشط فلعل ابن حجر راعى هذا على أن بعض الحفاظ قال لم أر هذا فى الصحاح وفى المختار: ترجيل الشعر تجعيده ترجيله أيضا إرساله بمشط.

قال الحافظ ابن حجر وهو من باب النظافة، وفى خبر أبى داود من كان له شعر فليكرمه، والمراد بحديث النهى عن الترجل إلاَّ غبًّا، ترك المبالغة على أن الزين العراقى ضعفه وهو فى شمائل الترمذى.

حدثنا محمد بن بشار أنبأنا يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان عن الحسن عن عبد الله بن مغفل قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الترجل إلاَّ غبًّا، والغِبُّ بمعجمة مكسورة وموحدة مشددة أصله ورود الإبل الماء يومًا وتركه يوما ثم استعمل فى فعله حينا وتركه حينا فيقبل يوما ويترك يوما، فالمراد النهى عن دوام تسريح الشعر لأن مواظبته تشعر بشدة الإمعان فى الزينة والترفه وذلك شأن النساء وكذا قال الإمام ابن العربى موالاته تصنع وتركه تدنس وإغْبَابِه سنة.

وفيها أيضا حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن خالد بن يزيد بن موهب عن أبى العلاء الأودى عن

حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يترجل غِبّا، أى كانت عادته أنه لا يبالغ فى الترجل بل يفعله يوما ويترك أياما، لا يقال إن هذا الحديث فيه علة لأن فيه مجهولا فى إسناده لأنا نقول قال العصام مجيبا عن هذا: أنه علم الرجل بكونه من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم انتهى وقيل: وآثر الترمذى الترجل على الترجيل لأنه اكثر استعمالا وأما قول بعضهم أن الترجيل مشترك بين الترجل وجعل الشعر جعدا بالعمل فرده العصام بأن ترادفهما يعلم بمجيئهما فى أحاديث الباب والترجل مشترك أيضا بين هذا وبين المشى راجلا. انتهى.

(فائدة فيما جاء فى ترجيل الشعر)

سمى تسريح الشعر ومشطه ترجيلا لأن فيه إنزالاً له وإرسالاً عن منابته كما يؤخذ ذلك من قول الراغب وترجل الرجل نزل عن دابته وترجل النهار انحطت شمسه عن الحيطان كأنها أرجلت ورجل شعره كأنه أنزله إلى حيث الرجل انتهى.

وصرح الحافظ أبو زرعة[1] بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ما كانَ يكلُ تَسْرِيحَ لحيتهِ إلى أحدٍ إنما كان يتعاطاه بنفسه بخلاف الرأس فإنه يعسره مباشرة تسريحه لا سيما فى مؤخره، فذا كان يستعين فيه بزوجاته. انتهى.

وفى الشمائل حدثنا يوسف بن عيسى أنبأنا وكيع أنبأنا الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان الرقاشى عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات الدَّهن بالفتح بمعنى استعمال الدهن والدهن بالضم ما يدهن به من زيت وغيره وجمعه دِهَان بالكسر وادّهن على وزن افتعل تطلى بالدهن، ذكره فى المصباح وغيره، وتسريح لحيته عطف على دهن لا على رأس كما وهم بعضهم فيه، ويكثر القناع أى اتخاذه على حذف مضاف وهو

(١) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصرى، أبو زرعة الدمشقى المتوفى «عام ٢٨٠هـ/ سنة ٨٩٣م»: من أئمة عصره فى الحديث ورجاله - معجم الأعلام - ص ٤٠٢.

كرجال خرقة توضع على الرأس بعد استعمال الدهن فتقى العمامة منه وكان ثوبه المراد به ذلك القناع، ثوب زيات بائع زيت أو صانعه كذا قرره العلامة ابن حجر لكن سياق كثير من الأخبار دل على أن المراد ما جاوز عنقه من القميص لانتشار الدهن إليه لكثرته.

وقد أخرج ابن سعد فى طبقاته هذا الحديث، ولفظه يكثر القناع حتى يرى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيات.

وقال العلامة ابن حجر فى التكلم على رواية كأنَّ ثوبه ثوب زيات معناه أنه كان يدهن شعر رأسه ويتقنع فكان الموضع الذى يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان انتهى.

وقال الزين العراقى فى شرح الترمذى إن إسناد هذا الحديث ضعيف لكنه له شواهد منها فى الخلعيات كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء، ومنها ما فى سنن البيهقى عن أبى سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه، ومشطه، وكان يكثر تسريح لحيته.

وإسناده ضعيف ثم إن إكثاره ذلك إنما كان فى وقت دون وقت وفى زمن دون آخر بدليل نهيه عن الادّهان إلا غِبًا فى عدة أحاديث وقد مر بعضها قبل، وبهذا يتبين أن قول الشيخ الجزرى الربيع بن صبيح[1] له مناكير منها هذا الخبر فان المصطفى كان أنظف الناس ثوبا وأحسنهم هيئة وقد قال: أصلحوا ثيابكم حتى تكونوا كالشامة

---

(١) الربيع بن صبيح السعدى البصرى، أبو بكر المتوفى عام ١٦٠هـ/ سنة ٧٧٧م، أول من صنف بالبصرة. معجم الأعلام - ص ٢٦٦.

فى الناس، وأنكر على من رآه وَسِخ الثوب وقال أما كان يجد هذا ما يغسل به انتهى، وما ذلك إلا لأن إصابة الدهن بحاشية ثوبه إنما كانت أحيانًا وإذا وقع ذلك غسله على أن ابن الربيع لم ينفرد بذلك بل تابعه من ذكر وغيره.

ومن ذلك حديث ابن سعد عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر التنقع بثوب حتى كأن ثوبه ثوب زيات أو دَهَّان انتهى، والربيع بن صبيح عابدٌ زاهدٌ لكنه كما قال النسائى متروك والدارقطنى واحمد منكر الحديث، فالحديث إذًا معلول بل عده الجزرى فى تصحيح المصابيح وغيره من المناكير.

ومن ثم جزم الحافظ العراقى بضعفه، وفى شرح العصام مما يتعلق بذلك ما صورته وما ذكره الشيخ الجزرى فى تصحيح المصابيح الربيع بن صبيح كان عابدًا لكنه ضعيف الحديث له مناكير منها حديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر دهن رأسه، وإن تعقبه الشارح بأنه زيف كونه منكرًا إيراد البغوى له فى المصابيح من غير تعرض لضعفه وكذا فى شرح السنة وإيراد الترمذى فى جامع الوصول من غير تعرض لضعفه انتهى.

وأبان والد يزيد المذكور فى السند كسحاب غير منصرف عند أكثر النحاة والمحدثين وصرفه البعض وبالغ فقال من لم يصرف أبان فهو أتان وبعضهم عكس هذا الكلام وقال: من صرف أبان فهو أتان.

وقال ابن خطيب الدهشة[1] فى كتابه المسمى بتحفة ذوى الارب

---

(١) محمود بن احمد بن محمد الهمدانى الفيومى الأصل،الحموى، الشافعى، أبو الثناء، نور الدين، المعروف =

فى مشكل الأسماء: والنسب ما مثله ابان بالصرف والمنع وجهان لأهل العربية حكاهما النووى وخطأ ابن مالك وجه الصرف لقول أبى هريرة بعثت ابان، وقد بسطت الكلام منه قليلا فى تهذيب المطالع انتهى، وراجع شرح تنقيح القرافى فقد أشبع الكلام فى القولين وكأنه رجح عدم الصرف، ولنعد إلى الحديث الذى كنا فيه فنقول وقوله وطهوره منع الكرمانى فتح طائه وجوزه العينى، والعصام، والعلامة ابن حجر، وغير واحد وهو الحق وزاد أبو داود عن مسلم بن إبراهيم عن شعبة وسواكه وقوله، وفى شأنه كله قال الشيخ تقى الدين هو عام مخصوص، لأن دخول الخلاء والخروج من المسجد نحوهما يبدأ فيهما باليسار انتهى، وقال الحافظ ابن حجر وتأكيد الشأن بقوله كله يدل على التعميم لأن التاكيد يرفع المجاز فيمكن أن يقال حقيقة الشان ما كان مفعولا مقصوداً، وما يستحب فيه التياسر ليس من الأفعال المقصودة بل هى إما متروك وإما غير مقصودة وهذا كله على تقدير إثبات الواو وإما على إسقاطها فقوله فى شأنه كله متعلق يعجبه لا بالتيمن أى يعجبه فى شأنه كله التيمن فى تنعله إلى آخره أى لا يترك ذلك سَفراً ولا حَضَراً ولا فى فراغه ولا فى شغله ونحو ذلك انتهى.

وسبقه إليه الكرمانى[1] واعترضه العينى بأنه يلزم منه أن يكون

= بابن الدهشة ٧٥٠ - ٨٣٤هـ/ ١٣٤٩ - ١٤٣١م: قاض، عالم بالحديث وغريبه، أصله من الفيوم، مولده ووفاته فى حَماة - معجم الأعلام - ص ٨١٥.

(١) محمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرمانى ٧١٧ - ٧٨٦هـ/ ١٣١٧ - ١٣٨٤م: عالم بالحديث، أصله من كرمان، اشتهر فى بغداد. معجم الأعلام - ص ٨١٣.

إعجابه التيمن فى هذه الثلاثة مخصوصة فى حالاته كلها وليس كذلك بل كان يعجبه التيمن فى كل الأشياء من جميع الحالات ألا ترى أنه أكد الشأن بمؤكد والشأن بمعنى الحال والمعنى فى جميع حالاته. انتهى.

وقال فى الفتح يدخل فى قوله شأنه كله لبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والصلاة على ميمنة الإمام وميمنة المسجد والأكل والشرب والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب ونتف الإبط وحلق الرأس والخروج من الخلاء ونحو ذلك إلا ما خص بدليل كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب، والسراويل وغير ذلك وإنما استحب فيها التياسر لأنها من باب الإزالة والله أعلم، انتهى.

وقال الإمام النووى رحمه الله: إن القاعدة إن ما كان من باب التكريم والتزين فباليمين وإلا فباليسار، لا يقال حلق الرأس من باب الإزالة فيبدأ فيه باليسار لأنّا نقول إنه من باب العبادة والتزين وقد ثبت الابتداء فيه بالأيمن.

وقال الطيبى على ما نقله فى الفتح قوله فى شأنه كله يدل من قوله فى تنعله بإعادة العامل قال: وكأنه ذكر التنعل لتعلقه بالرجل والترجل لتعلقه بالرأس والطهور لكونه مفتاح أبواب العبادة فكأنه نبه على جميع الأعضاء فيكون كبدل الكل من الكل، ثم قال الحافظ ابن حجر ووقع فى رواية مسلم تقديم قوله فى شأنه كله على قوله فى تنعله إلى آخره فيكون كبدل البعض من الكل انتهى،

ونحوه للبرماوى وتعقبه العينى بأن كلام الطيبى ليس هو على رواية البخارى بل على رواية مسلم ولفظها كان صلى الله عليه وآله وسلم يحب التيمن فى شأنه كله فى تنعله وترجله انتهى.

وقال فى الفتح: فى الوضوء وجميع ما قدمناه مبنى على ظاهر السياق الوارد هنا لكن بيَّن المصنِّف فى الأطعمه من طريق عبد الله ابن المبارك[1] عن شعبة: أن أشعثَ شَيْخَهُ كان يحدث به تارةً مقتصراً كلٍّ قوله فى شأنه كله وتارة على قوله فى تنعله إلى آخره، وزاد الاسماعيلى من طريق غندر عن شعبة: أن عائشة أيضا كانت تجمله تارة وتبينه أخرى فعلى هذا يكون أصل الحديث ما ذكره من التنعل وغيره، ويؤيده ما رواه مسلم من طريق أبى الأحوص وابن ماجه من طريق ابن عبيد - كلاهما عن أشعث بدون قوله (وفى شأنه كله) وكان[2] الرواية المقتصرة على فى شأنه كله من الرواية بالمعنى ووقع فى رواية لمسلم فى طهوره ونعله بفتح النون وسكون العين أى هيئة تنعله وفى رواية ابن ماهان[3] فى مسلم ونعله بفتح العين انتهى.

وقال النووى أجمع العلماء على أن تقديم اليمين فى الوضوء سند[4] من خالفها فاته الفضل وتم وضوءه انتهى.

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء، التميمى، المروزى أبو عبد الرحمن ١١٨ - ١٨١هـ/ ٧٣٦ - ٧٩٧م: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. معجم الأعلام - ص٤٥٦.

(٢) فى الأصل وكان والصحيح وكانت والله اعلم

(٣) الحسين بن على بن عيسى بن ماهان توفى عام ١٩٦هـ/ ٨١٢م، قائد كأبيه. تقدم فى العصر العباسى معجم الأعلام - ص ٢١٣.

(٤) فى الأصل سند وهى سنة.

وقال الحافظ ابن حجر: مراده بالعلماء أهل السنة وإلا فمذهب الشيعة الوجوب، وغلط المرتضى أحد علماء الشيعة منهم فنسبه للشافعى، وكأنه ظن أن ذلك لازم من قوله بوجوب الترتيب لكنه لم يقل بذلك فى اليدين ولا فى الرجلين لأنهما بمنزلة العضو الواحد لأنهما جمعا فى لفظ القرآن لكن يشكل على أصحابه حكمهم على الماء بالاستعمال إذا انتقل من يدٍ إلى يدٍ مع قولهم بأن الماء ما دام متردداً على العضو لا يسمى مستعملا انتهى، وما وقع للعمرانى فى البيان ولبعضهم من نسبة القول بالوجوب للفقهاء الشيعة، قال الحافظ ابن حجر فيه أنه تصحيف من الشيعة، وفى كلام الرافعى ما يوهم أن احمد قال بوجوبه ولا يعرف ذلك عنه، بل قال الشيخ الموفق فى المغنى: لا نعلم فى عدم الوجوب خلافا والله أعلم، وفى الحديث الدلالة على شرف اليمين واستدل به على استحباب الصلاة عن يمين الإمام وفى مَيَمنة المسجد وفى الأكل والشرب باليمين وقد سبق النهى عن الأكل بالشمال فيما تقدم فراجعه.

قال الحافظ ابن حجر وقد أورده المصنف يعنى البخارى فى هذه المواضع كلها انتهى. وقد أسلفنا الإشارة إلى هذه الأمور ونظائرها وما قدمناه عن الطيبى من جعله الحديث من بدل الكل من الكل هو الذى اعتمده غير واحد ووقع لبعضهم تجويز أن يكون قوله فى شأنه كله بدلاً من قوله فى تنعله بدل كل من بعض على قول من قال به من النحاة متمسكا بقوله:

نَضَّرَ اللهُ أعْظُمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانِ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ

ويقولهم: نظرت إلى القمر فلكه وجعل بعضهم منه قوله تعالى: ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾[1] ولا يخفى أن هذا على تقديم قوله فى تنعله على فى شأنه كله وقد عرفت مما سبق تعقب العينى على ابن حجر جعله كلام الطيبى فى هذه الرواية والله أعلم على أن تقدير ذلك يتأتى أيضًا هنا لولا أن الطيبى تكلم على عكسه فلو لم تنسب المسئلة[2] إلى الطيبى لصح فيها ما ذكر على رواية البخارى ومسلم أعنى تقديم قوله فى تنعله على فى شأنه وهى رواية البخارى أو عكسها وهى رواية مسلم لأن تقرير البدل على ما ذكر يصح فيها والله سبحانه أعلم انتهى.

فائدتان:

الأولى: مما ينخرط فى هذا السلك ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: «خير المسجد الحرام المقام ثم ميامن المسجد» وكان سعيد بن المسيب[3] يصلى فى الشق الأيمن، وروى ذلك عن الحسن وابن سيرين رضى الله عنهم.

وروى الشيخ فى الثواب عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا الرحمة تنزل على الإمام ثم على من عن يمينه الأول فالأول انتهى.

---

(١) النساء ١٢٤.

(٢) فى الأصل المسئلة والصحة المسألة.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى، أبو محمد ١٣ - ٩٤هـ/ ٦٣٤ - ٧١٣م: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى راوية عمر - معجم الأعلام - ص ٣٠٦.

الثانية: مما ينحو هذا المنحى ما كثر السؤال عنه قديما وحديثا وهو الحكمة فى جعل الطائف البيت عن يساره مع أن المتبادر أن التيمن مطلوب، وللناس عن ذلك أجوبة كثيرة منها ما ذكره الشيخ الرجال أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى المغربى فى رحلة الحافلة العجيبة الجامعة التى سماها: بملأ العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجه الوجيه إلى الحرمين مكة وطيبة أن الكعبة المعظمة كالإمام والطائف كالمأموم والمأموم يقف عن يمين الإمام ان كان وحده لا عن يساره لأن الإمام عن يسار المأموم انتهى بمعناه، ومنها ما قاله القرافى رحمه الله ان جنبتى البيت نسبتهما إليه كنسبة يمين الإنسان ويساره إليه فالحجر موضع اليمين وباب البيت الذى هو وجهه فلو جعل البيت عن يمينه لأعرض من باب البيت الذى هو وجهه وإذا جعل عن يساره أقبل على الباب ولا يليق بالأدب الإعراض عن وجوه الأماثل وتعظيم بيت الله تعظيم له انتهى.

ومنها ما جرى على الألسنة من أن القلب لناحية اليسار فناسب أن يكون البيت مما يليه.

وقد رأيت فى هذا كلامًا نفيسًا نقله الإمام أبو إسحاق الشاطبى فى كتاب الانشادات والافادات ونسب بعضه لبلدينا وقريب أسلافنا الشيخ الخطيب أبى عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى قال رحمه الله ما نصه إفاده: حدثنى الأستاذ أبو عبد الله البلنسى قال حدثنى الأستاذ الخطيب أبو عبد الله محمد بن مرزوق قال سألت أبى رحمه الله ونحن نطوف بالبيت الحرام زاده الله تشريفا فقلت له لِمَ

كان البيت يجعل فى الطواف إلى جهة اليسار ولِمَ يُجعل الى جهة اليمين وهى أشرف، فقال سريعا: يا بنى إن القلب من جهة اليسار فجعل الشق الذى هو محل القلب إلى جهة البيت ليكون أقرب مراقبة كقوله تعالى ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾[1] فقلت له إن الطبيعيين وأهل التشريح اطبقوا على أن محل القلب الحقيقى هو الوسط لا الجهة اليسرى ولا اليمنى نعم وضع رأسه مائلا إلى ذات اليمين قليلا وإبرته مائلة إلى ذات اليسار قليلا، ثم وقفت المسألة فأنهيتها إلى الفقيه الطبيب العارف أبى عبد الله الشقورى[2] فقال لى: ما قلت للأستاذ حق إلا أنى أقول الحكمة فى ذلك وجهان:

أحدهما: أن اليمين أقوى من جهة اليسار وذلك مشاهد والطواف سيرٌ دورى، ولا شك أن أبعد الجهات الى المركز الذى هو جهة البيت أقوى حركة من الجهة التى هى أقرب إليه فجعل الشق الأيمن الأقوى إلى الخير الذى الحركة فيه أقوى والشق الأيسر الأضعف إلى الخير الذى الحركة فيه أضعف ليتعادلا.

الوجه الثانى: أن جهة اليسار من القلب يلى محل الروح ومنبعه ومنه ينبعث فى الشريان الأعظم المسمى بالأبهر إلى جميع الجسد وكذلك تجد حركة النبض فى الجهة اليسرى والروح أشرف ما فى الجسد فجعل ذلك الشق مواجها للبيت الشريف ليكون الإقبال على

---

(١) إبراهيم ٣٧.

(٢) غالب بن على بن محمد اللخمى، أبو تمام الشقورى المتوفى عام ٧٤١ هـ/ سنة ١٣٤٠م: طبيب من العلماء، من أهل غرناطة، نسبته إلى شقورة بالأندلس. معجم الأعلام. ص ٥٧٦.

بيت الله بما هو أشرف انتهى.

كلامه وما أحسنه.

والجواب الأول من جوابى الشقورى مما يعضد تعليل المولى عصام الدين البداية فى الانتعال باليمين والنزع باليسار، وقد سبق مستوفىً وإن تعقبه ابن حجر وغيره مما هو ساقط عند إمعان النظر والتأمل.

وقد رأيت لبعض أئمة المالكية فى حكم تقديم الميامن على المياسر فى الطهارة أن اليدين والرجلين لما اختصت اليمنى منها بقوة حسية جعلت لها فضيلة شرعية مرعية وهى التقديم الذى له مزية بخلاف الأذنين والخدين، إذ لا اختصاص انتهى بمعناه.

وقد وقفت مرة بالمغرب على كِتابٍ لَم أدر مؤلفه ذكر فيه ما يخالف ذلك أن كل عضو فى الإنسان مزدوج فاليمين فيه أقوى من اليسار إلا العين فاليسرى أقوى نظراً من اليمنى كذا قاله ولم أر الآن ما يناسب ذلك فالله اعلم.

وبالسند السابق فى صحيح مسلم إلى أبى عبد الله بن صالح عن أبى عثمان بن زاهر عن أبى عبد الله بن نوح عن أبى عبد الله بن سعادة عن أبى عمر بن أبى تليد عن الحافظ أبى عمر بن عبد البر الأندلسى عن أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن الزيات عن أبى بكر بن داسة التمار عن الحافظ أبى داود السجستانى رضى الله عنه قال حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن هلال بن ميمون الرملى عن يعلى بن شداد بن أوس عن أبيه

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلُّون فى نعالهم ولا فى خفافهم»[1]، وأخرجه البيهقى فى السنن والحاكم عن شداد أيضًا مرفوعًا ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظه خالفوا اليهود والنصارى.

وروى ابن مردويه فى تفسيره عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قول الله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[2] قالوا:[3] صلوا فى نعالكم، وأخرج الطبرانى فى الكبير عن شداد بن أوس يرفعه: «صلوا فى نعالكم ولا تشبهوا باليهود».

وروى كما حكى العلامة ابن حجر فى بعض كتبه وغيره أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خرج على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال: يا معشر الأنصار حَمّروا وصَفّروا وخالفوا أهل الكتابِ فقالوا: إنهم يتسرولون ولا يتزرون فقال تسرولواُ واتزروا، قال وسنده صحيح إلا أن فيه ثقة وفيه كلام لا يضر وفى رواية سندها ضعيف أن المشركين - يتسرولون ولا يتزرون، قال: فتسرولوا أنتم واتزروا قالوا فإنهم يحتفون ولا ينتعلون قال: فاحتفوا أنتم وانتعلوا وخالفوا أولياء الشيطان بكل ما استطعتم.

وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى أمامة مرفوعا: انتعلوا وتخففوا وخالفوا أهل الكتاب، وأخرج البخارى فى الصلاة

---

(١) أخرجه أبو داود فى الصلاة (٩٠/٥) عن قتيبة عن مروان بن معاوية عن هلال بن ميمون الموصلى. تحفة الأشراف ١٤٧/٤.

(٢) الأعراف ٣١.

(٣) فى الأصل قالوا والصحيح قال والله أعلم اهـ.

واللباس ومسلم والنسائى والترمذى فى الصلاة من حديث أبى مسلمة سعيد بن يزيد الأزدى قال: سألت أنس بن مالك رضى الله عنه: أكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فى نعليه؟ قال: نعم.

وترجم له البخارى فى باب الصلاة فى النعال أى عليها وبها ثم هو كما قال ابن بطال وغيره محمول على ما إذا لم تكن بها نجاسة، قال ابن دقيق[1] العيد: هذا من الرخص لا من المستحبات لأن ذلك لا يدخل فى المعنى المطلوب من الصلاة وهى وإن كانت من ملابس الزينة إلا أن ملامسة الأرض التى تكثر فيها النجاسات قد تعارض ذلك وإذا تعارض مراعات التحسين ومراعات إزالة النجاسة قدمت الثانية لأنها من باب دفع المفاسد والأخرى من باب جلب المصالح قال: إلا أن يرد دليل بإلحاقها بما يتجمل به فيرجع إليه ويترك هذا النظر انتهى.

وقال ابن حجر ما معناه: أنه ورد ما يقتضى الاستحباب وذكر حديث أبى داود والحاكم السابق وفيه الأمر بمخالفة اليهود فيكون استحباب ذلك من جهة قصد المخالفة المذكورة انتهى.

ورد فى كون الصلاة فى النعال من الزينة المأمور بأخذها فى الآية حديث ضعيف جداً أورده ابن عدى فى الكامل وابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى هريرة والعقيلى من حديث أنس.

---

(١) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد ٦٢٥ - ٧٠٢ هـ/ ١٢٢٨ - ١٣٠٢م: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد - معجم الأعلام - ص ٧٥٥.

وقد روى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى حافياً ومنتعلاً، وهو يدل على الجواز من غير كراهة.

وحكى الغزالى فى الإحياء عن بعضهم: أن الصلاة فى النعل أفضل، ويستنبط من الحديث جواز المشى فى المسجد بالنعل. وقد تقدم بعض ما يتعلق به والله أعلم.

وروى ابن أبى خيثمة عن أوس بن أبى أوس الثقفى رضى الله عنه قال: أقمت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصف شهر فرأيته يصلى وعليه نعلان متقابلتان.

وبالسند إلى الترمذى حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله ثنا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية ثنا هشام عن محمد عن أبى هريرة قال: كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبالان وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأول من عقد عقداً واحداً عثمان رضى الله عنه.

وأخرجه الطبرانى رجال ثقات والبزار عن أبى هريرة رضى الله عنه بمثله.

وقال العلامة ابن حجر: وكان وجه ما فعله عثمان رضى الله عنه بيان أن اتخاذ القبالين قبل ذلك لم يكن لكراهة قبال واحد ولا لمخالفة الأولى، بل لأن ذلك كان هو الواقع والمعتاد، ولم يتبين ذلك إلا بفعل عثمان رضى الله عنه إذ لو ترك ذلك توهم منه كراهة الاقتصار على قبال واحد أو أنه خلاف الأولى لأنه خلاف ما

كان عليه صلى الله عليه وآله وسلم صاحباه. انتهى والله أعلم.

وروى النسائي عن عمرو بن أوس قال: كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبالان ونعل أبي بكر قبالان.

وروى ابن شاذان[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزمامين وأولُ من شَسَّعَ[2] عثمان.

وروى ابن عساكر وابو الحسن بن الضحاك عن أنس قال: كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبالان.

وروى نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى الحارث بن أبي أسامة عن زياد قال: دخلنا على شيخ يقال له مهاجر وعليَّ نعلٌ لها قبالان وكنت قد تركته لشهرته فقال: ما هذا؟ فقلت: أردت تركه لشهرته قال: لا تتركه فإن نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت هكذا.

وروى أبو الحسن بن الضحاك عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها زمامان مَثْنِيٌّ شراكهما.

وأخرج الترمذي وابن ماجه بسند قوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبالان مَثْنِيٌّ شراكهما وقد تقدم.

---

(١) الفضل بن شاذان بن الخليل، أبو محمد الأزدي النيسابوري المتوفى عام ٢٦٠هـ/سنة ٨٧٤م: عالم بالكلام، من فقهاء الإمامية - معجم الأعلام - ص ٥٩٢، ٥٩٣.

(٢) شَسَّعَ أي اتخذ لنعله شسعًا أي رباطًا اهـ.

وروى ابن عدى[1] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقابلتين وقال: أخرى مقابلين، قال ابن بكير: يعنى بزمامين.

(1) عبد الله بن عدى بن عبد الله بن محمد بن المبارك بن القطان الجرجانى، أبو أحمد ٢٧٧ـ ٣٦٥هـ/ ٨٩٠ـ ٩٧٦م: علامة بالحديث ورجاله، كان يعرف ـ فى بلده ـ بابن القطان، والمشهور بين علماء الحديث بابن عدى ـ معجم الأعلام ص ٤٤٧.

تتمات

الأولى:

صرح بعض الحفاظ بأن نعله صلى الله عليه وآله وسلم كانت صفراء انتهى، وأما حديث من لبس نعْلاً أصفرَ قَلَّ هَمَّهُ، فقال ابن أبى حاتم فيه: أنه موضوع والله أعلم.

نعم وقد ذكر صاحب المطامح وغير واحد من ابن عباس رضى الله عنهما أن من طلب حاجة بنعل صفراً قضيت لأن حاجة بنى إسرائيل قُضِيْت بجلد بقرة صفراء وعليه فليتأكد جَعْل النَّعل صُفْراً، قال بعضهم: ولذا كان الخضاب بالأصفر محبوبًا لأنه سبحانه أشار إلى مدحه بقوله: ﴿تسر الناظرين﴾ وعبارة ابن حجر الهيتمى فى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند فيه مجهول: أن من لبس نعلا صفراء لم يزل يُرَى مسروراً ما دام لابسها انتهى.

ورأيت لبعض الأئمة سؤالاً حافلاً فى هذا المعنى وجوابا رأيت أن أثبتهمًا معًا بحروفهمـا لما فيها من الفوائد، وصورة ما رأيت سؤالاً قال الإمام أبو بكر ابن النقاش[1] فى تفسيره ما مثاله فى قوله تعالى: ﴿بقرة صفراء فاقعٌ لونها تسر الناظرين﴾[2].

حدثنا الحسن بن العباس الرازى والحسين بن إدريس بهراة يعقوب

---

(1) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش ٢٦٦ - ٣٥١ هـ/ ٨٨٠ - ٩٦٢م: عالم بالقرآن وتفسيره - معجم الأعلام - ص ٦٩٣.

(2) البقرة ٦٩.

ابن يوسف الضراب بقزوين قالوا ثنا سهل بن عثمان أنبأنا ابو العذراء أنبأنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل فى سرور ما دام لابسها وهو ذلك قوله تعالى: ﴿بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾[1] فقال أبو بكر[2] يعنى النقاش سألت أبا عبد الرحمن يعنى الكسائى بمصر عن أبى العذراء فقال: لا يُعرف وهذا حديثه.

وقال الزبير بن العوام وابن بكار ويحيى بن أبى بشير: إياكم ولبس النعال السود فإنها تورث الهم، وقال ابن الزبير تورثُ النسيان، وقال النقاش: وأظن أن أبا العذراء هو الفضل بن الربيع الأسدى هذا لفظه فى تفسيره، قال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى فى كتابه الميزان الفضل بن الربيع عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: من لبس نعلا صفراء لم يزل ينظر فى سرور ثم قرأ ﴿بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ قال العقيلى: لا يتابع على حديثه حدثنا عبد العزيز بن الخطاب ثنا الحسين بن على الفهرى - عن الفضل بن الربيع عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: من لبس نعلا صفراء لم يزل ينظر فى سرور ما دام لابسها ثم قرأ: ﴿بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾.

فمقتضى ما قدمناه أنه حديث لا يتابع على روايته وعندى إن

---

(١) البقرة ٦٩.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلى المتوفى سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة له تفسير يسمى شفاء الصدور فى تفسير القرآن الكريم كذا قاله صاحب كشف الظنون.

لبس النعال الصفراء جائز ولا سيما، وقد قال بذلك الزبير وابنه عبد الله ويحيى بن أبى كثير والقضاة فى مصر والشام وغيرهم يلبسونها فى سائر الآفاق.

وقول ابن الجوزى رحمه الله فى تلبيس إبليس: إن لبسها مكروه يحمل على غير القضاة جوابه والله أعلم على مقتضى ما قاله ابن الجوزى رحمه الله الظاهر أن من قال لِبْس النّعالِ الصّفْراءِ يكسب سُرور لابسه - واستدل بقول الله تعالى: ﴿بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ مطالب بدليل غير هذا الدليل وذلك أن الضمير فى الآية عائد على البقرة لا على النعل.

وأما بيان إبطال الدليل فإن المستدل جعل اللون الأصفر الفاقع علة للسرور طرد العلة وعداًها إلى النعل فتنتقض هذه العلة بحكم آخر وهو أنه يجوز أن الله تعالى لو أراد أن يخلق هذه البقرة غير صفراء لخلقها وسرور الناظرين مع هذا التجويز لا يفارقها، فعلمنا أن علة سرور الناظرين هى ذات هذه البقرة لا لونها ومع إبطال الدليل لا يستقيم الحكم انتهى بحروفه.

وفى المقاصد الحسنة للسخاوى ما نصه حديث: «من لبس نعلا صفراء قل همه»: أخرجه العقيلى والطبرانى والخطيب عن ابن عباس موقوفًا، لكن بلفظ لم يزل فى سرور ما دام لابسها بدل قل همه، وقال ابن أبى حاتم: سألت أبى عنه فقال: هذا كذب موضوع وعزاه الزمخشرى فى الكشاف لعلى باللفظ الأول سواء انتهى، وقد قدمنا كلامًا يتعلق بالصبغ بالصفرة فراجعه فيما أسلفناه.

الثانية:

وفى رواية أبى الشيخ عن أبى ذر: أن نعله عليه السلام - كانت من جلود البقر، وفى لفظ لأبى ذر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى نعلين من جلود البقر.

وروى الحارث بن أبى أسامة عن حميد قال حدثنى من سمع الأعرابى مخصوفتين يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه نعلان من بقر.

* * *

الثالثة:

قال الحافظ العراقى: كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخصرة ملسنة، فقد روى أبو الشيخ باسناده إلى يزيد بن أبى زياد قال: رأيت نعل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ملسنة مخصرة.

وروى ابن سعد فى الطبقات عن هشام[1] بن عروة قال: رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخصرة معقبة ملسنة لها قبالان، و المخصرة التى لها خصر أو التى قطع خصراه حتى صارا مستدقين - كما فى النهاية قال: والملسن من النعال كما فى الصحاح وغيره الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان، قال: فى

---

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الاسدى، ابو المنذر ٦١ - ١٤٦هـ/ ٦٨٠ - ٧٦٣م: تابعى، من ائمة الحديث. من علماء المدينة - معجم الأعلام - ص ٩١٦.

النهاية وقيل هي التي جعل لها لسان ولسانها الهنة الناتئة في مقدمها انتهى.

وروى أبو الحسن بن الضحاك عن إسماعيل بن أمية قال: كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخصرة معقبة لها قبالان.

وروى أبو الشيخ عن ثابت بن يزيد عن التيمي قال: أخبرني من رأى نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها قبالان معقبين، وروى ابن سعد عن جابر أن محمد بن علي أخرج لي نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأراني معقبة مثل الحضرمية لها قبالان.

وروى مسدد عن معتمر عن أبيه قال: حدثني رجل قال رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معقبة لها قبالان.

وروى ابن عساكر عن همام قال: نظر هشام بن عروة إلى نعل الصلت بن دينار ولها قبالان فقال هشام: عندنا نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معقبة مخصرة ملسنة.

قال الحافظ العراقي: وأما ما في حديث يزيد بن أبي زياد ليس لها عقب مع قوله في حديث هشام بن عروة معقبة فيمكن الجمع بينهما بأن يزيد بن أبي زياد لم يطلق العقب وإنما قال: ليس لها عقب خارج وأثبت هشام كونها معقبة أي لها عقب من سيور تضم به الرجل كما يفعل في كثير من النعال أو يكون لها عقب غير خارج انتهى قلت: ولا يعارضه ما يأتي قريبا في التتمة السابعة.

الرابعة:

كان المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يلبس النعل وربما مشى حافيًا لا سيما إلى العبادات تواضعًا منه وطلبًا لمزيد الأجر كما أشار إلى ذلك الحافظ العراقي رحمه الله في ألفية السير بقوله:

يَمْشي مَعَ المسكين وَالأرْملة فى حَالةٍ مِنْ غَيْرِ ما أنفَهْ
يُرْدِفُ خَلْفَهُ عَلَى الحِمَارِ عَلَى أكافٍ غيرِ ذِى استِكْبَار
يَمْشى بلاَ نَعلٍ وَلاَخُفٍ إلى عِيادةِ المرِيض حَوْلهُ المَلاَ

وروى ابن الإعرابي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى حافيا ومنتعلا، وقد سبق ذكر الحديث من رواية أبي داود فراجعه وهو بهذا اللفظ وقد سبق حديث فاحتفوا أنتم وانتعلوا وخالفوا أولياء الشيطان ما استطعتم، وهو ضعيف كما ذكرناه هنالك وفي خبر ضعيف رواه الطبراني في الكبير عن ابن أبي حدرد يرفعه: «تمعددوا واخشوشنوا واستقبلوا وامشوا حفاة»، قال العلامة ابن حجر: أى تشبهوا بعيش معد بن عدنان في التقشف والبؤس وما بعده تفسير له أى اخشوشنوا في المطعم والملبس.

وفي قوله فاستقبلوا ندب الجلوس للقبلة ولو خارج الصلاة، قال العلامة ابن حجر: يستفاد من قوله امشوا حفاة وما أشبهه من الأحاديث ندب الحفاء، ولم أر من صرح به على إطلاقه من أصحابنا وإنما الذى رأيت لهم أن الصحابة كانوا يتوضئون

ويخرجون يمشون بأرجلهم حفاة فى الطرق مبلولة إلى المسجد وينبغى تفصيل فى ذلك وهو إن قصد به التواضع وآمن به من تنجس رجليه ولو احتمالا وإلا فلا.

وقد يؤيد ذلك قول أئمتنا الحفا[1] عند دخول مكة إن أمن تَنَجّسَ رجليه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يركب فرسًا عريًا تارة وغير عرى أخرى وبعير أو بغلة شهباء وحمارًا بإكاف وغيره، ومرة راجلا ومرة منتعلا ومرة حافيًا بلا رداء، ولا عمامة ولا قلنسوة، وفى خبر ضعيف البذاذة من الإيمان وهى بمعجمتين رثاثة الهيئة وله شاهد صحيح وهو من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الأشهاد حتى يخيره من أى حُلل الجنة شاء يلبسها، وهو حديث حسن وفى الحديث الحسن أيضًا: «أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، ولا تنافى بين الحديثين لأن الأول يتعين حمله كما يومئ إليه لفظه على من أثر الخشن للتواضع لا غيره، والثانى على ما إذا قصد بلبس الخشن إظهار نعمة الله تعالى.

فإن قيل: ما الأفضل فى هاتين؟ قلت: ينبغى أن الأفضل فعل هذا تارة وفعل هذا تارة أخرى فمرة يتواضع وأخرى يظهر الشكر والنعمة لله انتهى وقال فى شرح الشمائل بعد كلام ما صورته ولا ينافى ما تقرر من إيثاره صلى الله عليه وآله وسلم بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس وتبعه على ذلك السلف الصالح ما اختاره جماعة

(١) الحفا نزع النعل وما شابهها اهـ.

من متأخرى أئمة الصوفية وغيرهم لأن السلف لما رأو أهل اللهو يتفاخرون بالزينة والملابس أظهروا لهم برثاثة ملابسهم حقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون والآن قد قست القلوب ونسى ذلك المعنى فاتخذ الغافلون رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا فانعكس الأمر وصار تخالفهم فى ذلك تبعًا للسلف.

ومن ثم قال العارف بالله تعالى سيدى أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره لذى رثاثة أنكر عليه جمال هيئته: يا هذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول أعطونى من دنياكم.

ويؤيد هذا ما صح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله جميل يحب الجمال» وفى رواية: «نظيف يحب النظافة».

وروى أصحاب السنن: «رآنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلىَّ أطمار» ورواية النسائى ثوب دون فقال: هل لك مال؟ فقلت: نعم فقال: من أى المال؟ فقلت من كل ما آتى الله من الأهل والشياه قال: فكثر نعمته وكرامته عليك.

وفى السنن: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، أى لانبائه على الجمال الباطن وهو الشكر على النعمة ومن ثَم قال تعالى: ﴿ذلك خير﴾[1] إشارة إلى لباس التقوى، وكما أن الله تعالى يحب الجمال فى الفعل والقول والهيئة يبغض القبيح فى ذلك.

وقد ضل فى هذا المقام فريقان: قوم ذهبوا إلى أن الله تعالى يحب كل مخلوق، وأنهم كذلك نظراً لأنه تعالى الخالق لها،

---

(١) سورة الأعراف: من الآية (٢٦).

ولقوله تعالى: ﴿أحسنَ كلَّ شيء خَلَقَه﴾[1] وهؤلاء قد عطلوا أحكاما كثيرة كإنكار المنكر، وإقامة الحدود وقوم قالوا ذم الله تعالى جمال الصورة بقوله فى المنافقين: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾[2] وفى مسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» وحرم الله الحرير والذهب وهما من أعظم جمال الدنيا، وفى الحديث: «البذاذة من الإيمان»، وذم تعالى السرف وهو كما يكون فى المطعوم يكون فى الملبوس.

وفصل النزاع أن الجمال فى الهيئة، إما محمود وهو ما أعان على طاعة، ومن ثَم كان صلى الله عليه وآله وسلم يتجمل للوفود فهو نظير لبس آلة الحرب للقتال والحرير والخيل فى الحرب فإن ذلك محمود لمصلحة نصر الدين، وإما مذموم وهو ما كان للدنيا وللخيلاء، وإما متجرد عن الأمرين وهو ما خلا عن هذين القصدين انتهى كلامه ببعض اختصار.

والحديث الذى ذكره عن أصحاب السنن وهو من رواية مالك بن عوف الجشمى والد أبى الأحوص قال أتيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخره.

وقوله دون هو بضم الدال بعدها واو فاعلمه والله أعلم.

وحديث (البذاذة من الإيمان) رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك.

---

(١) السجدة ٧.

(٢) المنافقون ٤.

وروى مسلم عن ابن مسعود والترمذى وقال حسن غريب: ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حَسَنًا ونعله حسنة فقال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغَمطَ الناسِ»، قال النووى وهذا الاسم يعنى جميل ورد فى الحديث الصحيح وورد أيضًا فى حديث الأسماء الحسنى وفى إسناده مقال والمختار جواز اطلاقه على الله تعالى ومن العلماء من منعه انتهى وقوله: غمط الناس، وهو بالطاء فى نسخ مسلم وكذا ذكره أبو داود فى مصنفه وقال بعدهم[1] وغمص الناس وذكره الترمذى وغيره بالصاد وهما بمعنى واحد ومعناه احتقارهم، وأما حديث «إن الله تعالى جميل يحب الجمال سخى يحب السخاء نظيف يحب النظافة» فقد رواه ابن عدى فى الكامل عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا.

وأما حديث: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس» فقد رواه البيهقى عن أبى سعيد مرفوعا، وفى الحديث أيضًا: «الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولاَ تَتَشبَّهوا باليهود»، وروى الخطيب عن عائشة مرفوعا إن الإسلام نظيف فنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف انتهى.

* * *

(١) فى الأصل بعدهم والحق بعضهم والله اعلم له.

الخامسة:

كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس يتحدث بخلع نعليه رواه البيهقى عن أنسٍ رضى الله عنه، وقد روى البزار عن أنس يرفعه: «إذا جلستم فاخلعوا نعالكم فتستريح أقدامكم».

* * *

السادسة:

ثبت أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان صاحب النعلين والوساد والسواك، والطهور كما فى الصحيح، وكان يلى ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يُلبس النبى صلى الله عليه وآله وسلم نعليه إذا قام ويجعلهما فى ذراعيه إذا جلس حتى يقوم صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى محمد بن يحيى عن القاسم قال: كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقوم إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينزع نعليه من رجليه ويدخلهما فى ذراعيه فإذا أقام ألبسه إياهما فيمشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة.

وقد ذكر جماعة منهم ابن سعد: أن أنس بن مالك رضى الله عنه كان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأداوته.

وقال الحافظ ابن حجر: عندما تكلم على حديث أليس فيكم

صاحب النعلين ما نصه: والمراد بصاحب النعلين وما ذكر معهما عبد الله بن مسعود فإنه كان يتولى خدمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك فصاحب النعلين فى الحقيقة هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لابن مسعود صاحب النعلين مجازاً لكونه كان يحملها انتهى.

* * *

السابعة:

روى أحمد فى الزهد وأبو القاسم بن عساكر عن زياد بن سعد قال: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يكره أن يطلع من نعليه شيء عن قدميه.

* * *

الثامنة:

فى خبرٍ ضعيف أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت بالنعلين والخاتم»، رواه الشيرازى فى الألقاب وابن عدى فى الكامل والخطيب فى تاريخه والضياء عن أنس رضى الله عنه.

* * *

التاسعة:

فى الوفاء بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط غداءً لعشاء ولا عشاءً لغداء ولا اتخذ من شىء زوجين ولا قميصين ولا ردائين ولا إزارين ولا زوجين من النعال. انتهى.

وصرح بعض الأئمة بضعف هذا الحديث وهو يؤيد ما شغب به ابن حجر الهيتمى فيما سبق حيث قال: إلا أنه ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان له نعل من طاق واحدة ونعل من أكثر. وسيأتى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان له عدة خفاف ونعلان فالله أعلم أى ذلك كان.

وقد روى غير واحد أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان له ثوبان لجمعة خاصة ثم يطويان إلى الجمعة الأخرى وعورض هذا برواية أنه لا يطوى له ثوب.

وأجيب بأن هذا فى الغالب أو بحسب علم النافى فلا ينافى إثبات غيره للطى الصريح فى ندبه حديث الطبرانى: «أطووا ثيابكم ترجع إليها أرواحها» ولذلك صرح بعض الأئمة الشافعية بندب طىّ الثياب لكن يشكل عليه أن الحافظ النور الهيثمى روى حديث الطبرانى بلفظ اطووا ثيابكم ترجع إليها أرواحها فإن الشيطان إذا وجد ثوبا مطويا لم يلبسه وإذا وجد ثوبا منشورا لبسه، قال وفيه

فلان وهو وضّاع انتهى، فأشار إلى أنه موضوع أو شديد الضعف وكلاهما لا يثبت به سنة والله أعلم.

* * *

العاشرة:

روى الطبراني عن ضباعة بنت الزبير رضى الله عنهما قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعل يقال لها: مخصرة.

* * *

الحادية عشر:

عن أبى أمامة رضى الله عنه حسبما رواه الطبرانى قال حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعله بالسبابة من يده اليسرى.

* * *

الثانية عشر:

من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم (صاحب النعلين) وقد وصف بذلك فى الإنجيل، ففيه أنه صاحب المدرعة والعمامة وهى التاج والهراوة وهى القضيب وقيل: غيره وأنه صاحب النعلين صلى الله عليه وآله وسلم.

* * *

الثالثة عشر:

مما ورد في الانتعال والناس مبتلون بخلافه ما روى عن جابر رضى الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينتعل الرجل قائما، وأظن أنه في أبي داود ثم راجعت سنن أبي داود فوجدته قد أخرجه فيها بأن قال حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى أنبأنا أبو احمد الزبيرى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينتعل الرجل قائمًا انتهى، وفي جامع الترمذى باب ما جاء في كراهة أن ينتعل الرجل وهو قائم، وحدثنا أزهر بن مروان البصرى ثنا الحارث بن نبهان عن معمر عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينتعل الرجل وهو قائم قال أبو عيسى هذا حديث غريب.

وروى عبد الله بن عمر والرقى هذا الحديث عن معمر عن قتادة، عن أنس، وكلا الحديثين لا يصح عند أهل الحديث، والحارث بن نبهان ليس عندهم بالحافظ ولا نعرف لحديث قتادة عن أنس أصلا.

حدثنا أبو جعفر السمناني حدثنا سليمان بن عبد الله الرقى حدثنا عبيد الله بن محمد الرقى عن معمر عن قتادة عن أنس قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينتعل الرجل وهو قائم، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، قال محمد بن إسماعيل:

ولا يصح هذا الحديث، ولا حديث معمر عن عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة انتهى، وممن روى حديث النهى الضياء عن أنس، قال أبو سليمان الخطابى فى معالم السنن يشبه أن يكون إنما نهى عن لبس النعال قائما لأن لبسها قاعدا أسهل عليه وأمكن له وربما كان ذلك سببا لانقلابه إذا لبسها قائما فأمر بالقعود والاستعانة باليد فيه ليأمن غائلته والله أعلم انتهى على أنه قد روى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتعل قاعدا وقائما، ولعله محمول على بيان الجواز فلا معارضة أو على ما ذكر فى شرح السنة أن النهى محمول على نعل يحتاج فى لبسها إلى إعانة اليد ولا نهى فيما ليس فيه ذلك والله تعالى أعلم.

* * *

الرابعة عشر:

حديث: (اخلعوا نعالكم عند الطعام فإنها سنة جميلة)، رواه الحاكم في المستدرك مرفوعًا، وروى فيه أيضًا والطبرانى فى الأوسط أبو يعلى فى مسنده عن أنس يرفعه: «إذا أكلتم الطعام فاخلعوا انعالكم فانه أروح لأقدامكم وفى لفظ إذا وضع الطعام فاخلعوا نعالكم فأنه أروح لأقدامكم»، وممن رواه الدارمى - عن أنس رضى الله عنه.

وفى حديث أنس رضى الله عنه: «إذا قرب أحدكم إلى طعامه وفى رجله نعلان فلينزع نعليه فإنه أروح للقدمين».

الخامسة عشر:

روى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة برفعه إذا اشتريت نعلاً فاستجـدها وإذا اشتريت ثوبًا فاستجـده، وعن ابن عمر زيادة وإذا اشتريت دابة فاستفرهها وإذا كانت عندك كريمة قوم فأكرمها.

* * *

السادسة عشر:

روى الطبرانى فـى الأوسط والخطيب فى التاريخ عن ابن عـباس رضى الله عنهما حديث: «إذا تسارعتم إلى الخيـر فامشوا حفاة فإن الله يضاعف أجره عن المنتعل».

فائدة:

أفاد الحافظ ابن الجوزى: أن من واظب علـى البداءة باليمين فى لبس النعل والخلع باليسار أمِنَ مِنْ وَجع الطحـال، وأفاد غيره: أن سـورة الممتـحنة إذا كتـبت وسـقى المطحول مـاءها برىء باذن الله تعالى»(1).

وأما الخف فمعـروف وجمعه خفاف ككتاب وجـمع خف البعير أخفاف كقفل وأقفال فقد ثبت فى الصحيح من حديث المغيرة ورواه جمع من الصحابة أنه صلى الله عليه وآله وسلم مسح على خفيه.

---

(1) المطحول المصاب بالطحال نسأل الله العافية اهـ.

وأخرج الترمذى فى الشمائل فى باب ما جاء فى خفّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثين إذ قال: حدثنا هناد ثنا وكيع عن دلهم بن صالح عن حجير بن عبد الله عن ابن بريدة عن أبيه ان النجاشى أهدى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما.

حدثنا قتيبة ثنا ا بن أبى زائدة عن الحسن بن عياش عن أبى إسحاق عن الشعبى قال قال المغيرة بن شعبة أهدى دحية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خفين فلبسهما، وقال إسرائيل عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدرى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أذكاهما أم لا انتهى.

وروى الطبرانى من طريق يحيى بن الضريس عن عنبسة بن سعيد عن الشعبى عن دحية قال: «أهديت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبة صوف وخفين فلبسهما حتى تخرقا ولم يسأل أذكيان هما أم لا»، ورجاله ثقات ما عدا عنبسة بن سعيد فليحرره.

وروى ابن أبى شيبة والحارث بن أبى أسامة والدارقطنى فى الإفراد والإمام أحمد وأبو داود والترمذى، وحسنه وابن سعد وأبو الشيخ عن عبد الله ابن بريدة بن الخصيب، عن أبيه أن النجاشى أهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ومسح عليهما.

ولنذكر بعض ما يتعلق بالحديثين على لفظ الشمائل فنقول قوله إن النجاشى هو بكسر النون على أنه الأفصح كما قاله فى القاموس

وغيره والفتح فصيح وهو الجارى على ألسنة كثير من الناس وياؤه مخففة ومشددة والتخفيف أفصح كما قال صاحب المغرب سماعا من الثقات وهو اختيار الفارابى، وعن صاحب التكملة بالتشديد، وعن الهروى كلتا اللغتان.

وقال العصام النجاشى بالكسر الأنفاذ كأنه سمى به لنفاذ أمره والله أعلم انتهى، وياؤه على التخفيف ليست بالنسب وإنما هى أصلية وتشديد الجيم خطأ كما قاله العينى وغير واحد وهو أصحمة بصاد مهملة والسين تصحيف كما قاله بعض الأئمة، ثم حاء مهملة ثم ميم، ويقال بتقديم الميم على الحاء عند بعضهم ملك الحبشة، ويقال اسمه مكحول بن صيصة آمن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وعدّه جمع من الصحابة وآخرون لم يعُدّوه.

والخلاف مبنى على تعريف الصحابى ومذهب المحققين عدم عَدّه لعدم الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو اللقاء وللمسئلة[1] محل غير هذا، وأسلم سنة سبع بتقديم السين كما قاله مغلطاى، وجماعة منهم وتوفى رحمه الله سنة تسع بتقديم التاء فأخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم بموته يومه وخرج بهم فصلى وصلوا معه عليه.

وقال العينى أصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة ومعناه بالعربية عطية، ثم قال ووقع فى مصنف ابن أبى شيبة عن يزيد صَحْمة بفتح الصاد وسكون الحاء يعنى بحذف الهمزة.

---

(1) فى الأصل للمسئلة والصحيح للمسألة والله أعلم اهـ.

وحكى الاسماعيلى أن فى رواية عبد الصمد أصخمة بإثبات الألف والخاء المعجمة قال وهو غلط، وحكى الكرمانى أن فى بعض النسخ فى رواية محمد بن سنان أصحبة بالباء الموحدة عوض الميم انتهى.

وقال المحب الطبرى فى أحكامه النجاشى بتشديد الياء فى آخره وتخفيفها وقيل الصواب تخفيفها انتهى بمعناه ونحوه لبعض الشيوخ، ووُجد بخط من يوثق به بتخفيف الياء فى نسخه صحيحة جداً من بعض كتب اللغة.

وقال النووى فى مبهماته فى حرف الجيم بعد أن ذكر أن اسمه أصحمة أن البخارى نقل أن اسمه سُليم بضم السين وكذا حكاه غير البخارى، وقيل إن اسمه حازم انتهى.

وقوله أهدى من الإهداء ويتعدى باللام وبالى ومعناه هنا أرسل الهدية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقوله ساذجين بفتح الذال المعجمة وكسرها وجوّز فى معناهما العصام ثلاثة أوجه الأول غير منقوشين الثانى مجردين عن الشعر كما فى نعلين جرداوين وهذان الاحتمالان نقلهما عن غيره والثالث أنه غير ممتزج بلون آخر وهو من عنديته فيما قال.

وتبعه العلامة ابن حجر فى الاحتمالات الثلاث، وقال الحافظ أبو زرعة لم يخالط سوادهما لون آخر، قال وهذه اللفظة تستعمل فى العرف كذلك ولم أجدها فى كتب اللغة بهذا المعنى ولا رأيت المصنفين فى غريب الحديث ذكروها انتهى.

وأنت تعلم أن ما جعله العصام من عندياته هو معنى ما فسر به أبو زرعة وهو متقدم على العصام فلعله لم يقف على كلامه وإلاَّ لم يعزه إلى نفسه والله أعلم.

وقوله فليهمها الفاء للتفريع أو للتعقيب أى فليبهما عقب وصولهما إليه بلا تراخ كما أشار إليه العصام، وتبعه العلامة ابن حجر قائلا وحينئذ فيؤخذ منه أن الأولى للمُهْدَى إليه أن يتصرف فى الهدية عقب وصولها إليه بما أهديت إليه وهو ظاهر إن كان فيه تالف ونحوه وإلا فلا معنى له انتهى.

وتعقب بعض الأئمة تقييده بالتألف قائلا: ينبغى التصرف فى الهدية عقب وصولها إظهار للقبول، وكونها وقعت الموقع وإشارة إلى تواصل المحبة بينه وبين المُهدَى إن ما أهداه إليه له مزية على غيره مما هو عنده وإن كان أعلى وأغلى، ولا ينحصر ذلك فى التالف ونحوه فالأولى فعل ذلك مع من يعتقد صلاحه أو علمه أو بقصد جبر خاطره أو دفع شره أو نفوذ شفاعته عنده فى مهمات الناس وأشباه ذلك انتهى، وبعضه بالمعنى.

ثم قال وأنت تعلم بعد تأمل هذا لسقوط اعتراض ابن حجر بقوله وهو ظاهر إلى آخره والله أعلم انتهى.

وفيه كما قال العلامة ابن حجر تبعًا للعصام قبول الهدية زاد ابن حجر بل يتأكد إذا كان فيه تالف للمهدى انتهى، وقال غيره فى قبولها حتى من أهل الكتاب فإن النجاشى لما أهدى الخفين كان كافراً كما قاله ابن العربى، ونقله عنه الزين العراقى وأقره، قيل:

وقبول هدية الكفار ناسخ لعدم القبول، وفيه كما قال العصام والعلامة ابن حجر وغيرهما عدم اشتراط لفظ فى قبول الهدية بل يكفى البعث والأخذ.

وفيه أن الأصل فى الأشياء المجهولة الطهارة وفيه جواز المسح على الخفين وقد أخرج الشيخان عن جرير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضأ أو مسح على خفيه، وقد علم أن جرير آخر من أسلم من الصحابة رضى الله عنهم.

وعلى الجملة فمسح الخفين وارد ثابتٌ معمولٌ به وهو بإجماع من يعتدُّ به، وما روى عن بعض الأئمة كمالك مما يخالف ذلك فمأوّل.

وقد روى المسح على الخفين ثمانون صحابيا كما قيل وأحاديثه متواترة عند جمعٍ، ومن ثَمَ قال بعض الحنفية: أخشى أن يكون إنكاره أى من أصله كفراً. والله اعلم.

وقوله فى الحديث الثانى: (فلبسهما أى الخفين والجبة) قال العلامة ابن حجر: كذا قيل، وقوله (أذكاهما أم لا)، يشعر برجوعه للخفين فقط، إلا أن يقال أنه للجبة أيضا باعتبار شعرها، وزعم أن الخرق إنما يقع للخف لا للجبة عجيب. انتهى، وبعضه بالمعنى، وكأنه يعّرض بالعصام إذ قال: ومن جعل المرجع للخفين والجبة أبعد كل البعد كما لا يخفى. انتهى.

وقوله (أذكاهما)، قال العلامة ابن حجر: تَذْكيةٌ شرعية وَهذا التركيب نظير أقائمٌ الزيدان أى هل هما من مذبوح أم لا ونفى

الصحابة درايته صلى الله عليه وآله وسلم لتصريحه له بذلك أو لأنه أخذه من قرينته أنه لم يسأل أو غيره وعلى كل حالٍ ففى الحديث دليل واضح على طهارة الأشياء المجهولة الأصل ولو نحو شعر شك هل ذبح أصله أم لا وهو معتمد مذهبنا خلافًا لمن أطال فى رده بما رددته عليه فى شرح العباب، وزعم أن فيه دليلاً واضحًا على طهارة المدبوغ يحتاج إلى ثبوت أنهما كانا مدبوغين وليس فى الحديث ما يدل على ذلك انتهى كلامه رحمه الله، وهذا الأخير تلقفه من يد العصام، وقال الحافظ العراقى: فيه استعمال الثياب الخلقة والخف العتيق من يد العصام، وقال الحافظ العراقى: فيه استعمال الثياب الخلقة والخف العتيق جداً وإن ذلك من التواضع فإن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يلبس الخفين حتى تخرقا.

وقد ورد فى حديث عند الترمذى: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة رضى الله عنها: لا تستخلقى ثوبًا حتى ترقعيه انتهى.

وأخرج الطبرانى فى الكبير بسند جيد وصححه بعضهم وهو الحافظ الدميرى[1] فى حياة الحيوان إذا قال لما نقل الحديث فى باب الحاء عند ذكر الحية ما نصه وفى إسناده هشام بن عمرو ذكره ابن حبان فى الثقات وهو حديث صحيح إن شاء الله تعالى.

---

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين ٧٤٢ه ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٤١ ـ ١٤٠٥م؛ باحث أديب، من فقهاء الشافعية، من أهل دميرة بمصر ـ معجم الأعلام ـ ص ٨٠٢.

وعن أبي أمـامة قال دعـا رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم بخفيه ليلبسهما فلبس أحـدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حـية فقال: «من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر فلا يلبس خفيه حـتى ينفضهما» انتهى، وهذا من عـلامات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم.

* * *

ما جاء فى نفض الخفين قبل لبسهما

أخرج فى الأوسط عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الحاجة أبعد فى المشى، فانطلق ذات يوم لحاجته ثم توضأ ولبس أحد خفيه فجاء طائر أخضر فأخذ الخف الآخر فارتفع به ثم ألقاه، فخرج منه أسود سَالِخ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه كرامة أكرمنى الله بها اللهم إنى أعوذ بك من شر من يمشى على بطنه ومن شر من يمشى على رجلين ومن شر من يمشى على أربع» انتهى.

وقد رواه البيهقى فى كتاب الدعوات الكبير من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الحاجة أبعد فذهب يومًا فقعد تحت شجرة فنزع خفيه قال: ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلَّق به فى السماء فانسلَّت منه أسود سالخُ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه كرامة أكرمنى الله تعالى بها، اللهم إنى أعوذ بك من شر من يمشى على رجلين ومن شر من يمشى على أربع ومن شر من يمشى على بطنه» انتهى، ولذلك قال الإمام الغزالى رضى الله عنه فى الإحياء يستحب لكل من أراد لبس الخفين فى حضر أو سفر أن يكشف الخف وينفض ما فيه حَذَرًا من حَيَّةٍ أو عقرب، أو شوكة، واستدل بحديث أبى أمامة المذكور.

فائدة:

ذكر بعض أهل السير أنه كان له صلى الله عليه وآله وسلم عدة خفاف منها أربعة أزواج أصابها من خيبر صلى الله عليه وآله وسلم، وفي كتاب النور والزاهر الساطع في سيرة ذي البرهان القاطع لابن فهد المكي الهاشمي[1] رحمه الله ما نصه وكان له صلوات الله عليه وسلامه نعلان وثمانية أزواج خفاف انتهى.

واعلم أن الأحاديث المتعلقة بالنعال في الصحيح وكتب الحديث كثيرة وقد رأينا في الاقتصار على ما ذكرناه منها بقصد التبرك كفاية وشرحناه على مذهب أهل الرواية والدراية من غير تقييد بمذهبنا المالكي على عادة الأئمة في مثل ذلك والله سبحانه ولي الهداية والرشد إلى أقوم طريق تهدي إلى التوفيق.

* * *

---

(1) عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد القرشي الهاشمي المكي، نجم الدين ٨١٢ـ ٨٨٥هـ/ ١٤٠٩ ـ ١٤٨٠م: مؤرخ، من بيت علم ـ معجم الأعلام ـ ص ٥٥٣.

الباب الثانى

فى صفات المثال العظيم البركات والمنافع

الحاكى لنعال أفضل مشفع وأكرم شافع

وما يدل على هيئته من الكلام لبعض أئمة الإسلام

الخادمين سُنَّة من تشرف به عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام

اعلم أرشدنى الله وإياك إلى سـواء السبيل، وأوردنا مع الرعيل الأول مناهل الرحيق والسلسبيل أن جماعة من أئمة المغاربة المقتدى بهم تعرضـوا للمثـال الظاهر وحسنه البـاهر وأقروا بمشـاهدته عين الناظر منهم الإمام أبو بكر بن العـربى والحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى والكاتب الحافظ أبو عـبد الله بن الأبار والرحالة أبو عـبد الله بن رشيد الفـهرى والرواية أبو عبد الله محـمد بن جابر الوادى آشى وخطيب الخطباء أبو عبد الله بن مرزوق التلمسانى وابن البراء التونسى والشيخ الولى الصالح الشهير أبو إسحاق ابراهيم بن الحاج السلمى الأندلسى المزنى وعنه أخـذ ابن عساكـر المثال وغـير هؤلاء ممن يطول تعدادهم كأبى الحكم مـالك بن الرجل وابن أبى الخصال وابن عبـد الملك المراكشى وهم القدوة ولـنا بهم الأسوة، ومن أهل المشرق جماعة كالحافظ ابن عسـاكر وتلميذه البدر الفارقى والحافظ العـراقى وابنه والسراج البلقـينى والشيـخ يوسف التتـائى - المالكى والحافظان السخـاوى والسيوطى وغيرهم وقد أشـار له بعضهم من

المتأخرين القسطلانى فى المواهب اللدنية غير أنه لم يسطره كما يأتى والمغاربة أكثر اعتناء به من أهل المشرق، فإن قلت، هذه دعوى فهل من دليل.

قلت: نعم الدليل أن الذين تعرضوا للمثال من علماء المغرب أكثر من الذين تعرض له من أهل المشرق فيما علمت وهذا ابن عساكر الذى هو المعتمد عند أهل المشرق فى هذا الأمر لم يأخذه إلا عن ابن الحاج المغربى كما ستقف عليه وكل من بعد ابن عساكر عيال عليه فى ذلك.

فان قلت فهل لذلك من سبب؟ قلت: السبب والله أعلم أن أهل المشرق كانت النعل النبوية بعينها موجودة بين أظهرهم عند بنى أبى الحديد ثم فى المدرسة الأشرفية بالشام على ما يقع الإلمام به إن شاء الله تعالى.

وأما المغاربة فلم يمكنهم إلا المثال ومن ارتحل منهم إلى المشرق ورأى النعل النبوية كابن رشيد مثّل عليها وهذا بحسب الغالب وإلا فأهل المشرق مثّل جماعة منهم أيضا، وقد كان كثير من العلماء بالمشرق يتبركون بمشاهدة النعل النبوية عند بنى أبى الحديد ثم بالمدرسة الأشرفية عندما جعلت فيها.

وقد رأيت فى تاريخ دمشق فى التعريف بأبى الحسن بن أبى الحديد ما نصه أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم بن الحسن بن عبد الله بن أبى الحسن أحمد بن أبى الفضل عبد الواحد ابن أبى بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن

سليمان المعروف بابن أبى الحديد السلمى الخطيب هكذا قرأت نسبه فى معجم صاحبنا أبى القاسم الدمشقى الحافظ من أهل دمشق شيخ صالح سليم الجانب سديد السيرة من بيت الحديث والخطابة جده الأعلى أبو الحسن بن أبى الحديد من مشهورى المحدثين حدثنا عنه مشائخنا.

وأبو الحسين هذا سمع جده أبا عبد الله الحسن سمعت عنه بدمشق أجزاء ودخلت داره المليحة وقرأت عليه: ورأيت نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم معه. وكانت ولادته فى جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربع مائة بدمشق، ووفاته بها أول نهار يوم السبت مستهل جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وخمس مائة - ودفن فى مقابر باب الصغير انتهى.

وسيأتى فى الخاتمة إن شاء الله تعالى مزيد بيان لهذا المعنى الذى به المعنى وقد بلغنى عن بعض الأعمار ممن هو كمثل الحمار أنه أنكر تصويرى الأمثلة ذات الظلال الوريفة قائلا كيف تنهون عن الصور وأنتم تفعلونها.

فقلت لمن بلغنى عنه ذلك قل له وأنتم لم تتكلمون على غير وجه السؤال فى الأمور التى تجهلونها إذ ليس هذا من تلك الصور لا فى ورد ولا صدر، وأخبرنى الحاكى أن هذا المعترض ليس من أهل الإنصاف المتجملين بأحسن الأوصاف بل هو ممن طبع الله بإنكار الحق على قلبه فكفانى ذلك المجازات معه فى إظهار الحق وإيراد وجهه وجلبه ونعوذ بالله من محو الإنصاف وسيله وليت

شعرى ما جواب هذا الحاسد الغمر القاطع فى فرى أعراض الناس جملة من العمر عن قول الحافظ العراقى فى ألفيته التى ألفها فى السير مشير إلى ما اختاره فى مثال نعل خير البشر بعدما حددها بالطول والعرض وقام من ذلك بالفرض وأحسن فيه الفرض:

وهذِهِ تِمثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ   وَدَوْرُهَا أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلِ

ثم مثلها بعد هذا البيت فلَيت المعترض أمسك عمّا فاه به فانه كلام يخشى عليه منه تجاوز الله بالتوبة عنى وعنه.

فإن قيل: إن كان ما ذكرتموه صحيحا فلأى شيء ترك صاحب المواهب اللدنية التمثيل مع أن له فى العلم القدر الأثير الأثيل قلت لم يترك ذلك لنهيٍ عنه بل لصعوبة تحريره على الوجه الذى ينبغى منه حسبما صرح بذلك فراجع كلامه يظهر لك ما هنالك، وإلا فقد ذكر أنه قد ألف فى المثال جماعة من الأعلام وأورد له خواص ومنافع مجربة وجملة من النظام، عن أكابر الأئمة العظام، ومن جملة من حكى عنه من الأكابر ابن الحاج وابن عساكر، وقد عرفت أنهما مثلا ولم ينكر هؤلاء غيره ما فعلا، وقد رأيت نسخة من كتاب ابن عساكر فى المثال عليها خط الحافظ السخاوى وجماعة ممن رووها ومنهم مجدد التاسعة ومقرب الفوائد الشاسعة الجلال السيوطى وذكر الراوى أنه كان القارى للكتاب المذكور وفيه مثال النعل تقبل الله منهم سعيهم المشكور، ورأيت أيضا تأليف السراج البلقينى بخطه وفيه المثال، وتسمية مثل هؤلاء تطيل المقال، فإن قيل اذا صعب تحرير المثال على الإمام القسطلانى وهو المعتمد، فمن ابن

سهل عليكم بلوغ هذه الغاية أو الأمد، وهل مثلكم إلا قطرة من سحائبه، وممن هو فى طبقة شيوخكم وشيوخهم عيال على مواهبه.

قلت أما ما ذكرت من قصور مثلى عن شأوِ هذا الإمام وأنى قطرة من ذلك الغمام فأمر صحيح لا ينكر ولا يجحد، غير أنى إنما قابلته بالأئمة الذين فضلهم بيِّن، وكل منهم علامة أوحد، كابن عساكر وابن الحاج وابن المرجل، والعراقى الحافظ الزين، وسراج بلقين، والسخاوى المحقق، والسيوطى الحافظ وغيرهم ممن يعجز عن وصفهم اللافظ، وسترى منهم عدةً وافرة فيما نسرد من الكلام الذى نورده بنقول على ما قلناه متظافرة فى هذا الباب وفيما بعده، وليس لأحدٍ أن يتعقبه أو يرده وإنما العبد حاكٍ عن هؤلاء السادة، ومن ذا يُزَيِّف قولهم أو يدعى فساده، وهذا القسطلانى قد حكى عن جماعة منهم واستفاد عنهم فراجع أيها المعترض كلامه، والبس من الإنصاف أوقى لامه، وتقدم فى ميدان الوغى ترتفع عنك الملامة، وإلا فتأخر للساقة - او اقعد فى بيتك منشدا - ولا مثالك مرشدا، كما قيل

خَلَقَ اللهَ للحرُوبِ رِجَالاً ... وَرِجالاً لِقَصْعَةٍ وثَرِيدِ
استغفُر اللهَ وأعُوذُ ... بِهِ مِن كلِّ شيطانٍ مَرِيد

ولنشرع فيما أردته سائلا من الله العون على ما قصدته، والقبول لكل ما أوردته، فنقول مستمداً من واهب العقول، إنى ذاكر هنا مثالين عليهما المعول، ثم أعززهما بأربعة لاَ تقوى قوى الثانى ولا

الأول منشدا من انكر ما يتعدد من الأمثلة ويتنوع:

أعِدْ ذكر نُعْمان لنا إن ذكْرَهُ هُو الطّيبُ - مَا كرَّرته يتَضَوَّعُ

ومذكرًا بقول الآخر كل من هو لبيب:

أيا ساكنى أكنَاف دِجله كلكم

إلى القلب من أجل الحبيبِ حَبيبُ

ولا خفاء أن المثال تصدر بإضافته إلى ذى المصدر، وخص لذلك برفعة الشأن والقدر، فعَلا على البدر، وذكرتنا منه الحُلِى - قدم النبوة والرسالة والعلَى.

يا مَنْ يذكّرنى حديثَ أحِبّتى

طَابَ الزّمانُ بذِكرهم ويَطيبُ

أعِد الحديثَ علّى مِنْ جنَباته

إنَّ الحديثَ عَنِ الحبيبِ حَبيبُ

ولقد حدثنى عمى الإمام - سقى الله مثواه صواب الغمام - فيما يناسب هذا المقام - إن الشيخ الولى الربانى سيدى إبراهيم التارى رضى الله عنه طلب منه سلطان تلمسانى فى وقته إنشاء أبيات تكتب فى ربعة المصحف الشريف. فانشأ فى ذلك قصيدة لم يعلق بحفظ منها الآن غير هذين البيتين:

هُوَ السّعدكَمْ مِنْ مقام رَفَعْ

فقاتِل بسعدِ والأَ فَدَعْ

أضِيف إلى المصحَف اسمىَ وَمَنْ

إلى ذِى ارتفاع أضيفَ ارتفَعْ

والبيت الثانى أردت وتذكرت هنا قول بعض أهل الأندلس العظام وهو من حر الكلام ودر النظام:

مَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ عَلَى رأسِهِ عَمامةٌ يَحْظَى بِسِتِ الوَقَارِ
مَـا قِيمةُ المرءِ بأثـوابه السرُّ فى السُّكانِ لا فى الديار

وما المثال المكرم إلا وسيلة للقدم التى خُصَّ صَاحُبـها بأكمل الأوصاف من الله تعالى:

وَمَا حُبَ النِّعال أمَالَ قلْبى وَلكنْ حُبُّ مَنْ لبسَ النَعَالاَ

فأكرم بها من نعال - زكت بأطيب الفعال - وشرفت - بالمختار وسمت واتسمت من الفضائل بما اتسمت - وحاكاها المثال بمحاسنه التى ارتسمت - ووسمته من الشيات بما وسمت - فأنشدت بلسان الحال - مخاطبة ذلك المثال حاكاك بدر الدجى - لم يدر منجك - شتَانِ ما بين مَن يحكى وَمَنَ حَاكَا.

ولو لم يحصل للمثالَ المعظم من الشرف، إلا محاكاة نعْلِ مَنْ ليس لمجدِهِ حُدَ ولا طرَفُ، سيد ولد آدم، عمدة من تأخر وتقادم - صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم فكان ما حصل له من ذلك كافيًا - وبالمنى وافيًا - فكيف وقد غدا للأوصاب شافيا - وللأسقام نافيا - فخواصه ظاهرة - ومنافعه باهرة - وفضله بيِّن ووضعه فوق المحاجر متعين -

ويرحم الله الشيخ العلامة الصالح الناصح الشيخ أبا حفص عمر - الفاكهانى الاسكندرى المالكى[1] إذ قال حين أبصر المثال الذى جر

---

(١) عمر بن على بن سالم بن صدقة اللخمى الإسكندرى، تاج الدين الفاكهانى ٦٥٤هـ - ٧٣٤ هـ/ ١٢٥٦ - ١٣٣٤م: عالم بالنحو، من أهل الإسكندرية - معجم الأعلام - ص ٥٥١.

على المجرة ذيلا - متمثلا بقول مجنون ليلى :

وَلَوْ قِيلَ لِلمَجنونِ لَيْلَى وَوَصْلَهَا
تريدُ أم الدنْيا وَمَا فِيَ زوَايَاهَا

لَقَال غُبَارٌ مِنْ تُرابِ نِعَالِهَا
أحَبُّ إلى نَفْسِي وَأشْفَى لِبَلْوَاهَا

ولقد صدق رحمه الله فيما تمثل - في هذا المجد المؤثل.

* * *

وهو معتمد بن العربى - وابن عساكر - وابن مرزوق - والفارقى - والبلقينى - والسيوطى - والسخاوى - والمناوى - وابن فهد - وغير واحد من الشيوخ حدث به الشيخ أبو الفضل بن البراء التونسى عن شيخه ابن الحية عن الفقيه أبى زيد عبد الرحمن بن العربى عن والده الحافظ الشهير القاضى أبى بكر بن العربى الاشبيلى الأندلسى المغافرى دفين فاس المحروسة وشيخ عياض وغيره من الأعلام قال حدثنا الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم مكى بن عبد السلام بن الحسن بن الرميلى لفظا قال حدثنا أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد ابن نصر بن إسحاق البخارى الحافظ بمصر لفظًا قال: قال لى محمد ابن الحسين الفارسى حذيت هذه النعل على مقدار نعل كانت عند محمد بن جعفر التميمى وذكر أنها حذيت على نعل كانت لأبى سعيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بمكة قال حدثنا أبو محمد إبراهيم بن سهل الشيبى، قال حدثنا أبو يحيى بن أبى مَسَّرة - قال حدثنا ابن أبى أويس إسماعيل بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عبد الله بن أبى أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى قال: كان نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى حذيت هذه النعل مثالها عند إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة المخزومى. قال إسماعيل بن أبى أويس: فأمر أبى حذاء فحذاًها

على مثال نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولها قبالان فى موضع النقطتين. قال إسماعيل: وإنما صارت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى إسماعيل بن إبراهيم فيما بلغنا عمن نثق به من أجل أنها كانت عند عائشة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صارت من قبل عائشة إلى أختها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت أم كلثوم تحت طلحة بن عبيد الله فلما قتل يوم الجمل خلفه على أم كلثوم عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى ربيعة المخزومى وهو جد إسماعيل الذى كانت عنده النعل، فمن قبل ذلك صارت إليه نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. هكذا رأيت بخط ابن فهد المكى أن الذى خلف طلحة على أم كلثوم هو عبد الله بن عبد الرحمن والذى فى نسخة ابن عساكر التى قرأها السيوطى وكتب عليها خط السخاوى - والديمى - وغير واحد أنه عبد الرحمن لا ابنه عبد الله والله أعلم.

ثم وقفت بعد هذه بمدة على خط السراج البلقينى وفيه: أن الذى خلف طلحة على أم كلثوم هو عبد الله بن عبد الرحمن فتعين بذلك ترجيح ما قاله ابن فهد ثم عثرت على عدة نسخ من خزائن ابن عساكر مقروءة مصححة فيها أنه عبد الله بن عبد الرحمن فتعين أنه الصواب وأن غيره سهو والله أعلم.

وحدث الإمام الحافظ ابن عساكر فى تآليفه بما يتصل بهذا السند عن الإمام الحافظ الصالح أبى إسحاق إبراهيم بن الحاج المغربى الأندلسى رحمه الله بما نصه وحدثنا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم

المرى - من لفظه بحرم الله رحمه الله قال حدثنى أبو القاسم القاسم
ابن محمد قراءة منى عليه غير مرة وحذوت هذا المثال على مقدار
نعل حذاه لى بيده على مقدار نعل كانت عنده، وناولنيها قال
أخبرنا أبو جعفر أحمد بن على الأوسى قراءة منى عليه غير مرة
وحذوت هذه النعل على مقدار نعل كانت عنده وناولنيها قال أنبأنا
أبو القاسم خلف بن بشكوال قراءة عليه وحذوت هذا المثال على
مثال نعل كانت عنده ومنها نقلت هذا وناولنيها قال أنبأنا الإمام أبو
بكر بن العربى وحذوته على صفة نعل كانت عنده حدثنا الحافظ
أبو القاسم مكى بن عبد السلام بن الحسن الرميلى لفظا وحذوت
على مقدار نعل كانت عنده أنبأنا الشيخ أبو زكريا عبد الرحيم بن
أحمد بن نصر بن إسحاق البخارى الحافظ بمصر وحذوت على
مثاله قال قال لى محمد بن الحسين الفارسى حذوت هذه النعل
على مقدار نعل كانت عند محمد بن جعفر التميمى وذكر أنه حذا
على نعل كانت عند أبى سعيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
بمكة شرفها الله أنبأنا أبو محمد ابراهيم بن سهل حدثنا أبو يحيى
ابن أبى مسرة أنبأنا ابن أويس إسماعيل بن عبد الله عن أبيه أبى
أويس عبد الله بن عبد الله بن أبى أويس بن مالك بن أبى عامر
الأصبحى قال: كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
التى حذيت هذه النعل عليها عند إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن أبى ربيعة المخزومى، قال إسماعيل بن أبى
أويس: فأمر أبى أبو أويس حذاءً فحذا على مثال نعل رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ولها قبالان في موضع النقطتين، ثم حكى ابن عساكر ما قدّمناه من قول إسماعيل: وإنما صارت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخره.

وأخرج الحافظ ابن عساكر عن أبى إسحاق بن الحاج الأندلسى السابق فقال: حدَّثنا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السلمى من لفظه رحمه الله ونقلت من أصله أو من فرع عورض بأصله بخطه أو مثاله قال: أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عبد الله السبتى وغيره بقراءتى عليه عن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبى ونقلته من فرع وتمثال نقل من أصل التجيبى وتمثاله قال: أخرج إلينا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد تمثالا بالاسكندرية قال: أخرج إلى الشيخ الأمين أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد - الأكفانى بدمشق تمثالا وقال: أخرج إلىّ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتانى تمثالاً وقال: أخرج إلىّ أبو طالب عبد الله بن الحسن بن أحمد العنبرى وذكر أن أبا بكر محمد بن عدى بن على بن زحر المنقرى أخرج إليه تمثالاً، وذكر أن أبا عثمان سعيد بن الحسن التسترى أخرج اليه تمثالاً فذكر أنه تمثال لنعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن محمد بن أحمد الفزارى أخرج إليه ذلك بأصبهان وحدثه به قال محمد بن عدى المنقرى: حدثنا سعيد بن الحسن التسترى بتستر حدثنا: أحمد بن محمد الفزارى قال: قال أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين قال أبو عبد الله إسماعيل بن أبى أويس واسم أبى أويس عبد الله بن عبد

الله بن أبى أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى ثم القرشى ثم التيمى ابن أخت مالك بن أنس الإمام كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى حذيت هذه النعل على مثالها عند إسماعيل يعنى ابن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة المخزومى قال إسماعيل فامر أبى أبو أويس الحذّاء فحذا مثال هذه النعل بحضرته على مثال نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلها سواء ولها قبالان انتهى.

وقوله: ابن أخت مالك هو وصف لإسماعيل فاعلمه وأما قوله القرشى ثم التيمى يعنى بالولاء كما صرح به غير واحد ولا الحلف.

وقال ابن البراء بسنده السابق إلى ابن العربى قال ابن العربى: قد أخبرنا القاضى أبو المطهر أنبأنا أبو نعيم الحافظ أنبأنا ابن أبى جلدة أنبأنا الحارث بن أبى أسامة ثنا سهل ثنا ابن عون قال أتيت حذّاءً بالمدينة فقلت احذُ نعلى فقال لى: إن شئت حذوتها هكذا وإن شئت حذوتها كما رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: وأين رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: رأيتها فى بيت فاطمة بنت عبد الله بن العباس فقلت: احذها كما رأيت نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: فحذاها لها قبالان قال: فقدمت وقد اتخذها محمد يعنى ابن سيرين.

وقال ابن البراء أيضا: قال ابن العربى أنبأنا أبو القاسم مكى بن عبد السلام بالمسجد الأقصى أنبأنا أبو زكريا البخارى عن محمد بن

الحسين الفارسى عن محمد بن جعفر التميمى عن أبى سعيد عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله أنبأنا أبو محمد إبراهيم بن سهل السبتى حدثنا أبو يحيى ابن أبى مسرة - عن ابن أبى أويس إسماعيل بن عبد الله عن ابيه عن مالك بن أنس عن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة المخزومى بمقدار نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفتها صارت إليه من قبل جده عبد الرحمن وصارت الى عبد الرحمن من قبل أم كلثوم أخت عائشة كان خلف عليها طلحة بن عبيد الله، قال ابن العربى: هذا غريب من حديث مالك لم أروه إلا من هذا الوجه. انتهى.

وقد تقدم أن الذى خلف عليها هو عبد الله بن عبد الرحمن، وفى هذه رواية عبد الرحمن فلعله سهو كما قدمناه والله أعلم ولأجل اعتماد هؤلاء الأئمة على هذا المثال قدمته على غيره، ولم يحددوه بطولٍ ولا عرض اعتماداً منهم على المشاهدة والمناولة لأن كل واحد يناول المثال لمجاره فيحتذى عليه فلذلك لم يقع تغيير فيه عند الثقات لأنه من أمين لأمينَ وأصل الجميع مأخوذٌ من نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما سبق فهو برواية العدل عن العدل.

فإن قلت إذا لم يؤخذ بالمشاهدة كان معرّضا للاختلاف لكونه غير محدود بطول ولا عرض فمن أين جزمتم بأن هذه الصفة موافقة لما فى هذه الأسانيد وما المانع من أن تكون غيرها مما غيَّره الناقل غير المأمون أو غير العارف بالوضع وإذا لاح الاحتمال سقط الاستدلال.

قلت: لا نسلّم عدم المشاهدة بل هو مأخوذ بالمشاهدة والمناولة كما تقدم لاعتمادنا فيه على الثقات الأثبات لأننا نقلناه على هذه الصفة المشاهدة من خط من يوثق به من العلماء الذين صحت لنا الرواية عنهم بطريقها المعتبر كما تقدم.

فمثلنا على المثال الذى عليه خطوطهم المعروفة وإجازتهم لمن قرأها عليهم وحيث كان الأمر كذلك لم يبق احتمال وقد تأدى إلينا ذلك والحمد لله من غير ما وجه عن الشيوخ الجُلة ومن جملتهم الحافظان: الديمى والسخاوى فإنا رأينا خطهما على مثال ابن عساكر فى نسخة من جزء معتمدة قرأها جماعة من الأكابر وقرئت عليهم ولنذكر ذلك تتميما للقصد ورداً للُجحد.

فنقول: رأيت بخط السخاوى على جزء ابن عساكر فى المثال ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم يقول محمد بن عبد الرحمن السخاوى: أخبرنى جماعة منهم أبو العباس أحمد بن الشرف الأزهرى بقراءتى قال أنبأنا الجمال أبو المعالى عبد الله بن عمر بن على الحلاوى الأزهرى انتهى.

وتقييد عقبه بخط كاتب الأصل رواية شيخ الحلاوى وهو البدر الفارقى عن أبى اليمن ابن عساكر بجميع ما فيه.

قلت أما اتصال سندى بالفارقى فقد تقدم فى الباب الأول من طريق الخطيب بن مرزوق إذ روى كما فى رحلته جزو المثال عن الفارقى عن مؤلفه ابن عساكر رحمه الله تعالى.

وأما السخاوى فأخبرنى العم الشيخ سعيد المقرى عن المفتى أبى

الحسين على بن هارون عن الإمام الشهير أبى عبد الله محمد بن غازى عن الحافظ السخاوى إجازة ورأيت - آخر هذا التأليف الذى عليه خط الحافظين السخاوى والديمى[1] رحمهما الله تعالى بخط ناسخه ما صورته ثم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده العبد الضعيف فتح الله بن عبد الرحيم بن أبى بكر بن أحمد بن حسن المنفلوطى المعروف بابن الفرجوطى الحنفى عامله الله بلطفه الخفى الجفى وغفر ذنوبه وستر عيوبه فى الدنيا والآخرة ووالديه وجميع المسلمين حامداً ومصليًا ومسلّمًا ومحسبلاً ومحوقلاً بتاريخ يوم الخميس آخر النهار رابع شهر الله الأصم الأصب رجب من شهور سنة إحدى وتسعين وثمان مائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام وعلى آله وصحبه البررة الفخام وتابعيهم بإحسان إلى يوم الزحام ودار السلام. انتهى.

وتقييد عقبه بخط الحافظ السخاوى ما صورته: الحمد الله على نواله قرأ على صاحبه وكاتبه الشيخ الفاضل المجد المحصل المفيد زين الدين أبو الفتح فتح الله المذكور أعلاه نفعه الله ونفع به بسندى فيه أوله فسمعه الشيخ الفاضل البارع الأوحد مفيد الطالبين بركة المستفيدين صلاح الدين محمد ابن سيدنا وحبيبنا العالم شيخ المحدثين مفتى المسلمين بركة الطالبين الفخرى أبو عمر وعثمان

---

(1) عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر، أبو عمرو، فخر الدين الديمى ٨٢١هـ - ٩٠٨هـ/١٤١٨ - ١٥٠٢م: من حفاظ الحديث، مصرى، ولد فى (طنبا) من أعمال سخا، ونشأ فى (ديمة) قرب (طنبا) - معجم الأعلام - ص ٤٨٧.

الديمى الشافعى والشيخ المفتى - الناظم الناثر محى الدين عبد القادر القرشى وذلك فى يوم السبت سادس شهر رجب المذكور بمنزلى وأجزت لهم روايته وسائر مروياتى ومؤلفاتى قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمن السخاوى ختم الله له بخير وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرًا انتهى.

وتقييد بعده بخط المجاز ناسخ الأصل ما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا، أما بعد فقد قرأ العبد الضعيف فتح الله بن عبد الرحيم بن أبى بكر بن أحمد بن حسن المنفلوطى المعروف بابن الفرجوطى الحنفى عامله الله بلطفه الخفى الحفى وغفر ذنوبه وستر عيوبه فى الدنيا والآخرة وجميع المسلمين آمين على سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة حافظ العصر أبو عمرو عثمان الديمى الشافعى عامله الله بلطفه والمسلمين آمين جميع تمثال نعل النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم جمع الإمام الأصيل المسند المفيد أمين الدين أبى اليمن عبد الصمد بن أبى الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن عساكر رحمه الله تعالى عودًا على بدء.

قال أنبأنا جماعة من المشائخ، منهم الشيخ المسند الرئيس شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب الأطفيحى قال أنبأنا به الشيخ الزاهد أبو المعالى عبد الله بن عمر بن على السعودى.

قال: أنبأنا به البدر أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أحمد بن

خالد بن محمد بن أبى بكر الفارقى عن مؤلفه أبى اليمن بن عساكر رحمه الله قراءة عليه فذكره وأجاز لى الشيخ المذكور أن أروى عنه جميع الكتاب المذكور وجميع ما تجوز له وعنه روايته بشرطه، وسمعه جميعه عوداً على بدء الشيخ الفاضل البارع الأوحد مفيد الطالبين، بركة المستفيدين صلاح الدين محمد بن سيدنا الشيخ الإمام العالم العامل الكامل العلامة شيخ المحدثين مفيد ـ المسلمين، بركة الطالبين الفخرى أبى عمرو عثمان الدِّيمى الشافعى أطال الله بقاءه، ونفع المسلمين به، وببركاته فى الدنيا والآخرة آمين مرةً بقراءتى على والده ومرةً على الشيخ الإمام العالم العامل العلامة مفيد الطالبين، بقية المحققين شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى الشافعى أطال الله تعالى بقاءه ونفع المسلمين به وببركاته فى الدنيا والآخرة آمين.

وسمعه أيضا بقراءتى على الشيخ الأول الشيخ نور الدين على بن ناصر الدمياطى والشيخ شمس الدين محمد بن عيسى الشوربرى ـ والشيخ عبد الرحمن بن محمد البدهلى من عمل البهنسا والشيخ عبد الله المحلى والشيخ محمد بن أحمد بن الطنبغا الحنفى المظفرى والشيخ جمال الدين البجيرى المدينى وولداه جميل ومحمد والشيخ نور الدين بن عبد الخالق التتأى والشيخ أبو بكر بن على بن محمد الأنبارى والشيخ أحمد بن صلاح الدين الشبيلى والشيخ محمد بن عمر بن محمد البلالى والشيخ فياض ابن أحمد السملاوى والشيخ إبراهيم بن إبراهيم البجيرى السقطى المالكى وأجاز الشيخ الذكور

لى ولجميع الجماعة الحاضرين المذكورين أن يروىَ عنه جميع الكتاب وجميع ما يجوز له وعنه روايته لافظا بذلك بسؤالى له غير مرة فتاريخ القراءة الأولى التى سمعها الجماعة المذكورون يوم الجمعة بجامع الأزهر المعمور بذكر الله تعالى برواق الريافة بين صلاتى العشاء خامس شهر الله الأصم الأصب رجب سنة إحدى وتسعين وثمان مائة والثانية فى يوم الأحد ثامن شهر ذى القعدة الحرام من عام تاريخه أعلاه أحسن الله تقضيه بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى.

وقد أضاف لفظ الشهر لما تجوز إضافته إليه عند الحذاق كما عُلِم وما أحسن قول بعض شيوخ شيخنا فى ذلك:

ولا تضيف لفظ شهر لاسم   إلا ربيعين وشهر الصوم

ولنرجع فنقول وبعده بخط الحافظ الديمى ما مثاله الحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين صحيح ذلك نفعهم الله بالعلم ونفع بهم وكتبه عثمان بن محمد الدِّيمى الشافعى عفا الله تعالى عنهما انتهى.

وثبت بخط المجاز كاتب الأصل على ظهر أول ورقة منه ما صورته الحمد لله رب العالمين وجد على ظهر الأصل المنقول منه ما مثاله قرأت جميع هذا الجزء وهو تمثال النعل الشريف على المسندة الأصيلة هاجر وتدعى عزيزة ابنة الشرف محمد بن محمد بن أبى

بكر القمدسى بسندها أسفله فسمعه أولادى محمد محب الدين أبو البركات وفاطمة أم الحسن حسنا وزينب أم كلثوم ليلى ومريم أم هانىء سلمى وهى حاضرة فى الأولى وأمهم خديجة بنت ناصر الدين محمد الزفتاوى وأختاى لأمى آمنه وعائشة، وابنها محمد بركات بن أحمد الزفتاوى حضوراً تاماً وزوجة والدى حنيفة بنت أحمد الخمصانى وفتاة جوهرة الحبشية وزوجة أخى أحمد خديجة بنت محمد الرقيق وأولادها محمد وأحمد أبو السعود وأبو الفضل عمر حضوراً تاما وفاطمة بنت أحمد الصعيدية وفتاة كاتبه جوهرة وكان إسمها لقاء المحبوب ولطف الله وأجازت المسمعة بسؤالى وناولتهم التمثال الشريف، وصح ذلك وثبت فى ربيع الثانى سنة ثلاث وسبعين وثمان مائة بالمقسم من القاهرة قاله وكتبه عبد القادر ابن عمر بن حسين الزفتاوى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى.

وتقييد أسفل هذا ما مثاله ووجد أيضًا على ظاهر الأصل المنقول عنه ما مثاله الحمد لله سمع جميع هذا الجزء وهو تمثال النعل الشريف لأبى اليمن ابن عساكر على الشيخين الأصيلين المسندَين الحبر المبارك شمس الدين أبى عبد الله محمد بن عمر بن حصين المنتوتى - الوفائى والمكثرة أم الفضل هاجر وتدعى عزيرة بنت الشرف محمد بن محمد المقدسى لطف الله بهما بسماعهما له على أبى العباس أحمد بن حسن بن محمد السويداوى زادت فقالت: والجمال عبد الله بن عمر بن على الحلاوى قالا: أنبأنا به البدر

الفارقى انبأنا أبو اليمن بن عساكر فذكره بقراءة العالم جلال الدين عبد الرحمن ابن العلامة كمال الدين أبى بكر بن محمد السيوطى والشيخ مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم القلعى - وولده أبو النور محمد أمين الدين والفاضل محى الدين عبد القادر بن عمر بن حسين الزفتاوى وولده محمد محب الدين وعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى المكى الشافعى والخط له وأبو العباس أحمد تقى الدين ابن القاضى محمد محب الدين بن أحمد الخناق الحنبلى القرشى، وهو حاضر فى الثانية وفتاة نافع الزنجى وصح وثبت فى يوم الاربعاء سادس جمادى الأولى عام سبعين وثمان مائة بالصالحية النجمية بإيوان الحنفية بالقاهرة المعزية وأجازا لنا ما تجوز لهما روايته قال ذلك وكتبه عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى المكى الشافعى لطف الله به آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً. انتهى.

ومن روى تأليف ابن عساكر عن الشيخ عبد العزيز بن فهد وغيره ابنه الشيخ محمد المدعو جار الله رحمه الله وقال: أخبرنا المشايخ الأربعة منهم الحفاظ الثلاثة سيدى والدى العلامة الرحلة شيخ المحدثين أبو فارس عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمى المكى وشيخ السنة المؤرخ العمدة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى نزيل الحرمين الشريفين، والإمام المتقن الحجة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى و العلامة المعمر خاتمة المحققين المسندين وشيخ المقربين

شرف الدين أبو الفضائل عبد الحق بن محمد السنباطى الشافعيون رحمة الله عليهم شفاها من الأولَيْن وكتابةً من الثالث وقراءةً على الرابع فى ظهر يوم الجمعة رابع عشر جمادى الأولى عام خمسة عشر وتسع مائة أمام المدرسة القطيفية بالرواق الشامى من المسجد الحرام قالوا: أربعتهم أخبرنا به الشيخة المكرمة الأصيلة أم الفضل هاجر، ثم سرد نحو ما قدمناه.

وذكر فى موضع آخر أنه سمعه معه على الشيخ عبد الحق السنباطى جماعة منهم ابنا الشيخ عبد الحق المذكور العالمان المقرى كمال الدين محمد والمدرس شهاب الدين أحمد والعالم محب الدين وعمهم الشيخ المعمر شهاب الدين أحمد ومنهم الشيخ كمال الدين بركات الحرفوشى ومحى الدين أبو صالح عبد القادر ابن الشيخ عبد العزيز بن فهد فى جماعة آخرين يطول تعدادهم وقد اتصل سندى والحمد لله بهذه الطرق من غير ما وجه.

وقد أخبرنى بطريق الشيخ عبد العزيز بن فهد إجازةً شيخنا العلامة المؤلف القاضى سيدى الحاج أحمد بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى قدس الله روحه عن الشيخ عبد الرحمن ابن أخى الشيخ عبد العزيز بن فهد عنه وهى عالية ولله الحمد.

وكتب لى رحمه الله بخطه بذلك وهو الثقة لكن أنبأنى بعض أهل مكة المشرفة أن الشيخ عبد الرحمن بن فهد لم يرو عن عمه عبد العزيز وإنما روى عن ابنه الشيخ جار الله عنه، فإن صَحّ هذا انحط السند بدرجةٍ، ثم أخبرنى من لا أتهمه من أكابر أهل مكة

ممن أدرك الشيخ عبد الرحمن المذكور أنه روى عن عمه وأخذ عنه كثيرا، فبان بذلك عدم صحة ما قال ذلك الرجل وبقى السند على حاله وعلوه ولله الحمد والله أعلم.

وأخبرنى أيضًا شيخنا ابن القاضى المذكور عن العليمى - عن الشيخ عبد الحق السنباطى بما تقدم وغيره من كل ما يجوز له وعنه روايته بشرطه المعتبر.

فإن قلت ما أسلفتموه عن عدة شيوخ كابن العربى وغيره ممن قبله لا يقتضى أنهم مثلوا النعال فى الورق كما فعلتم أنتم وإنما فيه حذو النعل على النعل وذلك غير مدعاكم.

قلت: إذا حذيت النعل على النعل ثم جعل المثال فى الورق هيئتها فهو مدعانا حسبنا يدل عليه كلام العراقى الآتى قريبا عند ذكر المثال الثانى، وكما فعل ابن رشيد وغيره كما يأتى فى الخاتمة، وأيضًا فأى فرق بين حذو المثال من الجلد أو من الورق وقد رأينا عدة أمثلة من الورق محاكية للنعل كما يحاكى بالجلد منها ما اعتمده أكثر ممن قدمناه من الأئمة الأعلام وليس الخبر كالعيان، ولئن سلمنا الإيراد فلنا حجة فى فعل ابن عساكر وابن مرزوق والسخاوى والحافظَين السيوطى والدِّيمى وغيرهم ممن قدمنا أنه روى مثال ابن عساكر على أن ابن عساكر لما سرد أسانيد ابن العربى وغيره مثل بعدها المثال وهو يدل على نحو ما ذكرناه.

فإن قلت سلمنا أن الورق والجلد سواء لكن نقول: إن المطلوب أن يقص الورق على مقدار النعل كما تُحْذَى النعل على النعل

وأنتم لم تفعلوا ذلك بل جعلتم ذلك بالخطوط فى ورقة أكبر من النعل جعلتم فيها مقدار النعل وصفتها مدلولا عليه بالخطوط إذ لخارج عن الخطوط زائد.

قلت لنا فى ذلك أسوة بابن عساكر ومن ذكر من العلماء ممن تقدمه أو تأخر عنه فانهم فعلوا كما فعلت - على أن الظاهر أنه لا فرق بين ما كان بطريق اللفظ أو الخط والله سبحانه أعلم.

فإن قلت لِمَ خالفتم ابن عساكر وهؤلاء الذين اقتصروا على هذا المثال وذكرتم أنتم عدة أمثلة مع أن أتباع هؤلاء مطلوب والعدول عما اعتمدوه غير محبوب.

قلت: لما رأينا حافظ الإسلام زين الملة والدين العراقى رحمه الله ورضى عنه اعتمد فى ألفية السيرة له مثالاً بينه وبين هذا بعض مخالفة أتينا بمثاله اقتداء به إذ هو الإمام الذى نسلم له فى فنون الحديث حتى قيل أنه المجدد على رأس المائة الثامنة كما أشار إليه الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى.

فإن قلت سلمنا ذلك وهلا اقتصرتم عليه مع ما قبله لكونه عن هؤلاء السادة الأعلام الذين لا نسوغ مخالفتهم بوجه من الوجوه واقتفاء جميعهم يُبَلِّغ الأمل ما يرجوه.

قلت قد لوَّحْنا فيما سبق إلى أن الأربعة التى ذكرناها بعد المثالين الأولين لا تقوى قوتهما وإن كان بعضها منقولا عن بعض الأئمة وأشرنا إلى إنا بنينا على الإحتياط مثل ذلك لا يضر.

فان قلت فإذا كان الأمر على ما وصفت - فلأى معنى تركت

المثال المستخرج من الخزانة السلطانية العثمانية الخاقانية المرادية أعلا الله كلمتها، وهو متناول بين أيدى خواص خدمها.

قلت لم يثبت عندى فيه سند أعتمد عليه وأوجه عنان الصحة إليه بخلاف ما ذكرته فى الأمثلة فانى عرفت جهة روايتها وإن اختلفت فى القوة فلو صحت لى طريق منها لذكرتها مع ما ذكرت فمن صح عنده سندها ـ فليثبتها.

فإن قلت ما سبب هذا الاختلاف والنقلة فى هذه الأمثلة أمناء عدول.

قلت يحتمل عندى وجوهًا:

أحدها تعدد النعل النبوية التى حصل التمثيل بها وقد سبق فيما نقله ابن عساكر عن الحذَّاء أنه حذا على نعل رآها عند فاطمة بنت عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وفى كلام ابن العربى: الحذو على نعل كانت عند المخزومى وأصلها لعائشة رضى الله عنها ثم انتقلت لأختها أم كلثوم كما سبق فيمكن أنها غير التى كانت عند فاطمة بنت عبد الله بن العباس رضى الله عنهم على أن سياق ابن عساكر لهما معًا قبل مثاله يدل على عدم الاختلاف بينهما وإن قُدِّر التعدد فليتأمل و الله اعلم، الثانى أن الممثل عليها نعل واحدة وهى التى كانت بالأشرفية بدمشق وكانت ظاهرة ثم جعل عليها آبنوس وغيره كما يأتى فى الخاتمة عن ابن رشيد فالقياس عليها قبل جعله تلك الأشياء عليها ليس كالقياس بعدها حسبما سنذكره، إن شاء الله تعالى فى الخاتمة مصرحًا به عمن شاهدها باتم مما أشرنا إليه

الآن لكن هذا الجواب إنما يتأتى احتماله فى غير مثال ابن العربى لأنه يمكن أن يكون مأخوذاً من هذه النعل.

وأما مثال ابن العربى وهو الذى اعتمده ابن عساكر وغير واحد فلا يدعى فيه ذلك لأن الحذو فيه إنما كان حذوه على غير نعل الأشرفية على ما لا يخفى - والله أعلم.

الثالث أن الاختلاف اليسير مغتفر والأمثلة قد تؤخذ على التقريب والله أعلم بحقيقة ذلك كله.

فإن قلت هل المنافع الآتية والخواص مقصورة على الأولين او عامة.

قلت قد شاهدنا لكل واحد من الستة منافع وأخبرنا بها الثقات وما ذلك إلا ببركة صاحب النعل صلى الله عليه وآله وسلم لأنه المقصود بالذات على أنا لا ننكر أن ما كان أكثر محاكاةً للنعل الكريمة فله المزية العظيمة، وعلى الجملة فقد أتينا بما ثبت لدينا أو وصل علمه إلينا إذ لم نخترع شيئًا من تلقاء أنفسنا وإنما اقتدينا فيه بغيرنا من أئمة الدين والله تعالى مطلع فى جميع ذلك على نيتنا - عالم بسرنا وعلانيتنا وليس قصدنا الحقيقى سوى التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم وجمع ما تفرق فى هذا الغرض مما لم نر أحداً جمعه كما جمعناه، وأودع فيه مثل ما أودعناه فلله الحمد والمنة على الإعانة على ذلك، مع أن البضاعة مزجاة إلى الغاية وقد بذلنا المجهود وأتينا بما فيه كفاية وان كان فى هذا المنحى للائمة عدة تصانيف حافلة - وتآليف فى برود التحصيل رافلة - فنحن

معذورون إذ لم نقف عليها حتى نستمد منها ونشير إليها سوى ما ذكرناه من تآليفَي السبتي وابن عساكر وهما صغيران جدًا، وأوراق البلقيني وهو أصغر من الجميع نفعهم الله بقصدهم الجميل وبلغنا وإياكم بجاه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم غاية التأميل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

وهذه صفة المثال الأول

وعلى الله سبحانه المعتمد والمعول





بيان المثال الثانى

فهو معتمد حافظ الإسلام خادم سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذو المعارف الكاملة والأحوال مجدد الدين فى أحد الأقوال الشيخ الإمام زين الدين عبد الرحيم العراقى الأثرى الشافعى صاحب التآليف العديدة، والمناهج السديدة ـ رحمه الله ورضى الله عنه وقد اتصل سندنا به من طرق كثيرة منها ما سبق إلى الحفيد ابن مرزوق رضى الله عنه وهذه الصفة المذكورة هنا موجودة فى نسخة معتمدة، من ألفيته التى بين السيرة النبوية منتظمة.

وصف بعض الأحوال المعظمة المحمدية

ومن جملة ما ذكر فيها وصف من النعل النبوية الطاهرة ذات المحاسن الباهرة ـ وتحديدها بالطول والعرض، وتشريفها بسيد أهل السماوات والأرض، الشفيع يوم العرض.

محمدٌ المُصطفى الهادى إلى السُّبُلِ
ذُو المعْجزاتِ إمامُ الخلقِ والرُّسلِ
خَيرُ البريَّةِ من بَدْوٍ ومن حَضَرٍ
وأكرمُ الناسِ مِنْ حافٍ ومنتعلِ

وقد سلم ما ذكره رحمه الله من ذلك الشيخ الإمام الحافظ العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير إذ قال: ورد أن طول نعله صلى الله عليه وآله وسلم شبرٌ واصبعان،

وعرضها مما يلي الكعبين سبعُ أصابع وبطنِ القدم خمس، وفوقها ست، ورأسها محدد وعرض ما بين القبالين إصبعان انتهى، وهو عين ما جاء في الألفية لأنه رحمه الله أتى بمثل ما في الألفية وسلّمه وناهيك به، وإن كان بعض الحفاظ قال: إني لم أقف على هذا التحديد إلا للعراقي، وكفى به حجة - لمن اقتفى نهجه - وهو الإمام - الذي اعترف بثقته الأنام - ووصفوه بحافظ مصر والشام - وناهيك بهذا الكلام في هذا المقام.

إذا قالت حَذَامِ فَصَدِّقُوها ... فإِنَّ القَوْلَ ما قَالَتْ حَذَامِ

مع إن صاحب سبل الهدى والرشاد ذكر ذلك التحديد غير معترض عليه بل أقره وناهيك باطلاع هذا البحر الوافر المديد ونص ما في ألفية السيرة الموصوفة قوله رحمه الله ورضي الله عنه فيها.

ونعله الكريمة المصونة ... طوبى لمن مسَّ به جبينه

لها قبالان بسير وهما ... سُبْتِيتان سبتوا[1] شعرهما

وطولها شبرٌ وأصبعان ... وعرضها مما يلي الكعبان

سبع أصابع وبطن القدم

خمسٌ وفوق ذا فَستٌ فاعلم

ورأسها محددٌ وعرض ما

بين القبالين أصبعان اضبطهما

وهذه تمثال تلك النعل ... ودورها أكرم بها من نعل

وقوله رضي الله عنه: لها قبالان بسير أي من سير ويحتمل أن

(١) سبتوا أي أزالوا شعرها بالحلق اهـ.

يكون الباء ظرفية أى فى سير وقد تقدم عند ذكر الأحاديث ما يشعر بذلك.

وقوله وهما سبتيتان أى النعلان سبتيتان سبتوا شعرهما أى أزالوه كما سبق تفسيره فى (الباب الأول) وهذا أحد الأقوال فى معنى السبتية وقد سردناها فيما سبق فراجعها إن شئت ووصل رضى الله عنه همزة أصبعان مع أنها مقطوعة لضرورة الوزن.

وأما قوله مما يلى الكعبان فالكعبان فيه مرفوع على الفاعلية والمفعول محذوف أى مما يليه الكعبان وإنما نبهت عليه لأن بعض الناس قال إنه منصوب على المفعولية ولكنه جاء على لغة من يلزم المثنى الألف فى جميع الأحوال كقوله.

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

ومنه ﴿إن هذان لساحران﴾[1] فى أحد الوجوه حسبما هو مقرر فى محله، وقوله وهذه تمثال تلك النعل كأنه أنَّثه أعنى التمثال مع أنه مذكر باعتبار تأويله بالهيئة أو الصفة أو على حذف مضاف أو نحو ذلك أى وهذه صفة تمثال تلك النعل، ونحو ذلك وليس فى قوله النعل مع نعل إيطاء لكون إحداهما معرفة والأخرى نكرة، وذلك مما يدفع الإيطاء حسبما تقرر فى فن العروض على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه، والمقصود الإفادة وهى حاصلة على كل حال وقد سلك هذه الطريقة جماعة من العلماء الصلحاء أعنى عدم تحسين النظم إذ قصدهم الجميل إيصال المعانى إلى السامع، ولم

---

(١) سورة طه رقم ٦٣.

يشتغلوا بحوك الكلام على طريقة الأدباء كابن الوردى وأنظاره فجزى الله الجميع عن الدين خيراً، ولقد كان شيخنا مفتى مدينة فاس العلامة سيدى الشيخ محمد القصار القيسى الفاسى الغرناطى الأصل كثير الإصلاح لأبيات ألفية العراقى فى علوم الحديث وكنت لا أحب ذلك منه مع أن مقصده رحمه الله حسن، والتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى اعلم.

* * *

وهذه صفة المثال الثانى الحاكى لنعال من أوتى السبع المثانى

صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم

ومجد وعظم وبارك وأنعم

وقد حررت من نسخة مقروءة معتمدة موثوق بها من هذه الألفية بعد قوله رحمه الله: وهذه تمثال تلك النعل الذى أضحت به محاسن النعل وفية غير خفية





فهذان المثالان هما المعتمدان كما سبق وفى الإقتصار عليهما كفاية لمن شاء ومقنع ولكنى كما مضى رأيت زيادة أربع لهـا فى التعظيم مقبل وأربع وأتيت بها على وجه الاحتياط والتبرك والاغتباط، ولكنى كنت ذكرت فى (النفحات العنبرية فى نعال خير البرية) وهى صغرى بالنسبة إلى هذه التى جعلناها كبرى مثالاً سابعاً.

ثم انى رأيت إسقاطه بعد إمعان النظر، وتحرى النقل المعتبر، إذ هو عين مثال العراقى المتقدم فأسقطته من هذا الموضع لذلك وبهذا يحصل الجواب عما قد يتوهمه المتوهم، لولا أن تلك سارت بها الركبان قبل أن أسقطه منها لكانت مثل هذه سواء لكن الخطب ولله المنة سهل والله المسئول فى ستر ما سبق منا من خطأ وخطل وسهو وجهل ففضله كثير - وهو على ما يشاء سبحانه قدير.

المثال الأول من الأربعة

وهو الثالث فى ترتيبنا هذا نقلته من خط بعض أكابر العلماء المتقدمين، من أعلام المغرب المعتبرين، وكتب فى وسطه ما صورته هذه صفة نعل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكتب بأثره أنشدنى الفقيه أبو عبد الله بن سلمة قال أنشدنى الكلاعى رحمه الله تعالى:

يا ناظراً تمثال نعلِ نبيّه

قَبِّلْ مثالَ النعل لاَ متكبراً

واعكف عليه فطال ما عكَفَتْ به

قدمُ النبى مروِّحًا ومبكِّرًا

إلى آخر الأبيات الآتية بعد هذا فى الباب الذى يليه إن شاء الله تعالى، والكلاعى المذكور هو حافظ الأندلس ومحدثها، وبليغها المؤلف الكبير الشهيد الشهير أبو الربيع سليمان بن سلم الكلاعى صاحب كتاب (الإكْتَفا فى مغازى المصطفى) والثلاثة الخلفاء وهو من أحسن الموضوعات المعتمدة عليهم فى السير فى أربعة أجزاء وعليه معتمد علماء المغرب وهذا الإمام أشهر من نارٍ على علم.

وقد عرف به تلميذه الحافظ أبو عبد الله بن الأبار القضاعى الكاتب رحمه الله ورضى الله عنه وسيأتى لهذا الإمام الكلاعى نظم بديع فى المثال فى حرف اللام وغيره من باب بعد هذا وليست هذه

الأبيات الرائية للكلاعى المذكور بل لابن سعد الخير حسبما يأتى إن شاء الله تعالى فلعله تمثل بها والله سبحانه وتعالى أعلم والتعريف بالكلاعى المذكور لابن الأبار المذكور فى كتاب (الذيل والتكملة) لكتابه (الموصول والصلة) فليراجعه من أراده وقد عرف به صاحب نور النبراس باختصار.

المثال الثانى من الأربعة

وهو الرابع فى وضعنا نقلته بالمغرب عن بعض الأخيار ورأيته في متداولاً بأيدى الناس متلقًّى بالقبول مشاهد المنافع مجرب الإجابة معظمًا عند أهل تلك الديار - بلَّغهم الله المأمول والاختيار، فأردت أن لا أخلى هذا الكتاب منه وإن لم أعرف الأصل الأول المنقول عنه.

المثال الثالث من الاربعة

وهو الخامس فى ترتيبنا نقلته بالمغرب من خزائن ملوك موالينا الأشراف - وهو من ذخائرهم النفيسة العالية الأوصاف - أيَّدَهم الله على الكفار - وحمى بهم الديار - وأعانهم على ما فيه صلاح الدنيا، والدين وسَلَك بى وبهم سبيل المهتدين، وقد شاهدت بركته فى سفرنا فى البحر عندما كادت تغرقنا أمواجه المتلاطمة، حسبما نذكره فى النظم الآتى فى الخاتمة، وأخبرنى بعض الأصحاب أنه أعنى هذا المثال مرويٌّ عن بعض العلماء الأفاضل، ولم يسمِّه له هذا الفاضل.

المثال الرابع من الأربعة

وهو السادس مما انتخبناه نقلته من خط بعض من يوثق به رأيه ويعتمد على روايته من أهل الصلاح والدين السالكين سبيل المهتدين، وقد ذكر أنه نقله من خط بعض الصلحاء المقتدى بهم الذين يُتأدب بآدابهم من أهل مكة المشرفة زادها الله تشريفا وتعظيما وتوقيرا وتكريما، وذكر عنه أن المثال كان متداولاً بينهم مشهورا بالبركات عندهم على أن الذى بينه وبين بعض الأمثلة السابقة من الاختلاف اليسير، فلعله أحدها إلا أنه وقع فيه بعض تغيير - ممن ليس من النقلة ببصير - بهذا التحرير.

وقد قيل إن الأمثلة تؤخذ على التقريب، عند من يرى أن لا تعنيف فى ذلك ولا تثريب، والذى اقتضته التجربة أن الخواص الآتية توجد كلها أوجلها فى هذه الأمثلة وقد شاهدنا ذلك وليس الخبر كالعيان، وقد قدمنا قريبا أنا كنا ذكرنا فى تأليفنا الأول مثالا سابعا وجد فى بعض نسخ ألفية العراقى ثم ظهر لنا حذفه وإسقاطه لما وجدنا مثال العراقى فى النسخة المروية المعتمدة المقروءة لا يمكن فيه التعدد لاستناده إلى قول العراقى وهذه تمثال تلك النعل، فلا يمكن أن يكون لهذا البيت الواحد مثالان مختلفان إذ لو كان لصرح بهما الشيخ رحمه الله، وبالجملة فقد تحرينا بقدر الطاقة والجهد وأتينا بما ليس فيه اختلاف يقتضى البعد والله مطلع على

نيتنا عالم بسرنا وعلانيتنا وهو المرجو سبحانه أن يضفى علينا ظل عفوه - ويوردنا من رضوانه مناهل صفوه، ويوفقنا فى القول والعمل، ويبلغنا من خير الدارين الأمل، بجاه خاتم الأنبياء والرسل، الهادى إلى أقوم السبل - البشير النذير، السراج المنير، سيد العَجَم والعرب، أول من تنشق عنه الترب، المخصوص بالإيثار والقرب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

* * *

* * *

وهذه صفات الأربع الباقية على ترتيبها

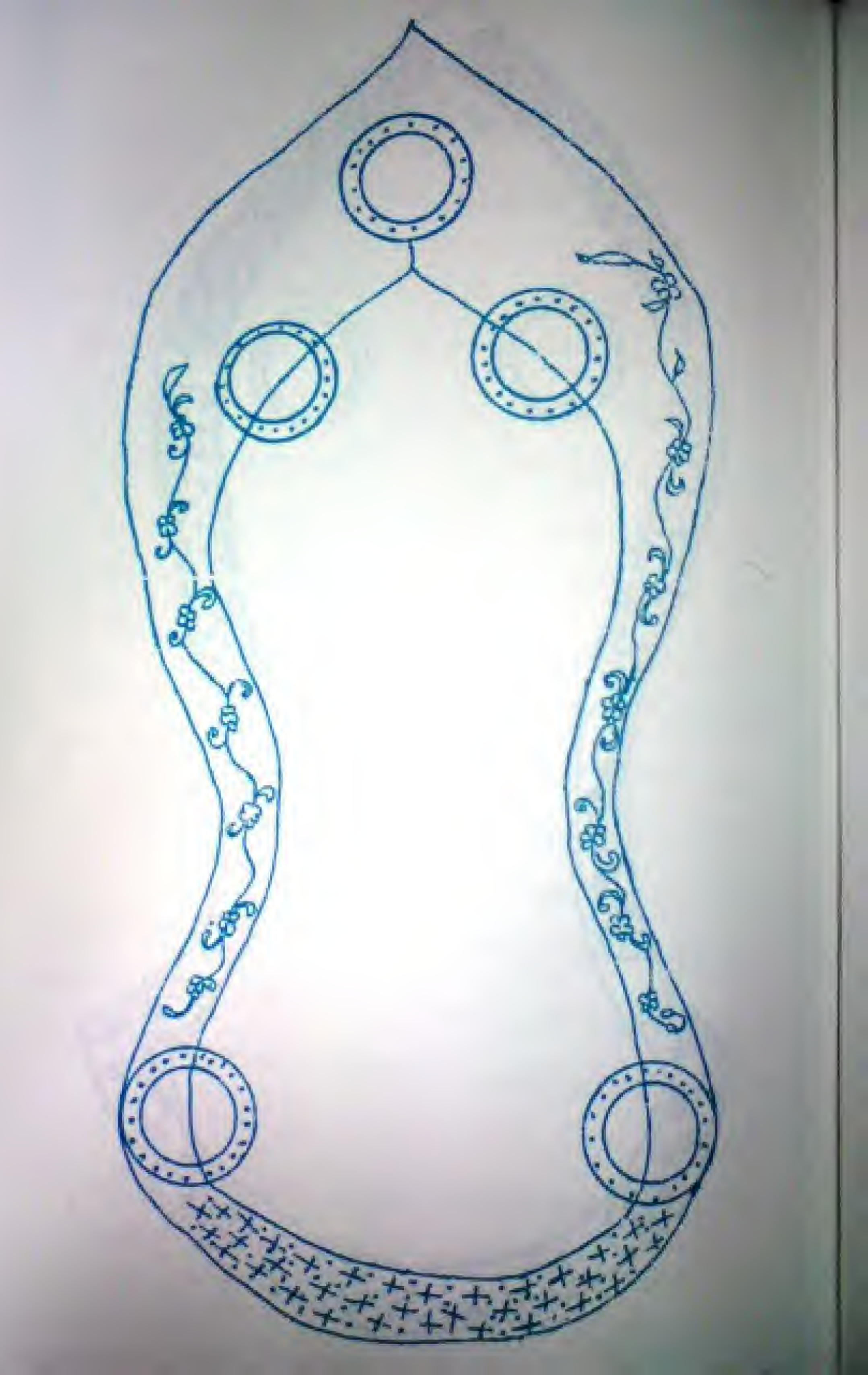
جعل الله سعيي فيها مشكوراً ونفعني بها

















الباب الثالث

فى المقطعات والقصائد

فى إيراد نبذة من المقطعات - الرائقة والقصائد الفائقة المقولة فى المثال المعظم ووصف دره المنظم، مرتبة على حروف المعجم، على ما يسّره الله الذى وفق لجمعه وألهم، من كلام المتقدمين وأهل العصر من أهل فاس وبعض من لقيته بمصر أحاط الله الجميع من الأغيار وسلك بى وبهم سبيل الأخيار آمين آمين.

إعلم جعلنى وإياك ممن يتذكر من أولى الألباب، ويسر للجميع من العمل الصالح الأسباب، إنى ذاكر ما حضرنى الآن من المقطعات والقصائد فى هذا الباب، المنقولة فى المثال الطاهر، ووصف لجماله الباهر، وقد اعتنى بذلك أهل مغربنا قديما وحديثا أتم اعتناء - وادخروا من ثواب ذلك ما هو حرىٌ بالادخار والاقتناء، وستقف على ذلك بالقرب.

وأما أهل المشرق فلم أقف لهم إلا على النزر اليسير - بالنسبة لكلام أهل المغرب أعنى غير أهل العصر وإلا فقد أنشدنى لنفسه بعض الأعلام الذين لقيتهم بمصر جملة وافرة، بدورها عن المحاسن سافرة.

ومنهم الشيخ العلامة الدراكة الفهامة صدر العلماء العظام، حائز قصب السبق فى النثر والنظام، سيدنا ومولانا الشيخ فتح الله ابن

سيدنا ومولانا الولى العارف، الذى فاضت عليه عوارف المعارف، الزاهد الورع العابد الشيخ محمود البيلونى حفظ الله الخلف، ورحم السلف.

وسبب ذلك أنه حفظه الله وقف على ما وصفته فى هذا المعنى أولاً وقد اشتمل على أكثر من مائة قصيدة وغيرها فتحركت همته الشريفة إلى محاكاتهم فأجاد ما شاد ـ وهو الفصيح البليغ مقُولاً، فحين عزمت على إبداء هذه النسخة الكبرى فى هذا القصد الذى أحطت ببعضه خبْراً رأيت أن أحلى جيدها بدرره، ودررهم، وأثبت فيها شيئا من غررهم، مضافا إلى ما كان لدَىَّ من كلام أصحابنا أهل المغرب، وما يناسبه من كلام غيرهم المعجب المغْرِب، فبلغ العدُ اثنين وعشرين وثلاث مائة أو أكثر على ما يأتى بيانه، وذلك جمع لم أسبق إليه فيما علمت وبالله اعتصمت، فأثبت ـ بفضل الله وسلمت، وسترى عند مطالعته ما يثلج الصدر ويقرُ العين، ويتكفل إن شاء الله تعالى بسعادة الدارين.

حرف الهمزة

فيه ما بين قصيدة وغيرها بحسب ما حضرنى فى الوقت تسع، قال محمد بن فرج السبتى مبتدئا بحرف الروى ملتزما ذلك فى كل حرف فى كتابه المذكور فى الخطبة جاريا على السنن السوى، وسقط من حرف الواو إلى آخره فى النسخة التى وقفت عليها، وتصدى بتكميل ما بقى منه بعض أصحابنا من أهل فاس حسبما يُذكر فى محله إن شاء الله تعالى:

أَمِثَالُ نَعْلٍ كَانَ يَلْبَسُهَا الّذِى
إذا عُدّتَ الإرْسَالُ لِيسَ لَهُ كُفْؤُ

أبوالقَاسِمِ الأَسْمَى الذِىَ وطِىءِ السَّمَا
بأَخْمُصِهِ لَيلاً فَشَرَّفَهَا الوَطأُ

أقبل فِى طَرْسٍ حَوَاكَ كأنَّنِى
عَلِيلٌ وَفِى تقبيلِ شكلكَ لِىَ البُرءُ

أنا المرءُ بالآثارِ مِمنَّ هَوَيْتَهُ
قنعتُ وَقَدْ يَحظَى إذَا قنَعَ المرءُ

أَأحمد لاَ يَهوى الفؤادُ سوَاكَ مَا
تَقَدَّمَ عُودٌ الشئِ فى الرّتبة البدءِ

وقال جامع هذا المؤلف الفقير أحمد بن محمد المقرى أخذ الله بيده: ولم ألتزم الابتداء لحرف الروى كما فعل السبتى لما فيه من

التكلف:

لَكَ اللهُ منْ تمثال نعلٍ كَرِيمة ... بِخَيرِ الوَرَى فَاقَتْ سنًا وَسَناء

يَحق لذِى دَاءٍ يلازمُ وَضعَه ... عَلَى حرّ وَجْهٍ أن يَنَال شفَاءُ

وذَاكَ قليلٌ فِى مآثِرَ مِنْ عَلاَ ... على كُلّ أوجٍ إذَ أجابَ نداء

وَمَن ذَا الذِى يُحْصِى فضائل أحْمدٍ ... وَقَد جَوَّدَ القرآنُ فيه ثَنَاءُ

عَلَيهِ من الرَّحمانِ أزكى تحية ... تُؤسسُ للَمِدْحِ الشريفِ بِنَاء

مَعَ الآلِ والأصحَابِ مَا ذُكر اسْمُهُ ... السَّمى فأزاحَ الذّكرَ عنه عناء

وقلت أيضًا:

تمثال نِعال صَاحِب الإسْرَاءِ ... يا حُسْنَ سَناهُ مشرقًا للرَّاء

فالحائزُ مَع بلاغة مدحته ... بالعجز تعود رَايهُ اللرَّاء

وقلت على لسان حال المثال على طريقة السبتى فى البيت بحرف الروى:

إننى تِمثال نعلٍ لإمام الأنبيا

أحمد المحمود من خص بفضل وحبا

أيها النَّاظِرُ حسنًا راقَ عينَ الأنباء

أن ترد كشفَ ظلام واهتداء

أطِلِ اللَّثمَ وعظمه بلا قصدٍ ريا

فلتجد كشف بلاءٍ وسقِام وعيًا

وقلت أيضًا:

لله مثالُ نَعْلِ مَنْ قَدْ جَاءَ ... بالدين وَعمَّ بالهُدَى الأرجاء

متعْ بَصَرًا بحسنِهِ مُبتهجا ... واستَشْفِ بِهِ يزيلُ عَنكَ الدَّاءُ

وأنشدنى من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا نادرة الأعصار وغرة الأمصار العلامة الشيخ فتح الله البيلونى الحلبى حفظه الله تعالى على طريقة السبتى رحمه الله تعالى:

ألا إنَّ تِمثالاً على نعلِ أشرفِ
البرايا حَذَى فيه الشفاء لاَ دَواءُ

إذا كنت ذا شكوى ضَرَعْتُ لجاهه
فَلا أخْتَشى مِنْ بَعدَ ذا مَسَّ اسْوَاء

أمْرِّغُ فيه الخدَّ فِي الصبح والمسَا
فَأنفِي بِهِ فَقْرِى واذْهَبِ لأوائى

أرى أن ربِّى فيه أودعَ للنُّهى
سَحائبَ فَضْلٍ لاَ تُقاس بِأنواءِ

أنِلْنى المنَى فِى المنزلَيْنِ ولاَ تَدَعْ
عَلَى القَلْبِ مِنْ حكمٍ لَسِلطانِ أهْوَاء

وأنشدنى لنفسه:

تمثالُ نعالِ سيد قدْ جاءَ	بِالحقِّ شَذَاه غيرُ الأرَجاء ـ
مَنْ عَظَّم قَدْرَهُ يعيشُ فِى رَغَدِ	لَم يخْشِ بطول دهره الإلْجاء

وأنشدنى منه أيضًا لنفسه:

فُى مثلِ نعالِ صاحب الأسْرَاءِ	باليُمن شُفاءُ لِكل مَنْ دَاء
فالثمْهُ مُصَلِّيًا عليه مائةً	وامسَحْهُ على المحَل باستيفاءِ

وأنشدنى أيضًا لنفسه من الوافر قوله:

مِثَالُ نَعْلِ خَيرِ الانبياءِ	هوَ البابُ المجرَّبُ للشفاءِ

هُوَ السَّبَبُ المُبَلِّغ كُلَّ سُؤْلٍ بِتحقيقِ الظُّهورِ مِنَ الخَفاء

وَكَم لاَ وَهُوَ ذاكَ مقالُ نعلٍ وَقَتْ قَدمًا سَمَتْ فَوقَ السَّماء

والصقْ أخمصًا منها بوجهٍ لَهُ لَثم الثَّرَى قَصدُ الثَّراء

وَإنَّ ما سار لَم تَبرحْ لَديه بِمَحضِ الطَّوْعِ في فَرطِ الحياء

تَوافَق - في المَسيرِ مَعَ التَّوازي وتُخْدَم في الصَّباحِ وفي المَساء

فَهَل مِنْ بَعدِ هذا مِنْ دُنوٍّ بِعَالي نِسبةٍ عِندَ انتماء

فَقَبِّلْهُ وَ قَابِلْهُ بِقَلبٍ قَد انْقَدَ النَّجاحَ بِلاَ مِراء

وَالصقه بِخَدٍّ منكَ وَاضْرَعْ بِجِدٍّ في التَّوجه للدُّعَاء

فإنَّ اليُمْنَ فيه غيرُ خَافٍ وَهَل تُرْمَى الظَّهيرةُ بالخَفاء

وإن ليمنه سِرًا بديعًا لَقَدَ مَلأ القلوبَ مِنَ الضِياء

وباليمن النَّجاحُ لِكُلِّ قَصدٍ فَكَيفَ بيمنِ خَيرِ الأصفياء

فَيَا نِعمَ المِثالُ لِخَيرِ نعلٍ وَنِعْم البابُ فِي نعلِ الرَّجاء

بِرِبحٍ عَنّا ينيلُ غِنًا ويُولي مُنّى مِنْهُ يُقَرِّبُ كُلَّ نَاءٍ

وَيدفَعُ كُلَّ كَيدٍ مِن عَدوٍّ وَيرفَعُ ما تَنزل مِنْ بَلاء

فكنِ مِنَ ذا على ثِقةٍ لِتَحْظَى بِهِ وابْسُطْ لِسانَكَ بالثَّناء

فَجاهُ المُصطفى جاهٌ وَسيعٌ بِهِ غُرَرُ الخَصائص كَالهَبَاء

فَلا تَخطر عَلَيه قط فَضلاً وَحاذر لا عراك من امتراء

فدا نعليهِ رُوحِي ثُم مَنْ لِي وَمَنْ لِي ثُم مَنْ لِي بالفِدَاء

ألا يا خَيرَ خَلْقِ اللهِ إنِّي رُميتُ مِن الذنوبِ بِشَرِّ دَاء

فَأنهَضُ في اتباعِ النَّفسِ جُهْدي وأقْعدُ في ائتمارٍ وانتهاء

وَلكِنْ لِي بِذَلِكَ اعترافٌ فهَلْ لي يا حَبيبي مِنْ شِفَاء

بحقك جُدْ وقُلْ لي اليومَ أبشرْ ... وقُل لي قدْ جعلتك في حماء

وقُل لي قد منحتك صفوَ ودّي ... وقُلْ لي لا تخفْ مرَّ الجفاء

فليسَ لمثلِ هذا من مُداوٍ ... سواكَ وأنتَ أعلمُ بالدّواء

فيا سندي ويا مددي وغوثي ... ويا ذُخري لعرضي في اللقاء

ببابِ عُلاكَ فتحَ الله عبدٌ ... ملظ في الصبيحة والمساء

لهُ حق المثولِ به قديمًا ... وسبقَ الفوزُ منه بالعطاء

فحاشا أن يعودَ بغيرِ سؤلٍ ... فبحرُكَ لا يُكدَّر بالدِّلاء

أأشقى بعد قصدك وامتداحي ... وحقك ليس ذاكَ من الوفاء

وحاشا ثمَّ حاشا ثمَّ حاشا ... فأنت محمدٌ ربُّ اللواء

وأنت ممد هذا الكونِ مما ... خُصصتَ من المهيمن في ابتداء

بُعثتَ برحمة وسبقت خلقا ... وفقتَ فجئتُ ختمَ الأنبياء

فلا خلقٌ يداني منكَ ذاتًا ... ولا وصفًا بأرضٍ أو سماء

عليكِ منَ الصلاةِ سحابُ فضلٍ ... تسحُ معَ السلامِ بلا انتهاء

تعمُ الآلُ والأصحابُ جمعًا ... وأصحابَ المحبةِ والولاء

حرف الباء الموحدة

فيه أربع عشرة قال السبتي رحمه الله:

بنفسي مثالُ النَّعلِ نَعلُ محمد
نَبِّي الهدَى المخصوص بالقربِ والحُبِّ

بَدا لي مكَان البدرجلَى بنوره
غَياهب أشجان تَراكمنَ في قلبِ

بكَتْ مُقلتِي شوقًا للابسَهـآ وَهلْ
بُمطفية نَار الأسَى دَمْعَة الصَّبِّ

بَعثتَ بِهِ شَخصًا مِنَ الأنسَ مَيتًا
فَبَشَّرني بالقُرْبِ مِنْهم علَى قَلْب

بموْطِئهـا قَدْ شَرَّف الله تربةً
عَلَيْها مَشَتْ فَالتَبر يُحسَدُ للتُّرابِ

وأنشدني صاحبنا الفقيه الأصيل الرحالة أبو الحسن على بن أحمد الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي قوله حفظه الله تعالى آمين:

أنَا مثْلُ النِّعالِ علَوتُ قدراً ... وَخيرِي غَيرُ خَافٍ للَّبيبِ
أقُول لَمَنْ بحبِّي ذَابَ شَوْقًا ... وأعيا داؤهُ طبُّ الطَبيبِ
تَنَشَّقْ مِسك أنفاسِي لِتشفَى ... فَهذَا الطِّيبُ مِنْ عَرَقِ الحبِيبِ

وقال جامع هذا التأليف أخذ الله بيده يوم الخطب العنيف:

مرَّغتُ شَيْبِي في مِثالِ ... النعلِ قَصداً للتقرُّبِ
وَمَدَحتُهُ فِي مَوْطِني ... وكَذاك فِي حَال المغرب

شَغَفًا لمـــن سَادَت به ... أبنـــاء عَدْنَان ويَعْرب

فبـــجاهه بَرَكَاتُه ... متنوعـات ذَات أضْرُبُ

وَعليــه خَيــرُ تحيــة ... تَأتِى بتوبٍ لَيْسَ يَغْرَبُ

وعما نظمته لصق الحجرة النبوية بديهة والحمد لله على ذلك:

يَا نَاظِرا تمثـــالَ نَعــلِ ... المُصْطَفَى فــى ذَا الكِتَابْ

قَبِّلْهُ اَلـــفًا ثـــمُ رِدْ ... مَا شِئتَ لا تَخشَى العتَابَ

وَاسْأَلْ بِهِ ربَّ الـــوَرى ... سُبـحـانَه حُسْنَ المَتَاب

لَطْفًا بِكَ فـــى الحَشْرِ كَىْ ... تُعْطِى بـيُمْنَاكَ الــكِتَابَ

وقلت:

يَا حُسْنَ مثال نَعْلِ فَخْرِ العُرَبِ ... يَاسِينَ أجُلَّ واطىء فى تُرْب

كَم رُمْتُ مديحة بِقصد القَربِ ... والقـــدْر أجلُّ والمـعْنى تربى

وقلت أيضًا منه:

لله مثـــالُ نَعْلٍ تَاجَ العرَبِ ... مِنْ نَشْر مَديحه غدًا أجْدَرُ بى

فـاجْعَلْهُ وَسَيلة لدَفْعِ الكُرَبِ ... واستشْفِ به تنل أقصَى الأرب

أعظم بمثـالِ نَعْلِ خيرِ العُرَبِ ... مَنْ أرشـدنا إلى أجل القُرَبِ

قَبِّلْه وكُنْ بَحـــقِّه مُعْتنيـــا ... وأجـعلْه وَسِيلةً لدَفع الكُرَبِ

وأنشدنى صـاحبنا العلامـة الفاضل الأديب القـاضى شمس الدين محـمد بن ضيف الله التـرابى الرشيدى حـفظه الله فى ذلك موريًا بنسبته من الوافر:

لِمنْ قَدْ مسَّ شكلَ نَعـالِ طَهَ ... جَزِيلُ الخَيْرِ فـى يَوْمِ المـآبِ

وَفِى الدنيا يكُونُ بخيرِ عَيْشْ ... وَعِزِّ بالـهنَاءِ بلا أرتيـــاب

فَبَادِرْ وَالثُمِ الآثَارَ منها لِقَصْدِ الفَوْزِ فِى يَوْمِ الحِسَابِ

فَنِعْمَ القَصْدُ أشرفُ شَكْلِ نعلٍ لَقَدْ وُضِعَتْ عَلَى وَجْهِ التُرَابِ

وأنشدنى سيدنا الحبيب النسيب السيد محمد بن موسى الحسينى الجمازى المالكى نائب محكمة ابن طولون حفظه الله معارضاً ما فوقه للترابى فى الرَّوِىِّ والبحر ومقلداً بجواهر كلامه ذلك النحر وهما فرسا رهان يتحاربان، وفحلا ذود يتباريان، أبقاهما الله تعالى آمين:

لِتِمثالِ النِّعالِ بلا ارتيابِ فَضَائلُ ادهشَت أهلَ الحِسَابِ

فَيا شَوْقِى لِمَا وطِئتهُ رِجلٌ عَلَتْ فَوْقَ العُلا وَدَنَتْ لِقَابِ

تَشَرَّفَ لاثِمِيهَا وهى تَشْفِى من الأوْصَابِ بالقَصْدِ الصَّوَابِ

فَخُذْهَا عُدَّةً مِنْ كلِ هَوْلٍ تَجِدْ مَالَم يكنْ لكَ فِى حِسَابِ

وتَبْقَى مَا حَيِيتَ عظِيمَ جاهٍ وعِزٍّ فى أمانٍ مُسْتَطَابِ

حَمِدتُ الله إذ نَظَرَت عُيُونِى لَهَا أشْكالَ حُسْنٍ وانتِخَابِ

وَمَرْجِعَهَا مَعَ التكرارِ فرداً إذَا حَقَقْتَ مَع كَشْفِ النِّقَابِ

فَجَازَى الله مُسْدِيهَا إلينَا جَزاءَ الخَيرِ مَعَ حُسْنِ المآبِ

أُمَرِّغُهُ صَبَاحًا مع مَسَاءٍ عَلَى وَجْهِى أخَفَّ مِنَ التُّرابِ

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله على طريقة السبتى فى الابتداء بحرف الروى:

تِمثالَ نَعْلِ محمدٍ خَيرِ الوَرَى مَرِّغْتُ خَدًّا ضَارِعًا أتَقَرَّبُ

بَابٌ لتبليغِ السَّعادةِ مُوصِلٌ وَلِكلِّ قَصْدٍ للنجاحِ مُجَرَّبُ

بَرَكَاتُه لِلطالبينَ تَوفَّرتْ فَلِسَانُ كلٍّ عَنْ عُلاهُ يُعْرِبُ

بِالرُّوحِ افدى نَعْلِه فَلَقد سَمَتْ ... في القَدْرِ والأمثال فيها تُضرَبُ

بِتُرابِها لغَبْراء بَاهَتْ في العُلَى ... وَسَما بِذلكَ شَرْقُها والمَغْرِبُ

وأنشدني لنفسه:

في مـثلِ نعـالِ مَنْ أتانَا بنبـأ ... سِرٌ عَجــزَ البَيَانِ عَنْه وَنَبَا

مَنْ حَاولَ مَنْ بَيـانَه الجَدَّ لَقَدْ ... أعـياهُ وَلَوْ أطَالَ مَا قَدْ طَلَبـا

وقوله أيضًا:

في مـثلكَ يانعَال أعلى النُّجُبا ... أسرارٌ بيـمنها شـفنا العجـبا

مَنْ مَرغَ فـيـهِ خَدَّه مُبْتَهـلاً ... قَدْ قَامَ لَهُ بِبعْضِ مَا قَدْ وَجَبَا

وقوله أيضًا:

للعَـاشِقِ بـأذكَارِ دَارِ الحبِّ ... يَعْرُوه مَنَ الجَوى بهَ ما يُصْبى

يَا قَلْبُ فَذَا مِثـال نَعْلَيـهِ فَمَا ... أبـقَاكَ وَلَم تَذبْ أسَايـا قَلْبَ

وأنشدني لنفسه أيضًا قوله حفظه الله تعالى ورضى الله عنه:

دَعَانى لِوَجدِهِيم الـوَالهَ الصَبّــا

فَهـذَا مِثالُ النَعـلِ مِمنَ سَبا اللّبـا

دَعَانى لمعنى فـيه لأَخ لذِي النُّهى

إلى لثمـــه فــو رَاوَ كَانَ لـهُ لبَا

أضَاعِفُ فِيهِ اللّثم وَ الشَّوقَ غَالبٌ

بـحَرٍّ عَلَى بَرْدِ الـوِصَال لَقَد أربَى

مَتى يَشْتفى المشتاقُ والقَلْب مُضرَمٌ

مِنَ الشَّوقَ ما مِنْ نفـحَة تملأ القَلْبَا

وَخَيْرِ الوَرَى يَزْدَادُ فِي كلَ لَمحَةٍ

مِنَ الفَضْلِ والتَّفضِيلَ ما يُنْشِئِ الحُبَا

فِفى كُلّ آنٍ لى اشْتِياقٌ مُضَاعفٌ

وَوَجْد جديدٌ فيهِ للقلبِ قَد أصبا

وَلِم لاَ وإنّى لَمْ أزلْ عايذاً به

لأنى على الأنفاس أكتسب الذنبا

وَكل غِنَا الدَّارِين مِنْ بَعْض يُمْنه

فيقضى المُنَا عَنّى ويَمْنَحنى القَربَا

وَلَم ألفه إلا شفيعاً مُشَفعًا

خَلائقه تَرْضى الخلائق والربَّا

رَؤوفًا رَحيمًا لاَ يُخيّبُ قاصِداً

بنَيلِ العَطَا بدلاَ ولاَ يَعرفَ السلبَا

أتَى رَحمَةً للعالَمين بأسْرِهِم

فَمَا نِسبتى فيما أسَاتُ به كَسبا

وَمَا زِلْت مِنهِ بالجميلِ مُعوّدًا

يَقِينى مِنَ الأعداءِ ويجزِلِ لى الوَهبَا

ولى نِسبةُ المَدّاح فِى بَابِ فَضْله

فَمَنْ بَعدَ هذَا بالمكارهِ مَنْ يَعبَا

الاَ يَارَسولُ اللهِ يَا خَيرَ خَلْقه

وَمِنْ قطرةٍ مَن بَذْله تَفضَحُ السُّحْبَا

وَيَا خَيرَ مَبْعُوثٍ إلى خَيرِ أمةٍ
بِخَيرِ كِتَابٍ أعجَزَ العُجْمَ والعَرَبَا
وَيَامَنْ لَهَ الجَاهُ الوَسِيعُ لِقَاصِدٍ
فَمَنْ دُونَه مَا يَفْصِلُ الشَّرْقَ والغَرْبَا
بِبَابِكَ فَتْحَ اللهِ يَشْكُو إلَيكَ مَا
بِهِ أنتَ أدْرَى مِنْه مِمَالَهُ أصبَى
فأدْرِكْهُ فِي الدَّارَيْنِ بِالغَوْثِ عَاجِلاً
وَفَرِّجْ لَه كُرْبًا وَفَرِّحْ لَهُ قَلْبًا
عَلَيْك مِنَ اللهِ العَظِيمِ صَلاَتُه
أجَلُّ صَلاة تَشْمَلَ الآلَ والصَّحْبَا

حرف التاء المثناة الفوقية

وفيه سبع:

قال محمد بن فرج السبتي السابق الذكر رحمه الله تعالى ونفعه بقصيده آمين:

تَلَوتَ وَقَدْ أَبْصَرْتَ تِمثَالَ نَعلِ مَنْ
تَمَيَّزَ بـالوَصْفِ الشَّرِيفِ وَبـالنَّعْتِ

تَرَفَّعْتِ مِن نعلٍ بـأخمص مُرْسَلٍ
قَد انقَذَ من أسْر الطَّواغِيتِ والجِبْتِ

تِقَدَّسَتِ الأرضُ التِي قَدْ مَشَى بِهَا
عَلَيْهـا فَصَارَ الفَوْقُ يَغْبطُ للتَّحْتِ

تَمَـنَّيتُ لَوانّي ظَفَرتَ بـقُرْبِهَا
فَمَرَّغتُ فِيهِ الخَدَّ للحِينَ والوَقْتِ

تَمَنّى صَبَّ مـذنفٌ عَاشِقٍ جَوى
مُعَنّى كَئِيبٌ دأبُه حِفظُ ذِي السَّبْتِ

وقلت من الكامل الأحذ:

مـا أَبْصَرَتْ عَيْنَايَ مُذْ رَأَتَا	شِبْهَ مِثـال فَضلُهُ ثبـتـا
حكَى نِعَالَ المصْطفى وَغَدَا	يَزِيـحُ عَنْ حَامِلـه عَنَتَا
فاشْدُدْ به كَفَّ الضَّنِينَ وَسَلْ	بِقَـدْرٍ كفعل مَنْ قَنَتَا
فَكَمْ لَهُ مِنْ حِكْمَـةٍ بَسَقَتْ	أَشْجَارُها وغُصنُهـا نَبـتَا
صَلّى وَسَلَّـم الإلـهُ عَلَى	مَنْ بِالكِتَابِ المستَبِين أتَا

وقلت:

تمثالُ نَعلِ احمدَ قَدْ رَاقَتْ أنوارُ حُلاَه لِلْمعَانِي شَاقَتْ

اكرِمْ بمحاسنٍ لَهُ قَدْ فَاقَتْ كَمْ منعفةٍ إلى البَرَايا سَاقَتْ

وقلت:

مِنْ شَكْلِ نِعالِ أحمَدَ آياتٌ للنفْعْ بَدَتِ وَاصلُها آياتُ

فَاسْتَشفِ بِهِ وَسَلْ تَنَلْ كُلَّ مُنى وَالْثُمْهُ فَما لِفضلِه غَايَاتُ

وأنشدنى لنفسه الشيخ فتح الله على طريقة السبتى:

تِمثالُ نعلِ رسُولِ اللهِ قَدْ ثَبتَا

بالنَّقلِ مِقداره الَّنامي لِكلُّ فتَى

تَرِعَاه عيناىَ مِن وَجْدٍ وَمِنْ شَغَفٍ

فَمِنْه يَانعُ مَا عَيْنَاى قَد رَعتَا

باهَتْ بموطِئه الغَبْراءِ وارتفعَتْ

فكُلُّ فضلٍ لَهَا مِن نَحوْ ذَاكَ أتَا

تاللهِ مَاراعَنِي أمرٌ وعدتَ به

إلا وَعنّى عَنانُ السوءِ قَد لَفتَا

يَمضِي القوافى على ما فيه مِن شرفٍ

وفيهَ ما بَعْضه أضَافَ مَا نَتَا

وأنشدنى أيضًا من لفظه العلاَّمة الشيخ فتح الله البيلونى الحنفى:

ذَا مِثلُ نَعلِ مَنْ مِنَ اللهِ أتَى بِالحقِّ وَ فَضْلُهُ علينا ثَبتَا

فَالثَمه تَنَل بِيُمنهِ الفوزَ بِمَا نَرجُو عَجلاً فَلا تَقلْ ذَاكَ مَتى

وأنشدني لنفسه أيضاً أدام الله علاه وأعانه ما مولاه:

مثال لنعلٍ مسها القَدَمُ التى ... بأخمصها السبعُ الطباقَ تحلّت
تَراءَى لمرآة الخيال فأشرقت ... بهـا أنوارٌ به قد تجلت
فيا نِعْمَ مِنْ نعلٍ ونعْمِ مثالُها ... به كُرَبُ القلبِ المُعنَّى تجلت
فألصق به الخدّين والثمه شاكراً ... فكَمْ نعمَ فيه لذى العرش حلّت
فما حلّ في دارٍ وحلّ بأهلها ... مَسيسٌ من الأسوا وإن هي عمّت
هُوَ السرّ في نيل المآرب فاعتقد ... به راغبًا في كُلّ نعْماء جمّت
وقابل به السلطان والق به العدى ... وأخلص بعزمٍ صادقٍ وثَبّت
وكُنْ واثقًا بالفوز فهو مُحققٌ ... فجاهُ رسولُ الله في الغوث ما فتى
وذلك نورٌ مِنْ خصائص سيّدِ ... الأنام فعنه ألسُنُ الوصف كلّت
ألاَ يارسُولَ الله يافائضَ النّدى ... ويا خيرَ مبعوثٍ إلى خيرِ أمّة
ببابك فتح الله يضرعُ سائلاً ... فلاَ تتركنه بعدَ قصدكَ كالتى
عليكَ صلاةٌ مع سلامٍ تلازما ... كذاك على آلٍ وصحبٍ وعترة

حرف الثاء المثلثة

وفيه خمس أيضاً:

قال الشيخ محمد بن فرج السبتي رحمه الله تعالى:

ثِمَارُ الأَمَانِي قَدْ جَنَى الطَّرْفُ إِذْ رَأَى

مِثَالُ نِعالِ المُصْطَفَى مِنْ أُولِي البَعْثِ

تَرَاهُ وَمِنْ أَعْلاَهُ طَابَ نَسِيمُهُ

وَمَا أَنَا فِي هَاذِي اليَمِينِ بِذِي حِنْثِ

ثُرَيَّا السَّمَاءِ وَدَّتْ لِتَنقُلَ يَا ثَرى

إِلَيكَ فَلَمْ تَنقِلْ فَهَاهِيَ ذُوَ بَثٍّ

ثَوِيتَ بِهِ يَا طِيبُ فَهُوَ كَمِسْكِهِ

يَفُوقُ شَذَاهُ المِسْكَ فِي الطِيبِ وَالمُكْثِ

ثَوابِيَ يَا مَنْ شَرُفَتَ بِلِبَاسِهَا

عَلَى مَدْحِهَا تَأمِينُ خَوْفِي مِنَ البَعْثِ

وقلت:

مِثَالٌ لأَشْوَاقِ المُتَيَّمِ بَاعِثٌ ... بِقِرطَاسِهِ كُلُّ المحَاسِنِ مَاكِثُ

حكَى نعلَ خَيـرِ الخَلقِ عُمْدَتنا الذَي ... بِهِ دُفِعَتْ عَنَّا الخُطُوبُ الكَوارِثُ

وَقَدْ قَرَّتْ العَيْنَانُ لَمَّا مَدَحْتَهُ ... بسحرِ حَلاَلِ النَّظمِ والفِكرِ نَافِثُ

وَأَعدَدْتُهُ ذُخْراً وأَحْلِفَ أَنَّهُ ... لأَنفسِ مَذْخُورٍ وَمَا أَنَا حَانِثُ

عَلَيهِ مِنِ الرَّحْمَانِ أَزْكَى تَحِيةٍ ... بِهَا يُرتَجى الغُفْرَانُ عَاصٍ وَعَائِثُ

وقلت:

يَاسِينُ مُؤْمَنُ الوَرَى فِى البَعث ... تمثَالُ نَعاله شِفَـــاءُ البَثّ
فاستوْصِ بِهِ وحثّ كلّ الحثّ ... واعرِفْهُ وَصُنْ ولاَ تكُن ذَا نكْث

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى المذكور سابقًا:

تمثَالُ نِعَالِ مَنْ إِلَــيْنَـا بُعِثَا ... مَنْ يُمْنِ نَعَالِه العُلَى قَدْ وَرِثَا
فَالثُمــهُ وكُنْ بِسرِهِ مُنتصِرًا ... فِى الكَرْبَ ولاَ تَبِتْ بِهِ مكترثًا

وأنشدنى أيضًا لنفسه حرس الله كماله وبلَّغه آماله:

مِـــثَالُ نَعْلُ نَبِىٍّ بِالهُدَى بُعِــثَا
وَرُوعِهِ فِـيـهِ رُوحُ القُدْسِ قَدْ نَفثَا
لَهُ مِنَ الـنَّعلِ مَا لِلْنَّـعـلِ مِنْ قَدَمٍ
مِنْ نِسْبَةِ الشرَفِ العَالِى الّذِى ورثَا
لَثَمـتَـهُ وَمَــلأتْ العَينُ مِنهَ ومُذْ
بِهِ حَظِيتُ نَأى غَمِّى وَمَا لَبِــثَا
فاعقِدْ أخِى عليهِ القَلْبَ مِنْكَ وَثِقْ
فَلَيسَ مَنْ جَدَّ فِى أمْرٍ كَمَـنْ عَبَثَا
يا سيِّدَ الرّسُلِ انّى مِنْكَ فِى حَسَبٍ
فَكَيْفَ أُمْسِى بِمَــا أخْشَاه مُكْترِثَا
حَاشَاكَ حَاشَا فَكَمْ لِى مِنْكَ مِنْ صِلةٍ
بِكلِ مَعْنى فَعَونِـى مِنْك مَا لَبِـثَا
عَلَيْك أزكَى صَلاَةٍ بالرِّضَى شَمِلَتْ
كَلاً فَـاحَيَتْ لَنَا الأرْوَاحَ والجـثثَا

حرف الجيم

فيه ست إذ لم يحضرني الآن غيرها والعذر بيّنٌ والله المستعان:

قال الشيخ محمد بن فرج السبتي رحمه الله على طريقته المألوفة في لزوم الابتداء بحرف الروي وهي طريقة لا تخلو من تكلف:

جُلَلْتَ أيا نَعلاً بأخمصِ سيّدِي
إلى حَضرةِ القُدْسِ العَلِيةِ عَارِجِ

جُبلتُ عَلَى حُبٍّ لَهُ فإذَا بدَا
مِنْ آثارِهِ شيءٌ تَثورُ لواعِجُ

جَنَا الأنفُ منها رَوضُ زَهرٍ إذا انْبَرى
نَسيمٌ شَذَاهُ مَدَّ عَرْفَ النَّوافِجِ

جُبِرْتَ بِهِ صَدْعًا جَنَاهُ الْهَوى وَمَا
شَغَفتُ بِغنجِ الخُودِ ذَاتِ الدَمَالِجِ

جَزَى الله عنّا القلبَ خيرًا فإنّه
تَعَلّقَ بالهادِي لأعْلَى المَنَاهِجِ

وله أيضًا رحمه الله تعالى:

وَلَقَدْ رأيتُ مِثَال نَعْلِ محمد — فَاشْتَدَّ شَوْقِي عِنَد ذاكَ وَهاجا

فَظَلَلْت أمْسَحُ وَجْنَتي بِشَسْعِهِ — سَمْحًا وَ أجْعَلُه برأسي تَاجَا

يَا نَعْلُ أكْرَمَ مُرْسَلٍ لَمَّا أتَى — دَخَلَ الوَرَى فِي دِينِهِ أفواجَا

كَرُمَت مِنْ نعلٍ حَوَتْ رِجلاً مَشَتْ — بأجلّ بَادٍ فِي الظَلامِ سِرَاجَا

شَرُفَتْ بِمَوْطِيءِ نَعْلِهِ السَّبعُ العُلَى — لَمّا ارْتَقاهَا عَارِجًا لِيُنَاجَا

وقلت:

هَـذَا مِثَالُ عَرْفِـــهِ مُتَأَرِجُ
فِي الخَافِقَيْنَ وَنُورُهُ مُتَبَلِّـــجُ

حَاكَى نِعَالَ أجَلِّ مَنْ وَطِيءَ الثَّرَى
وَبَدَت كَوَاعِبُ مَدْحِهِ تَتَـبَرَّجُ

فَاشْدُدْ بِهِ كَفَّ الضَّنِيـنِ ذَخِيـرَةً
مِنْ دُرِّهَا رَأسُ الـــفِخَارِ يُتَوَّجُ

واجْعَلْهُ خَيرَ وَسِيلَـةٍ يُرْجَى لَهَا
رَفـعِ المكارهِ حَيثُ ضَاقَ المخْرَجُ

صَلَّى الإله علَى مُشَـرَّفِـهِ الَّذى
أشْكَالُ مِنطقِـــهِ الهِدَايَةُ تَنْتِج

وقلت:

تِمْثَالُ نعـالِ صَاحِبِ المِعْرَاجِ — مِنْ أوسَعِ كلِّ مَطْلَبٍ لـلرَّاجِ
فَاسْتَهـدِ بِـنورِ حُسْنِه الوَهَّاجِ — تُعْطَى رُشْدَ الـوَاضِحِ المـنْهَاجِ

وأنشدنى لنفسه الشيخ فتح الله البيلونى أسمَى اللهَ قدرَه:

مَنْ قَبَّلَ مِثْلَ نعلِ طَه وَرَجَـا — تَفرِيـجَ كُروبِهِ يَنَـالُ الـفَرَجَا
مـا أسْعَدَ مَنْ أتَى بِهِ مُبْتَهِـلاً — بالقَلْبِ وشَمَّ مِنْ شَذَاهُ الأرَجَا

وأنشدنى أيضًا لنفسه:

إنْ كُنْتَ فى ضِيقِ كربٍ تبْتغِى الفَرَجَا
بِمحْضِ لَطْفٍ خَفِّىٍ يُذْهِبُ الحَرَجَا

فَفِي مِثَالِ نِعَالِ المُصطفَى عَجَبٌ

مِنْ سِرّ غوثٍ بدا كالصبح مُنبلجَا

فالثم والْصِق به الخدّين مبتهلاً

بالذّلّ واضرعْ باخلاص لنيلِ رجا

وَصِلْ فوزاً على خيرِ الأنام تجدْ

فِي نَيْلِ كَرْبك مِنْ تفريجه سُرُجا

فإن جاهَ رسولِ الله متّسعٌ

وصُبحُ أنوارِه مَاحٍ لِكلّ دُجى

وَهوَ الشفيعُ لِكلّ الخلق قاطبةً

فِي كلّ أمرٍ فعَنه الخيرُ مَا خرجا

والدفعُ والنفعُ في الدارين منتجعٌ

مِنهَ ولاَ يمترِي فِي ذاكَ ربُّ حِجَى

فَلَيهنَ قاصِدهُ دُنيا وآخرةً

مَاخَابَ مَن أمَّ يوماً بَابَهُ ورجا

يا مُرسلاً رحمةً للعالمينَ أغثْ

عَبداً أتى يشتكِي فِي سَيْره العَرجَا

لا يرتجِي النَّفعَ مِنْ أعمالِه أبداً

وإنما جاءَ في اللاَّجِينَ مُندرِجَا

عَلَى مِثالِ نِعالٍ مَسّت القَدمَ

العُلْيَا يُمرّغُ خدّاناً شِقَا أرجَا

مُحـــقِقًا بِبلـوغِ السّؤل ذَائقـــةً

بالْيُمنْ مِنه فَــــيُح الصَّدْرِ مُبْتَهِجًا

وَأَنـتَ عَوَّدْتـهُ الإنْجَاحَ فـي طَلَبِ

وأنْتَ عَوَّدْتهُ فِي ضِيقـهِ الفَرَجا

حَاشَاكَ فِي قَطْعِ مَا عَوَّدْتَ مِنْ كَرَمٍ

لَوْ كَانَ فِي كلِّ حِينٍ مِنه ألفُ رَجَا

يَا قَلْبُ أَبْشِرْ فَفِي جَاهِ الـرَّسُولِ لمَا

رَجَوتَ مَا يُنعِشُ الأجْسَام والمُهجَا

فـاجْعَل صَلاتَكَ مَوْصُولاً أواخِرُهَا

بـأولِ تَرَقَ في أَوْج العُلَى الـدَّرَجَا

صَلَّى عليـــهِ إلهُ العَرْشِ ثُم عَلَى

آل وصَحْبٍ وَمَنْ في إثرهـم دَرَجَا

أزكى صَلاةٍ إلى مَا لاَ انتـــهـاء لَهُ

مُســلِّمًا بـــسَلامٍ صُبْحَهُ ابتَلَجَا

حرف الحاء المهملة

فيه ست.

قال السبتى رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً:

حَظِيتَ أيانَعْلاً بأخمصِ مُرْسَلٍ
قد أنزلَ رَبُّ العَرْشِ فِيه ألم نَشْرَحْ

حَلَلْت بسَاط القُدْسِ حِيَن عُروجِه
ليِوضَحَ فى الإسْرا له الله مَا أوْضَحْ

خُلِقت لأرضٍ قَدْ وَطِئتَ تُرابَها
لَك المسك مَفْضُوضًا أما إنه أفْوَحْ

حَلَلت نِطَاقَ الكَتْمَ لَمَا رأيتها
فَصرَّح فى حُبّى اللّسَانُ بِماَ صَرَحْ

حَبِيبى الرَّسولِ المصطفى وَمِنْ أجْله
مَدَحْتُ لِنَعْلَيْهِ وَحقٌ بأن أمْدَحْ

وقلت:

مِثَال رائقٌ فى الطّرْسِ لاَحَا	حكَى نَعْلاً لَمنْ فَاقَ المِلاَحَا
وَحَازَ المكْرُمَات فَلا مُجَارٍ	وَذَاك أجلّ مَنْ وَطِىء البِطاحَا
محمدٌ الرَّسُولُ المصطفَى مَنْ	حَوى العَلْيَاءَ والمجْد الصّرَاحَا
شَفِيع الخَلقِ أسْنَاهم مَحَلاً	وَأفضَلُهُمْ وأعظمُهم سَمَاحَا
فَضَعْهُ على المحَاجِرِ مِنكَ والثُمْ	مَحَاسِنَه فَعرْفُ النفع فَاحَا

وَصَلِّ عَلَى مُشَرِّفِهِ وَسَلِّمْ تَنَلْ من ذاكَ فِي القَصْدِ النَّجَاحَا

وقلت:

يَامَنْ لذِكْرِ مُحمَّـــد يرتَاحُ هَذَا مِثَـــالُ نِعالِه يلتَاحُ
فاجعَلْه خَيرَ وَسيلَة وافتَح بِهِ بَابَ النَّوالِ فـــإِنَّه الفَتَّاحُ
فـالنَّفْع منه مـــحقّقٌ لمُريدِهِ والنُّجح مُعْطَى والثَّنَاء مُتَاح
فصلِّ الصَّلاة عَلَى الذى بجنابه نَيل الأمـانِي والأمـانُ يتـاح

وقلت:

مِنْ شكْلِ نِعالِ أحـمدَ يلتَاحُ أنوارُ هدًى لِلَـحْظهـا أرتَاحُ
فـاجعَلْه وسيلةً بِهـا يمتـاحُ يُفَرِّجُ كَـــرْبـا لأنه المُفتَاحُ

وأنشدنى من لفظه لنفسه وكتبه لى بخطه الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله:

مِنْ يُمنِ مِثالِ نَعـلِ طه لاحا سُرٌّ بِسنـاء أنعش الأرْواحـــا
مِنْ رَاجٍ رَاحِ لَثْمِـه مِنتشِيـا قَدْ نَال مُناهُ والعَنا قَدْ رَاحـــا

وأنشدنى أيضًا سلَّمَه الله لنفسه:

مِثَالُ نعلِ خِيَـار الخلِق قَدْ رَجَحَا
فَكُلُّ قَصْدِ تَيـمنٍ مِنه قَدْ نَجَحـا
وَنَال مِنْ نِسبةِ النَّعْل الشريفِ عَلَى
بِهِ مِنَ القَدْمِ الـعُلْيَا لَقَدْ رَبَحـــا
فَيـالَهـا نُسبــةً غَرَاء قَدْ بَهَرتْ
فَنُور بَهْجتِها قَدْ فَاق شَمْسَ ضُحَا

مِنْ دُونِ رِفعتِهـا شم المعَاطِسِ فِى

تذلّلٌ فعـلاهَا للعُلَى فَضحـا

وَهَلْ يُوازِى مِثـالِ النَّعلِ مِنْ قَدمٍ

عَلَتْ بُرَاقًا فَطأطأ بَعْدَ مَا جمَحـا

وَفَاقَ كُلَّ سَمَاءٍ وطئُ أخمـصَهُ

وَفـاقَ مَا دُونَه جبْريلُ مَا برحَا

وَشَرَّفَ الملأ الأعلَى كـذاك فخـذْ

مِنْ ذاكَ فَضلُ مِثَال النَعلِ مُنْشرحًا

أكرِمْ بنـعْلٍ إذَا خيرُ الأنام مَشَى

عَنْ لَثم أخمصه الميمُونَ مـابَرحَا

وَبالمثـال فـأكْرِمْ إنَّ فـيه لَهُ

مَعْنَى يفوزُ بِهِ فى الغَوصِ مَنْ سَبحَا

فـإن تَخطيطِ أعضاءِ الرَّسُولِ لَهَا

فى الشكلِ أشرفَ مِقدارٍ قَد اتَضحَا

وكُلُّ حَالٍ عَلَى كُلِّ الـشّؤون لَهُ

أجَلُّ حَالٍ بـه التكويـنُ قَدْ سَمَحَا

فـإنهُ صفْوَةُ الخـلاّقِ أوْجَدَهُ

عَلى أجلِّ مِثـالٍ قَدْرهُ رَجَحـا

فكُلَّ مِثْلٍ لِشَىءٍ صحَّ نِسـبتـهُ

إليـه منهُ إليـهِ الفَضْلُ قَدْ رَشحَا

نَعَمْ كَذَا شَكْلُهُ الزَّاهِي وَمَلْبَسُهُ
والفِعْلُ والقَوْلُ مِنْهُ كُلَّمَا سَنَحَا

بِذَاكَ سُنَّتُهُ الغَرَّاءُ قَدْ شَحَنَتْ
فَخُذْهُ رَغْمًا عَلَى مَنْ فِي المِثَالِ لَحَا

وَالنَّعلُ خُصَّتْ بِتَحْدِيدِ المِثَالِ لَهَا
فِي لَثْمِهِ مَعَ خُضُوعٍ لِلذُّنُوبِ مَحَا

مَعَ أَنَّهُ قَدِ أَقَلَّ الجِسْمَ أَجْمَعَهُ
تَذَلُّلًا فَاسْتَوَى مِنْ فَوْقِهِ سَبَحَا

وَصَانَ بِالنَّفْسِ مِنْ مَسِّ الثَّرَى قَدَمًا
لِلْمُصْطَفَى وَغَدَا فِي التُّرْبِ مُنْطَرِحَا

أَكْرِمْ بِهَا قَدَمًا مَا مِثْلَهَا قَدَمٌ
بِرَاحَةِ السَّعْدِ وَالانْجَاحِ قَدْ مُسِحَا

فَصِينَ حَتَّى رَوَى الحَافِظُ مِنْ طُرُقٍ
مِثَالَهُ مُسْنَدًا فِي النَّقْلِ قَدْ شُرِحَا

فَكَانَ فِي لَثْمِهِ كُلٌّ لَهُ شَغَفٌ
كَأَنَّمَا يَجْتَلِي مِنْ رَاحِهِ قَدَحَا

وَأَظْهَرَ اللهُ أَسْرَارَ النَّجَاحِ بِهِ
فَصَارَ بِالمَدْحِ مَخْدُومًا مِنَ الفُصَحَا

فَافْطَنْ لِمَا قُلْتُ وَاخْضَعْ وَاتَّضِعْ فَلَكَمْ
دَارَتْ عَلَى مَنْ تُعَانِي فِي الوُجُودِ رَحَا

يا سَيِّدِى يا رَسُولَ اللهِ يا سَنَدِى
وَيَا مَلاذِى وَمَنْ بِالغَوْثِ قَدْ مُنِحَا
يَا أَشْرَفَ الرُّسْلِ يا عَالِى المقامِ وَيَا
رَاعِى الزِّمَامِ وَمَنْ بَابِ الرَّجا فُتِحا
بِالبابِ عَبْدُكَ فَتح الله مُنْطَرِحٌ
قَدِ امْتَلأ بِكَ مِنْ بَعْدِ العَنَا فَرِحَا
مَا ذَاكَ إلاَّ لِمَا عَودتَه ولِمَا
فِى أُفقِ جُودِك مِنْ بَرقِ العَطَا لَمحَا
ولِلعنايةِ مِنْ ذِى العَرْشِ تَكْرُمَةً
لِمَنْ رَجَاكَ وَ مَنِ وَافَاكَ مُمْتَدِحَا
رَفْعًا لِجَاهِكَ مِنْ قَبلِ السؤالِ لَهُ
إذْ كُنْتَ أَعْلَى حَبِيبٍ عِنْدَهُ رَجَحا
فَكَيْفَ بِالفَضْلِ مِنْ بَعْدِ السؤالِ وَقَدْ
شَغَفْتُ مُبْتَهِلاً والجُودُ قَدْ طَفَحَا
بُشْرَاى بُشْراى يا بشْرَاى إنَّكَ لِى
أَخٌ شَفِيعٌ غَدًا يَسْتَجْزِلُ المِنَحَا
فَلَسْتُ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَخْتَشِى كَدَرًا
فِى كُلِّ حَالٍ فَنَهجُ الحَقِّ قَدْ وَضَحا
عَلَيْكَ أَزكَى صَلاةٍ لاَ يَزالُ كَذَا
أَوفَى سَلامٍ يُعِيدُ الصَّدْرَ مُنْشَرِحَا

وَيَشْمَلِ الآلَ والأصحَابَ قَاطِبَةً

وَكُلَّ مُتَّبِعٍ للهِ قَدْ نَصَحَا

ما عَمَّ فَضْلُكَ فى وِرْدٍ وفى صَدْرٍ

فكلُّ قصدٍ بيمْنٍ منكَ قَدْ نَجَحَا

وكُتِبَ لى بخطه إثر هذه القصيدة وقد وجهها إلىَّ مع جملة من القصائد ومقطَّعات له بما صورته ياناقد عصره، وواحد مِصْرِهِ تفضل بإصلاح ما فيه إن كان إذ كنتَ فى النقد شامخ الأركان وأسأل فى ذلك القبول فما أسعد من نهض لاختدام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فالله تعالى يجزيك عن ذلك بمثله ولم تزل والحمد لله تعالى من أهله والبقية ترسل غب[1] هذه إن شاء الله تعالى بعونه وصونه ولِمَ لا وهى خدمة لمثلِ نعلِ من هو بهجة كونه وليس لما أُرسل إلى الآن صورة عند الفقير فليتفضل المولى به بعد الاكمال حقق الله تعالى لناوله فى الدَّارينِ غايةَ الآمالِ بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وذريته والآل.

---

(١) غب أى قليل ومنه قول العرب زرغبًا تزدد حبًا.

حرف الخاء المعجمة

فيه خمس:

قال السبتي رحمه الله تعالى:

خُذِيهـا أيا نُفُـسى المشُوقـةُ كُلّمَا
سَرَى نَفَسٌ مِّمَّنْ هَوايَ بِـه بَذَخُ

جَمِيلَةُ شِعْرٍ أَوْدعتُ مَدْحَ نَعلِ مَنْ
بِشرعِهِ كَلُّ الشَّرائعِ قَدْ نَسَخْ

خَضَبْتِ نِعالَ الشَّيْبِ لَمَا رأيتُهَا
بِدمعِ مُحبٍّ عَقْدُ كِتمانِهِ فَسَخْ

خُطَاهَا أَفَادَ الأرضَ زَهْواً فإنها
عَلى قِمِمِ الشُّهْبِ المُنِيفَةِ قَدْ شَمَخْ

خَصَصْتَ أيا نَعْلاً بأسنَى مَزِيةٍ
تَبينُ لِمنَ فِي العِلْم أخمصَهُ رَسَخْ

وقلت:

أكْرِمْ بِتمثَالِ حكَى نَعْلِ مَنْ	فَاقَ الورَى بِالشَّرفِ البَاذِخِ
طَهَ أمِينُ اللهِ فِي وَحْيِه	مكِينُهُ ذُو المَنْصبِ الشَّامِخِ
طُوبَى لِمنَ قَبْلَهُ مُنَبِّئاً	بِلَثْمِهِ عَنْ حُبِّهِ الرَّاسِخِ
صَلَّى اللهُ عليهِ مَا سُطِّرتْ	أخبارُهُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ

وقلت:

تِمثَالِ نعالِ ذِي الكَمال الرَّاسِخ	مَنْ جَاءِ بِشَرْعِهِ المبينِ النَّاسِخِ

مَن لاذ بعِزّه المتين الشامخ   يظفرُ بدواءِ كلِّ ضرٍّ فاسخ

وأنشدني لنفسه سيدي الشيخ فتح الله البيلوني المذكور من الدوبيت الذي له فيه وغيره اليد الطُّولى صانه الله في الآخرة والأولى:

مَنْ رام على أساسه قد رسخا   في العزِّ موطَّدا بتقوى وسخا

فليلثمــنَّ مثال نعلٍ شرفتْ   مِنْ أخمصٍ مِنْ كلِّ شرعٍ نسخا

وأنشدني لنفسه أيضا رحمه الله ورضي الله عنه.

مثالُ لنعــلٍ لقد شرُفتْ   بموطِيء ذي العزة الباذخِ

حبيبِ الإله الذي قدْ مشى   علَى السبْعِ بالقدمِ الراسخِ

فلِمَ لا نَفْدِ بهِ أرواحنا   وننهلُ من فضلِه الراضخُ

فقبّله ألفًا وقلْ واحدًا   ولُذْ بذُرَى عزِه الشامخ

تكنْ في أمانٍ من الحادثا   تِ وتغدو لرأسِ العدا شادخ

حرف الدال المهملة

فيه إحدى عشرة:

قال السبتي رحمه الله تعالى:

دَعِ الطَّرفَ يَسْرَحُ في رِيَاضٍ تَزَيَّنَتْ
بِمِدْحَةِ تَعْلَى مُصْطَفَى الرُّسْلِ أحْمَدا

دُعِي فَمَشَى فَوقَ السَّماءِ فَلَم يَطأ
بِها مَوْضِعًا إلا وأصْبَحَ مَسْجَدا

دَنا فَتدلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ إذ دَنَا
فأوْحَى الذي أُوحي إليهِ مَنَ الهُدَى

دُنُوَّ حَبيبٍ مِنْ حَبيبٍ لأجْلِهِ
لآدمَ أملاكُ السَّماوَاتِ أسْجَدا

دَرَى فَضْلَهُ مَنْ في السَّماءِ فكلُّهمْ
يَرَوْنَ وَجيهَ المرْسَلِين مُحَمَّدا

وله أيضًا رحمه الله تعالى هذه القصيدة الطويلة التي نحا بها منحى قصيدة رائية بديعة لمحدِّث الأندلس الحافظ أبي الربيع بن سالم الكلاعي رحمه الله تعالى آمين:

تَبدَّتْ لَنَا والشَّوقُ يَقْدَحُ زَنْدَهُ
بِقَلْبِ شَجٍ لاَ وَجْدَ يُشْبهُ وَجْدَهُ

تَعَالَ رَسُولِ اللهِ أشْرَفَ نَعْلِ مَنْ
قَدِ اخْتُصَّ بينَ الرُّسْلِ بالسِّرِّ وَحْدَهُ

وإلاّ تكنْ نعلُ الرسُولِ فإنّها

مثالٌ وكم نـدٌ يُذكرُ ندّهُ

فيا ناظراً منها حديقاً تعاهدتْ

عهاد الحيا تروى رباه ووَهْدَهُ

فلله ما أزكى وأطيب نفحة

إذا حرّكت ريحُ الصبابة زَنْدَهُ

وأطلق شرقُ البحر بذر بهاره

وشمنا تروم الغرب فى الصيف وردهُ

كمثلى قبل فيه تقبيل فاخرٍ

بمولّى أعز الله فى الخلق عبدهُ

ونزه به طرفاً جفا النومُ جفنهُ

ومرّغ به خداً دمُ الجفن خده

فربّت ذى وجدٍ رأى أثراً لمنْ

به وجده يوماً فأطفأ وجْدهُ

أمولاى يا علّى النبيينَ منزلا

لدى اللهِ والمختصُ بالفضلِ عندهُ

نداه عبيدٍ أضرمَ الشوقُ وجدهُ

فباح بحبٍّ أبرم الصدق عهدهُ

وإنّ الهوى ما بين ذلك خمرةٌ

بعنقودها و السقطُ لأزم زنده

بحقّ هوَاى المحْض فيكَ الذى متى

يمحضْ بهوى في الدهرِ الفى وحْده

الْفى مَا ابـغـيـه منكَ وانهُ

زيارةُ قبرٍ شــرّفَ اللهُ لحْده

باشرَف جثمـانٍ لاشرفِ رُوحٍ مَنْ

وقى اللهُ ممـا يوهِن المجْدَ مجده

هُوَ المجـدُ لاَ مَجْدَ يمَاثله وهَل

يُماثل صفح السيف في القطع حده

سكِرت ومَا خمرى سوى حبّه ومَن

حسا خمر هذا الحبّ لم يخش حدّه

فـيا طيبـةَ الغرّاء أسعـدُ منزلٍ

تودُّ نجـوم الزّهر تنزُ وهده

الافَا خملى تَبذُ الـفخَارِ وَ حققى

بأنك قـد شـرفـت بالحمل نبذه

وأوطى على جيدِ العُلى عقده ترى

مشرّفةً أيضـا بذلك عقْده

بأعضاء مـخـتارٍ مِنَ الخلق مُرسَلٍ

إليـهم بدين أوثـق الله عـقـده

به نسخَت اديـانُ مَنْ كَانَ قبلَـهُ

ولا دينَ يـأتى الخلقَ للحشر بعْده

بَه شَادَ أبـراجَ الـعُلَى اللهُ رَبُّهُ
وثُلَّ بـه عرشَ الـضّلالِ وَهَدُّهُ
وَرَدَّ بهَ عَنَّا الرّدى وهو مـقبل
وَمَا كَان لَوْلاَ جَاهُهُ لِيـرُدُّهُ
رسول على الإرسال فضله الذى
حَبـاهُ بمَا لاَ يَبْلـغَ النُّطْقَ عَدُّهُ
وأنْ كَان رَسْلُ اللهِ صَلّى عليـهم
وَسـلَّم مَا صُدِيـنَا فرُضِدُهُ
حكوا سُورَ القـرآن نوراً وحكمـةً
وأحمد قد أضحى مِن الرْسِلِ حمدهَ
وفى الحمدِ ما فِيها من الشرفِ الذى
يُبينِ لَمـهْدِىٌّ مِنَ الـناسِ رُشْدُهُ
وَحَسبُكَ أن يَبْدُوا ويَختِم قـارِىءٌ
بَهـا وَ مُصَلٌّ فَرْضُهُ ثم وِرْدُهُ
كَذَاكَ رَسُولُ اللهِ أوْلُ آخرٍ
لَهُ المـنزُل الأعْلَى الـذَى لَنْ تَحدُّهُ
أمَوْلاَى ذَا قَصْدِى إليْكَ وأنْتَ مَنْ
يَبْلغ ذَا الـشـوقِ المبّرحِ قَصدُهُ
فَيـاطِيبَ عَبْدِ وَاصِلِ أرضَ طِيبـةِ
يمـرّغُ فِي تـلْك المعَاهدِ خَدُّهُ

مَعَاهِدُ أمْسَى الأنسُ فيها بِظَهْرِهَا

لَدَى وَحْشَةٍ قَدْ قَرَّبَ اللهُ بُعْدَهُ

وأصبحَ مَنْقولاً إلىَ بطنِهـا فَيَا

وَجَاهَةَ بَطْنٍ قَدَ وَعاه وسَعْدَهُ

سَعِيدُ صَعِيدٍ منْهُ أنشِيء أحْمَدَ

وَفيهِ الَّذى أنْشَا بالفَضْلِ رَدَّهُ

فكَانَ كَمِثْلِ الوَرْدِ فَارَقَ وِرْدَهُ

لمنفعةٍ مَا ثمَّ عاود وِرْدَهُ

وَخَيرُ كَريم لَيْس تَطْرِق آفَةٌ

فَتَى حُبُّه لِلطارقاتِ أعدَّهُ

عليْكَ وأنت السَّيدُ العَلَمَ الَّذى

أفَاد الثَّنَا فَهُو السَّناءِ وَحَمْدَهُ

بِل العَالم الإنسِيُّ عُمُومًا وَمِنْهُمْ

خُصُوصًا فَرِيقًا كَمل اللهُ جَدَّهُ

هِيَ الأمة العُلْيا الَّتى هُدِيَتَ وَمَنْ

أرِيدَ بهِ خَيْر مِن الخَلْق يَهْدِهِ

صلاة وتسليمًا وروحى فدِى انتهى

لكَ الفضلُ يَافذَّ الوجودِ وَفَرْدِهِ

عَدِيدُ صُنُوفِ الخلق عَلْوا وأسفلا

صُمُوتًا وذا نطق جمادٍ وضِدِّهِ

وَلَسْتَ مجيزٌ أنْ أضيفَ إلىَّ كذا
تَعَدَّى بيــــانِى مَالِسَانِى حَدُّهُ

كَشَمْسِ الضُّحى كَالمِسْكِ كَالقطرِ لَم يَنُطْ
بِهَ بـرقُهُ الأفقُ الــصقيلَ وَرَعْدِه

أجـاعلُ تَشْبيهِى حقيقةُ التـقتْ
غَلَطْت فـلـلـبَابِ المجَازِى رَدُّهُ

فَشَمْسُ الضحَى والمِسْكَ والقَطْرِ عَابَها
أخـو النَّقـد والبُرْهَانَ يَقْصُدُ نَقْدُه

بِكَسْفٍ وامْساكٍ وَهَذَا دلِـيـلـه
عَلَىَ ذَاك والإيضَاحُ لَم يتـعـدَّهُ

وَتِلكَ الَّتِى شَبـهتُهـا سَلَمَت سَنًا
فَجَاءت كَمـا شَاءَ الكمـالُ وَودُّهُ

صَلاةَ وتَسْليمًا ورَحْمى علَى الَّذِى
سَنَا وَحىِ ذِى العرشِ المجِيد أمَدَّهُ

علَى العُروةِ الوثقَى علَى القمرِ الَّذِى
علـى الخلْقِ ظَلَّ الأمْنُ والمَنَّ مَدَّهُ

علَى منقذِ الإنسانِ من حُفرَ الرَّدى
ولَولا سنَاهُ كَانِ فـيـهـا يَدُهدهِ

علَى مَنْ لَهُ الخلُقِ العظيم على الذى
أبانَ جميعُ الرسُلِ والكتُبِ مَجْدَهُ

على مَنْ لهُ المجدُ الصَّميمُ على الذي
به شَرّفَ الرحمنُ آدمَ جَدّهُ
على أحمدِ المعروفِ فى ظَهرِ آدمٍ
بترديدِه قَدْ شكَرَ اللهُ وحْدَهُ
علَى مُجْتَبىً قدْ نوَّرَ اللهُ قلبَهُ
علَى مصطفى قَدْ طهَّرَ اللهُ فَرْدَهُ
له المُعجزاتُ اللاتى لُحْنَ بطَرْفِ مَنْ
نَفَى نَوْمَهُ سَعْدُ وأثبتَ سُهْدَهُ
فمنها انشِقَاقُ البدْرِ ثم نزولِه
رآه الذي التوفيقُ وافَقَ رَصْدَهُ
ومنها حَنينُ الجِذْعِ بالمسْجِدِ الذى
بطيبةَ لمَّا آنسَ الجِذْعُ فَقْدَهُ
ومنها طلوع القُرْصِ بَعْدَ غروبِه
ومَا بسِوَى دَعْوَى سوِاهَا استَرَدَّهُ
ومنها سقوط السيفِ مِنْ كفِّ غَوْرَثٍ
وقَدْ كَانَ مِقْدَامُ الضَّلاَلِ ونَجْدِهِ
ومنها انْفِجَارُ المَاءِ مِنْ بين أنْملُ
تُقسِّمُ فى أنباءِ آدمَ رِفْدِهِ
إلى أن روَى منهُ الخَمِيسَ فيالَه
خَميسًا أطَابَ اللهُ ذُو الفضلِ وِرْدَهُ

ومنها غماءُ النمر حتى قضى به
دَيونَ أبيه جابرٍ حين حَدّهُ
ومنها كلامُ الشاةِ تنهى عن أكلها
فلم يَبلُغُ السّمام بالسُّم قصدَهُ
ومنها كلامَ الضبِّ والجملِ الذي
شكا كرهه الموهي قُواهُ وجلدَهُ
وإنَّ مُواليه يريدونَ نحره
ولم يراعُوا فيه بالأمسِ كَدّهُ
ومنها البعيرُ المبطىء السّيرِ ساطَه
فما وَجدت من بعد ذا النُّجب وَخْدَهُ
إلى غيرها من معجزاتٍ بَواهرٍ
فضحنَ عدواً باغياً رامَ جحدَهُ
تكاثرُ رملَ الأرضَ عدّاً ونبتها
وتفضُلُ سِلكَ الدر حُسناً وعقدَهُ
وتزرِي سناً بالنيرين وصلاً
منَ الفلك المجلوب بالصحو كَبْدَهُ
ومما بهِ خصه اللهُ رحمةً
وفضلاً وفخراً قدَ قضَى الله خَلْدَهُ
صَحابتهُ الغرُّ الاولى سَعِدُوا ففي
قُلوبِهِم قدْ أسكَنَ الله وِدّهُ

هم نصروا دينَ الهدى بسيوفهم

كما جدلوا نسرَ الضلال وودّه

وأولهم سبقا وأوحدهم علي

وأوجههم عند الإله وعنده

مقربه محبوبه مصطفاه من

جميعهم لا خلق يعلم نده

خليفته في المسلمين الذي له

مناقب عود الطيب تنسى وندّه

يمم ضلال اليمامة غازيا

ليروى دما قضب الحديد وملده

فما سلم الكذاب منها رئيسهم

مسيلم خنزير الضلال وقرده

أقاويله الزورية اللائي قد جت

ورأس الدجى لا شك بالنور شده

مقاتل أهل الردة الرجس الأولى

نحو سد باب حرم الله سده

أبو بكر الصديق أصدق صاحب

وأبذلهم في نصرة الله جهده

وثانيهم الموصوف بالشدة التي

بها دينه قوى الإله وشده

مُلاقي خطوبَ الدهرِ منه بعزمه

تحلّ من الخطبِ الكريه أشدّهُ

مُكسّر كسرى الفرسِ واضعُ تاجه

مُقلّبهُ بالعُود يَظهرِ زُهدهُ

مقصر أعمارِ القياصرِ بالقنا

مُدْن وبالصمْصامِ فارَق غمْدهُ

مواصلُ أسبابِ الهُدَى القدس الذى

عَنِ الحقِّ ماشىءٌ مِن الدّهر صدّهُ

أميرهم فاروقُهم عُمرُ الذى

مَدَّ العمْر لمَ يَفْرُق مِنَ الأمرادهُ

وثالثهم ذُو الهجرتين الفتى الّذى

شكا هَجْرَهُ شَخْصُ النعيمَ وصَدّهُ

مُجمّعْ ما فى الذكر مِنْ سُورٍ ومن

إذا رَدّ داعٍ قدْ دَعَا لَمَ يردّهُ

فذلك عثمان الشّهيد بدارهِ

بسيفِ شقيٍ فى لظًى ليهدّهُ

أبو عمرو الميمون قلبًا بذكر مَنْ

له من ضروُب الفخرْ أنطقَ صَلْدَهُ

فسبّحتِ الحصباءِ فى كفّهِ كَمَا

أتى في حديثٍ أكثرَ الناسُ سَردَهُ

ورابعهم مَنْ اَلبَسَته يَدُ العُلَى

اَجَلَّ قَميصٍ للعُلَى وَاَحدَهُ

تنحّى لتفريق الفقار به بِذى

الفقار كما أفرى واقطع حَدَّهُ

هُو السيفُ لَم تَجلُ الصَبا قِل صَفْحَهُ

ولاَ رَقَمت ايدى القيُون فِرنْدَهُ

تزوجَ بِنتَ الموتِ بكرًا صَدَاقها

أجلَّ صَدَاقٍ أحكم الحبُّ عَقْدَهُ

وليس سِوىَ الأرواحِ أشرَكْن بالذى

يَراهُنَّ مَا كَانوا وعَجَّلَ نَقْدَهُ

وَمِنْ جنة الفِردوسِ كَان خُروجُه

لِهذى وتلكَ الدارُ كَانَتْ مَردَهُ

فَيا عِظم مَا أَبلَى بهِ مِنْ مَوَاطِنٍ

تَشيبُ رأسَ الطِفل لَم يَعدوَ هَدِه

إمَامٌ هُمَامٌ قَاسِرٌ كَلَّ قَسْوَرٍ

وَمُدركُه لَوْ كَانَتْ الريحُ مَهْدَهُ

به فَتح الرحمن خيرَ عَنْوةً

وَسَدَّ بهِ مَا قَبْلَهُ لَمْ يَسُدَّهُ

وكَانَ رَسُول الله قَالَ لأعطِيَنَّ

غَدًا رَايَةَ الفَتحِ المبين وبندهِ

فَتَى وَدَّهُ خَلاَّقُه وَأَوَدَّهُ
كَمَا رَدَّنَا وَاللهِ يَنْصـــرُ وِدَّهُ
فَلَــم يَكُ يُعْـطَاهَــا سَوَاهُ كَرَامَةً
بِهَا اختصهُ مَنْ شَدَّ بالقصدِ عَضْدَهُ
وَقَد كَان مَـشدُودَ المحَاجِـر أرْمَدَا
فَفَتَقَ رَتْقَ الحبِّ مَــا ألد أســدَهُ
فَهبَّ هُبُوبَ الريح قَسـورُ جَحْفَل
تَوَلّى بِه ربُّ البـــرية عَضْدَهُ
وبِالبَاب بابُ الحصْن يُسْرَاه تَرَسَّتْ
فَــالله مِنه قَـــسْوَرٌ مَـــا أشَدَّهَ
هُوَ الآيَة العُظْمى التِي طُفِئت بهَا
مِنَ الكُفر مَا قَدْ أضْرَمَ الجـهلُ وَقْدَهُ
وَمَنْ كَان مَوْلاَه الرَّسُولُ فَــإنهُ
كَذَلِكَ مَوْلاَهُ فَــطُـــوبَاكَ عَبْدَهُ
أبـُوه الذي رَبَّى الـنَّبى ولَم يـزَلْ
لَهُ حَامـيًا فى السِّرِّ وَالجـهْرِ جَهْدَهُ
مَتَى خَاصَمَتْ فـيه قـريشٌ تلقهُمِ
خَصِيم اللســانِ الهـاشِمى مُلدَهُ
وَمن قَــولِه فِيــهِ يُنظم شَـأنه
وينشرُ مـا الـرحـمنُ أودع مَجْدَهُ

وأبيضُ يُستقَى الغمامُ بوجهِهِ

ثمالُ يتيمٍ كَدَّرَ اليُتْمُ وِرْدَهُ

فيا حسرتى إن مَاتَ لم يَجْنِ زَهرةً

قد أبرزها الإيمانُ باللهِ وَحْدَهُ

ولكنَّها الأقدارُ تَنْفُذُ بالذى

تَوَدُّ وَقد تَجرِى بما لَن تَوَدُّهُ

فينأى الذى أدنى ويُدنى الذى نَأَى

وَكُلٌ بِعلمٍ يَجْهَلُ العَدُّ قَصْدَهُ

ونجلاه سِبطا المصْطفَى السَّيِدَانِ مِن

بَنِى المجدِ لاَ ضيمَ ينالُ مَعدَّهُ

حَبيبَاه فِى الدارينِ رَيحانتَاهُ لَمْ

يَزَلْ مِنْهُمَا يَستنشقُ الوردُ وردَهُ

وأمهما مِنْ أحمد بضعةٌ ومَنْ

يكُنْ مِنْ رسولِ اللهِ جزْءًا يُمِدُّهُ

أفَاطِمُ لَم يبلغْ نُصيفكِ فَاضلٌ

مِنَ الخلق لمَ يَبْلُغْ أولُو الفَضلِ مَدَّهُ

فَيا صَاحِ قَلْ لاَ مَجدَ يُشبِه مَجدَهُم

وَصَوْتُكَ مَهمَا قلت لاَ فلتَمُدَّهُ

أبوالحَسَنِ الأسْمَى عَلى العُلَى الذِى

هُوَ البحرُ لَم يدْرِكَ يَدُ الجزرِ مَدَّهُ

وخامسهم بَحْرُ الندِ الأسَدُ الذى

يَبذّ ليوثَ اليأسِ أيدًا وأسْدَهُ

مُفَدى رسُول الله بالوَالدين إذ

مَلاَقلبه المنسُول بردًا وكبْدَهُ

وَبَشَّرَ مَنْ قَد جَزَّ بالسيفِ رأسَهُ

لِيمُ زَمانٍ كَان فيهِ وَوَغْدَهُ

بنارٍ لهَا غَيْظ عَلَى كلِّ قَاتلٍ

بَعَمْدٍ فَمَا أرْدَى واشأم عَمْدَهُ

حَوَارِيه مَنْ قَدْ حَوى زيّه سَنَا

سَنا العلم فالرَّحمنُ كَانَ مُمدَّهُ

أبو عائذٍ للهِ الزَّبير الذّي امتطيء

مَطَهمه المجْد الأثيل وَجْردَهُ

وسادسهم ذو الجودِ والسّؤدد الذى

بَعْدَ الصَّدى اللهفانِ للِغوثَ عَدَّهُ

مَوقى رسول الله بالكَفِّ جَوْدُهَا

يَحل مِنَ العيش المُهنأ رَغْدَهُ

فشُلّت وقد سُلّت من الهندِ مرهفًا

محَلا صَقيلا أكسَبَ الفَخْرَ هِنْدَهُ

فِطُوبى لهَا بمنى جنَتْ ثَمر المُنى

وَقَدْ حليت قلبَ النَّعيمَ وَقلْدَهُ

فَقل طَلحـةُ ذو المجـدَ طلْحُ ثنائه

لِســانُ بيـان الشـرع أحكم قَصْدُهُ

وسابعهم ذُو الفضلِ اقصِد سالكٌ

أدلَّ طريـقٍ للـهـــــدى وَأسَدَّهِ

وَمُفــرغُ قَطرَ الزَّهدِ يَجــعلُ بَينهُ

وَمَا بين يأجـوج الزخـارفِ سَدَّهُ

أمين أولـى الإيمان عامـر هم أبو

عـبيدةَ ذُو الخيـر الّذى لَنْ نَعُدَّهُ

وثامنهم ذو الوجـد والمال والتقى

فـــالله مَا أجْدَى وَ أبركَ وَجْدَهُ

مـلا ذكـره بطن الـسـمـاء ومـاله

مَلأ ظهْر هذِى الأرضِ غَوراً ونجدَهُ

وكم بات لم يطعم وأطعـم غيـره

وَقَامَ ولَمْ يَتْركْ مِنَ الـلَّيـلِ وِرْدَهُ

مُعـمم خيـر الخلق فـاتح دومـة

كَمــا وَدَّ خَيّر المرُسَلين وودهُ

فذاك ابن عوف مـقلة المجد طرفه

أجلُّ فـتًى يُثْنى عـليـهِ وَ يَمدَهُ

وتاسعـهم ذو الرمى بالنبل والدعا

فَمنْ يَرمِ عَنْ قِوسٍ وِفــيـه يَودَّهُ

له السيرة الحسنى له النجدة التى

رَمَتْ فَارسَ الكُفْرِ الصَّراحَ وكَردهُ

معوضهم من عيشهم واعتزازهم

بموتٍ وذلٍّ يعذبُ الموت عندهُ

فكم فرس قد راح أشهب واغتدى

من الدّم يحكِي أشقَرَ اللَّون وَرْدهُ

وكم فارس من فارس بشماله

عَنان فقدت منه يُمناه قدهُ

فيا ابن أبى الوقاص أنك واقص

من الكفر خيلاً أوجبَ الله طَرْدهُ

وياسعد ياخال النبى لقد سمت

فروعُ نجّارِ ثابتَ كُنْتَ سَعْده

وعاشرهم ذو المسك كالمسك ذكره

سَعيدٌ ولاَ سَعْدَ يماثلُ سَعْدَهُ

فتى المكرمات الأكرم الماجد الذى

يزين جَمعَ المجدِ طراً ووَفْدهُ

سلالة زيد الفخر أرشد مهتد

عِنِ الشرك جَدُّ سُابقٌ قد أصَدَّهُ

وممن به أيضًا حبا الله أحمدا

وعزَّزَ ذا الدينِ العزيزِ وجُنْدهُ

ذوو المجد عماه وجعفرٌ الذى

ملائكة الرضوانَ وارته لَحْدَهُ

فحمزة ليث الله لا ليث غابة

يُصَادُره إن هَاجتِ الحربُ جَرْدَهُ

له الفتكات البيض سودت العدى

وزادت سنا بدر الجهاد وحده

وكان إذا ما قرب الطرف واستطى

قراه بريش الرال يعلم برده

ولا برد إلا نشرة عربية

لا مثالِها داود قدَّر سرده

فيرعد منه القرن حتى كأنما

به نافضٌ قد قرب الروع ورده

إلى أن أراد الله منه شهادة

تبوئه عدن الجنان وخلده

على يد أشقى الزنج رامية غدرة

بحربته شل المهيمن زنده

فنادى الذى قد ألحف الذنب قلبه

بأسود مما ألحف الرب جلده

بقتلك يا وحشى سامى سامها

أصاب سواد الجلد حاما وولده

وعـبـاس العم الأعـم مكارمًا

بقـصـر من فـخـر الكرام أمـده

أبو الخلفا ساقى الحجيج أجل من

به يصـرف الصـرف الجليل وبنده

وجعـفرٌ الطيـار ذو المشهـد الذى

ملائكة الرحمن غدت فـيه شهده

محـمر راياتِ الهـدى بدم العدى

بنو الأصفر الأسـد الأولى لن يهده

مـقـدم يمناه ويسـراه قـربة

إلى منـزلٍ فى دار عـدن أعـده

وأمسك بالعـضدين بعـدهما اللوا

لواء الهـدى يبقى من الله عـضده

ويعـدهم الأنصـار والكلُ أنجم

قد أطلعـهمـا مولاه تكلأ مـجده

بهم خضد الأشراك شـرقا ومغربا

ولولاهم ما كـان أعوص خـضده

ذوا بلهم قـضبـان بأن نواعم

قد أنـبتن سوسان الحـديد ووردده

تصيب قلوب الشـرك طعنًا كأنها

تحب الفضا الجارى فتـقصد قصده

وإلا ففين الشرك حقدٌ وبينها

فتطلب منه وضعاصم حقده

وأسيافهم زرق دِقاقٌ كأنها

نطاق بها قد عين الرب ورده

ذكور ويعروها المحيض كأنها

إناث ولا غُسل عليهن بعده

فيا معشر السادات والكل منكم

يرى الصبر فى نصر الهدى وهو شهده

كأن عداة الدين زرعٌ محطمٌ

توليتم بالبيِض والسمر حصده

فأقررتم عين الرسولِ وحسبكم

بذا قرة تهدى إلى الطرف برده

ولله من أزواجه أمهاتنا

فرائد عليا قد أشربن وده

وأكرمهن الدرة الفذة التى

بها زين المجد المؤثل عقده

خديجة ذات الجاه إن ينشد امرؤ

به الله فى أمر تقبل نشده

لها الأثر المحمود والأثر التى

متى مُرَّعَرفُ الطيب عنه ترده

بنو المصطفى ما دون إبراهيم الذى

ردّاه رداء الصبر بالثكل فقده

بنوها وكل أشـــمس وأهلة

كوامل رسم الفخر حازوه وحده

وفيـهـا رسول الله قال مكرمًا

خليلتهـا وللدمع بخضل خده

الا إنهـا كانت تزور خديجة

ومن خلق ذى الإيمان يحفظ عهده

وبشــرها جــبريل عن ربه بما

لهـا الله فى دار النعيم أعده

وعائشة بنت الحبيب العتيق ال

مـصدق إيعاد الرسول ووعده

فـريدة نسوان الوجـود مناقبًا

متى يبد ذكر صالح تستجده

عليمة أهل العلم شمسهم التى

جلت سدف الجهل المضل وسده

وحفصة ذات الصيت والمنصب الذى

هو الطود لم ترق السوابق صمده

مـواصلة الأوراد والصوم دائمـا

ومـوصلة القلب الموحد عقده

وفـذة مـخـزوم جـلالاً مـبلغًا

قـصى المنى فى المـنزلين مـعـده

وزينب ذات الطول والطـول إنما

مواهبهـا تغشى - الغمـام وعهده

وزينب ذات الفضل بنتُ خزيمةِ

لقد وصلت بالجود ما البخل حده

وسودة ذات السودِ والعـز والتقى

متى صـد عن قلب تقيٍ لم يصده

ومـيـمـونة الميـمـونة البـرة التى

لها الفضل لم ترق الفواضل مجده

وبنت حـيى ربه الصـون والحـيا

صفية من أصـفى لها السعد ورده

ورملة رمل الأرض يمـكن عـده

لنا والذى خـصـت به لن نـعـده

وجـارية العليـا جـويـرية التى

تقـد سنامًا أختـهـا لـم تقـده

هنا منتهى الأزواج والكل أشمس

سناهن أسـداف الجـهـالة يسـده

ولما رأى من تـرب مـارية الـتى

هو أهاله لاصـرد يشـبـه صـرده

ســـرية ســـرياته أى منزل
ترقى من الطـود الفـخـارى قنده
فـسرية الإنســان تسـمو بمن لهـا
تسـرى وهذا المجـــد تعلم حـده
وإن لم تكن أمّا لهـا فـهى أم من
لفـقـدانه أبدى حـبيـبك وجـده
حـببى حـبـى فطرة وشـريعـة
فوا حكمـة من جل حبى مسده
مدحتك والأزواج والصحب والأولى
بقرباك تهـب الفخر أجـر وجرده
هو المدح مـا كـررتـه زاد طيـبـه
فينسى مشـور الأرى طعمًا وقنده
فــعلـمك يجلى كـل مـــدامسٍ
سكيتـا ولى القرد بالسـوط جلده
فــصـله أيا فكـرى لعلك بـالغ
من البحر ذى الماء الروى العذب ثمده
ولازم جناب ذا المجـد مــادحـا
ودع جـانبًا هند الجـمـال ودعـده
ولا تطلبى يانفسُ غيـر شـفاعـة
ووصل نعـيم لا أحـاذر صـده

وعافية شهبانها كلما عرا
بلاء تولت عن جنابى لهده
وقمع عداة لم يخافوا إلاههم
فباروا ذياب القفر صبراً وعقده
مذاهبهم ظلم العباد فإن يقل
لهم ناصح كفوا عن الظلم يزده
عبدك بالإيثار دان فلم يكن
ليختص دون الغير بالخير وحده
فعمم بهذا الخير كل موحد
هواك لديه خير علق أعده
وسلم رب العرش بدأ وعودة
عليك أبا فذ الوجود وفرده
سلاماً يضاهي للذى مر ذكره
وتصلية جاءت كذلك بعده

قلت قد استعمل هذا الشيخ رحمه الله تعالى لفظ تصلية وهو مما لا يجوز فى هذا المحل إذ يقال صلى الله على النبى صلاة ولا يقال تصلية لإيهامه الإشتراك مع الإحراق والإشواء والموهم مجتنب فى حق الله تعالى وفى حق رسوله عليه الصلاة والسلام كما صرح لذلك غير واحد وفى هذه المادة بخصوصها فقالوا لا يجوز أن يقال صلى الله عليه تصلية والله أعلم.

وأنشدني من لفظه لنفسه وكتبها لي بخطه صاحبنا الفقيه العلامة الأصيل أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي قوله حفظه الله وبلّغه قصده ومنّاه:

هذي نعال أحمد ... مولى المقام الأحمد
فاشكر أخي إذ شممت من ... برق سناها واحمد
واكتحلن بتربها ... فهو شفاء الأرمد
وارشف ثراها إنه ... يجلو صدا القلب الصدي
والمس بهاء طرسها ... تنل كمال المقصد
واقبس سنا من نورها ... فهي سراج المهتدي
كم من أمام أمها ... وبهداهم اقتد
وضمها لصدره ... ضمة ذي تودد
لها خصال جمة ... تربى على التعدد
من لم تزل في بيته ... يحظى بعيش أرغد
يضحي ويمسي آمنًا ... في كل يوم أو غد
لا يمتري في فضلها ... غير غبي أو غد
أو جاهل يقدرها ... أو جاحدٍ أو ملحد
كم أبرأت من علةٍ ... من كل داء مجهد
وكم أنارت من هدى ... بنورها المؤيد
وكم أبادت من ... عدى بسيفها المهند
وكمن أجارت من حمى ... بركنها المشيد
فهي أمان خائفٍ ... وهي رجاء المقصد

وهى عمادُ الملتجى	وهى مراد المرود
بالغ أخى فى مدحها	واشدد بأزرى واعضد
وانسب لها ما شئت من	فخرٍ ولا تفند
وقف هنا هنينة	وقفة صب مسعد
وانهض إلى تقبيلها	نهضة خلٍ منجد
وقل إذا قبلتها	مقالة المستنجد
يا أكرم الخلق الذى	قد حاز كل سؤدد
بالمصطفى آثاره	بها الأنام تهتدى
ويا مجير خائف	من كل سوء يعتدى
ويا مجيب سائل	إذا أتاه يجتدى
عبيدكم ببابكم	حيران ذا تردد
وافى علاك تائبا	من ذنبه المعدد
يرفع من مديحه	إلى علاك الأمجد
مدائح تنشق من	درٍ ومن زبرجدِ
تحكى عقود جوهر	أقسامها من عسجد
فامنن له بعطفة	من فضلك الممجد
ونهلةٍ من حوضك	العذب الشهى المورد
ووقفة بروضك	الغض الندى المورد
وزورةٍ لقبرك	المرضى الزكى الملحد
وأويةٍ له عسى	يكون ثَمَّ مرقدى
صلى عليه الله ما	بدا ضياء الفرقد

والآل والصحب الأولى فـــازوا بنيل الأسعـــد

ومن أتى مـــن بعـــدهم من كل حـبـــر أو حــد

ومن تلا جـمـيـعـهم مـــــا زم ركب أو حَدِ

ورددت من مـنشـــد هاذى نعـــال أحـمـــد

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم.

وقال الشيخ الإمام الشهير الكبير أبو بكر بن محـرز بن المغربى رحمه الله تعالى آمين:

أناظر شكـلى والنواظر تغـتـرى

إذا لم تكن عن نظرة القلب تهتدى

تأمل علـى الست المبين مـــورخًا

أخيه أخت جيلهـا صحبُ أحمدِ

ونسخة أصل كـتب بعض فصوله

مضـافٌ إلى كعب الـنبى محمدِ

يـــســمـونـنى نعـــلاً وتلك مُحِلةٌ

عن المصطفى كانت فأكـرم بمحتدِ

فما ضرنى اسم النعل لفظًا معرفًا

واجـلال قـتـر تاج كل مـوجدِ

ثم بعـد كَتـبى هذا بمدة وقـفت على أن هذا النظم إنما قـاله فى النعل النبوية التى كانت بدمـشق حسبما بينته فى الخـاتمة فينبغى أن لايعد فيما قيل فى المثال وها أنا أسقطه من العدد لذلك.

وقال الإمام الحافظ الرحـال الشهير أبو عبد الله محـمد بن رشيد

التهوى المغربى السبتى المالكى - رحمه الله - فى رحلته الحافلة الموسومة[1] بملىء العيبة، بما جمع بطول الغيبة، فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ما معناه لما دخلت دار الحديث الأشرفية برسم روية النعل النبوية الكريمة بالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولثمها، حضرتنى هذه الأبيات ونصه ولما حذوت على نعل القدم الكريمة قلت فى وصفها هذه الأبيات نفع الله تعالى بها:

هنيئا لعينى أن رأت نعل أحمد	فيا سعد جدى قد ظفرت بمقصد
وقبلتها أشفى الغليل فزادنى	فيا عجباً زاد الظمأ عند مورد
فالله ذاك اللثم لهو ألذ من	لما شفة لميا وخد مورد
ولله ذاك اليوم عيداً ومعلما	بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيّبٌ كما	يحب ويرضى ربنا بمحمد

وهذه القطعة أيضا كما قيل فى النعل لافى المثال فينبغى أن لاتعد كما أشرنا اليه فى قطعة ابن محرز السابقة قريبا التى قصد ابن رشيد معارضتها فى المعنى والروى والبحر:

وقلت أنا بلَّغنى الله المنى:

يا ناظراً تمثال نعلٍ	المصطفى سرُّ الوجود
عظم علاه فضله	ملأ التهائم والنجود
واكحل به عينًا غدت	تهوى الكرى بدل الهجود
واجعله خير وسيلة	فالله ذو كرم وجود
صلى عليه الله ما	أحيا الحيا الروض المجود

(1) الموسومة: المسماة أو الموصوفة.

والآل والصحب الكرام ذوى الركوع مع السجود

وقلت:

أبصرت مثال نعل طه الهادى فارتاح به ضنى فؤادى الصادى

فاستشف به لدا كربٍ وضنا تلقيه ليرد ذاك بالمرصاد

وقلت أيضاً:

ذا شكل نعال حائز - إرشادا من ساد علا وحبذا إن شادا

واحفظ وكن بحقه معتنيا والثمه وزن بمدحه إنشادا

وقلت:

إن شكلاً لنعلِ خير العباد سيد الخلق حاضرٌ مع بادى

فيه سر قد حازه باتساب لملاذ الأنام - يوم التناد

قد رويناه عن شيوخ ثقات من جهات صحيحة الأسناد

ورأينا من نفعه ما حكوه وأتانا تجريبه بازدياد

فهو برء السقام دون امتراء وهو أمن من الخطوب الشداد

فاتخذه ذخرا عظيما وصنه واعرفن حقه وكن ذا اعتقاد

فالمشوق الصدوق يقنع بالآ ثار ممن يهواه عند البعاد

ويطيل الوقوف عند طلول ويريق الدموع فى كل واد

هذه الحال فى الغرام فكيف الأمر فى حب موضح لرشاد

منقذى منجدى غياثى ملاذى ملجأ الكل عدتى واعتمادى

من به ارتجى الخلاص من الكر ب بدار الدنيا ويوم المعاد

خاتم الأنبياء خير رسول جاءنا بالهدى لنهج السداد

فعليه أزكى صلاة تعم الـ صحبُ طراً والآل دون نفاد

مـا تمنى شـفـاعـة منه صب   أو تغنَى بذكـرِه كلَ حـادِ

وأنشدنى من لفظه لنفسه العلامة البليغ سيدى الشيخ فتح الله البيلونى الحنفى - أبقى الله جلاله:

روحى لك يا مثال نعليه فدا   من يمنك كم سمت يمينى بندا

مذ شرفنى الآله منكم بسنًا   السعد إلى والهنا قد وفدا

وقوله منه:

إنى لمثال نعلِ طه الهادى   عندى منن ربت على التعداد

كم حُزتُ به المنى وكم فزتُ به   بالقصد وكم برزت للأضدادِ

وقوله منه أيضًا:

يا مِثلَ نعالِ شافع الخلق غدا   مذ فزت بك الردى تولى وغدا

مذ مثلك الخيال فى القلب له   قد نال من الزمان عيشا رغدا

وأنشدنى حفظه الله لنفسه:

مثال نعل بوطىء المصطفى سعداً

فامدد إلى لثمه بالذل منك يدا

واجعله منك على العينينِ معترفًا

بحق توقيره بالقلب معتقداً

وقبلنه واعلن بالصلاة على

خير الأنام وكرر ذاك مجتهدا

والثمهُ حتى ترَى فى القَلب نشأتهُ

فالمرتوى لظما لا يَعْرِفُ العددا

واسأل إلهك ما ترجوه منه به

ما خاب من باب خير الخلق قد قصدا

هذا طريقُ اجتلابُ العون من مَدَدِ

الرَّسولِ فيما عن الأشياخ قدْ وردَا

يا نَعْمَ مَا مِن مِثَال عز نسبته

من نعل خير رسولٍ قد أتى بهدى

فيه خصائص أسرارٍ لقد بهرت

من نَيل سؤلٍ ومن دفعٍ لكيد عدا

واليُمنُ فيه ففرع اليُمنِ فى قَدَمٍ

لنا النجاةُ بها فى يومنا وغدا

وفيه سِرٌ لأربابِ السلوكِ إلى

قطع الشكوك إذا ما يمموا رشدا

لولا تعلق أغراضٍ به عظمت

ما صحح القوم فى تحريره السندا

ولا تنافس أهلِ النقلِ فى طرقِ

الحديث عنه فحاشى ليس ذاك سدا

وافطِنْ لحليةِ خيرِ الخلقِ سيدنا

فإن فى شرحها سر النمو بدا

ولم يكن قَطُ فى قوم ومسَّهم

فقرٌ ولا نالهمُ من رامهم بندا

لكنهـا لم تمثل لـلصيـانة عن

ما فى التصاوير من قصد لقد فـدا

وعن تطرق مكـروه إليـه كـمـا

قـد صان ذو العـرش ظلاً منه حيث غـدا

كى لا يرى فى أديمِ الأرض منبسطًا

حفظًا لحـرمتـه فاعـرفه مـعتـمدا

فـإنه كـل منسـوب إليـه له

قدر وروحى لذاك الـقدر منه فِدا

وأين حليتـه الغـراءُ إذا شهـدت

من قدر نـعليه فى بونٍ اذا شـهدا

فـفى احتـرام مثـال النعل منه لنا

تذللٌ زايـدٌ عـزت به الـسعــدا

لأن قَدَر اتضــاع المرءِ رفـعـتـه

فى كل شـأن وذا تحقيق مـن نقدا

وكلمـا كـررتُ أمثـاله وربتْ

إضـافـة المثل من مـثل سناه بدا

كالبـدرينا عن الشمس المنيرة فى

سـير ولـلعين يـبدو كلمـا بعـدا

ياسيدى يا رسـول الله يا سندى

لأنت حسبى من كل الورى سندا

بيـابِ فـضلكَ فـتحَ الله ذو ثقـةٍ

بالفوز لا يخـتشى فى ذلك العندا

وأنت أكرم من وارى الـعوار ومن

والى الـنوال لمن أبوابه قــصــدا

يا سـيدى قـد كـفانى للنجـاة إذا

ناديت يا سيدى فى القرب منك ندا

قد اعترفت بتـقصيرى وإنك فى

غنـى عن المدح لـكنـى أروم ندا

صلـى عليك إلـهى دائمًا وعـلى

آل وصــحب وسار إثرهم بهـدى

حرف الذال المعجمة

وفيه سبع.

قال ابن فرج السبتى رحمه الله:

ذر الأنف يستنشق خمائلَ روضةٍ
نبذ نسيم المسك أنفاسها بِذَا
ذكرتُ بها نعلاً لأكرمِ مرسلٍ
براه الذى أعلاه فى رسله فَذّاً
ذرورٌ ثراها المسك فلق فإن تسل
عن أذكى من المسك الفتيق فقل بذا
ذكاء تمنت أن تكون حذاءه
تعى مدحها أو جلدة مثلها تحذى
ذوى حبها التذُّوا برؤيتها كما
بثوب ابن يعقوب أبوه قد التذا

وله أنشدنى أيضًا تقبل الله منه ولا صرف وجه وقايته عنه، ولم يلتزم البدء بحرف الروى كما فى التى قبلها وهى من خير كلامه رحمه الله تعالى ورضى الله عنه:

خذهُ أيا صاح خُذِى	تمثال نعل قد حذى
على نعال أحمد	منجى الأنام المنقذ
السيد المختَار من	قبيلة وفخذ
ذى الطُّول ذى الفضل الذى	حلاه لا تحصى بذى

وانظر إليـــه نظرةً	تجلى بها طرف القذى
وقــــبِّلْهُ دائماً	تقبيل ذى تلذذى
وقل إذا قــبَّلتـــه	ذى قُبلَةٍ تلــذذى
وناده يا ســـيِّداً	بغـــيره لم الذى
شكوى مُحب ما درى	غير الهوى من مأخذ
رمى بنبل للنوى	صوائب لم تشحذ
لـكنـهُ مَهْمَا رَمَى	بهـــا فليت تنفـذ
فَقَلْبـه من رشقهـا	كمثل جلد القنفذ
وقد رجوت والرجا	نهج الذى قد احتذى
إذا التى بالقرب من	هذا النوى المستحوذ
وبالجلال النبوى	الهاشمى تعوذى
من ان يضيع لى هوى	به فوادى يغتذى
فيا فؤادي بالعرا	أفعى المخافة انبذى
وان تشر للسع من	من زمرد الرجا خذى
وواره لمقلتيـهـا	كى تسبل ذى وذى
فذاك فى الأمان ـ من	عـــوائذ الزُمُرد

وقلت:

لما رأت عينى المثال الذى	أزهاره جاءت بعرف من شذى
قــبَّلتـه مـعظماً قدره	وكيف لا وأصله قد حذى
للمصطفى خير الورى عُدتى	وسيلتى معتمدى ومنقذى
صلى عليـه الله مـا أسندت	أخباره صحيحة المأخذ

وآله الأطهار مع صحبه ومن عدا سبيلهم يحتذى

وقلت:

من شكل نعال أحمد طاب شذا من اذهب نور بعثه كل أذى
فاستشف به من عين وقذا واصرف زمانك الذى قد وقذا

وأنشدنى لنفسه الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله:

تمثال نعال سيد الرسل إذا مرغت به الخدود لم تخش إذا
فاملأ بسنا ضيائه العين ولا تشفق أبدًا لمس سوءٍ وقذا

وأنشدنى أيضًا:

يا من بمثال نعل طه عاذا لا تخش إذا من العدى استحواذا
والثمه فقد سما بذا الشبه لذا من لاذ به كمن بطه لاذا

وأنشدنى أيضًا لنفسه قوله حفظه الله:

هذا مثال نعال ذى الجاه الذى هو شافعى فى النائبات ومنقذى
مرغت فيه الخد ثم لثمته ونشقت منه عرفه الذاكى الشذى
وملأت عينى من سناه بنظرة فيها الشفاء لكل ذى طرف قذى
فانزاح عنى علة تعلى الأسا فاجهد أخى مداويا هذى بذى
وكذاك فارو حديثه ثقة بما أسندته ونقلته عنى خذ
فهو الذى إذ ما تعسر مطلب وافاك بالإنجاح سهل المأخذ
فبيمنه ثق فى رجاك محصلا وبسره مما تخاف تعوذ
يا سيد الرسل استغاثة عاجز عن وصف بعض الحادث المستحوذ
من همة نقصت لذنب زائد وتعنت قد طال من عاتٍ بذى
يا سيدى بالباب فتح الله عبد واقف لقصوره لم ينفذ

بِمثـال نعلك لاذ وهو معـوذ　　بصلاة فـضلك فى اضطرار كالذى

صـلى عليك الله ما هبت صبا　　ك بمنعش ومـفـرح وملذى

وكذا على آل وأصحابٍ ومن　　فى إثرهم فى كل ندب جهبذ

حرف الراء المهملة

فيه خمس وعشرون إذ لم نعد التذييلات وبيتَىْ ابن خطيب داريًا وإلا فهى أكثر قال السبتى محمد بن فرج رحمه الله ورضى عنه:

رأيت مثال النعل نعل الذى به
إلى حضرة القدس العلية قد أسرِى

رعى الله منها أى نعل كريمة
برجل علت فخرًا على قمة النسرى

روى أنه نودى وقد رام خلعها
وماء الحيا فى وجنتيه معا يجرى

رسولى لا تخلع تشرف بوطئها
بساطى يا معنى وجودى وياسرى

رفعت لواء المكرمات جميعها
بيمن العلى والناس فى قبضة الدر

وقوله روى إلى آخره لا أصل له كما يأتى:

وبسندى السابق فى الباب الأول إلى ابن عساكر، قال أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأندلسى من لفظه رحمه الله قال أنشدنى محمد بن عبد الله القرطبى بسبتة، وأبو زكريا يحيى بن أبى بكر العبدرى بتلمسان، قالا أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن النجيبى، قال أنشدنا صاحبنا أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن خلف بن سعادة الدانى المقرى لفظًا بالاسكندرية، قال أنشدنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير البلنسى لنفسه رحمه الله آمين.

يا مبصراً تمثال نعل نبيه قبل مثال النعل لا متكبرا

واعكف عليه فطال ما عكفت به قدم النبى مروحًا ومبكرا

أوَ مَا ترى أن المحب مقبل طللا وإن لم يلف فيه مخبرا

قال ابن عساكر: وأنشدنى أيضا يعنى أبا إسحاق الأندلسى قال: وسألت شيخنا الأديب الكامل - أبا أمية إسماعيل بن سعد السعود بن عفير - رحمه الله - تذييل أبيات أبى الحسن بن سعد الخير المذكور فأجاب إلى ذلك وأنشد فيها بأشبيلية سنة أربع وثلاثين:

ولربما ذكر الحبيب حبيبه

بشبيهه فغدا له متصورا

أوَ مَا رأيت الصحف ينقل حكمها

فيوافق المتقدم المتأخرا

والمرء يطرب بالسماع ولم يكن

يحكى الذى قد هام فيه مبصرا

ويظن حين يرى اسمه فى رقعة

أن قد رأى فيها الحبيب مصورا

لا سيما فى حق نعلٍ لم تزل

صونًا لأخمص خير من وطىء الثرا

فعساك تلثم فى غدٍ من لثمها   كأس النبى إذا وردت الكوثرا

إلى هنا كلام ابن عساكر وقد رأيت لغيره آخر هذا التذييل بيتًا آخر لم يذكره وهو هذا:

صلى عليه الله - ربى دايما   مَا لاَحَ نجم فى السماء وازهرا

ولعله تذييل لهذا التذييل والله أعلم.

وقد ذيل تذييل ابن سعد السعود بعض العلماء المصريين وهو الأديب الفاضل شرف الدين عيسى بن سليمان الطربى المصرى، فقال إثر قوله إن أردت الكوثر ما نصه:

وعلى الصراط غدا تسير يمنها   كالطير أو كالبرق فى ليل السرى

أعظم بها نعلاً مشت فوق الثرى   وبها تشرفت الجباه من الورى

إذ جاورت قدما لأشرف مرسل   قدما أتانا منذرًا ومبشرا

فبها تمل مقبلا لنعالها -   وشراكها بالوجنتين معفرا

فعسى بجسمك أن تكون محرما   أبدًا على لهب غدا متسعرا

وافرض بما عاينت من تمثالها   أن قد نظرت إلى حبيبك مسفرا

فالصب يقلق إن تباعد حبه   وتراه يسكن إذ يراه فى الكرى

قلت لو ابتدئت هذه القطعة من قوله أعظِم بهَا نعلاً مَشَتْ فَوْق الثَّرا إلى آخره، لكانت مستقلة بنفسها محكمة بديعة وإنما عين كونها تذييلاً للبيت الأول منها فلو ابتدئت كما ذكرنا من الثانى وأسقط الأول صلح ان تكون مستقلة بنفسها ولكنَّ ناظمها ما قصد إلا التذييل نفعه الله بنيته وكل قصدٍ جميل.

وقال الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى من جملة قصيدته الرائية الطَّنَّانة الطويلة التى ختم بها الجزء المؤلف فى النعل، ومد فيها الباع وأطال النقل ـ ومد الرسن[1] وذكر المثال الكريم، ومدح فيها المصطفى ذا الخلق العظيم، وذكر جماعة من أهل السوابق ومن الآل والذرية المطهرين والزوجاتِ الطاهراتِ أمهاتِ المؤمنينَ رضى الله عنهم أجمعين، وأعلَقنا من حبهم بالحبل المتين، ولم أقف على الجزء ولا على تمام القصيدة وإنما رأيت الرحالة ابن رشيد حكى ما ذكرت فذكرته بلفظه:

فيا مطار الحشا شوقًا لرؤيته	والعين تشتاق مهما أبصر الأثر
مثال نعل النبى المصطفى عوضٌ	فى نعله حين حالت دونها العبر
فمرغ الشيب فى ذاك المثال عسى	بذاك شوبك للأعمال يغتفر
واذكر على قدم من عهده قدما	بسعيها البر نال البر مؤتمر
واستشعرن لثمها فى لثم ممتثل	به حذاء لها أودى به العصر
ففى تشابه آثار الأحبة ما	يرى به وجد مشغوف ويشعر

وأول هذه القصيدة الفريدة:

يا من لصب يرى أشجانه النظر	مهما تبَدَّا له من حبه أثر
يفى له الصبر عند النابيات فإن	يلح له أثر لم يبق مصطبر

وقد عارضه فيها بعض المغاربة ممن لم يحضرنى اسمه بقصيدة فريدة اتفق معه فيها فى البحر والروِى والمنزع وكثير من الألفاظ أولها قوله:

---

(1) الرسن ما يمد من الأزمّة على الأنف للبعير أو الخيل ج ـ المعجم الوسيط.

يا ويح للصب أن يبدو له أثرٌ من الحبيب بهيج أشواقه النظر

وستأتى بتمامها آخر الخاتمة وهى من جملة ما قيل فى المثال مع زيادة كما قبلها:

كتبت مثال نعل للنبى روته أئمة الإسلام طرا
وجودت المداد - له احتفالا تأنق من أراد بذاك ذخرا
وما ذاك المداد كما دروه من الأنقاش أو علموه خبرا
ولكن بعض نفسى سال نقشا ففجر للبراعة منه بحرا
سويداء الفؤاد لفرط شوقى تحلل فاستحال فعاد حبرا
وهل شرف لنفسٍ فوق هذا لصاحب نهبةٍ دنيا وأخرا

وقال الشيخ أبو الحسن بن مناد المغربى رحمه الله تعالى:

ورأيت على هامش هذه القصيدة بخط الإمام النحوى الرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى ثم الفاسى رحمه الله ما نصه قلت وفى هذه القطعة فى صدر بيتها الأول التجميع وهو أن يتهيأ للتصريع ولايصرع وإصلاحه أن يقال كتبت مثال نعل المصطفى إذا انتهى وقال الفقيه المحدِّث الحافظ الكاتب البارع صاحب التصانيف المتعددة فريد دهره الشيخ السيد أبو عبد الله محمد بن الآبار القضاعى الأندلسى البلنسى نزيل تونس المحروسة المقتول بها على يد سلطانها رحمه الله تعالى ورضى عنه على مثل بحرا - بن سعد الخير - ورويه:

لمثال نعل المصطفى اصفى الهوى وأرى السلو خطيئة لن تغفرا
وإذا أصافحه وأمسح لاثما أركانه فمعززا وموقرا

سر اعتزازى فى حيازِ تذليلى بجـــلاله أثرًا بـقلبى أثرا

إن شاقنى ذاك المثال فطال ما شاق المحب الطيف يطرق فى الكرا

لى أسوة فى العاشقين وقصدهم لثم الطلـول لأهلهن تذكرا

وبكائهم تلك المعـاهد ضلة تحت الظلام على الغـرام توقرا

أفلا أمـرغ فيه شيبى راشدا وأريق دمعى وسطه مستبصرا

ثقة يا تراى من الخيرات فى شغفى بنعلى خير من وطىء الثرى

ورأيت مكتوبا ببعض الأمـثلة فى هذا المعنى والبحر والرَّوِىّ ولم يسم قائله:

هذا مثال النعل نعل المصطفى خير البرية أحمد خير الورى

فامـسح به حر الجبين تبـركا إن كنت تكبره ولا مـستكبرا

والثمه شـوقًا مستعيـدًا لثمه فالشوق يقض إن تعيد وتذكرا

إن المحـب إذا رأى آثار مـن يهـواه ثاربه ـ الـغـرام فـائرا

أو ما ترى غـيلان مـية لائمًا ربعـا لمية باللوا قـد أقفـرا[1]

وقال الفقـيه البارع الكاتب أبو بكر محمـد بن يوسف بن النجار التميمى المغربى رحمه الله تعالى:

متع بتمـثيل نعل المصطفى بصرى

فـالطرف يرجع بعد العـين للأثر

واهد منه لإنـسـانى[2] سـنا والـى

نفـسى منى وللحظى أبهج الصـور

---

(١) غيلان مية عاشق عربى عشق مية . لائمًا: مقبِّلا . واللوا مكان معروف كان به ربع مية.

(٢) واهد منه لإنسانى أى إنسان عينى وهى حدقة العين الباصرة اهـ.

وحدثنى عنه حين ألثمه لتنعم النفس بين السمع والبصر
ومثلته بخدى واطيًا بشرى بسقيه من عبراتى كل ذى درر
لثمته فكأنى لاثم قدما فيما يمثل لى من أكرم البشر
عساه يبرد ما بالقلب من حرق ومن له وزناد الشوق فيه ترى

ومما رأيته أيضا مكتوبا ببعض الأمثلة الشريفة الحاكية للنعل السامية المنيفة ولم أعلم قائله:

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مواطنه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

ثم رأيت بعد مدة ما يدل على أن كاتب هذين البيتين فى المثال الشريف إنما تمثل بهما وذلك أنى وقفت على مجموع تذكرةٍ بخط بعض أكابر علماء مصر فيه ما صورته أخبرنى المرحوم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن المرحوم الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن قديدار رحمهما الله تعالى، قال: اجتمع الشيخ أبو الفضل ابن الإمام المغربى التلمسانى والشيخ العلامة علاء الدين بن سلام وجماعة من الأعلام بمزار السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة فانشد الشيخ علاء الدين بن سلام للشيخ جلال الدين بن خطيب داريا:

يا عين إن بَعُد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

قال: فقال الشيخ أبو الفضل هو قريب مما قاله لسان الدين بن خطيب وأنشد:

إن بان منزله وشط مزاره قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك غيرة أو عبرة هاذى نراه وهذه آثاره

قال ثم حدثنا فقال من عادة بلادنا تلمسان أن الإنسان إذا احتضر وضع على وجهه رداءٌ أسود وغطى به فاتفق أن إنسانًا كانت له زوجة من أجمل النساء وأحسنهن صورة وكان غائبًا فمرضت واحتضرت وألقى ذلك الرداء على وجهها واتفق حضوره تلك الساعة فلما شاهدها على تلك الحال وقف وبكى طويلاً ثم انشد:

ما كنت أحسب أن الشمس قد غربت
حتى رأيت الدجى ملقىٌ على القمر
أنشدتك الله فى حفظ الوداد فقد
بانت سعاد وهذا آخر الخبر[1]

إنتهى وانما كتبت هذه الوجازة بجملتها مع أن بعضها أجنبى مما نحن فيه لأنها لم تخل من فائدة والحديث شجون، وربما خلّت الوقار بالمجون وقد علم منها اسم ناظم يا عينُ إنَّ بعُدَ الحبيبُ إلى آخره، كما علم أيضا أن هذين البيتين لم ينظما فى المثال بخصوصه فلأجل ذلك المعنى لم ندخلهما فى العدد كما فعلنا كما تمثل به الفاكهانى من قول المجنون ولو قيل للمجنون البيتين وقد تقدما لأنا لم نَعُدُ فى هذا الباب إلا ما قيل فى المثال الشريف بخصوصه ولو عُدَ ما تَمثّل به من ذلك لكان لم يبعد والله ولى التوفيق.

(١) بانت سعاد: أى ذهبت عنى وانقطع خبرنا وفى البيت تورية لطيفة بانت سعاد وهى مطلع القصيدة التى مدح بها كعب بن زهير رسول الله ﷺ.

ثم بعد مدة مديدةٍ رأيت فى كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور[1]: أن الشيخ ابن خطيب داريا قال هذين البتين فى الآثار النبوية التى كانت بمصر قال: وهى التى ألقاها السلطان قنصوه الغورى آخر ملوك الشراكسة إلى تربته التى أنشأها بالقاهرة المحروسة فعلى هذا ينبغى عد البيتين لأن مثال نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الآثار النبوية فى الجملة وإن لم يكن من تلك الآثار المخصوصة.

وقال الأديب البيانى اليعمرى رحمه الله تعالى: وقد تذكرت هنا قول القائل فى المعنى والبحر والروى:

يا عين بالآثار من خير الورى فتمتعى إن شط عنك مزاره

ولئن حرمت زمانه لا تحزنى إن لم تريه فهذه آثاره

وقول الصلاح الصفدى رحمه الله تعالى:

أكرم بآثار النبى مُحَمَّدٍ من زاره استوفى السرور مزاره

يا عين يهنيك انظرى وتمتعى إن لم تريه فهذه آثاره

وأما قول شمس الدين محمد بن أحمد بن المهاجر رحمه الله تعالى:

زُر أشرف الرسل الكرام وإن نأى بك منزل أو شط عنك مزاره

فعليك بالآثار مغرى به لتشاهد الأنوار من آثاره

فهو من نمط ما تقدم إلا أن الراء فيه مكسورة.

وقال الأديب البيانى اليعمرى رحمه الله تعالى:

---

(١) كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور وهو كتاب مشهور لابن إياس المصرى.

نعل النبى عليها للهدى أثر

في لثمها لمنيب مخلص اثر

منها قياسٌ إذا أبصرت في صفة

كان موصوفها ما عاين النظر

فاجعله محراب ذكرى في تصوره

يفيدك النفع فيما أنت مذكر

والثمه لثم محب في تبركه

وابصر به ذو النهى ما خانه البصر

تشوقًا وحنينًا نحو موطئة

لله من وطن يقضى به الوطر

بسيد الرسل والمختار من مضر

ومصطفى الله من سادت به مضر

محمدٌ خيرُ خلق الله كلهم

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر

يا رب نرجوك حظًا من شفاعته

فإنك الكهف للراجين والوزر

يا رب صل عليه ما سرى نفسٌ

في روضة الحسن أو ما أينع الزهر

ومما رأيته مكتوبًا ببعض الأمثلة الشريفة ولم يسمَ قائله:

هذا مثال نعل المصطفى جاءت بإسناد به الآثار

فيه لنا بمواطن ومواطئ من خير من وطىء الثرى تذكار

قبّل به الوجه الأثيل مطرّزاً ... في صفحتيه من البهاء عذار

فقلت مذيلاً عليه ومكملاً له:

واسئل به الرحمن كل مقاصدٍ ... فيه لنيل المبتغى أسرار

وصل الصلاة على مشرّفه الذى ... قضيت به الحاجات والأوطار

والآلُ والصحب الكرام ومن تلا ... ما عاقب الليل البهيم نهار

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشريف الأصيل السيد محمد بن موسى بن محمد الحسينى الجمازى المالكى رضى الله تعالى عنه وحفظه وأدام علاه:

مثال نعال المصطفى أشرف الورى

به مورد لا نبتغى عنه مصدرا

أما إنها نعل لأشرف من رقى

طباق العُلى من جاء بالذكر للورا

فقبِّله لثما وامسح الوجه موقنًا

بنية صدقَ تلقَ ما كنت مضمرا

فكم روت الأعلام فيه فضائلاً

على مارأتْ فاسمعه يا عالى الذُّرى

إذا كان فى ركبٍ فأمن وإن يكن

بفلك نجا من هول بحربه جرى

وفى الدار ينجى من هلاك بهدمها

كذا من عدو أو حريق تسعّرا

وكم حاملٍ عند الولادة قد رأت
له بعد عسر وضعها قد تيسرا
إلى غير هذا من منافع شوهدت
لمثال نعل فضلها قد تقررا
لقد أكسبت من مسها خير أخمص
لخير نبى كل يمن توفرا
فيا رب متعنى برؤية تربة
لأحظى بتقبيلى الضريح المطهرا
وينحط عنى ثقل ذنبى فإنه
محل الرجا لا شك فيه ولا امترا
عليه صلاة الله ما هبَّت الصبا
وأزكى سلام نشره قد تعطرا
ورضوانه للآل والصحب ما انجلت
غياهب ليلٍ من نسيمٍ به سرا

وقلت:

أبصرت تمثالاً لنعل ... أجل من وطىء الثرى
فوضعته فوق العيو ... ن معظمًا وموقرا
ولثمته متبركا ... والدمع من عينى جرى
شوقًا لأشرف مرسلٍ ... المصطفى خير الورى
من لم تزل آياته ... فى الفضل سامية الذُّرى
صلى عليه الله ما ... سح الغمام وأمطرا

مع آله وصحابه ما سار ركب أو سرى
والتابعين بأسرهم من شرفوا بين الورى

وقلت أيضًا:

اكرم بتمثال نعل لأشرف الرسل طرا
من قد حوى كل فضل وطاب اصلا ونجرا
ومن كسى الكون حُسنًا وقلد المجد در
وحذا خلقًا عظيمًا بمدحه الذكْر يقرا
محمد ذو المزايا من به الله أسرى
عليه خير صلاةٍ تزيح سوءا وضرا
مقرونة بسلام ذك تارج نشرا
مع آله وصحاب حازوا ثناء وفخرا
ما أمه ذو اشتياق فنال نجحًا وأجرا
وحازه ذو اعتقادٍ فنال دُنيا وأخرا

وقلت:

ذا مثل نعال أحمد ذى القدر من صدق قوله انشقاق البدر
فاجعله وسيلة لنيل الأمر تظفر بمناك وانشراح الصدر

وقلت أيضًا:

الشوق نما برؤية الآثار والدمع أذاع كامن الأسرار
ياشكل نعال أحمد المختار قرت بحلاك أعين الأبرار

وقلت:

عن قدركم تقصر الأقدار من نوركم أضاءت الأقطار

تمثال نعالكم له أسرار تُقْضى لتعظيم له الأوطار

وقلت:

القلب تثير شوقه الآثار والعين بدمعها فشت أسرار

ذا مثل نعال من له الأنوار كم منفعة له حكى الأبرار

وقلت:

الصب يهيم إن رأى الآثارا يزرى بحراه دمعه المدرارا

يا شكل نعال من غدا مختارا أذكرت برجل من حوى الأسرارا

وقلت:

الصب يهيم إن رأى الآثارا شوقًا فيفضى دمعه مدرارا

يا شكل نعال من هدى الأبرارا كم حزت بنسبة له أسرارا

وقلت:

هبت نسماتكم مع الأسحار فارتاح لها المشوق ذو الأفكار

وانزاح بشكل نعالكم كل ضنا عن مبصرٍ حسنه بلا إنكار

وقلت من غيره:

لمثال النعال سرٌّ قصرت عنه العباره

وله نفعٌ عظيمٌ حقق الفضل اختياره

كيف لا وهو يحاكى نعل مصباح الأناره

يا له سراً بديعا حاز فى حسن نشاره

شافع الخلق الذى قد جعل التقوى شعاره

سيد الارسال طرا خير من يحمى ذماره

أحمد خير البرايا من أتانا بالبشاره

فعليه صلوات هي للنجح أماره

وعلى آلٍ وصحب حصلوا ربح التجارة

وسلام ما سرى الركب إليه للزيارة

وقلت على لسان حال المثال وهو مما يصلح أن يكتب فيه ومن ذا الذي يحصى فضله ويستوفيه صلى الله عليه وآله وسلّم وشرّف وكرّم:

أنظر إلى مثالاً سموت فوق المجرة

حاكيت أشرف نعل لأكرم الخلق أسره

محمد ذو المزايا من رفع الله قدره

وجاءنا بالمثاني وعظم الله أمره

عليه أزكى صلاة تكون للعين قرة

مع آله وصحاب هم للمفاخر غره

فالثمنى اشتياقا تكسب سرورا نظره

واسأل من الله تبلغ ماشئته دون فتره

فكل خطب مهول أزيح فى الحال عسره

فاعرف مقامى وصنى واطلب من الله يسره

وأنشدنى لنفسه الشيخ فتح الله البيلونى الحلبى:

تمثال نعال أحمد المختار فى هيئته بدائع الأسرار

فالثمه وكن بيمنه مفتتحا أبواب بلوغِ سائر الأوطار

وقوله منه:

فى شكل نعاله بدت أسرار قد قام بنقلها لنا الأبرار

مـا أسنده روايـة عن عـبث فالسر بحـمله اعتنى الأحرار

وقوله حفظه الله تعالى:

مثال لنعل المصطفى أشرف الورى

بمنظـره طرفى اسـتنار وأبصـرا

وتمثـاله فى لوح فكرى مـذ بدا

لقـد عـمر الأرجـاء فـيـه ونورا

أمـرغ منه الخـد فـيـه مـقبـلا

واغـبط من فى تربه الخـد عفـرا

وأرجـو بلـوغـا للمـرام بيـمنه

من الدين والدنيا جميـعا بلا امترا

وفـوزا برؤيا نعل أشـرف مـرسلٍ

وإن كنت عبدا فى الأنام مـقصرا

فقل ذا مـثال النعـل نعل محـمدٍ

ليـهنأ به سمـعى ويبهج مـخبـرا

وكرر على سـمعى المقال وحـبذا

فمـا مكثر من قـال خيرًا وأكـثرا

فإن له القـدر الجسيم الذى سـما

على أى أنواع الوجـودات قـدرا

حوى الفضل من نعل من القدم التى

إلى المسجد الأقصى بها أحمد سرى

وقد جاوز السبع الطباق بأخمص

إلى موطن جبريل عنه تأخرا

فهل بعد ذا من رتبةٍ ثَمَّ فى العُلى

تكون لمخلوق إذا ما تكثرا

فقبل مثال النعل منه ولا تقل

بلغت ذرى التعظيم منه موقرا

فذلك مما دونه جهد جاهد

ولو حاول التعبير منه لقصرا

فقابله بالإجلال منك تذللا

إذا رُمت عزاً شامخاً سامى الذُّرا

ومرِّغْ به خداً واعلن مصليا

على المصطفى من حبه أوثق العرى

فما القصد بالتعظيم إلا جنابه

فكل إليه بانتساب تكبرا

ومن أجله قد كان كل مكون

ومنه أفيض الجود فى سائر الورى

فلا جود إلا والوجود ابتداءه

ومن نوره فى الخلق ذلك قد سرا

هو الباب بدأ بالعطا وإجابةً

من الله رب العرش فى كل ما ترى

وحمد الورى لله فى ضمن حمده

فكل بـه نهج الهـداية أبصـرا

فـفى كل مـامنـا وفى كل مـالنا

من الخير طـه طاب وردا ومصدرا

فمن ذا يحـاذى أو يوازى أقل ما

له نسـبـةٌ منه لقـد مـان وافترا

فكيف ولا تفـدى مـنـالا لنعله

بأرواحنا شـوقـا ونقـضى نحـرْا

ونلثـم حـبًا للـنبى كـرامـةً

ونجعل فوق الـرؤوس تاجًا موقرا

فيـا خير مبـعوث ويا خيـر شافع

ومن مـدحه زان الوجـود وعطرْا

بيـابـك فـتح الله مـعـتـرفٌ بما

جناه من الزلات بالعـمد واجترا

ولكن له حق انتـسـابٌ بقـصـده

حـماك وحق المدح فـيك بلامـرا

وحق لما فـى ذاتك الله سـابقـا

من الرحمة العظمى على الخلق قدرا

وانك أولى من وفَى ولـديك مـا

أرجيه لم يبرح يسـيراً ميـسرا

فقل أنت فى جاهى وحرز شفاعتى

فلا تخش فى الدارين سوءًا ولن ترى

فيا حبذا يا حبذا منحةٌ بها

أبيت قرير العين اهتز بالكرى

إلهى فحقق من حبيبك طلبتى

بفضلك وامنحنى القبول ميسرا

فأنت الذى وفقتنى لمديحه

فأمليت فيه ما بعون تيسرا

ولولاك لم أنطق بحرف ولا بدا

لفكرى ولا يومًا على قلمى جرا

فاكمل لى الإحسان من ذاك بالرضى

ويلغنى من الحسنى وزدنى من القِرا[1]

وصلّ عليه مثل ما أنت أهله

صلاة بها كل الوجود تنورا

كذاك على آلٍ وصحبٍ وتابعٍ

ومن باقتفاء الشرع فى إثرهم سرا

---

(١) القرا: الكرم.

حرف الزاى

فيه ستٌ.

للشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى آمين:

زفير اشتياقى إذ بدا نعل معتقى مخاطبتى كتمى وشوقى قد عزا

زكت شفة قد قَبَّلت نعل سيد به عالم الإنسان أجمعه عزا

زعيم به هنا السرور لنا وفى مصائبنا العظمى المصاب به عزا

زهور سناه ظلمة الشرك قد جلا ولولاه كنا نعبدُ اللات والعزا

زمانى لا أنفك لاثمها أرى هو أنا هو أنا يا أخلاءنا عزا

وقلت:

مثال راق فى أبهى طراز حكى نعل ارتفاع واعتزاز

لأحمدَ خير من ركب المطايا شفيع الخلق عنوان المفاز

عظيم الأنبياء ولا مجار أمام المرسلين ولا موار

عليه تحية ممن حباه بفضل وعده حلف انتجاز

مع الصحب الكرام ومن تلاهم على نهج الحقيقة لا المجاز

وقلت أيضًا متبركًا بهذا الغرض مؤديًا من حقه بعض المفترض:

لناظره قد أكسب الفخر والعزا

مثال سما فخرا على قبة الجوزا

حكى نعل خير العالمين محمدٍ

أجلِ رسول بيَّن الرَّشَد والفوزا

عليـه صـلاة الله تتـرا وآله

وأصحابه الهـادين كنز الهدى حوزا

وقلت:

تمثال نعـالٍ من حبـانا الفوزا والعز وحـاز كل فخـر حوزا

لا يحصر فضله الورى فارغ له مقدار عـلا أناخ فوق الجوزا

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى الحلبى حفظه الله:

طرفى بمثـال نعل طه فـازا والقلب بحفظه أضاء وأمتازا

والخد يمسه كذا قـد ظفرت ما أسعد من لذى المزايا حازا

وأنشدنى أيضًا لنفسه من مجزوء الكامل المتشبه بالرجز المجزوء:

تمثال نعل المصطفى عنه بيانى قد عجز

رب السما أدناه من قـدم سما وله أعز

فله بأخمصه اتصـال مثله فى الفضل عز

حاز الفخار بذاك فهو به على العليا برز

فـاملأ فـؤادك بالغـرام به فنعم المكتنز

قد فـاز من قبله حب المبجل قـد عزز

ولفرصة العـمر العزيز بلثمـه منه انتهز

من فاته منه المنى يومًا لقد أخطى المحز

تفديه روحى إنها مـنها على هو الأعز

قد أظهر الرحمان فـيه السر منه وما رمز

وكأنما القدم التى وطىء السماء بها برز

لم يبد قط لناظـرى إلا ومنى الشوق هز

ما للذت مبتهلا به فى مطلب إلا نجز

ما رابنى فى يمنه شك ولا قلبى استفز

فالحمد لله الذى فتح البيان وما لغز

يا رب فتح الله عن شكر الأقل لقد عجز

لكنه بك سيدى مما يشين قد احترز

وبجاه خير الخلق فى كل الشئون قد احترز

صلى الإله عليه ما بمديحه كمل الرجز

والأهل والصحب العلا من فضله لهم أعز

حرف السين

فيه ستٌ.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى:

سـمـوت أيا نعل النبـى برجله
على قمم الشهبان والبدر والشمس

سرى ليلة المعـراج فـوق براقـه
ليسـمى أقطار السمـاوات باللمس

سماه به فلتـفـخرى بدر سؤدد
سليم السنا يضحى منيرا كما يمسى

سـراج بـه طُلْنا الذين تقـدمـوا
ولا عجب أن يفضل اليوم بالأمس

سلمـنا بفـضل الله لكننا وهم
حروفٌ وما الأطبـاق فى ذاك كالهمس

وقلت:

مـثـال نوره يـجلو الحنادس	بعرف حلاه عطرت المجالس
حكى نعـلاً لمن فـاق البـرايا	ومن شرفت بمنصـبه الملابس
ومن روض الفخار بـه نصير	وغصن الدوح من علياه مايس
فَعَظِّم قـدره والثـمه شـوقـا	ولاتَكُ من منافـعـه بآيس
فكم قد حـاز من نفع عظيم	مـفـاخـره لـصـورته أوانس
وصل على مـشـرفه صـلاة	بها الحسنات تجلى كالعرائس

وعـتـرته وأصـحـاب كـرام ومن أضـحـى بآثار ينافس

وقلتُ:

تمثال نـعال من أزاح البـأسا إذا ذهب عن هـدى الورى الإلبَاسَ

عظمـه وكن بحقـه معـترفـا واسـتجد بنور هديه مقباسا

وقلت:

اسـتـدفع الضـراء والبـأسـا بشكل نعل من هدى الناسـا

طه أمـين الله من قـد سمـا وحـاز للعـليـا أجناسـا

فالثمه واذكر رجل خير الورى وابدل الإيحـاش إينـاسـا

صلـى عليـه وعلـى آله من عنهم قـد أذهب الباسـا

مـسلمًا ما لاح برق الحمى أو زان مـدح النعل قرطاسـا

وأنشدني لنفسه الشيخ فتح الله البيلوني رحمه الله:

قلبي بمثـال نعل خيـر الناس من وحـشـة أزيل بالإيناس

بشـراي بما ظفـرت منه فـانا من بهـجته لكل حـسن ناس

وأنشدني لنفسه أيضًا:

بتمثال نعل المصطفى تُرفع الباسا فَلاَثِمُهُ لم يـعن يـومًا ولا يأسـا

له سـر يمن يذهب البـوس والعنا ويبدل قلب الصب من وحشة أنسا

فـيا حـبذا تمـثـال نعلٍ مكرمٍ رفعت بتمريغ الخدود به رأسا

ويا فوز من أدناه حبًا لصدره ويا سعد من بالخد يومًا له مسا

وداوى بلثم منه أدواءه ضحى فراح بأبواب الشفا وقد أمسا

فصير ذا ورد أمدى الدهـر معلنا

بأزكى صلاة طاب من نشرها نفسا[1]

على خير خـلق الله أرفعهم ذُرى

وأشرفـهم منمى وأزكاهم غـرسا

محـمد الراقى بـأخمصـه إلى

مقام عـلا الأملاك والجن والإنسا

وألبس أثواب القـبـول وشـاهد

الجليل شـهود باين الشك واللبـسا

وعـاذ معـاذًا من عـدو وحاسـد

بغرة وجه نورها يكسف الشـمسا

وأعطاه مـا لم يعط خلقًا كمـثله

وأرسله يدعـو لـه الجن والإنسـا

فـبـالروح أفـدى منه تمثـال نعله

ومن لى بربح لست أخشى به بخسـا

فلو أن لى روحًا تجـود على المدى

وتفد به ما جـدت لما أدت الخمسا

لأنى مع مـا بى ومـا لى بأسـره

فمن أجله معنى ومن فـضله حسا

كذا كل ما فى الكائنات من أجله

ومن فضله لولاه ما برحـوا طمسا

---

(١) نشرها: رائحتها.

فلم يزك إلا من زكى باتباعه

قد أفلح من زكّى وقد خاب من دسا

وإنى بحمد الله فى حصن جاهه

وقلبى بما منه له صدق الحسا

فعونى وصونى حبه واتباعه

وإن كنت مخطأ فرحماه لا تنسى

فيا من أتى للعالمين برحمة

مرجيك فتح الله لا يعلم البأسا

وفى بحر محض الجود فلك وجوده

على مستوى الجودى منك لقد أرسا

فكن يا أجل الرسل كافله فلن

ينال من الدارين عكسًا ولا نكسا

وحاشا وكلا أن يرى من مساءة

وأنت له الحصن المنيع من البأسا

عليك صلاة الله ما هبَّت الصَّبا

وأهدت لنا من نحوك اللطف والأنسا

وأزكى سلام والسلام سلامة

من الله يمحو الذنب والحوب والرجسا

كذاك على آل وصحب وتابع

وتابعهم ما زيَّن القلم الطرسا

حرف الشين

فيه بيتٌ.

قال محمد بن فرج السبتى رحمه الله ورضى عنه:

شـمخت أيا نعـلا لأكـرم سيـد
رسول على السبع السماوات قد مشى

شريف له قد أسجد البدر فالتفت
إليــه تجده بالتــراب منمــشــا

شفَى مبـصرى الطرف والقلب نوره
وقد كنت أعشى القلب والطرف أعـمشا

شـفاعـتـه نرجـو امـتداد ظلالهـا
إذا ما الرجـاء فيما سواه تكـمشا

شفقت جـيوب الكتم وجداً وقلت يا
ثرى لاثم خـد التصـبر أخـمشـا

وقلت:

رأيت مثالاً رايقًا حـسنه فشا	فأذهلنى منه الجـمال وادهشا
وذكـرنى آثار من قد هويتـه	وأورى ضرامًا فى الجوانـح والحشا
ورفعته فـوق المحاجر بعد أن	أطلت به لثمًا عن الشـوق قد نشـا
وسـرحت طرفى فى محـاسنه التى	تحاكى لنا نعلاً بها المصطفا [illegible]
عليه صلاة الله مـا ردد اسمه	أخو دنف مـضنى قابراً وأنعـشا

وقلت:

القلب برؤية المثال انتعشا | لكن جماله كساه الدهشا
فاجعله وسيلة وكن معتقدا | تظفر بمطالب كما كنت تشا

وأنشدني لنفسه الشيخ فتح الله البيلوني حفظه الله تعالى ورضي عنه:

السر لنا بمثل نعليه فشا | في الكون فكيف من على النعل مشا
من صير مسه لعينيه جلا | لا يعرف بعد ذاك ما عاش غشا[1]

وأنشدني لنفسه أيضًا الشيخ فتح الله البيلوني:

يا مثال النعل من أشرف من | لبس النعل وفي الأرض مشى
قد كساك الشبه أبهى رونق | تيم الألباب حتى أدهشا
أنت نهج في الترقي واضح | ما على بادي ضياء من غشا
ما رآك الطرف إلا مثل ال | فكر من أشواقه حشو الحشا
فكأني أمتلي منه سنا | قدم منه لروحي أنعشا
فاز من قَبَّل تربًا مسه | فازمن للخد فيه فرشا
يا لك الله مثالاً قد سما | كم له في اليمن سِرٌّ قد فشا
فهو كنزي في بلوغ المرتجى | وهو حرزي في دفاع المختشي
يا رسول الله إني آملٌ | منك في الدارين نيلي ما أشا
لم يزل عونك بي متصلا | مؤنسًا بالغوث لي ما أوحشا
حاش لله فلا يقطع ما | عود العبد به منذ نشا
فعليك الله صلى دائما | في صباح وأصيل وعشا

---

(١) العشا: مرض يصيب الأبصار بالضعف.

وقلت:

وعلى آل وصــحـب وعلى من براح الهدى والتقوى انتشا

من شاء طول الدهر إنعاشا فليلثم المثّال ما عــاشــا

تمثــال نعل المصطـفى من به أذهب عنا الله إيحــاشــا

له بنعل نسـبـةٌ قـد سـمت حـاشاه أن يقطعـهـا حاشا

صلى عليك أزكى صـلاة بها ينـال من أمله مــا شــا

وهذه القطعة نظمتها بديهة لصق الحجرة تجاه الرأس الشريف من الروضة الشريفة والله ينفع بذلك فى الدارين آمين.

حرف الصاد

فيه خمس.

قال السبتى محمد بن فرج رحمه الله تعالى:

صبرت فـما أن لاح لى مثل نعل من
حلاه تعـالت أن تُعدَّ وتُستـقصى

صببت دموعًا من جـفون كـأنها
عزالى سحاب نوءها النائى قد أقصى

صفوت هوى فى السيد العلم الذى
قد أسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى

صميم صميم الجلة القـمر الذى
وقاه الإله المحق والكسف والنقصا

صـــــراطى هواه لـلجنـان وأنه
يقى وقى جيد اعتصامى به الوقصا

وقلت:

لله تمثـــــال نـعلٍ	لمن له المجـد نصـا
فالـثمه شـوقًا وعظم	علاه لا تخش نقـصا
فنفـعـه ذو اشتـهـار	وفضله ليـس يحصى
وقـد سمـا برسـول	قص العجـائب قصا
اسمى الخـلائق قدرا	وأفضل الخلق شخصا
عليــه أزكى صـلاة	تنيلنا الحظ الأقـصى

والآل والصحب طرا ما عم لفظ وخصا

والتابعين جميعا من فضلهم ليس بحصى

وأنشدني:

أكرم بمثال نعل من قد خصا في الرسل بمنزل الفخار الأقصى

قبلت مثال نعله مغتبطا للفوز به فجوده لا يحصى

وأنشدني لنفسه:

أيا مثل نعلَيّ سيدٍ سبح الحصا

براحته حتى استبان وحصحصا

تعالى على أعلى مقامك في الورى

تبارك ما أولاك فضلاً وخصصا

تشاهد معنى فيك لو كان باديا

لأطرب كلا بالغرام وأرقصا

ولكنه سر فيجلى لسر من

مشاهده عن ربقة الطبع خلصا

وأخلص في حب الرسول فؤاده

وإخلاصه في الحب لله أخلصا

وقد قام إجلالاً له ومهابة

على قدم الإحسان حتى تمحصا

ففي كل منسوب إليه ترى له

طريقًا إليه في الشهود تلخصا

أجلك إذ مثلت نعليه مثل ما
أجلهما إذ لاقيا منه أخمصا
وما القصد بالتبجيل إلا جنابُ من
له قدم بالبهجة الكون قد قصا
حبيب إله العرش محرم حضرة
الدنو شفيعٌ فى المعاد لمن عصى
ألا يا رسول الله كن لى شافعًا
فكم لى من ذنب لعيشى نغصا
وكم لى من عيب تصور بعضه
إذا لاح لى أزرى مقامى ونقصا
فلم أر مثلى زائد الذنب والخطا
ولم أر منى فى المقامات أنقصا
ولكننى قد لُذتُ منك إلى حمًى
منيع به من لاذ يومًا تخلصا
وأنت شفيعى سيدى لم تزل على
خلاصى فى التحقيق منى أحرصا
عليك صلاة مع سلامٍ تكفلا
بآل وصحبٍ عدة الرمل والحصا
وقلت:

بمثال نعل من قد خصا ... بالفضل وجاءنا بوحى نصا
عظمه فإن فضله لايحصى ... واستشف به فلست تخشى نقصا

حرف الضاد المعجمة

فيه سبع .

قال محمد بن فرج السبتي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه آمين :

ضلوعي لا تهـدأ ودمعي لا يرقـا

وليس سوى حاليهـما منهما أرضى

ضلالي هدى في ذا الهوى عند أهله

ذوي النظر الأقوى السنن الأرضى

ضغن قلبي الشاكي تَحيْتَ نعالهم

فـآثارهم تشفي أحـبتهـا المرضى

ضمَّت نعـال المصطفى رجله التي

بها شرف الله السماوات والأرضا

ضعوها كمثلي فوق أرؤسكم فقد

زكا من رأى تعظيم مقـدارها فرضا

وقال بعضهم :

مـثال نعل النبي من نعله عـوض

وحب خير الورى في الدين مفترض

وللمـشـوق إذا تبـدو الرسـوم له

من حبـه إرب في اللثم أو غرض

فالثـمه شوقًا وتعظيمًا له عـوضا

فقـد يسد مـسـد الجـوهر العرض

واسمح جبينًا به مستشفيًا كلفا
بمسح من كان يستشفى به مرض
وصل عليه صلاة عرفها أرج
كالمسك يرقى ويبقى ليس ينقرض

وقلت بديهة:

يا ناظرًا تمثال نعل من أضا بنوره الكون وأكناف الفضا
قبله وارفع قدره معظما واجعله للدفاع سيفا منتضى
فكم أزال من كروب أظلمت أرجاؤها وأضرمت جمر الغضا
وكيف لا وقد سما بأحمد خير النبيين الشفيع المرتضى
من حكم الله برفع مجده عن كل ذى مجد رفيع وقضى
صلى عليه الله مع أصحابه وآله ما لاح برق أو مضا

وقلت:

لله مثال نعل طه الأرضى من شرف وطأه السما والأرضا
عظمه وصُن وأدِّ ذاك القرضا واجعله فديت عند ربى فرضا

ولما ألَّفتُ كتابى الموسوم بأزهار الرياض فى أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياحٌ وللنقل ارتياضٌ ورسمت فيه مثال النَّعل المقدسة وذكرت بعض ما قيل فيه من القوافى المؤسسةِ قال صاحبنا كاتب أسرار الخلافة الشريفة المتفىء من دوحة عزها صاحب الظلال الوريفة الأديب البليغ أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتى الفاسى حفظه الله مشيرًا إلى الكتاب والمثال واصفًا ذلك بصفة ضُرِبَت بإصابتها الأمثال والأطناب وقُدِّر قم ذلك المثال

بالذهب واللازوردى فجاء فى أحسن زى:

أهذه أزهارها ذى الرياض | أم هذه غدراتها والحياض
سالت بماء التبر خلجانها | على سواد زان منها البياض
وأزرق الصبح بها قد جرى | تخاله نهراً على الطرس فاض
تمثال نعل المصطفى شكلها | جعلت خدى تربه عن تراض
فـفاخر الترب نجوم السما | فالشهب من آفاقها فى انقضاض
تحسده الزرقاء فى لثمه | فالبرق من أحشائها فى ايتماض
اذكرنى عمرى ديار الهدى | فشمل دمعى أبداً فى انفضاض
شبه كليم الوجد من شوقه | فجفنه من وجده فى اغتماض
وقل له بالله هذا طوى | فاخلع وكن فى ملة الشوق راض
وانتشق الأزهار من روضها | واستشف منها ما لعيون المراض
كم بات معتل الصبا بينها | يروى أحاديث الشفا عن عياض
أيا إماماً جامعاً للعلا | ومن غدت أبحره فى افتياض
أبكار فكرى بين أبوابكم | تنزه الأحداق بين الرياض
إليكم قد رفعت أمرها | فاقض على الأبكار ما أنت قاض
قد بايعت بالحق سلطانكم | توفيه بالعهد دون انتقاض

ووصل هذا النظم الرائق بنثر من إنشائه الذى انسجم انسجام الأنهار - فى الحدايق ونصه المملوك بقُبل الأنامل - لا زالت مقبلة على الآمل ومنذ سمع منك أيها العلم الإشارة وقامت عنده لعمرك مقام البشارة انتصب على الاشتغال بوصف النعال من السيادة العلمية كفيلة بالتجاوز عن ألفاظها الملفوظة المذاق، وبيوتها الخاوية

على عروش الأوراق، وهو معترف بما لكم عليه فى ذلك من المن والمنح، ومشتاق إلى نظرة منكم بعين الإغضاء اشتياق الشريف لليلة السفح، والسلام كتبه المكلاتى انتهى وهو حفظه الله القائل فى كتابى المذكور هذه الأبيات الغريبة التوليد التى أنست ما اخترعه حبيب بن أوس أبو تمام، وأبو عبادة بن الوليد وهى:

أتى برياض فى عياضٍ وردها   مظالم كانت قبل معضلة الدا

وفاضت بنيل العلم منه أصابع   ومن عجب فيض الأصابع بالما

خليلى هذى معجزاتٍ لأحمد   فلا تنكر أن رد عينا إلى الرا

وهو وإن ألم فى هذا المعنى بقول أبى قاسم بن المالق فى عياض:

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم   والظلم ما بين الأنام قديم

جعلوا مكان الراعينا فى اسمه   كى يكتموه وإنه معلوم

لولاه ما فاضت أباطح سبتةٍ   والروض حول قبابها معدوم

فقد تصرف فيه وزاد ما لم يسبق إلى مثله واخترع ما يدل على قوة عارضته وعقله زاده الله من فضله وشكر عنى صنيعه إذ لم أكن لذلك مستحقًا، ولست من أهله ويعنى بقوله فيما سبق اشتياق الشريف لليلة السفح النقيب الرضى الموسوى نقيب الأشراف ببغداد وديوانه مشهور بأيدى الناس وعرَّف به ابن خلّكان وغير واحد وقد ذكر فى ليلة السفح فى بعض قصائده نفعنا الله به وبأسلافه الطاهر ابن وذلك قوله.

يا ليلة السفح إلا عدت ثانية   سقى أديمك هطال من الديم[1]

(١) الديم: الغمام الممتلئ ماءً.

ماض من العيش لوتبدى بذلت له

كرايم المال من خيل ومن نعم

بتنا ضجيعين فى ثوبى تقى وهوى

يلفنا الشوق من فرق إلى قدم

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى

مواقع اللثم فى داج من الظلم

وامست الريح كالغبرا تجاذبنا

على الكثيب فضول الريط واللمم

وأعيت الريح عنا وهى نائمة

حتى تكلم عصفور على علم

فقمت أنفض بردا ما تعلقه

غير العفاف وغير الرعى للذمم

وما أحسن ما لصفوان بن إدريس المرسى رحمه الله تعالى فى إنشاء رسالته من التلميح إلى هذه الليلة التى جر فيها لبلوغ الأمل ذيله إذ قال، وإلا من قد ألقى علينا رداه، وأبرأ سقام ذلك الروع وداه فحللنا منها بمسرح أمثال ومقترح آمال، جنتان عن يمين وشمال، روضات قد أينعت بها الأزهار، وانبعثت بها الأعين، وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، فبتنا بها بليلة عاطرة النفح تزرى بليلة السفح.

ياطيبها ليلة لو لا تذكر كم مابت فيها أشق الجيب من ألم

أقـول إذا نسـوا فيـما هناك وبى

عن قولهم صـمم ناهيك من صمم

ردوا على لـيـالىَ التى سـلفت

لم أنسـهن وما بالعـهد من قـدم

وقد ذكر فى ما سبق قول ابن أبى حجلة فى سفح الشام لما شام، من بروق الشوق مـا شام، والحديـث شجون، وربما شـيب الوقار بالمجون، وهو قوله رضى الله عنه.

يا ساكنى السفح لى فى حيكم سكن

وأنتم فـى سـويد القلـب سكان

دمـعى يـزيد كـبناس لبـعـدكم

والعـاذلون على ثورا ثـيـران

وادِ سـقى روضـه من راح وابله

كأس الشقيق وغصن البان نشوان

فى ربوة أنشـأت بالجنك لى طربا

وبات للورق حـول الدف عيـدان

وهذه مواضع ورَّى بها وقـصى للنفس منتهى آرابها سـامحه الله ولنعد إلى ما ماكنا فيه فإنه المهم والله المرشد الملهم والشرط أملك، كـان عليك أم لك، فنقـول: وأنشدنـى الشيخ فـتح الله البـيلونى أنسى[1] الله فى أجله وبلغه الله غاية أمله لنفسه.

من شرف مس أخمصه الأرضا   تمثال نعاله شـفـاء المرضا

---

(١) أنسى: أخر.

فالروح له فدًا وما أسعدنى لم أرض له بغير فالأرضى

وأنشدنى لنفسه أيضًا:

مثال النعل من خير الورى فى الحالكات أضا
فكم من محنة جليت به والسخط عاد رضا
ألوذُ به وألثمه إذا ما حادث عرضا
والصقه على خدى ولا أبغى به عوضا
وأرجو الغوث من مددٍ الرسول كبارق ومضا
فألقى ما أرجيه ومنه أبلغ الغرضا
فكيف ولا أرى لثمى له ما عشت مفترضا
فلى قلب به وله لخالص حبه محضا
كما يهوى الطلول فتى لمعنى عندها اعترضا
تذكره أحبته وعيشا بالوصال مضا
فلا ينفك يلثمها ويسفح دمعه حرضا
ويشفى منه علته ويستشفى به المرضا
ألا يا خير مبعوث بيسر فى الأنام قضى
إليك أويت من ذنبى وعقدى فيك ما انتقضا
فكن لى سيدى سندا وعاملنى بمحض رضا
عليك صلاة ذى العرش المهيمن ما الصباح أضا

حرف الطاء المهملة

فيه تسع .

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى:

طوت بعض ما من وحشة نشر النوى
نعال خطاها فى المكارم لا تخطا

طفقت أنادى حين لاحت لناظرى
وزند الهوى بالقسط قد وصل القسطا[1]

طب أنعم تتنزه يا فؤادى فهذه
نعال الذى جاوزت فى حبه الفرطا

طبعنا على حب له فمتى يلح
لنا أثر ننثر من أدمعنا سمطا

طلعنا نجومًا فى هواه فأفقنا
قد أخلد عنه النجم للأرض وانحطا

وأنشدنى لنفسه صاحبنا العلامة الفقيه أبو الحسن على بن أحمد الخزرجى الفاسى الشهير بالشامى حفظه الله تعالى بفاس المحروسة بالله تعالى آمين.

مثال النعل فى القرطاس خطا	بسمر الشوق فى الأحشاء خطا
ولما أن لثمت نداثره	وغشى نوره جفنى وغطا
شممت الورد من رياه ندا	وشمت البدر من علياه خطا

(١) القسط: بفتح القاف وضمها عود طيب الرائحة.

فتفجر لى من العينين بحرا ونثر من لآل الدمع سمطا
وزاد لنحو دارهم ولوعى وعروة لوعتى وثقى ووُسْطَى
وروى من سحاب الجفن جسمى وأورى من زناد الشوق سَقْطا
وهز من الهوى عطف ارتياحى لأرض لم تزل تزداد شحطا
وذكرنى معاهد لست أنسى المزار بها ولو بالبعد شطا
معاهد خير من ركب المطايا وأكرم من خطا نعلا وأوطا
بأخمص رجله الحسناء حازت مفاخر لم يطقها الوصف ضبطا
سمت فسعت لها زهر الدرارى لتلثم ركنها وتطوف شوطا
فكلت دونها وسطت عليها ولا بدعا بذاك الفخر بسطا
فمن قال الهلال لها مثال لعمر الله فى التمثيل أخطا
ولكن البدور لها نعال تود بها تداس علا وتوطا
وما طلعت عيون الشمس إلا لطلعتها تروم بها محطا
وما رقصت غصون الدوح إلا لعلياها تحط الرأس حطا
وما غنت طيور الأيك إلا عليها تعتلى الأغصان خرطا
وماحنَّت حداة العيس إلا تروم وتبتغى أثلاً وخمطا
وما هبَّت نسيم المسك إلا لرؤياها تُنال بذاك خلطا
ولو يومًا تخطت أرض جدب لما ألفت بها فى الدهر قحطا
يحق لنا نعظمها جلالا ونربط طرسها بالقلب ربطا
ونتنعل الوجوه بها جمالا ونجعلها على الآذان قرطا
وتعتصب المفارق مَن تراها وتكتحل العيون بذاك شرطا
تعفر وجنةً منها وخداً وتخضب من سواد الراس شمطا

وننشد من يعاتب فى هواها … إليك خبطت من عشواء خبطا

ودعنا والهوى إنا أناس … يزيد غرامنا بالعتب فَرْطا

وإنا معشر العشاق ممن … يرى جور الهوى والبعد قسطا

ونقنع بالخيالِ مدى الليالى … وإن طال التباعد أو تشطا

ولا سيما المثال وقد تبدى … يجر على الجوزاء مِرْطا

وما نعلا نريد ولا مثالا … ولكن من بها العليا تخطا

نبى إن أتيت إلى حماه … وجدت سماحة فى الخلق سبطا

أتى والدين أصبح فى انقباضٍ … فعاناه إلى أن نال بسطا

وقاتل فى سبيل الله حتى … أزال عن الورى قنطا وضغطا

وعمت دعوة منه وغمت … بآيات الهدى فرسا وقبطا

فطوبى للذى لبى سريعا … ويا ويل الذى عن ذاك أبطا

سمى لسما العلاء فنال قربا … وهم بنعله نزعا وكشطا

فنودى: طأ ولا تخلع نعالا … وأبدل من مقام الروع بسطا

فأيده الإله بروح قدس … ومدَّ له من التقديس بسطا

وعظمه على الإرسال طرا … ونظمه بعقد الوحى وسطا

هناك حباه فرضًا من صلاة … بها عنا الذنوب غدت تحطا

وسدد ه إلى أن جاء موسى … وردده إليه يروم حطا

إلى أن صيَّر الخمسين خمسا … وأبقى أجرها والإصر حطا

وأعطاه الشفاعة يوم حشر … يقول أنا لها والناس قنطا

وتعجز دونها الإرسال طرا … وتأتى الناس سبطًا ثم سبطا

إذا الجبار يبرز فى انتقام … ويُبدى للورى غَضبًا وسخطا

فيدنيه ويلهمه بفضل   محامد مثلها ما قط أعطا

فمهما رام يشرع فى سجود   ويضرع بالدعا ويخر هبطا

ينادى ارفع تُطَعْ واشفَعْ تُشَفَّعْ   وقُلْ يُسْمَع وسَلْ ما شئت تُعْطَا

فيحظى بالمراد قرير عين   بما أولاه تكرمة وغبطا

ويصدر شافعًا فى كل عاصٍ   مصر دنس الأعمال خبطا

جزاه الله عنا كل خير   وحاط به ذمار الدين حوطا

ويخرج من له أدنى نواة   من الإيمان والنيران فرطا

ولا زالت صلاة الله تترا   عليه ما بدا بدر وغطا

تفوح وختمها مسك عبيق   يعم عبيره آلا ورهطا

ولما أَلَّفت أزهار الرياض قال فى ذلك حفظه الله مشيرًا للمثال الشريف:

أيا ناظرًا متع جفونك ساعة

بأزهار هذا الروض من حيث ما تخط

وقف موقف لاذلال لله واطلبن

بها نفحة الرضوان إن راعك السخط

فلو لم تكن مقبولة عند ربنا

لما كان من هذا المثال بها وخط

وقلت مذيلاً عليه:

مثال نعال المصطفى سيد الورى

فالله منه الشكل والرقم والضبط

فقبله واعرف حقه وارع قدره وسل حل ربط الكرب ينحل الربط

وصل على خير الأنام وصحبه وآل كرام منهم الحسن السبط

وقلت على لسان حال المثال المقدس الكريم، على مشرفه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه وأنصاره وحزبه:

انا مثال حكيت نعلاً لأشرف العالمين رهطا

وأرفع المرسلين قدرا وأعظم الأنبياء قسطا

فمن يقس بالهلال شكلى فذاك لاشك فيه أخطا

طوبى لعبد رأى مثالاً فجاز باللثم فيه بسطا

وكل مستشفع بقدرى نال الذى قد أراد شرطا

وانتجز الوعد دون شك وحاز ما كان عنه أبطا

علوت بالمصطفى ولِمَ لا وقد سحبت الفخار مرطا

عليه من ربه صلاةٌ تنظم در القبول سمطا

وتبلغ السؤل كل راج بجاهه ما أراد يعطا

وكذا سلام له وللصحبِ ما دعى باسمه خطا

وقلت:

تمثال نعالكم أراح السخطا يا أكرم من مشى بنعل وخطا

فاشفع لملابس لذنب وخطا ما تاب وشيبه لفوز وخطا

وقلت أيضاً.

وأنشدنى لنفسه من غيره رضى الله عنه:

يا حسنَ لآلى بدت فى سمطٍ

من شكل نعال من أتى بالقسط

فالثمه وزد ولا تكن بالمبطى   واجعله وسيلة لنيل البسط

وانشدنى لنفسه الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله:

يا مثل نعاله الذى قد خطا

من دون علاك كل قدر خطا

مثلت نعال سيد الخلق وقد

حازت قدما على السماء قد خطا

أتمثال نعل بالمهابة قد خطا

على وفق خط فى الحكاية ما خطا

فطابق نعلا مسها الأخمص الذى

بأنواره السبع السماوات قد غطا

وقد حدد الأشياخ خطاله كما

رووه بإسناد قد استكمل الشرطا

وعنعنه كل لذا النقل واعتنى

بذاك لأسرار به تقتضى الضبطا

ففاق على البدر المنير ضياؤه

وابدل قلب الصب من قبضه البسطا

لأنت من الدر الثمين فريدة

لقد ختم فى نظمها السمطا

فَزَيَّن جيد الدهر حُسْنًا وبهجة

وكانت لآليه بأذانه قرطا

وقد قابلت فى النظم أول درة

ومن دونها ما جاء فى الرتبة الوسطا

فكان لها من قر بها منه نسبة

هى الشرف العالى الذى أوجب الغبطا

فتفديك منى الروحُ للنسبة التى

نمتك وإن كان المناط بها شطا

فخيرُ الورى لا يستقل بنسبة

إليه وان شطت فسبحان من أعطى

وأمرغ فيك الخد بالذل راجيا

رضاه فإن الذنب قد يورث السخطا

وحاشا وكلا أن يخيب طالبا

أتاه بإذلالٍ فمن جاء ما أبطا

فيا خِيرَةَ الرحمان من خلقه ومن

لأخمصه السبع السماوات قد وطا

ويا من له القدر الذى دُونَ دونه

من الخلق طرا كل مرتفع حطا

على الباب فتح الله يرجوك شافعًا

وذلك أقصى الجهد من مذنب أخطا

فعامله بالفضل الذى أنت أهله

فجاهك زلات الجميع لقد غطا

عليك من الله الرؤف على المدى

صلاة تفوق العد والحد والضبطا

تعم جميع الآل والصحب والذى

على أثرهم فى منهج الحق ما اشتطا

وقال الأديب العلامة الكاتب المجيد القاضى أبو الحكم مالك بن المرحل السبتى دفين فاس رحمه الله تعالى:

أدمعك أم سمط وقلبك أم قرط

وشوقك أم سقط جسمك أم خط

أخافرة بعد النزوع عن الصبا

وللشيب شهب فى عذاريك أم وخط

أجل لا ولكن نفحة قدسية

إسم لها ترب الجنان فانحط

رأيت مثال النعل نعل محمد

ثملت ومالى غير ذلك اسقط

رمقت حجاب السبع عن حسن وجهه

فأبصرته فى سدرة المنتهى يحط

رأيت مثالاً لو رأته كرؤيتى

نجوم الدجى والليل أسود مشمط

يسر الثريا أنها قدم ولم

يسر الثريا انها أبداً قرط

الا يأبى ذاك المثـــال فـــإنه

خيال حبيب والخيال له قسط

فــإن لا تكنهـــا أو تـكنه فـإنه

أخوها اعتدالاً مثل ما اعتدل المشط

أرى لثمـه مثل التيمم مجزيا

فالثمه حتى أقول سينغط

ومـــا هى إلا لوعـــة وصـبـابة

بقلبي لها سقط وفى مدمعى سمط

فذقت الكرى فى الدمع واصبر فى الأسى

فاغرق ذا نقط واحرق ذا نقط

فلا تفعلى يا عين أو يطفأ الأسى

وهيهات أن يطفا وموقده الشحط

سيطفى ليوم الحشر عند لقائه

على الحوض بالكاس الروية إذا يعط

تبسط عـبـد مذنب غير أنه

لحب رسول الله صح له البسط

عليه سلام الله ما عَنَّ عارض

ولاح لـه برق وسح لـه نـقـط

ولما أنشدنى القاضى محمد بن عبد الملك المراكشى هذه القصيدة الطائية بعد قوله أنشدنيها ناظمها اتبع ذلك بالاعتراض جريًا على عادته التى وافقها وأبى أن يفارقها حتى عادت له طبعا وقرع بجوار

غربه من صليب عودها تبعًا، فقال عفا الله عنه: وفى هذه القصيدة على حسنهـا تعقب من وجوه منهـا استعـمال (أم) مكان (أو) فى قوله أم وخط، وفى حملهـا على الانقطاع بعد لا يحسن به المعنى إلا على تكلف ومنهـا تكرير المعنى فى قوله بقلبى لهـا سقط وفى مدمـعى سمط، فـبه افـتتح القـصيـدة وذلك ضيق عطن، ومنـهـا استـعمـال البسط فى قـافيـة الذى البيت قـبل الأخير منهـا مكان التبسط، ومنها: هو أقبحها التـضمين وذلك بين البيتين رأيت مثالا والذى بعد، يليه وفى البيت الثـانى منها معنى بديع قُلِبَ من معنى آخر ونقل معظم إلفاظه وذلك ـ قول المعرى:

قريظـته الأخوال ألمع قـرطها　　　فـسر الـثريا أنهـا أبدًا قـرط

قالوا: يتبـين ذلك بإيراد المقصود بما ذكره الأستاذ أبو محمد بن السيد فى كلامه على هذا البيت فى شرحه ما اختار شعراً من شعر المعرى ونصـه فى قوله أبدًا فيـه هاهنا نكتة نكتهـا ينبغى أن يوقف عليهـا وذلك أن ابن المعتز قال فى تشـبيه الثريا، فى الـشرق كاس وفى مغاربها قرط، وفى أوسط السماء قدم، فشبهها وقت طلوعها بكاس، ووقت غروبها بقرط ووقت توسطها فى السماء بقدم، فَوَلَّد أبو العلاء المعرى من هذا المعنى معنى آخـر فقال: إن الثريا لما رأت قرط هذه المرأة سرهًـا أن تكون تُشَبَّه فى جميع أحوالـها إلا بالقرط دون غيره مما شبهت به.

وفـيـه نكتـة ثانيـة وذلك أن طلوع النجم كـان أشرف أحـواله وسقـوطه كأنه أدونُ أحواله فـيقول: لمـا رأت الثريا قِرطَ هذه المرأة

سرَّها أن تكون قِرطًا، وإن كان ذلك إنما هو فى وقت غروبها وهذا على مذهب ابن المعتز. انتهى المقصود، فنقل شيخنا ابو الحكم ذلك المعنى نقلا بديعا فذكر أن الثريا إنما كان يسرها لو رأت هذا المثال تشبهها بالقدم دون القِرط والكأس انتهى كلام ابن عبد الملك باختصار يسير ثم قال بعد ما نصه:

تنبيه يجب بيانه: وهو أن يسبق إلى بادى الرأى أن الثريا إنما آثرت أن تكون قَدَما دون ما شبهت به غيرها لتكون واطئة لهذا المثال وذلك تقصير مما يجب له من التعظيم والإجلال والتكريم بانتسابه إلى النعل الكريمة النبوية لحذوه عليها وما للثريا بأن تكون موطئًا لهذه النعل الكريمة بل للمثال المحذو عليها وتوفيه ما يجب له من التعظم والتشريف والتكريم إنما يكون بإعلاء رتبته على الثريا وما هو أرفع منها مكانًا ومكانة. والذى ينبغى اعتقاده أن مراد شيخنا أبى الحكم أن سرور الثريا بكونها قدمًا لا قِرطًا لو رأت هذا المثال لتفوز بشرف المشاركة فى هذا الجنس القدَمِى الذى قَدَمُ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعض أشخاصه فبذلك تحصل فضيلة هذا المثال ويربى[1] على الثريا والله أعلم انتهى كلام ابن عبد الملك.

وقال ابن رشيد الفهرى: وهذه الاعتراضات كلها ساقطة ولكن ليس لها لاقطة، فأما الأول وهو قوله منها استعمال أم مكان أو فى قوله أم وَخَطْ فتلك شكاة ظاهر عنك عارها، فإن ناظمه إنما قاله بأوْ، وكذلك أنشده لنا وإنما ابن عبد الملك كتبه بأم بخطه.

---

(1) يربى: أى يزيد.

وأما الثاني: وهو قوله أنه كرر (سمط وسقط) وذلك ضيق عطن فهذا لادَرَكَ فيه بل هى طريقة مسلوكة مألوفة، وسبيل فى الفصاحة معروفة، وإنما يكره ذلك إذا تكرر فى القافية ولا سيما وتكريره لسمط إنما هو بعد تسعة أبيات وإذا وقع مثل هذا وبينهما هذا العدد ولم يكن ايطاء مع أنه فى الصدر اشتمل فيه مع سقط الترصيع، دون أن يكون واحد منهما فى مصراع فيقال: المصراع قد يشبه العجز وهذا شىء ما تحاماه متسع عطن ولا قَدَحَ فيه أحُد، ولا طعن ممن طعن أو قطن ومع هذا فاستعمالهما فى البيت الأول المصرع وفى الثانى المعترض عنده ليس على حدٍ واحد بل هما مصرفان فى مهيعين من الكلام مختلفين ولا خلاف بين أهل البيان أن هذا من أنواع الافتنان: ومما يعد من الفاضل لا من المفضول فإنه استعمل فى البيت الأول من باب تجاهل العارف وفى البيت المعترض عند هذا المعترض من تحقق الواصف فاستيقظ أيها النائم إن وافقت المعترض فقد أدلج الناس.

وأما الثالث: وهو استعمال (البسط) فى القافية مكان التبسط الذى فى صدر البيت. فهذا أيضا واهٍ فى حضيض الخمول هاوٍ، وهل ينكر عربى وضع المصادر بعضها فى مواضع بعض وأين أنت عن قوله تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾[1]، ثم مع ذلك إذا اعتبر معنى البيت اتجه فيه مقصد آخر وهو أنه لما انبسط فى لذاته وذنوبه صح له بحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لقى

[1] سورة نوح آية ١٧.

البسط ولم يلق القبض إنعامًا عليه من الله تعالى، وهذا كما قال بعض الراجين المعترفين من المذنبين:

تبسطنا على اللذات حتى ... رأينا العفو من ثمر الذنوب

وهذا معنى حسن يسقط اعتراض هذا المعترض انتهى.

وأما الرابع: وهو الذى قال أنه أقبحها وهو التضمين فقد وقع الجواب عنه:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا ... وآفته من الفهم السقيم

ويعنى ابن رشيد بقوله فقد وقع الجواب عنه ما حكيناه عند آخر حرف الميم فيما سيأتى إن شاء الله تعالى فراجعه هناك، ثم قال ابن رشيد، وأما ما ذكره من التنبيه وما توقعه من الوارد على كلام الشيخ حتى احتاج إلى أن يبدى ما فيه فكلام الشيخ رحمه الله تعالى غنى عن رفاده، وما أورده غير محتاج إلى إيراده فكلام الشيخ واضح ومعناه الذى قصده لكل فهم صحيح لايح[1] فإنه رحمه الله إنما قصد مجازاة المعرى فى مأخذه فى نقله كلام ابن المعتز حيث قال ما حاصله إن الثريا آثرت أن يقتصر بها على تشبيهها بالقِرط لأجلِ قِرط هذه المرأة ففعل الشيخ ذلك بالقدم وإن الثريا آثرت الاقتصار بها على تشبيهها بالقدم لأجل القدم الكريمة التى شرُف هذا المثالُ الكريمُ بوطئها لَهُ وهذا القدر كاف وما ذكره المعترض لا يكاد يخطرُ بالبال إلا بالإخطار، ولا يحضرُ إلا بتكلف الإحضار ومعانى الشعراء إنما هى أزهار وأنوار تختطف وتقتطف

---

(١) لايح: ظاهر واضح.

ويحتمل مع ذلك أيضاً معنى آخر سابغًا حسنًا وهو أن يكون أطلق على المثال نفسه قدمًا لملازمته القدَمَ الكريمة وهو إطلاق شائع ذائع متعارف مجازاً وعرفًا، على المعترض درك فى قوله لمشاركته فى هذا الجنس القدمى الذى قدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعض أشخاصه وهو أن الشخص لا يوجد إلا بتوسط النوع فيطالب بالنوع لتعامله بذكر الجنس والشخص والله المرشد للصواب وهذا البيت الذى قاله ابن المعتز رحمه الله قبله.

وميلت راسها الثريا بأ سرار إلى الغرب وهى تحتشم

كأنها إذ بدا لها شبه دقيق فكر أو بارع فهم

فى الشرق كأس البيت وقد أورد هذا المعنى ابن المعتز، وزاد فى التشبيه أيضا فقال:

ورأى الثريا فى السماء كأنها قدم تبدَّت فى ثياب حداد

وللشعراء المتقدمين والمتأخرين فى تشبيه الثريا تفننات عجيبة وتفطنات غريبة. انتهى كلام ابن رشيد، وأوردته بجملته لما فيه من النفاسة.

حرف الظاء المهملة

فيه ست.

قال محمد بن فرج السبتي رحمه الله تعالى:

ظللت أنادي إذ رأيت نعال من
قد أنقذني والحمد لله من لظى

ظهرت لنا في شكل بدرٍ فلم نكن
لبدر الدُّجى من بعد ذاك لنلحظا

ظمينا فكنت الماء مقلوب همزة
نقمت وميم جيء في إثرها بظا

ظهيري رسول الله أنت لحظتني
بها ذي وفي الأخرى ترى منه لي الحظَّا

ظلالكم من كل سوءٍ حفظتني
وما كنت لولا الفضل منك لأحفظا

وقلت:

لما رأيت مثالا — حاكي النعال بلحظ
ملئت منه سروراً — ونلت أعظم حظ
إذ فيه دفع مخوف — ونيل أمن وحفظ
وكيف لا وهي ينمى — لخير من جاء بوعظ
عليه أزكى صلاة — بها يزين لفظي

وقلت:

تمثال نعال خير من قد وعظا بشـــرى لمقـــبل لـه إذ لحظا

فـاجـعله وسـيلـة لما تطلبـه واحفظه وصن فمثله قد حفظا

وانشدنى مـنه لنفسه الـشيخ فتح الله الـبيلونى حفظـه الله تعالى آمين:

يا من لمثـــال نعل طـه لحظا يا دره يلـثـمه وكن مـحتـفظا

واحفظ لمقـامه فـقد مـثل ما لاقى قدم الشفع من حر لظا

وانشدنى لنفسه أيضًا:

دع عنك من قال تخمينا وما لحظا
مـثـال نعل شـريف نقله حـفظا

والثمه واجـعل عليه الخد مبـتهلا
إلى الرسول وكن بالحق مـحتفظا

فإن فـيه من الأسرار ما عـجز ال
منطيق عنـه بيـانًا كـيف مـا لفظا

وإنما قـــوة الإيمـــان توضـحـــه
لفـهم من بات فـيـه قـلبـه يقظا

فالفهم فى الدِّين نور لا يلوح لمن
حجـابه الشك والدعوى إذ غلظا

والحق بلج بادى الـوجـه يعـرفـه
كل امرءٍ بصحيح القول قد وعظا

وكيف تنكر فيه نسبة وصلت ... باخمص منقذ من حر نار لظا

عليه أزكى صلاة آله شملت ... وصحبه ما بدى صبح لمن لحظا

وأنشدني أيضا لنفسه حفظ الله وقد التزم البدء بحرف الروى لطريقة السبتي في نظمه الذي أتينا به كل حرف بما سبق وهي طريقة يغلب فيها التكلف.

فقال:

ظفرت عيني بتمثال حكى ... نعل من ينقذ من حر لظى

ظهرت لي منه أسرار بدت ... للذي مثلي بصدق لحظا

ظاعنًا عن مقتضى الطبع إذا ... لاحَ برقُ الوصل بلفى يقظا

ظلمة النفس حجاب مانعٌ ... دون ما يبدو فكن متعظا

ظللت أدنى الخد منه لاثمًا ... عارفًا مقداره محتفظا

ظاهرًا فيه على كل العدى ... بالغًا منه الأماني محتظا

حرف العين

فيه ثمان.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى:

على وجنتى فاضت دموعى فصرحت
بسر فؤاد بالتكتم أولعا

عشيا بدت نعل الحبيب كأنها
هلال بآفاق القلوب قد اطلعا

عجبت لقلبى إذ رآها ولم يطر
ويصلى شعاعًا قد حواه وأضلعا

عراه خيال فاستقر ولم يطر
إليها وشيكًا كان بالأمر طولعا

عسى من أرانى نعله أو مثالها
يرينى ضريحًا للمكارم مطلعا

وقلت:

هذا مثال نوره قد لمعا
فى الطرس[1] إذ حوى الهدى أو جمعا

فصفه واعرف حقه وفضله
فنفعه للدين والدنيا معا

حاكى نعال المصطفى من هاشم
أفضل من نبى وبالحق دعا

محمد خير البرايا كلهم
من نوره على الوجود سطعا

---

(1) الطرس: الصحيفة أو الكتاب طرس اى كتب او إعاد الكتابة على المكتوب الممحو. تطرس عن الشيء: اى تكرم عنه وترفع عن الإلمام به ـ المعجم الوسيط ـ ج ٢.

ومن غدا معجزٌ مؤبدًا ومعجز الغير انقضى وانقطعا

صلى عليه ربنا مسلّما وزاد علياه سموًا ورعا

والآل والأصحاب ما هبّت صبًا وطاف بالبيت الحجيج وسعا

أو قَبَّل المشتاق شكل نعله يشفى بذاك وصبًا ووجعا

وقلت:

تمثال نعال أحمد من دفعا عنا حر جاو فى البرايا شفعا

من رام به شفا ضر نفعا طوبى لمبجل له قد رفعا

وقلت:

مثال نعال مدحه شنف السما

وحازت حلاه مفرد الجود والجمعا

يذكرنا رِجْلاً لا شرف مرسلٍ

أجلّ الورى أصلاً وأشرفهم فرعا

فمرغ فديت الخد فيه تبركا

به وارع حقًا قد تعين أن يُرعا

وإن أبدت الأجفان سرًا مكتما

من الشوق لا تعتب ولا تطلبن منعا

فمن عادة العشاق أن لاح معلم

بجيرتهم فاضت عيونهم دمعا

وما بكوا الأطلال إلا لأهلها

وإلا فما نجد ومابانه الجرعا

فكيف بآثار النبى محمد شفيع البرايا من أتى بالهدى شرعا
عليه صلاة ما تغنت بشجرة حمائم أيك فوق أفنانها سجعا
وازكى سلام يتحبه وآله وأصحابه أهل الأمانة والرجعا

وقلت:

حسن شكل النعال راق ابتداعه إذ تبدا بدر يلوح شعاعه
فاجعلنه فوق المحاجر والثم وبه اسال فكم أبيح انتفاعه
فبه يستشفى الضعيف إذا ما أنهكته وأعظمت أوجاعه
وبه يدرك المؤمل عبد فطمت عن شكوكه أطماعه
وبه يحصل المنى لمحب شنفت من مديحه أسماعه
كيف لا وهو أضحى يحاكى نعل من قد علا السما ارتفاعه
وحوى فى سراه ما لا يضاهى من أمور بان عنها اطلاعه
ورأى ربه كفاحًا كما قا ل به عصبة وزاد اضطلاعه
فعليه أزكى صلاة مع الصحب وآل له كذا أشياعه
ما تغنى الحمام فوق غصون فشجت كل عاشق أشجاعه

ورأيت فى بعض الأمثلة الشريفة لبعض الأعلام ولم يسم:

إن شئت تحظى بأسنى فى كل شىء رفيع
فالمح مثالاً لنعل النبى خير شفيع

فقلت مذيلاً عليه:

طه مجير البرايا من كل خطب فظيع
فهو أمان عظيم ورحمة للجميع
عليه أزكى صلاة مع السلام البنيع

والآل والصحب طرا ذوى المقام الرفيع

ما غنت الورق[1] أوما وافت زهور الربيع

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى الحنفى حفظه الله تعالى:

تمثالك يا نعال حبى ارتفعا

فى القدر لدىَّ والخوف عنى ارتفعا

ما أسعدنى بلثمه مبتهلا

فى القصد إلى جنان خير الشفعا

وله أيضاً:

يا مثالاً لنعل طه الشفيع لك فى العين حسن أمر بديع

أنت فوق الرؤس حباً لنعل فاز فى الفخر بالمقام الرفيع

مس من أخمص الرسول محلا قد علا فى العلا رؤس الجميع

إن روحى له الفداء ومن لى بفداء نعل الحبيب الشفيع

لى مشوق إليه أجج ناراً فى الحشى من تلوع وولوع

فغرامى به أطال هيامى وهيامى به أطار هجوع

كيف يرجى للمستهام قرار واستتار من بعد وجد مذيع

ود واعى غرامه فى ازدياد ما أضاء الصباح بعد الطلوع

ومزايا جبينه لا تغابى وعطاياه ما لها من نزوع

ذاته قد سمت وطابت سجايا فالحق بالأصل طيب الفروع

وهمت سحبه بكل المبرات فلا تعد عن حماه المريع

---

(١) الورق: الحمام.

ولما ترتجى فـــشق بنداه ولما تختــشى بعز منيع
إن من أم باب خير البــرايا ليس يخشى والله سوء الرجوع
يا رسول الإله غــيرُ خفيٍ عنك حـالى وذلتى وخضــوع
وقصورى فى الكسب عن عمل الخير وجدى فى الـغير جد المطيع
غـيـر أنى بما جنيت مــقـر فـأعن سيدى بغوثٍ سريع
إننى مـحـسن بتحسين ظنى فيك إن ساء بالذنوب صنيعى
سيدى سندى ببابك فـتح الله وافى لعــزٌ جاه وسيع
خـافض الرأس بالحيـا لخطاه رافع الكف للمجيب السميع
طالبًا منك للشفاعـة فاشـفع يا مـلاذى فأنت خير شفيع
فـعليك الصلاة أزكى صلاة وسـلام من الســلام البديع
وعلى الآل والصحـابة والتا بع فى نـهج دينك المشـروع

حرف الغين

فيه خمس.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى.

غليلى لا يُطفى وشـوقى لا ينأى

ودمـعى لغـيـر المزن لـيس بمنبغ

غـسلت به رين الجوى وهو نكتـه

بخدى وقلت أسفك نجيعك واصبغ

غـداة بدت نعلٌ لا كـرم مـرسل

رفـيع شـفـيـع ذى مكارم سبغ

غـفـور شكور راحـم مـتـعطف

كريم منيل واسع السيب مـسبغ

غلامك يا مـولاى يرجو شفـاعة

وذلك أمـــر مـا لغـــيـــرك منبغ

وقلت:

هنيئًا لعـبدٍ قـد رأى وفق ما روى

فما زاغ عن شـرط الغرام وما طغى

وقَبَّلْ آثار الحـبـيب مـعظمـا

وعفـر فيها ـ الخـدَّ شوقا ومـرغا

ومما دعـانى والدواعـى كـثـيـرة

وكم عـاشقٍ نال المرام مـسـوغـا

مثال لنعلي خير من وطيء الثرى

وألبسه الله الكمال وأسبغا

شفيع البرايا أكرم الخلق محمدًا

وأشجع من قد جال في حومة الوغا

فقبِّلْته من أجل رجل شريفة

وصيرته في قالب الصون مفرغا

عليه صلاة الله ما ذكر اسمه

فنال ذو السؤل والقصد ما ابتغا

وقلت:

تمثال نعال من علينا اسبغ   للحق ملابسًا رسولا بلغ

فاجعله وسيلة وسل تعط به   واكرع بمناهله بما قد سوغ

وأنشدني لنفسه الشيخ فتح الله البيلوني رحمه الله تعالى:

اضرع بمثال نعل من قد نبغا   في العز لدفع من تقاوى وبغا

والثمه تيمنًا ولا تخش أذى   من حاد عن الهدى بظلم وطغى

وأنشدني لنفسه أيضًا:

في مثال النعل من طه لنا   كنز أسرار لنيل المبتغا

باله تمثال نعلٍ شكلهُ   بالبها في قالب قد أفرغا

فاعتمده واعتقده نعمةً   من النعما علينا أسبغا

مرِّغ الخد عليه وابتهل   فاز من خديه فيه مرغا

فهو من أسرار ذاك القدم   الراسخ الوطئ على من قد طغا

فافتتح باليمن فيه مغلقا   والتق الأعداء في يوم الوغا

وادخره عدة فى دفع ما ... تختشى من كل باغ قد بغا

لا تكن فى فضله ممتريا ... واطرحا من شك فيه أو لغا

فهو عن أشياخنا الحفاظ قد ... صح نقلا وإلينا بلغا

وانظر الشكل له فاق إلى ... قمر من أفقه قد بزغا

مدحه أعجز فيه ما دح ... ببديع اللفظ فيه قد رغا

فإذا ما ردهم قد أتى ... فارمه منه بنجم نبغا

فهو بالنور إلى طالبه ... وإلى من جاءه قد صبغا

ولرأس الرجس والشيطان قد ... نكست ولها قد دغدغا

مدحه أعجز فيه واصف ... وعدت فى تحير البلغا

حرف الفاء

فيه تسع عشرة.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى:

فؤادى لا يشكو البعاد فهذه
نعالهم فاستشفين بها تشفى

فمى قبلنها مثل نعل كريمة
بتقبيلها يشفى سقام من استشفى

فليت يمينى والشمال ومسمعى
قُلبنَ شفاها تحسن اللثم والرشفا

فأطفى بالتقبيل والرشف جمرة
قد أشعلها شوق الهلاك بى اشفا

فأقسم يا نعل الحبيب لانت من
شراب بطون النحل للمشتكى أشفا

وله أيضًا فى هذا المثال المختص بالشرف والرفعة وقد أبصره مرسومًا بالحبر فى رقعة.

أشفى برؤيتها يا نفسى الدنفه   نعلاً لرجل رسول الله مكتفه

كأن طرسًا به بالحبر قد رسمت   بردٍ من الحبرات اليض ذو صنفه

وللفقيه الأديب أبى الحسن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم البجائى التونسى رحمه الله ورضى الله عنه:

لمثال نعل الهاشمى محمدٍ   جادت جفونى بالدموع الذرف

بكائى من فـرط الأسى ولو أننى

اقـصى وحق جـلاله لم أنصف

أوطأته خـدّى وقلت تعـززى

ما شئت يا نفسى بهـذا وأشرف

وتمسكى أبدًا بحُب مـحَمـدٍ

فـعسـاك أن تنجى به فى الموقف

فـهـو الشفـيع لمن تعـاظم ذنبه

يوم الحساب ويوم نـشر المصحف

صلى عليـه الله مـا جنَّ الدُّجى[1]

وبدا النـهـار ولاح نجم أو خف

وسندنا إليه عن الخطيب بن مرزوق عنه وهو قـد أخذ عن جمع كثيـر منهم ابن الغمار وابن الغمـار عن الحافظ أبى الربيع الكلاعى رحم الله الجميع.

وللشيخ الإمـام المحدث الرحـال أبى عبد الله مـحمـد بن جابر الوادى اشى ووادى آشى بلد بالأندلـس أعاذها الله ونظمـهـا بدار الحديث الأشـرفية من دمـشق المحروسة وقـد رأى فيهـا نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقبلها وقال:

دار الحديث الأشـرفية لى الشـفا

فيـما رأت عـيناى نعل المصطفى

---

(١) جنَّ الدجى: دخل الليل.

ولثمتها حتى قنعت وقلت يا

نفسى انعمى أكفاك قالت لى كفا

لله أوقات وصلت بها المنى

من بعد طيبة ما أجل وأشرفا

لك يا دمشق على البلاد فضيلة

أيامك الأعياد لازمها الصفا

ولكم بجيرون حرزت ولم أخف

ذيلا وبرح هوایَ فيها ما اختلفا

وليعلم أن هذه الأبيات محلها الخاتمة لأنها مقولة فى النعل لنفسها لا فى المثال ولذا لم نعدها من جملة ما قيل فى المثال وقد سبق منى كتبها فى عدة نسخ سارت بها الركبان والله المستعان.

قال بعضهم:

مثال نعل الهاشمى المصطفى	نال المنى والخير من به اقتفى
قامت على بساط رب العرش فى	ليلة جاز المنتهى ما وقفا
فكان منه قاب قوسين ولا	مكان بل مكانه أن شرفا
فامسح محياك به تبركا	والثمه مشتاقا إلى من ألفا

وقلت مذيلاً عليه:

وسل به الله تنل مؤملا	ففيه والله نجاح وشفا
إذ هو باب للرجاء مجرب	وسره بين الملا قد عرفا
وصل صلاة وسلامًا طيبا	لمن به سمع الهدى قد شنفا
والآل والأصحاب ما هبَّت صبا	تذكر عبد مستهامًا دنفًا

وقلت:

يا ناظراً تمثال نعل المصطفى قبله الفا
واجعله خير وسيلة ما مثلها فى الدهر يلفى
واحفظه فهو ذخيرة تدنى من الرحمن زلفى
واغتنم تقبيله فالنفع فيه ليس يخفى

وقلت أيضاً:

لما رأيت مثال نعل الهاشمى المصطفى
قبلته أشفى العليل بما فعلت وما اشفى
وإذا رأى الصب المعا هد للقاء تشوفا
وغدا يعلل نفسه بالقرب إذ برح الخفا
شغفاً بأيام الرضى بعد التنادى والجفا
صلى الإله على النبى وآله أهل الوفا

وأنشدنى من لفظه السيد محمد الجمازى الحسينى المالكى السابق المذكور زاده الله من فضله وعامله بما هو أهله.

قوله:

رأيت مثال نعل المصطفى المسند الوضع الصحيح معرفا
من حضرة الأعلام زاد تشوقى وتشوفى إذ زدت منه تشرفا
حاكى نعالا للرسول كريمة سبتية ياما أجل وأشرفا
مذ باشرت قدم الحبيب تشرفت فأتوا الشفاء بلثمها تجدو الشفا
يا طالما مس اللغوب من الأذى وأضر بالجسم الضعيف تعسفا
وأصابنى داء الشقيقة مؤلما وبقيت مما نالنى متخوفا

فمسحت وجهى بالمثال تبركا   فشفيت من وقتى وكنت على شفا[1]

وظفرت بالمطلوب من بركاته   ووجدت فيه ما أريد من الصفا

لم لا وصاحبه أتانا رحمة   الهاشمى الأبطحى المقتفا

صلى عليه الله جل جلاله   ما أسعد الحادى المشوق وأشغفا[2]

مع آله الغر الكرام ذوى العلى   وصحابه والتابعين ذوى الوفا

وأنشدنى لنفسه الفقيه أبو الحسين ـ على بن أحمد الفاسى الشهير بالشامى حفظه الله بمحروسة فاس ـ عام سبعة وعشرين وألف، وأشار فيها إلى كتابى أزهار الرياض فى أخبار عياض.

دعوا شفة المشتاق من سقمها تشفى
وترشف من آثار ترب الهدى رشفا

وتلثم تمثالاً لنعل كريمة
بها الدهر يستسقى الغمام ويستشفا

ولا تصرفوها عن مناها وسؤلها
بعد لكم فالعدل يمنعها الصرفا

ولا تعتبوها فالعتاب يزيدها
هيامًا ويسقيها مدام[3] الهوى حرفا

جفتها يكتم الدمع بخلاً جفونها
فمن لامها فى اللثم فهو لها أجفا

---

(١) شفا: أى نهاية.

(٢) الشغف: شدة الحب.

(٣) مدام: خمر.

لئن حجبت بالبعد عنهم فهذه

مكارمهم لم تبق ستراً ولا سجفا

وإن كان ذاك الخيف موعد وصلهم

فها نفحة الإفضال قربت الخيفا

وأغنت بفضل عن مشقة سعيه

تكابد مسراها شتاء تلى صيفا

فحركت الأشواق منها لروضة

أباح لنا الإسعاد من زهرها قطفا

زماناً به موصولنا نال عابدا

وأكد نعت الوصل من نحوهم عطفا

يولى كمثل الطيف إن زار فى الكرى[1]

وإلا كمثل البرق إن سارع الخطفا

فقضى وما قضى بلبنى لبانة

لقيس الهوى والحب منا وما استوفا

فزلنا وما زلنا نعلل باللقا

نفوسا وما يجدى لعل ولا سوفا

كأنا وما كنا نجوب منازلا

يوديها المشتاق لوراهق الحتفا

ولم تبصر الأبصار منها محاسنا

ولم تسمع الآذان من ذكرها هتفا

---

(١) الكرى: النوم.

كذاك الليالى لم تحل عن طباعها

متى واصلت يومًا تصل قطعها ألفا

فلا عيش لى أرجوه من بعد بُعدهم

وهيهات يرجو العيش من فارق الألفا

ويا حبذا قتل إذا العيش لم تزل

سيوف الهوى تفرى به القلب والجوفا

ومن لى بقتلٍ فى سبيل هوى التى

وعدنا عليها بالجنان ومن أوفا

أيا من نأى عنه ديار أحبة

فمن بعدهم مثلى على الهلك قد أشفا

لئن فاتنا وصل يخيف مناهم

فها نفحة من عرفهم للحشا أشفا

وهذى أزهار الرياض تنفست

برياهم فاستشفين بها تشفا

وقل للأولى هاموا اشتياقًا لبانهم

هلموا العرف البان نستنشق العرفا

فصفحة هذا الطرس أبدت نعالهم

وصارت له طرفًا فيا حسنه طرفا

تعالوا نعال فى مديح علائها

فرب علو لم يعب ربه عرفا

ولله قــوم فى هواهـا تنافـــسوا
وقد غرفـوا من بحر أمداحهـا غرفا

وأنا وأن كـنا عـلى الكـل لم نـطق
نحاول بعض البعض مـن بعض ما يلفا

وإن وصفوا واستغرقـوا الوصف حسبما
تحيل بروض الحسن من وصفهم طرف

لئن قـبلوا ألفـا نـزد نحن بعـدهم
على الألف ما يستغـرق الألف والألفا

ونقـبس من انوارهم - قـدر وسـعنا
وتركض فى مـضمار آثارهـم طرفا

فمن قـال بدر التم أو طلعة الـضحى
أو الروض يحكيها فـما أنصف الوصفا

فمـا الشمس إلا من محـاسن جودها
استنارت ولولاها للازمت الكسفا[1]

ومـا البـدر إلا من مـشارق نورها
استمـد ولولاه مـا فارق الخسفـا

ومـا طاب نشـر الروض إلا لأنه
يمـد مدى الأيام من نشـرها عرفـا

وما اخـضر ترب الأرض إلا لأنـها
تخـتطه فـاختـط النبات بـه حرفـا

---

(١) الكسفا: الكسوف للشمس اختفاء ضوءها واحتجابه.

فحلوا بـها أعلى المفارق واكـحلوا

بهـا مقلة العـينين أو عطروا الأنف

فـآثارهـا يـرى الجـوى وتـرابهـا

لـسقم الحـشـا والقلب أنفع وأنفـا

لها الفخر أن سارت بها رجل من سار

إلى حضرة التقديس والقُرب والزلفى

ونودى لا تخلـع نعـالك وقــربن

وألفى بها من نفحـة الوحى ما ألفا

وأدناه قـربـا قـاب قـوســين ربه

وناداه قُل تـسمع وسل تعط عـد تكفا

نبى به نـلنا المنى وتـواكــــفت

علينا من الرحمان سحب الرضى وكفا

تعـالى عن العليـاء حـتى أنار من

علاه العلى والغور والنجـد والخيفا

وقـــاتل فى إظهـــار أنوار ديـنه

جميع العدا حتى زوى الضيم والحيفا

وكـان إلى الهـيجـاء أول سـابق

وما فـارق العضب المهـند والسيـفا

هداه هدى الهادين مـنه إلى الهدى

وحبـه أهدى الوارد المورد الأصـفا

وآياته كـالزهـر والزهر نفـحـة

وعـد فمن ذا يستطع لهـا وصفـا

كفت كـفه الجيش اللمام عن الحيا

وكفت جيوش الكفر عن غيهـا كفا

وسبّحت الحصباء فيهـا وأبرأت

سقـاما وأوصابا فـأكرم - بها كـفا

وردت له الشـمس المنير شـعاعـها

كذا البـدر بعد التم صار له نصفا

وفى الجود أجرى من رياح عواصفٍ

ومن ذا يبارى الريح إن رامت العصفا

أمـولاى يا مولاى يا خـيـر سيـد

تسامى على الأشبـاه طرا مع الأكفا

نأت بى عنكم مـوبقـاتٍ جنيتهـا

وعفـوكم من كل ما كان بى أكـفا

وها أنا عند البـاب راجٍ وخـائفٍ

دمـوعى لاترقـا وشجـوى لايطفـا

أناديك يـا خـيـر البـرية كلهـا

نداء عـبيـد يرتجى العـفو والعطفـا

وإنى مـحـق فى هوى حبّك الذى

يفل جيـوش الهم إن أقبلت زحـفا

وما أنا فيه كالذى قال هازلا

أليلتنا إذ أرسلت واردا وجفا

فآهًا لنفسى ثم آهًا إذا أنا

طردت ويا لهفى أرددها لهفا

وواحسرتا يا حسرتا ثم حسرتا

إذا لم تكن فى موقف الحشر لى كهفا

ولكن لى ظنًا جميلاً بنسبتى

لأنصاركم يا خير من راقب الخلفا

كما أن لى أيضًا متاتًا بمدحتى

نعالاً بها نيْل المنى والعلى يلفى

أبالنظم يستوفى حلاها وهل بفى

روى بآثار الهدى ألف أوفا

عليك صلاة ما بدا بدر تمكم

وما اشتاق مشتاق إلى وعدك الأوفا

وأشار حفظه الله تعالى بقوله: وما أنا فيه كالذى قال هارلا أليلتنا إذ أرسلت واردًا وجفا إلى القصيدة الفائية الطَّنانة الشهيرة عند أدباء المغرب وهى من نظم الأديب محمد بن هانىء المغربى الشاعر المشهور المتعالى فى الأمداح إلى أن وقع فى هوَّة الهلاك وهو الذى قال فيه المعز العبيدى صاحب فتح مصر: لما مات أردنا أن نباهى به أهل المشرق ومن تبعهم فلم يرد الله ذلك أو كلامًا هذا معناه، وقد عرِّف بابن هانى جماعة منهم ابن خَلّكان وقد استوفى ترجمته لسان الدين بن الخطيب فى الإحاطة فى تاريخ غرناطة والقصيدة المذكورة مدح بها جعفر بن على صاحب بلاد الزاب من المغرب وهى:

أليلتنا إذ أرسلت وارد وجفا
وبتنا نرى الجوزاء فى أذنها شنفا

وبات لنا ساقٍ يصول على الدُّجَى
بشمعة نجم لا تقط ولا تطفا

أغن غضيض خفف اللين قده
وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا

ولم يبق إنعاش المدام له يدا
ولم يبق أعيا التثنى له عطفا

تزيف فضاض البكر إلا ارتجاجه
إذا كل عنها الخصر حملها الردفا

يقولون حقف فوقه خيزرانة

أما يعرفون الخيزرانة والحقفا

جعلنا مشاة من شراب مدامنا

وقدت لنا الظلماء من جلدها الحفا

فمن كبد تدنى إلى كبدٍ هوى

ومن شفة تؤمى إلى شفة رشفا

بعيشك نبه كاسه وجفونه

فقد نبه الأبريق من بعد ما أعفا

وقد فكت الظلماء بعض تبورها

وقد قام جيش الليل للصبح فاخطفا

وولت نجوم للثريا كأنها

خواتم تبدوا فى بنان يد تخفا

ومرّ على آثارها دبرانه

كصاحب زود كمنت خيله خلفا

وأقبلت الشعر العبور ملمة

يمر بها اليعبوب فى جنبه طرفا

وقد قابلتها اختا من ورايها

لتخرق من ثنى مجرتها سجفا

تخاف زئير الليث قدم نثرة

ويربر فى الظلماء ينسفها نسفا

كـان مـعلى قـطبـهـا فـارس له

ولو أن مر كوزان قد كـره الزحفا

كـأن الـسـمـاكين الـلذين تظاهرا

على لبـدتيه ضـامنان له الحتـفـا

فـــذا رامح يهــوى إليـه سـنانه

وذا أعـزل قـد عض أنمله لهـفـا

كـــان آخـــاه حـــين روم طائرا

أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا

كـأن رقيب الليـل أجدل مـرقب

يقلب تحت الليل فى ريشـه طرفا

كـــأن بنـى نعش ونعش مـطافل

بوجرة قد أضللنا فى مهمه خشفا

كـأن سـهـاها عـاشقٌ بين عــود

فـآونه تبـدو وآونـة تخـفـــا

كـأن سـهـيـلاً فى مطالع أفـقـه

مـفارق إلف لم يجـد بعده إلفـا

كـأن الهـزيع الآنبــوسى مـوهنا

سرى بالنسـيج الخسروانى ملتـفا

كـــأن ظـلام الليل إذ طـال حله

صريـع مدام بات يشـربها صـرفا

كان عمود الصبح خاقان معشر

من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا

كأن لواء الشمس غرة جعفر

رأى القرن فازدادت طَلاقَتُهُ ضِعفا

وقد جاشت الظلماء بيضًا صوارما

ومركوزة سمرا وفضفاضة زعفا

وحاز عتاق الخيل تردى كأنها

تخط لنا آذان أقلامها صحفا

هنالك تلقى جعفراً خير جعفرِ

وقد بدلت يمناه من لينها عنفا

وهذه قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته وإنما ذكرتها لأجل أن بعض الأصحاب لم يفهم إشارة صاحبنا بقوله: وما أنا فيه كالذى قال هازلا: أليلتنا فأشار عليَّ بذكرها وإن لم تكن من شرط الكتاب، ونظير هذا ما ذكرته فى ليلة السفح، وقد عارض هذه القصيدة جماعة لم يشقوا لها غبار منهم الشيخ الصالح ابن شريف الأندلسى الزندى رحمه الله تعالى، وأول قصيدته:

واصلنى يومًا وهجرنى ألفًا وصالك ما أملى وهجرك ما أجفا

وهذا الروى عزيز عند الأدباء وقد ذكرت هنا قصيدة من هذا البحر والروى والقافية كتب إليَّ بها الأستاذ المجود عمدة المقربين فى الحضرة المراكشية حاطها الله سيدى الشيخ محمد بن يوسف التاملى وقد قدم علينا إلى الحضرة الفاسية عام ستة وعشرين وألف

يستدعى منى الإجازة ومطلعها:

أموقظ جفن العلم من بعد ما أغفى

وباسط كف البذل من بعـد ما كفى

ومحيى رسوم الأكـرمين التى عفت

ومعين مجر الفـهم من بعد ما جفا

ومنها:

ويرغب منكم أن تجيروه مطلقا ۰ بمرويكم كيمـا يكون له زلفا

وينشـدكم بيتًا تقـادم عهـده لصاحب شوق إذ ينادى به إلفا

وهى قصيدة طويلة فأجبته بقولى:

أياما جدا أعيت مـحاسنه الوصفا

وإنسان عين الود والأخلص الأصفا

ومــشكاة أنوار القــراءات والأدا

وساحب أذيال الكمـال على الأكفا

وحايز أشتات الـفضايل إذ غدت

مـفـاخره فى آذن مـغـربنا شنفـا

بعـثـتم بطرس بل بروض مـورج

تعطرت الأرجـاء من نشره عُرفـا

وأملتـم أعلى الإله مــقـــامكم

وألبسكم من غـرة المطرف الأضفا

من القاصـر الباع المجهـول إجازة

ألم تعلموا أن الصواب هو الأعفا

ولست بأهل أن أجـــاز فكيف أن

أجيـز على أن الحقائق قـد تخفى

فأضـواء فكرى غـيرتهـا حوادث

فـــآونة تبــدو وآونـة تطفـــا

ولولا رجائى منكم صـالح الدعا

لما سطرت يمناى فى مثل ذا حرفا

وأرجو من الـرحمان جل جـلاله

ومن فضله أن يقبل العدل والصرفا

وها أنا ذا أشـهدت أنى أجـزتكم

على السنن المألوف والمقصد الأوفى

جـميع تآليـفى ونظمى وإن وهى

ونثرى وإن حاز الركاكـة والضعفا

وكل الذى أرويه عـمـن لقـيتـه

من السـادة الغر الأولى أحـسنوا الوصفـا

كـسيـدنا شـيـخ الأئمـة عـمنا

سـعيـدٍ فكم نلنا مـعـارفه قطفـا

عن أشياخه من أهـل فاسٍ وغيرهم

كمثل ابن هارون وأعظم به كـهفا

وهذا عن الشيخ ابن غازى وصيته

شهـير فلم نحـتج لعريفـه كشـفا

رعى الله عهداً كان فيه أمامنا

ووالى على مثراه رحمة عطفا

ولا تغفلونى عن دعائكم إذا

مددتم بباب الله سبحانه الكفا

وعند ضريح الأولياء وذكرهم

عسى ترتوى من بحر غفرانه غرفا

وإن جهل الناس الحقوق بعصرنا

فمثلك من راعى العهود ومن وفى

وكاتبه المقرى أحمد مرتج

من الله جل العون والبر واللطفا

بجاه شفيع الخلق مؤملنا الذى

نؤمل يوم الدين من حوضه رشفا

عليه من الرحمان أزكى تحية

نناول بها حسن الختام مع الزلفا

وكتب إلىّ حفظه الله تعالى بعد سفرى من فاس إلى الحضرة المراكشية وأنا بفاس بعد أن وصل مراكش بما صورة صدره.

الحمد لله الذى ألف بين لطائف الأرواح، وإن تناءت الأشباح، وجعل المواصلة فى ذاته والمحبة من أجله سبباً كفيلاً بنيل النجاح وكل فلاح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من خفقت عليه ألوية النصر الربانى، والتأييد الإلهى فى مواقف الكفاح، والرضى على آله وصحابته أشرف من طاعن عن دينه القويم

بالأسل وجالد ببيض الصفاح.

وبعد فهذه عجالة تجلو على الحضرة الأحمدية، والمثابة المقَّرية محياها، وتكسب جيابها، على ربوعها التى حالفها اليُمن والإيمان، وحباها حضرة السيد الإمام، المفتى الهمام، من ألقت إليه المعارف بزمام، والصدر الذى حاز الفضائل على التمام، امتطى من رتب المعانى الغارب والسنام[1]، والبحر الذى أحاط علما بالمهم من فروع الدِّين والأصول، وله إلى رتبة الترجيح اللحاق والوصول، الذى جرت به الديار المغربية على من سواها ذيل الزهو والإعجاب، وانقشع بعلومه فى هذه الآفاق غيم الجهالة وانجاب، أبو العباس سيدى أحمد بن محمد المقرى أبقاه الله علمًا لمن اهتدى، وكعبة يؤملها كل من راح فى طلب المعارف واغتدى، سلام عليكم سيدى ورحمة الله وبركاته يتعطر بشذاه من تلكم الحضرة العلمية ناديها، ويطيب به من تلكم المكانة المقربة خواتمها ومباديها، كتبناه إليكم كتب الله لكم سعادة مفعمة المذانب والحياض، مخضرة الجوانب مونقة الرياض، من الحضرة العلية المُراكشية حرَّمها الله، ولا زايد نعرفكم به سوى ما ألهم الله بفضله ووفق إليه بمنه وطوله من معاطات كئوس القراءات مع طلبة هذه الحضرة، ولقد خرجوا متعطشين لملاقاتى بمرحلة من مراكش فى جمع كثير أزيد من ثلاث مائة طالب ولا جرم[2] أنهم استمنوا ذا

(١) الغارب: المنخفض، والسنام المرتفع فهما كلمتان متضادتان.

(٢) لا جرم: لا شك.

ورم[1] ونفخوا فى غير ضرم[2]:

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... إلى كرم وفى الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعى الهشيم

انا هو هو والله ذلك الهشيم وقد بدأت مع الطلبة بالمدرسة الغالبية الشاطبية ونقرأ الخلاصة ولامية الأفعال بعد العصر، والكراريس بعد العشاء ووقت التجويد من طلوع الشمس إلى العصر، والذى معى من الطلبة فى الجمع الكثير ثمانية وفى العشر ستة وهم فى الازدياد والحمد لله، ثم قال بعد كلام كثير: وقد دعونا لكم بضريح القاضى عياض، فلا تقطعوا أخباركم عنّا وابعثوا إلينا بعض موضوعاتكم كأزهار الرياض فى أخبار عياض إن اتممتوها، وقد عزمت على جمع فهرسته أذكر فيها إن شاء الله من لقيته من الأفاضل أمثالكم الله المعين والسلام، بأواسط ذى القعدة سنة ستة وعشرين وألف، من المحب المخلص خديم كتاب الله العزيز محمد بن يوسف التاملى غفر الله ذنبه وستر عيوبه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى.

وتأخر بعثه حتى جاء فى صحبة كتاب من الوزير صاحب القلم الأعلى كاتم أسرار الخلافة المقدم فى المعارف وهو فى الزمان التالى سيدى عبد العزيز بن محمد الفشتالى أدام الله جلاله وحرس خلاله وألم فيه بذكر صاحبنا الأستاذ المذكور ونص الكتاب المذكور بعد

---

(١) استسمنوا ذا ورم: مثال يقال لمن لا يدقق فى الأمور ولا يدرك كنهها فهو يرى الرجل المريض الوارم فيظنه سمينًا.

(٢) نفخوا من غير ضرم أى ظنوا بالرماد نار ولم يكن كذلك.

سطر الافتتاح:

يا نسمة عطست بها ريح الصبا	فتضمخت بعبيرها فتن الربا
هبى على ساحات أحمد واسرحى	شوقا إلى لقياه سرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعى	قلبا على جمر الغضا متقلبا
بأن الأحبة عند حبى قد نوى	منهم وآخر قد ناء وتغيبا
فعساك تسعد يا زمان بقربهم	فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

السادة - التى سواها الله من طيبة السرور - والحسب وغرس دوحتها الطيبة بمعدن العلم الزاكى المحتد والنسب سادة العالم التى تمشى تحت علم فتياه العلماء الأعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صياغة النظام، وحملة الأقلام كلما خط وكتب وإذا استطار بفكره النقاد الوقاد - واجع السجع أمثالت عليه - من أوكارها ونسلت من كل حَدَب وحكت بانسجامها السيل والقطر فى صب الفقيه العالم العلم والمحصل الذى أجلَّت العلماء لقدرك فى مجال الإدراك شأوه قلم سيدنا الفقيه الحافظ حامل لواء الفُتيا والتدريس ومالك الملكة فى المنقول والمعقول من غير شرط ولا ثنيا فى التأسيس أبو العباس سيدى أحمد بن محمد المقرى أبقاه الله للعلم يفتض أبكاره ويجنى من روضه اليانع ثماره.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبه المحب الشاكر عن ودٍ راسخ العماد ثابت الأوتاد، مزهر الأغوار والأنجاد، ولا جديد إلا الشوق الذى تحن إلى لقياكم ركائبه، وترتاح وتحوم على مورد الأنس بكم حوم ذات الجناح، على العذب القراح، جمع الله

الأرواح المؤتلفة على بساط سرور وأسرة الهنا وأتاح للنفوس من حسن محاضرتكم قطف المشتهى وهو غض الجَنَى وقد اتصل بالمحب الودود الرقيم الذى راقت من سواد النفس وبياض الطرس شياته، وأرانا معجز أحمد فبهرت آياته، وحبنى سقط الزند لما أشرقت من سماء فكركم آياته، فأطربنا بتغريد طيور همزاته، على أغصان الغاية، وعوذنا بالسبع المثانى نبأنا أجادت نثر زهراته على صفحاته، ثم مررنا بتصانيفه، بسوق الرقيق فرمنا[1] السلوك على منحاها فعمى علينا الطريق، وقلنا واهًا على سوق ابن نباته وكساد رتبتها، واستلاب البهجة عن نفيس دررها وأنيقها، لا كسوق نفق فيها الغزل، وعلا كعب الرامح والأعزل، وتظاهر على سحر النفوس والألباب هاروت الجد وماروت الهزل، وقد ألقينا السلاح وجنحنا للسلم، وتهيأ باللسباحة فوقفنا بساحل اليم، وسلمنا لما استوت به سفينة البلاغة، على الجودى فأنبا والحمد لله على السلامة، بالفهاهة والعِي[2] وقلنا ما لنا وللإنشاء، فهو فضل الله يؤتيه من يشاء.

وعذرًا أيها الشيخ عن البيت الذى عطست به أنف الصبا، فقذفت به البديهة من الفم، وشرفت به صدر قبأة العلم، كما شرقت صدر القناة من الدم، وأماما تحمل به الرسول من الكلام، فى صورة الملام، لا بل حرام، انزع به من سلاف المحبة كأس

---

(١) فرمنا: قصدنا أو أردنا.

(٢) الفهاهة: عدم القدرة على الكلام - والعى: الجهل بكسر العين.

وجام، فلا وربك ما هى إلا نفحة نفحت، لا سموم لفحت،
هززنا بها جذع أدبكم، كى تساقط علينا رطبا جنيًا، ويهمى ودقه
على الربع المحيل من أفكارنا وسميًا ووليًا فجاد وأروى، وأجاد
فيما روى، وأحيا من القرايح ميتًا كان حديثًا يروى، وطرسًا بين
أنامل الأيام ينشر ويطوى، أحيا الله قلوبنا بمعرفته وبنواسم رحمته،
وعرج بأرواحنا عند الممات إلى المحل الأخص بالمؤمن من حضرته،
وأهدى السلام المزرى بمسك الختام إلى الفقيهين الأمجدين،
الصدرين الأنجدين، الفريدين التوأمين الفاضلين المجيدين، فارسى
البراعة واليراعة، ورئيسى الجماعة فى هذه الصناعة، ورضيعى لبان
الأدب واسطتى عقده، ومجلى قدحه المعلى وموري زنده المتمتعين
بشميم عوار نجده، الكارعين بالبحر الفياض من هزله وجده،
الآتيين بالجنس من رسمه والفصل من رسمه وحده، الكاتب البارع
أبى الحسن سيدى على بن أحمد الشامى ، والكاتب البليغ أبى
عبد الله سيدى على بن محمد بن على الواجدى، وأقرر لديهما
الود المستحكم العامة الصافى المناهل العذب الموارد، وإننى قائم
بورد الثناء عليكم وعليهما لذى المقام العالى الامامى النصارى دام
سلطانه، وتمهدت أوطاره وأوطانه، وينمى إليكم أن الفقيه المحب
الأستاذ سيدى محمد بن يوسف طلق اللسان بالشكر صادح على
أيك الثناء عن تلكم السيادة بما أوليتموه من جزيل الإحسان،
وقابلتموه به عند الورد والصدر من البشر والكرامة وجميل
الامتنان، والسلام التام يعاد عليكم ورحمة الله وبركاته وبه وجب

الكتب إليكم والله يرعاكم وفى يوم الخميس موفى عشرين من محرم الحرام فاتح سبعة وعشرين والف المحب الودود الشاكر عبد العزيز ابن محمد الفشتالى لطف الله به وخار له بمنه وكرمه. انتهى. وهذا الشيخ الوزير صاحب هذا الإنشاء هو سابق الحلبة وحائز قصب السبق وبه يفتخر أهل المغرب عند أهل المشرق وليس الخبر كالعيان، والحمد لله الذى أباح سحر البيان، وقد أجابه عن الأبيات البائية المذكورة التى صدر بها مخاطبة لى صاحبنا الفقيه أبو الحسن على ابن احمد الشامى المذكور حفظه الله فقال:

نمت نوافح عرف أنفاس الصبا فنما بها روض الوداد واخصبا

نثرت جواهر سلكها فتتوج الغصن النضير بدرها وتعصبا

ورمت محاجر منحنى ذاك الحمى فغدا بها خيف القلوب محصبا

وروت أحاديث الغرام صحيحة فشفت فوادى من بعادك موصبا

لا غر وإن طارت حشاشة لبه طربا فما خلو الغرام كمن صبا

لازلتم والزهر ينشق عرفكم والزهر تحسد من كمالك منصبا

انتهى. وقد خرجت بهذا الاستطراد عن شرط الكتاب ولا يتوجه على فيه عتاب بوجوه الأول أن بعض الأصحاب سأل منى ذكر ما سطر فى هذا الموضع كما قدمته الثانى إن أهل المشرق حرسهم الله غير متحققين فضيلة العصر بين من أهل المغرب فأتيت به شاهداً وهو غيض من فيض الثالث أنى تذكرت عهود الأوطان ومخاطبات الإخوان، وحب الوطن من الإيمان ولنمسك العنان ونرجع إلى ما كنا فيه مستغفرين الرحيم الرحمن، فنقول: قلت على لسان حال

المثال:

لله مـــا فى مـــثـــال	حاكى النعال الشريفة
روض المحـــاســـن منه	له ظـلال وريفـــــة
فاجعلـه حصنًا وذخرًا	من الخطوب العـنيفـة
واحمله من فوق رأس	للأمن من كل خـيفـة
وضــعــه تـاجًا بديعًا	والثم حـلاه اللطيـفـة
فـفضله ليس يحـصى	والنفع أضحى حليـفة
وكيف لا وهو يـسمو	بذى الـسجايـا المنيفـة
أحـمـد خيـر البـرايا	مبرى النفوس الضعيفة
عليـه أزكى صــلاة	تسدى العطايا الكثـيفة
مـقـرونـة بـسـلام	ما زان خط صـحـيفة

وقلت:

ذا مثل نعال كامل الأوصاف	من أرشـدنا لمنهج الأنصـاف
روض نضر وظل نـقع ضاف	رد منهل فضله الشهى الصاف

وقلت منه:

الصب إن اعـتراه بين وجـفا	يلثم أثرًا ودمـعـه قـد وكفـا
ذا مثل نعال أحـمد دون خفا	قد لُذت بجاهه وحسبى وكفا

وقلت أيضًا:

يا من لذنوبه غـدا مـقترفـا	يرجـو ويخاف ربه مـعـترفا
ذا مثل نعال شافع الخلق فكن	من صفو عظيم فضله مغترفا

وقلت أيضًا:

تمثال نعال خاتم الرسل شفا ... كم من ترح غدا به منكسفا

فاحفظه وكن بحقه معترفا ... فالثمه وكن لراحه مرتشفا

وقلت أيضًا:

يا صبا ناله النوى إحجافا ... والذكر يزيد شوقه أضعافا

ذا شكل نعال خاتم الرسل فمن ... يسئل ويلذ به ينل أسعافا

وقلت:

يا مثال النعل حزت الشرفا ... دون ريب وأثرت السدفا

لك حسن راق من يبصره ... ظاهر والله ما فيه خفا

ولك الفضل الذى يعرفه ... ذو الحجى يا فوز من قد عرفا

من يُرم فى وصفه غاياته ... ينقلب بالعجز فيما وصفا

ولك المنهل للنفع الذى ... طاب للوارد عذبًا وصفا

يشتفى الضارى به من علة ... وينال البرد مهما اغترفا

شرفتك النسبة العليا إلى ... نعل خير العالمين المصطفى

خاتم الإرسال كهف الملتجى ... صفوة الله النبى المقتفى

فعليه صلوات شفعت ... بسلام ودقه قد وكفا

وكذا آل وصحب ما دعا ... باسمه مثلى وحسبى وكفا

وأنشدنى لنفسه من لفظه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله، وكتبه لى بخطه ثلاث مقطوعات من الدوبيت وهى قوله أسمى الله مقامه وأعانه على ما أقامه:

قبلت مثال نعله معترفا ... بالفضل له وفايز من عرفا

يا مثل نعال أشرف الخلق لقد　　أحرزت بأخمص الرسول الشرفا

وقوله:

في لثمك يا مثال نعليه شفا　　للصب وكم أزاح داء وشفا
قد أسعده الإله ما أسعد　　من راح لراحٍ حبه مرتشفا

وقوله:

تمثال نعاله الذي شرفه　　بالوطئ وبالدنوه قد أتحفه
من قابله ولم يكن قبله　　ما أنصفه بذاك ما أنصفه

وأنشدني لنفسه أيضًا:

إن في تمثال نعل المصطفى　　لي غرامًا فيه للقلب شفا
أضع الخد عليه لاثمًا　　ألصق الصدر إليه شغفا
املأ العين به مستجليًا　　منه نورًا وبهاء وصفا
فكأني ناظر النعل التي　　قد قدماه الشرفا
عارفًا مقدار ما أشهده　　من مجاري قبضه معترفا
فتراني ثملاً أسقى به　　راح أنس فاق راح القرقفا
كيف لا يصبي المحبين الهوى　　وذكاء الوصل في حان الصفا
بل ولا تصبي المحبين الذي　　في شهور ما اعتراه من خفا
إن خير الخلق ما غاب سوى　　شخصه عن سالك نهج الوفا
روحه ما غاب يومًا شمسها　　وسراج العدل منه ما انطفا
يا رسول الله إني شيق　　عايذٌ من سوء صد وجفا
فأنلني القرب وامنحني بما　　فيه للأدوا دواء وشفا
فعليك الله صلى مثل ما　　ينبغي منه دوامًا واصطفى
وعلى آلٍ وصحب وعلى　　من لهم في منهج الحق اقتفا

حرف القاف

فيه ست عشرة.

قال السبتى رحمه الله تعالى:

قلبى لا تقنط فهذى نعال من علقت به من قبل مرتبة العلق

قد أبصرتها فى أفق كفى كأنها هلال منير للعيون قد أيتلق

قفا فى السنا آثاره القمر الذى للابسه كالبردة انشق وانفلق

قرأت حذارِ العين لما رأيته بأفق يمينى طالما سورة الفلق

قست مهجة قد أبصرته وما جرت مسابقة شهب المدامع فى طلق

وقلت:

تمثال نعل شفيع الخلق قد راقا
واستكمل الحسن أنوار وإشراقا

وذكر الصب آثاراً مكرمة
ومن تذكر عهدا حن واشتاقا

فاجعله تاجا وعظم قدره فله
فضل عظيم ونفع أجره فاقا

وكيف لا وهو ينمى للذى شرفت
به العوالم خير الخلق أطباقا

من يعجز المدح عن أوصاف غرته
ولو تكلف تقييداً واطلاقا

صلى عليه آله العرش ما صدحت

ورق الرياض وأبدى الغصن ايراقا

وقلت على لسان حاله:

لله منى مــــثـــــال ... له رياضٌ أنيـــقــه

أغـصـانها مـثـمـرات ... ذات فـــروع وريقـــه

وقد حزت أوصاف حسن ... بكل مــدح خليــقــه

وذاك أنـــى أحــكـــى ... نعـال خيــر الخليقه

من جـــاءنا بالمثـــانى ... والرشـــد أبدًا طريقــه

وشـــاد أسَّ[1] المعـــالى ... ذات المبانى الـوثيـقـه

عليــه أزكى صـــلاة ... تعـــمــــه وفـــريقـــه

مــصحــوبة بسلامٍ ... تسقى القبول رحيقه

وقلت:

مـــا أطرب الـعـيس[2] ... حادأم الحمى وعـقيقه

كـــذاك آل وصـــحب ... أهل التقى والحـقيقـه

وقلت:

لله مـثـال نعل خـيـر الخلق ... من أرشدنا إلى الهدى والحق

عَظِّمــه فديت واسـئل الله به ... تظفر وتفز بجوز حصل السبق

وقلت أيضًا:

الذكر يـذيع سر ما بالـعاشق ... والشوق يصيبه بسهم راشق

---

(١) وشاد أس: أى أراد أساس وأصل المعالى.

(٢) العيس: الإبل.

يا صب فذا مثال نعل الصادق   ما أطيب روح عرفه[1] للناشق

وقلت أيضًا:

تمثال نعـال أحمـد مستـغرق   وصفـا بجماله المنيـر المشرق
كل البلغـاء عاجـزٌ أو مطرق   والغرب بنوره أضـاء المشرق

وقلت أيضًا:

القلب لذكـر عهدهم خـفاق   والدمع لفرط شوقهم مهراق
من نورهم أضـاءت الآفـاق   ذا مـثـل نعـال اشـراق

وقلت بقصر الخطاب:

القلب لذكـر عهدكم خـفاق   والدمع لأجل بعـدكم دفـاق
من شكل نعالكم تضيء الآفاق   من يرج جنابكم فلا إخـفاق

وقلت أيضًا:

الدمع لفرط شوقكم قد سبقا   والقلب لذكر عهدكم قد خفقا
ذا شكل نعـالكم لثمنا فلم   نعـدم فرجًا به ولا مـرتفقـا

وقلت أيضًا:

يا من بجمالهم أناروا الغسقا   يا من غـصن الهدى بهم قـد بسقـا
تمثـال نعالكم به قـد نظمت   أسلاك فـضائل حواها نسـقا

وقلت من غيره:

جريت فى ميدان نظمى طلقا   لوصف شـكل نوره تالـقـا
وقـد لثمـته به مـستشفيـا   وكـم أزاح ألما وقـلقـا
لم لا وقد حاكى نعال أحمد   نبـينا خيـر الأنام مطـلقـا

---

(١) عَرفه: أى رائحته الزكية.

طه الأمين المصطفى الهادى الذى ... ما خاب من بجاهه تعلقا

ذو الخلق الذى عليه ربنا ... أثنى وبالقرآن قد تخلقا

عليه أزكى صلوات ما اعتنى ... بفضله ونفعه من أملقا[1]

وآله وصحبه ما فتحت ... أمداحه للقصد بابًا مغلقا

وأنشدنى من لفظه سيدنا ومولانا جمال المفسرين طراز العلماء المعتبرين فرع الدوحة البكرية الصديقية ووارث مفاخرها العتيقية مفتى الأنام شيخ الإسلام سيدى الشيخ أحمد ابن مولانا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوارث البكرى الصديقى المالكى أدام الله سموه:

تمثال نعل أضاءت شمس غرته ... فأكسبت نور بدر التم إشراقا

وأعلنت بلسان الحال صورته ... تصوير صورتنا معناه قد راقا

من ذا يماثلنا من ذا يناظرنا ... حزنًا من المجد أجيادًا وأطواقا

وأنشدنى أيضًا - أبقى الله جلاله وشكر خلاله - فى هذا البحر والقافية:

تمثال نعلك يا خير الورى راقا ... وزان رسمًا وأطلالاً وأوراقا

وأصبح القلب من ريب الزمان به ... قرير عين وكان الدهر خفاقا

والله لو أدرك الشيطان صورته ... حقيقة لسعى للحق سباقا

بنيت يا جيد دهرى من مقلده ... فجوهر العقد طلى منك أطواقا

فلا برحت ترينا حسن صورته ... تخلو قلوبًا عماها عم اشفاقا

---

(١) أملقا: أى افتقر.

وقد كتب هاتين المقطوعتين أسماه الله فى تقريظه بالقاهرة المعزية لهذا التأليف.

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى الحلبى حفظه الله بالقاهرة المعزية وكتبه لى بخطه:

الروح فذا مثال نعل فاقا بالوطى بأخمص علا الآفاقا

من مرغ خده به مبتهلا لا يبصر قط فى الورى إشفاقا

وقوله:

الصب إذا يشيم يومًا برقا من نحو هواه دمعه لا يرقا

ما عذرك ذا مثال نعلى قدم قد عم سناه غربها والشرقا

وأنشدنى أيضا لنفسه قوله شكر الله صنيعه:

قد لثمنا مثال نعل نبى شرفت أخمصاه سبع الطباق

ووضعناه فوق خد وعين فوجدناه فوق نفثة راق

أذهب الداء والغموم جلاها فهو كالشمس زايد الإشراق

خص من أخمص الرسول بفيض عم كل الأنام باستغراق

فالتثمه فيُمنُه للمرجى باب فضل سما عن الأغلاق

مرغ الخد فيه وانشق شذاه ثم الصقه منك بالآماق

وتوسل فبها ترومُ بخير الرسل حاوى مكارم الأخلاق

أوسع المرسلين فضلاً وجاها أكرم الخلق صفوة الخلاق

قد زكت ذاته بكل اعتبارٍ فهو أزكى الفروع والأعراق

وسمت كل حالة منه بالفضل على كل حالة باتفاق

وكذا كل ما له منه أدنى نسبة فى مراكب الفخر راق

نعله أشرف النعال جميعا وكذاك المثال بالإطلاق

فإذا ما بدا المثال فعظم وارغم أنوف أهل النفاق

ثم قبّله معلنًا بصلاة وسلام لم يُرْمَيَا بفراق

فهو باب مجرب لبلوغ السؤل فوزًا لمتيقن الأحقاق

فإذا ما بيمينه رُمت[1] بسط الرزق لم تخش قط من إملاق

وكذا إن أردت رد الكيد من عدو لم تلق من إشفاق

ولكل الأدواء فيه دواءٌ فإن فعل الصحيح من ترياق

ليس بدعًا ففيه لله سرٌ بنجاح قد طار فى الآفاق

وهو من بعد معجزات رسولِ الله فالسر فيه باستحقاق

يا خيار الورى ببابك فتح الله أو فاك زايد الأشواق

فامنحنه المنى وليس بخاف عنك فى كل حاله ما يلاقى

فرح القلب فرج الكرب عنه إطف ما فى حشاه من إحراق

أدركن أدركن فما بغوثك بعد أنت والله طيب الأعراق

فعليك الصلاة تشمل الآل وصحابا وتابعا مرفاق

وقال كاتب هذا التأليف الفقير عبد الفتاح المرجوشى الأزهرى الأشمونى:

ذا مثل نعال من علا أرواق فى الفضل وجوده قد راق

فالثمه تنُل بمدحه إشراقا فالجذع بلثمه اكتسى أوراقا

---

(1) رمت: أى رغبت واشتقت.

حرف الكاف

فيه إحدى عشرة.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى:

كـرمت أيا نعـلاً لأكـرم مـرسل
به وهو وسطى السـالك قد ختم السلك

كـأنك فى عـينى نافـحـة خلت
وأبقى لهـا الأنف نفـحتـه المسك

كتمت فلما لحت لى تاج محجرى
بسـر مـعنى قلبـه بـالنوى يشك

كـفـانى كـفـانى أن بدا أثر لمن
به من أشـاذ التـرك قلبى منفـتك

كريم كرام الرسـل أحمدها الذى
بتوحيـده الإشراك أردى فلا شرك

فقال أيضًا:

نثرت مـحاجر مقـلتى من سلكها
دراً وشـذراً مـفـرغًا من سلكهـا

شوقًا لمـبعـوث أتى فاسـتبـشرت
مـهج الورى منجاتـها من هلكهـا

عـاينت مـثل نـعـاله ومـحـمـدٌ
هو خاتم الإرسـال وسطى سلكها

فوجدت فيه ريحه ولربما

فاح النوافح بعد فرقة مسكها

اشرف بها نعلا عمايم كل ذى

شرف يقر بأنها من ملكها

فلقد وعت قدمًا سعت فى فتكها

من راحتى كفرانها وشركها

جعلت مواطيها الملائك عندما

أسرى به ليلاً مواضع نسكها

يا ليت أعضائى شفاها كلها

فمتى تقبلها شفاهى نحكها

قد كنت ذا خوف وحيد بدلا

وعند المسرة لفؤاد بفتكها

فكأنها منك أتى هذا وقد

تعطى الموالى أمنًا فى صكها

وهلال أطلع فانجلى من وحشتى

ما قد تراكم من سحائب حلكها

فأنا العتيق وإن تشك النفس فى

عتقى بخط اللحين عارض شكها

يا منجى الحوبا من بحر الردى

ولقد غدا لولاك معطف فلكها

شكوى غريق ذنوبه مهما شكت

حوباؤه لسواكم لم يشكها

ولقد أمرت بترك أسباب بها

تقوى الذنوب فما أخذت بتركها

ولئن بديت مبانيًا مستورة

بستور لطف لا سبيل لهتكها

فلقد بنيت من الرجاء مبانيا

ردت فواتك خيفتى عن فتكها

وجعلت حبك يا محمد أسها

علمًا بأن الأس ممسك سمكها

صلى عليك إلهنًا ما ظل أنف

ذكرك العطر الشذا مستنكها

وقلت:

هذا مثال قد حكى	نعلاً لمختارٍ زكا
فضعنه فوق الرأس وا	ستشف به متبركا
بمن به حاز العلى	وطرفه الأسمى زكا
وكم أجار من خطوب	وكم أزاح المشتكى
وكم أنار من ظلا	م قد سجا محلوكًا[1]
صلى عليه الله ما	حن المشوق وما بكى
مسلما مع آله	وصحبه أهل الزكا

(١) محلولكًا: من الحلكة أى الظلمة.

فاز الجميع بقرب مَنْ لفراقه الجذع بكى

وقلت على لسان حاله:

أنظر إلىّ مثالا سموت فوق السماك
حاكيت أشرف نعل لطيب الأصل زاك
خير الأنام جميعا مجيب دعوة شاك
وحزت فخراً عظيما به فعنرفى ذاك
عليه أزكى صلاةٍ مع صحبه النساك
مقرونةٍ بسلامٍ ما مثل النعل حاكى

وقلت:

لما رأت عينى المثال لنعل أحمد قد حكى
اجللته ووضعته فوق العيون تبركا
ولثمته فشممت منه ريحَ طيفٍ قد ذكا
وبحق ذاك لانه بالمصطفى حقًا زكا
خير البرية من أر انا للمراشد مسلكا
طوبى لعبد لم يزل بجنابه متمسكا
يا خير خلق الله دعوة من لغيرك ما اشتكا
قد أوثقته ذنوبه فإذا تذكرها بكى
صلى عليك مسلّمًا ربى وما طلعت زكا
والآل والصحب الكر ام الفائزين ذوى الذكا

وقلت:

ذا شكل نعال مرتقى الأفلاك   إذ فاز بقرب ما لك الأملاك
بالنور أضاء داجى الأحلاك[1]   يا ليلة مرتقاه ما أحلاك

وقلت:

يا من بهداهم أضاء الحلك   والجن عنى لأمرهم والملك
تمثال نعالكم غدا يذكرنا   رجلاً شرُف الثرى بها والفلك

وقلت:

يا صب ثياب كتمه قد حاكا   الرسم يبين فى الهوى منحاك
هذا أثر لنعلهم قد حاكا   فالثمه فليس ثم من ملجاك
يا شكل حاكى نعالاً عرفها زاكى   ذكرتنا قدَمًا للطاهر الزاكى
والصب إن أبصر الآثار أنشدها   من أجل سلمَى بكينا إذ بكيناك
ما القصد بالرسم إلا أهله فكذا   بالمصطفى شرف المحكى والحاك
فلا ملام إذا فى لثمها شغفًا   بمن جلا نوره آثار أحلاك
طه الأمين الذى ما زال يرقبه   أهل العناية من رسل وأملاك
وأمهم ليلة الإسراء ثم سما   فى الأوج فوق سماوات وأفلاك
عليك أزكى صلاةٍ مع صحابته   وآله ثم اتباع ونساك
ما قال من أبصر الآثار يلثمها   أيامنازل سلمَى أين سلماك

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله تعالى:

يا مثل نعال من ملا الأفلاكا   من أخمصه لجل من أولاكا
نفديك بر وحنا له مكرمة   إذ كان بشبه نعله أعلاكا

---

(١) الأحلاك: شدة الظلمة.

وأنشدني لنفسه:

نعل النبى لها مثال قد زكا

فاجعله فوق الرأس منك تبركا

أو ليس قد حاكى مثالاً وارتقى

فحكى مثالاً نعله العلية حكا

فاعقد عليه القلب والثمه وكن

فيما ينوب بيمنه مستمسكا

واجعله فى قصد النبى وسيلة

فلنسبة منه السواكن حركا

لولا الغرام لحُب أشرف مرسل

ما كان يومًا للقلوب تملكا

فالرسم تسقيه العيون هواطلا

وبساكنيه لا به هاج البكا

أوَّاه مما فى الحشا من بعده

وإليه مما فى حشاى المشتكا

قد كنت أحسب قبل بُعدى أنى لى

حسن اصطبار إن نأيت تدكدكا

حتى إذا شط المزار علمته

دون المزار توهما لن يدركا

ماذا أقول وهل بلغنى المنى

إن زدت فيه مقالة وتهتكا

سقياً لأيامي بوارق طله

لو صح طول بقائها ان يدركا

أيام أسحب ذيل سعدى هازلا

بالنيرين تمتعا وتنسُكا

والوقت طوع هدى سوى يوم النوى

ساومته منه سلما فكان الأفتكا

أحنى على مفوقًا لى سهمه

أيظنني في الدهر كنت مملكا

أنا ذلك العبد الكسير لما جنى

قد كاد فيه من الأسا أن يهلكا

أعيا فلم ينهض وقد قعدت به

أعباؤه في السير عن أن يسلكا

فآوى لطيبة في ذرى خير الورى

وزوى حساب الغم عنه مفدلكا

وطوى بساط مناصب الدنيا التى

نصبت لطالبها العنا فتلبكا

وروى حديث الأخذ منها بلغة

فإذا أرته الترك كان الأتركا

فلديه أدنى العيش أعلى مبتغى

فى حب من سكن الحشا وتملكا

لله تمريغى الخـــدود على ترى
أعــتـابه فـيـمـا أهـم تمسكا
وتضـرعى ذلاً على الأبواب مـا
أحـلـى مـنـاه فـى المذاق واركًا
فلئن نأى جـسـمى فـليس بنازح
قلبى وعن صدق اللجـا ما أمسكا
وافـى جنـابا مـن أتـاه أو شكـا
يومًا إليــه فـفـوزه قـد أوشكا
ولقـلـمــــا طال الـنَّوى إلا أتى
بالقـرب فانعم يـا حشـاى لعلكا
حاشا جناب المصطفى عن رد من
وافى لبـــاب نواله مـتـصـعلكا
فـغنى الورى من قطرة من بحـره
ووكـــاؤه من بعـد ذا أن لاوكـا
يا خـير خلق الله لا يخـفاك مـا
عـانَى فؤادى بـالبعـاد ومـا شكا

فـانظر لفتح الله منك بنظرة   تحيى بها مـا البعد منه أنهكا
ولكربه فـرج وفــرح قلبـه   فعسـاه بعد بكائه أن يضحكا
فعليك من رب الأنام صلاته   وسلامه ما قدرك العالى زكا
وكذا على آل وأصحاب ومن   بهم اقتـفى بهداهم متـمسكا

حرف اللام

فيه ست وثلاثون.

إن عددنا التضمين والتخميس مستقلين وإن عددنا التذييل فهى سبع وثلاثون.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى:

لثلك يا نعلاً بلابسها نعل
ويا طيب فيحى كلما قلت يا نعل

لثمت وما أبغيه باللثم لا ولا
سواه فما قصدى النعال بل الرجل

لها الله من رجل مشت بأجل من
أتى خاتم الرسل الكرام وإن جل

لنا قد أتى منا عزيز عليه ما
عنتنا رؤف راحم ماله مثل

لعمرك لولاك لما سمت السماء
ولادحيت أرض ولا برى الكل

وقال أيضاً رحمه الله وهى من مطولاته:

أقول وهجرانى سيعقبه الوصل
ففقد الهوى الشرعى ما أن له حل

غداة رأت عينى مثال نعال من
يدا فهدى أهل السعادة إذ ضلوا

تمنيت لو أنى ظفرت بتربة

عليها مشت نعل بلابسها نعل

فاكحل عينًا أرمدت ببعاده

وليس سوى ذاك التراب لها كحل

هو الكحل يجلو ما بعينى من قَذَى

وكم كحل إن تكحل به العين لايجل

فطوباك طوبى ثم طوبى وحق ان

أردد طوبى ثم طوبى أيا نعل

فإنك قد أودعت رجلاً علت على

بساط علىّ لم تعله قبلها رجل

فأقسم لو نؤتى العمائم سؤلها

لما غير تلك النعل كان له سول

وناهيك من رجل مشت بمحمدٍ

مفضل رسل الله إن عدت الرسل

أبو القاسم الأسمى الذى وطىء السما

فنودى من فيها ألا خلفه صلوا

ولو لم تطأها رجله كان للثَّرَى

على الفلك الأعلى بموطئها الفضل

فيأمر سلامًا فى النبيين مثله

رسولاً وهل للشمس من جنسها مثل

أنارت ظلام الجهل فالقلب نير

محا العلم منه أحرفا خطها الجهل

فكان كمثل السيف أصبح صاديا

وأمسى وقد جلى مضاربه الصقل

يلوح به الإيمان شكلاً لناظر

ولولاك لم يطلع به ذلك الشكل

فحق لذى عقل بأن يقطع المدى

مدى عمره ما دام يصحبه العقل

وما شغله إلا امتداحُ جلالكم

فنعم الفتى من شغله ذلك الشغل

أيا مولاى يا مولاى ألفا وبعده

كذلك ألف ثم ألف له يتل

عديد الحصى والرمل بل عدما إذا

بدا فالحصى جزء بدا منه و الرمل

محبتكم كهفى الذى قد حللته

إذا اشتد بى كرب على الفور ينجل

وسيفى السريجى الذى مذ سللته

رأيت خطوب الدهر عنى تنسل

ورمحى الردينى الذى مذ شرعته

صرعت به ثكلى فلا نعس الثكل

وقوسى الذى مذفوق الصدق نبلها

أصــابت أسًا ما خــاب قط له نبل

فـها أنا فى ظل من الأمن قـاطع

على المجد أن يمتد لى ذلك الظل

ومن يدر ما أدرى من أفضالك التى

هى الباب والأفضال أجمعه فضل

أو الأصل والإفضال بعض فروعه

وما يستوى فى الرتبة الفرع والأصل

ينم آمنًا من جور دهر صـروفـه

سواهر واستقصى وليس له عدل

مـحمـد يا غـوثى وغيثى كلمـا

تجـهمت الأيام أو أجـحف المحل

محـمد يا غـوثى وحرزى كلـما

تفـاقـمت الاهلاك أو طرق الذل

أكـرر فـى أحـوالى اســمك أنه

لك الشهد مـا كررته فى فمى يحل

أمـا إنه أحـلى وأيمن مـجـتنى

فكم مجتن للشـهد تلسـعه النحل

وإن كان فى الشهد الشفاء لمشتك

بِعِلَّة جسم أصلُها الشرب والأكل

فباسمك يشفى كل قلب إذا اشتكى

إليك بزاجره القول والفعل

وما جسد الإنسان مثل فؤاده

فمنزل ذا علو ومنزل ذا سفل

فبالفضل يا ذا الفضل والبذل إن عرت

خطوب ولما يلف فضل ولا بذل

أجرنى من نار ضريعٌ طعامها

ومُهل وما يُغنى ضريع ولا مهل

ومن أهلها العاصى أوامر ربه

وانى لها أو يغفر الله لى أهل

أما إننى أرجو النجاة وإن يكن

ذنوبى حملاً لا يطاق له حمل

فإنى قد أعددت أى ذخيرة

تخففه من ثقل الذنوب فلا ثقل

فذاك الذى للمعضلات جنابه

فمن مهجتى حق ومن عبرتى ففل

إلا هكذا فليخبأ الحب مدنف

إذا ما سلا أهل المحبة لا يسل

وإن يخل معمور القلوب من الهوى

فما قلبه المعمور من حبه بخل

وإن يعتلل وقتًا غراما فيختلل
فما حبه يعتل وقتًا فيختل
فكم بين من قد تيم الفضل والعلى
وبين الذى قد تيم الغنج والدل
لبينهما ما بين وصل وقطعه
وهيهات ما بالقطع يشتبه الوصل
وإن غرست كفاهما شجر الهوى
فمغروس إذا شرى ومغروس ذا نخل
فيا قلبى احلل من هواك بحنة
بها احتفى قلبٌ حبه ليس يعتل
ونادى الورى أين احتلك مجنة
بها كل من يهوى النبى سيحتل
أدير بها كأسًا دهاقًا وما سوى
سرورى بمحبوبى مدام ولا نقل
هى الخمر لم يتلف بها عقل شارب
وتلك حرام فى الكتاب وذى حل
ويا فكرى الراجى المصيب بنبله
مقاتل أغراض أراها له النبل
وفى قتلها عند اللبيب حياتها
ومن أعجب الأشياء أن يحيى القتل

بتأليف شمل المدح فى المصطفى اشتغل

يعنك على تألـيفـه ذلك الشـغل

فـذاك مـحل للـمـدايح قـابل

إذا انحصرت فيـه مدايح من قبل

مـحل يسمى فى عـلاه مـقصـرا

أديب وفى الأمداح من طيبه يغل

محل على فوق الـسماء ولم يكن

لا على مـحل ذلك العلوأن يعلو

فقل للأديب المكثر القول من يلى

علاه كـثيـر القول فى مـجده قل

فـضـائله بـحـر وسَجْل كـلامنا

وليس يغيض البـحر دلو ولا سجل

وتالله ما البحر الغطاء مط مـشبها

فـضـائله لو يشـبـه الوابل الطل

ولكنهـا الأمثـال تضـرب للورى

وليس من المشروط أن يعقل الكل

وقـد ضـرب الله الأقـل لنوره

فـقال: كـمشكاة وليس له مـثل

أخـيـر رسـولٍ جـاء للحق هاديا

وقد درست سُبْلُ النجاة فلا سبل

وكلهم نشوان من خمرة الهوى
فمعبودهم نَسْرٌ ومدعوهم بعل

فما منهم إلا أسيرُ ضلالةٍ
ففى جيده غلٌّ وفى رجله كبل

فدلوا على سبل الرشاد بنوره
جميعًا ولولا ذلك النور ما دلوا

فاعقب ذاك النور مدلوله حلى
ففى جيده عقد وفى رجله حجْلٌ

وقفت بباب الجود ذى الكرم الذى
غمامته وطفا وعارضه وبل

فما أكرم يروى عن أجود واهب
مواهبه تترا ونائله جزل

وقيس بذا إلا وقال أولو النهى
ألا إن ذاك الجود فى جنب ذا يقل

ولى حاجة عنت إليك قضاؤها
عليك بفضل الله يا سيدى سهل

زيارة أرض طيب الله تربها
فما المسك مفضوض الختام لها مثل

هى البلدة الغراء طيبة التى
بها رحمة الرحمن مدى الدهر تنهل

فمن حل مثوى أنت فيه مخيم

ويا طيب أقوام بطيبة قد حلوا

يكن آمنًا من كل حزنٍ وخيفةٍ

ويعظم له جاه ويكرم له نزل

يكن آمنًا من جور دهر صروفه

وذا أقبلت مثل الدخان إذا يعل

فما داخل عدنًا يَخاف من الرَّدَى

وتشهد آيات الكتاب الذى نتلو

وصلّى عليك الله ما هبَّت الصبا

وما كان للمزن التى أعصرت هطل

ولا فرق ما بين الجنان وبينها

كذا من له عقل من الناس أو نقل

وقال أيضًا رحمه الله وشكر صنعيه الجميل وقد رسم مثال النعل أثرها:

أيا سائلاً أفتيه إثر سؤاله

عما يرى أن يشك من اشكاله

نزّه سواد القلب والعينين فى

شكل هلال الأفق من اشكاله

أخطأت لست بعايد ولكم

مصيب مخطى فى البعض من أقواله

فالبدر يكسف فى منازل سعده ... ويصيبه النقصان إثر كماله

وكلاهما شين وهذا قد وقى ... من كل شين بدر سر جماله

أوليس تمثال النعال نال من ... وطيء السماوات العلى بنعاله

نعلاً بلابسها بات ويحق أن ... يبات به بجلاله وخلاله

فلقد حوت رجلاً مشت بالصفوة ... المختار عند الله من إرساله

فالثمه تمثالاً لها لثم امرء ... وباللثم يروى من صدى بلباله

فلرب مشتاق رأى أثراً لمن ... يشتاقه فشفته من أوجاله

أو ما ترى يعقوب عاد بثوب من ... يهوى لسنا عينيه بعد زواله

وهواى فى مولاى يفضل حب ... يعقوب على المروى من أحواله

فمحمدٌ هو معتقى من ملك شر ... ك كنت طوع يمينه وشماله

قطعت هدايته حبال ضلالتى ... بحسامها الجالى الردى بصقاله

فغدوت معتقلاً ورحت مسرحًا ... متمسكًا من هديه بحباله

يرتاج فى عدن الهوى قلبى ولا ... يخشى الإعادة فى جحيم ضلاله

أصل النداى معرفًا بعوارف ... بلغ الفؤاد بها مدى آماله

يا قوم إقرار من امرئٍ بفضائل ... عظمت علىّ لأحمدٍ ولآله

كنت الذليل فمذ تعبد مجده ... نفسى بما قد كان من أفضاله

ما زال يسعى فى عزازة عبده ... حتى محا بالعز نقطة ذاله

فأنا الدليل لا عبد دلوا على ... إن يصبحوا مثل عبيد جلاله

مولاى يا مولاى إلفا مردفا ... بمثاله ومثال مثاله

أضعاف أضعاف الذى فى البحر ... من نقط أجاج الماء أو سلساله

أنا عبدك القن الذى اطلقتنى ... من جهل أوثق مهجتى بعقاله

فيما على لكم من الفضل الذى ضعفت قوى شكرى عن استقلاله
إلا حملت من الوشاة بطيبة جسمًا شكا بفراق قلب وآله
وأظنه والظن يصدق هاهنا عندى وإنى الخبير بحاله
قد حل من تلك العلى حيث العلى شهب تحق للحير وهلاله
بلد يذود المارقين جلاله بسيوفه ولدانه ونباله
فكأنه كير نفى خبثًا وأبقى من رضى الرحمن باستعماله
أرنى على أمثاله ووحقه لافكت فى قولى على أمثاله
فالأرض مثل زبالة وهو السنا منها وكم بين السنار وزباله
هى طيبة الغراء أشرف موطن حيث النهى شرعًا على إجلاله
حرم متى ما حله ذو خيفة يا من به فى حاله ومآله
أمر الملائك بالدعاء لأهله أهل الفخار نسائه ورجاله
وأرى ثراه من لأجل سناه خر الملك للمخلوق من صلصاله
ونجا ابن لامك فى السفين إذ استوى ماء الردى بسهوله وجباله
ونجا ابن آزر من لظى الإشراك إذ نال الذى قد نال من تمثاله
وفدى ابن هاجر حين تل وإنه لمسلم لأبيه فى أفعاله
واحتل إدريس مكانًا فى السماء اسمى منال النجم دون مناله
والمرء يحتق من ثرَى القبر الذى سيكون منطبقًا على أوصاله
هذا حديث صح عنه لدى الأولى نظموا عقود مقاله ونعاله
ولذاك قال بفضل طبية مالك وهو الإمام المقتدى بمقاله
إذ لا تراب أجل من ترب نشا منه حبيب الله من إرساله
فهناك يضحى الجسم متصلاً بمن أشجاه وهو القلب يوم فصاله

أسعد بمجتمعين فى داريها شخص الذ يقظ بطيف خياله
مولاى إن لم تؤت عبدك سوله ورددت خايبة يمين سواله
لا عتب بل عتبى بما هو صالح بك للذى قد ساء من أعماله
لكن سنة سيدى فى عبده إسعافه ما دام من سؤاله
والصفح عن زلاته ولو أنها كالرمل عداً فى جميع رماله
ومتى يجد فالغيث إلا أنه عم الخليقة كلها بنواله
ومتى يجز فالليث إلا أنه أضحى المجار لديه من أشباله
فالخائفون المعسرون المومنو ن وموسرون بجاهه وبماله
هذى خصال من خصال جمة ومن الذى يحصى شريف خصاله
صلى عليه إلهنا من مُرسلٍ وجد الوجود الخير فى إرساله

وقال أيضًا رحمه الله تعالى:

ما مغرمًا برسولٍ لم يخلق الله مثله
هذا مثال نعال قبالها ضم رجله
أشرف به ثم أشرف شكلاً يماثل نعله
فقبلن فيه مثل تقبيل صب موله
قرب شاكى اشتياق نال الشفا بقبله
يا رب أشكوك شوقى والشوق أعضل عله
فقرب الدار ممن أنبت فى الرسل فضله
فهو الذى يهواه فؤادى عبدك وله
صلى الإلهُ عليه من شارع خير قبله
وفاسخ كل حكم وناسخ كل مله

ما أحرق الوجد قلبا | وأرق البعد مقله
مصحو بسلام | على النبى خير مله

وقال رحمه الله وهو أول ما قاله:

وبكيت وقد رأيت مثال نعله | بكاءً هو عن الأحباب ولَّه
وما حب النعال أسال دمعى | ولكن حب من كرمت برجله
محمد الرفيع القدر أعنى | حبيب الله أحمد خير رسله
عليه سلام ذى بعد مشوق | إليه ظل معتصماً بحبله
مدى افتخرت سماوات وأرض | على حر الخدود يوطىء نعله

وقال الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن بزيزة التميمى رحمه الله تعالى آمين آمين آمين:

عن العالم الحبر الإمام أبى الفضل
روينا نعال المصطفى سيد الرسل
فبادلك البشرى بلثم مثالها
عسى أن تنال الفوز فى موثق الهول
فكم لاثم ترب الحبيب لأنه
مواطى أخفاف الركائب والنعل

وقال الشيخ أبو بكر أحمد ابن الإمام أبى محمد عبد الله القرطبى رحمه الله تعالى بمنّه وكرمه:

نعل خضعنا هيبة لبهائها | وأنا متى نخضع لها أبداً نعل
ضعها على أعلى المفارق أنها | حقيقتها تاج وصورتها نعل
بأخمص خير الخلق حازت مزية | على التاج حتى باهت الفرقد لرجل

طريق الهدى عنها استنارت لمبصر ... وأن بحار الجود من فيضها سجل

سلونا ولكن عن سواها وإنما ... نهيم بمعناها الغريب وما نسلُ

فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها ... حميم ولا مال كريم ولا نسل

شفاء لذى سقم رجا البائس ... أمان لذى خوف كذا بحسب الفضل

قلت: لست على يقين أن هذه الأبيات مقولة فى المثال إذ يحتمل انها مقولة فى النعل نفسها فلينظر ذلك والله أعلم.

وقال الشيخ أبو اليُمن ابن عساكر رحمه الله: سألنى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السلمى أن أنظم فى المعنى شيئًا وكان قد جمع فى ذلك مؤلفًا صغيرًا أجمع فيه نظم جماعة من الفضلاء فأجبته بقولى:

يا منشداً لى رسم ربع خال ... ومناشد الدوارس الأطلال

دع ندب آثار وذكر مآثر ... لأحبة بانوا عصر وصال

والثم ثرى الأثر الأثير فحبذا ... إن فزت منه بلثم ذا التمثال

أثر له بقلوبنا إثر بها ... شغل الخلى بحب ذات الخال

قبل لك الإقبال نعلى أخمص ... حل الهلال لها محل قبال

ألصق بها قلبًا يقلبه الهوى ... وجلا على الأوصاب والأوجال

صافح بها خد أو عفر وجنة ... فى تربها وجداً وفرط تغال

لتبل حر جوى ثوى بجوانح ... فى الحب ما جنحت إلى الإبلال

يا شبه نعل المصطفى روحى الفدا ... لمحلك الأسمى الشريف العالى

هملت لمرآك العيون وقد نأى ... مرمى العيان بغير ما إهمال

وتذكرت عهد العقيق فتأثرت ... شوقًا عقيق المدمع الهطال

وصبت فواصلت الحنين إلى الذى ... مـا زال بالى منه فى بلبـال
أذكرتنى من لم يزل ذكرى له ... يعتاد فى الأبكار والآصـال
أذكرتنى قدمًا لهـا قدم العلى ... والجود والمعـروف والإفضال
ولها المفاخر والمآثر فى الدنا[1] ... والدِّين فى الأقوال والأفـعال
لو أن خدِّى يحتذى نعلاً لها ... لبلغت من نـيل العلى آمـال
أو أن أجفـانى لوطء نعالـها ... أرض سمت عزًا بذا الإذلال

وقد ذيل عليهـا الأديب الفاضل شرف الدين عيسى بن سليمان الطُّنُوبى المصـرى وقد سـبق ذكره فى حـرف الراء وهو بضم الطاء والباء الموحدة فى آخـره منسوب لبلدة من إقليم المنوفيـة من أعمال القاهرة وقد عـرَّف به السخاوى فى التبر المـسبوك فى ذيل السلوك وذكـر أنه توفى سنة ثلاث وستـين وثمـان مائة رحـمه الله تعـالى فقال:

لو قد[2] قلبى كالقبـال لنعلها ... وشـراكـها لظفـرت بالآمـال
نعلٌ لهـا قدم تـزايد مجـدها ... العالى كما اختصت بقدر عال
قدم سرت فوق السماء وقوبلت ... فى ليلة الإسـراء بالإقـبـال
حتى كقاب القوس كان دنوها ... من غيـر ما جـهة بلا أشكال
هذا هو الشرف الـذى لم يحوه ... أحـد سـواه مـقـدم أو تال
يا عاشقًا نعل الحبيب وما رأى ... تمثـالهـا هُنيت بالتمـثـال
ضعه على خديك ثم على الحشا ... وعليـه وإلى لـثـمك المتوال

---

(١) الدنا: جمع دنيا.
(٢) قد: أى قطع.

واجعله محرابًا وصل به على … من جاء بالذكر وأفضل قال

واذكر به نعلاً تصاعد نورها … ما بين صون شراكها وقبال

وسمت لما وسمت وعقد سيورها … أزرى بعقد جواهر ولآل

واعكف عليه عسى تفوز بيُمنه … فالسر قد يسرى إلى الأشكال

واجعل جبينك فوقه متبركًا … تحوى الفخار وغاية الآمال

واذكر حبيبك إذ بدت آثاره … وكأنه بذل العلى بوصال

إن غاب عنك ولو تعاين شكلها … فاعطف على تمثالها المتعال

وبه فلُذ والقلب من حرق غدا … أشعالها ناهى عن الأشغال

فالصب يحزن للنوى ويسره … لما يرى طيفا خيال خيال

أكرم بتمثال تزايد يمنُه … روت الثقات له جميل فعال

إن أمسكته حامل بيمينها … رأت الخلاص به وحسن خصال

أو من به داء لا صبح ناقها … من ضر أوجاع ومن أوجال

أو كان فى جيش لأصبح ظاهرا … أو منزل لنجا من الإشعال

وبه الأمان من العدو بنظرة … والسحر والشيطان ذى الإضلال

والأمن من غرق ومن باغ ومن … كيد الحسود وسارق ختال

فيه تمسك بالحبيب المصطفى … فعسى به تنجو من الأهوال

لا يستوى قلب المعذب فى الهوى … بلواعج الأدواء وقلب الخال

وقال الحافظ الإمام محدث الأندلس أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى رحمه الله ورضى الله عنه مما قلت فى ذلك مسعفًا سائلى وسائلاً ربى سبحانه أن يجعله من ذرائعى المقبولة عند فضله ووسائلى:

خواطر ذى البلوى عوامر بالجوى ... ففى كل يوم يعتريه خيال

متى يدع داع باسم محبوبه هفا ... فيهتاج بلبال ويكشف بال

وإن يرى من آثاره أثراً همت ... له من غروب المقلتين سجال

كحالى وقد أبصرت نعلاً مثالها ... لنعل الرسول الهاشمى مثال

عرانى ما يعدو المحب إذا بدا ... لعينيه من معنى الأحبة آل

تقلّت فى ذاك المثال معا وذا ... كذى إن ذُلّى فى هواه حلال

ومثلته نعل النبى حقيقة ... وإنى لأدرى أن ذاك محال

ومن سُنَّة العشاق أن يبعث الهوى ... مثال وتعتاد الغرام خيال

فلا فرق إلا أن حُبَّ مُحمَّدٍ ... هدى والهدى فيمن عداه ضلال

وقال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله مخمساً لها ومن خطه نقلت:

خيال عِرامًا إن جناه سوى النوى

توى من نوى من كشف بلواى ما نوى

فيا منكراً ما قد عرانى من الهوى

خواطر ذى البلوى عوامر بالجوى

ففى كل يوم يعتريه خيال

سمعت اسمه الأعلى الشريف المشرفا

فخيلنى يعقوب ذكر يوسف

ومن شيم الصب المتيم ذى الوفا

متى يدع داع باسم محبوبه هفا

فيهتاج لبال ويكشف بال

رعى الله صبا بالهوى نفسه سمت

له آية فى الحب بالـكتم أحكمت

فمـا لم يلج من حبـه أثر حمت

وإن يـر مـن آثـاره أثـراً هـمـت

له من غروب المقلتين سجال

فيـا نفسى الحاكى دجـاها هلالها

أمـا انه نـور البـدور كـمـالـهـا

الا فـاعذرى نفسًا تحن فـحالهـا

كحالى وقـد أبصرت نعلاً مثـالها

لنعل الرسول الهاشمى مثال

ويا أيـهـا الرائـى إلى مـفـندا

وقد كدت لولا نهى حبى أن أسجدا

هوى وجـوى أن يبل دهر تجـددا

عـرانى مـا يـعـرو المحب اذا بدا

لعينيه من معنى الأحبة آل

ذكرت به عـصراً مضى ومـعاهدا

فنوديت من نفـسى نداءً مسـاعداً

وجدت فـما ود لثمـه تدع واحداً

فـقـبلت فى ذاك المثـال مـعـاودا

أرى أن زُلى فى هواه حلال

وشبهته صفحًا وفقرًا حديقة مفتحة الأزهار غنا أنيقه
سقتها غوادٍ قد غدون غديقه ومثلته نعل الرسول حقيقه
وإنى لأدرى أن ذاك محال

فيا جاهلاً داء المحبين والدوا غويت ولا تدرى فلا كان من غوى
أتنكر لثم المثل فى حالة الهوى ومن سنّة العشاق أن يبعث الهوى
مثال ويعتاد الغرام خيال

تساوت معانى الحب فى كل مقصد فمن مقلة عبرا جفن مسهد
وبرح وتهيام وشوقٍ مجددٍ فلا فرق إلا أن حب محمد
هدى والهدى فيمن عداه ضلال

وقال بعض أهل المغرب معارضًا لهذه الأبيات المذكورة عن الكلاعى فى الروىّ والبحر والقافية والقصد والغرض ولم أقف على تمامها ولا على اسم قائلها وسنذكر كلامه المتصل بها فى الخاتمة إن شاء الله تعالى:

إذا لاح للصب المشوق مثال من آثار من يهواه عاد خيال

وقال الحافظ الكاتب المحدّث أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعى الأندلسى البلنسى نزيل تونس معارضا أبيات شيخه أبى الربيع السابقة:

سجام لعمرى أدمع وسجال لنا من نعل الرسول مثال
وهل يملك العينين فى مثلها سوى خَلّى عراه عن هداه ضلال
مثال إلى نعل النبوة يعتزى[1] فاعزاه للمحسنين مثال

---
(١) يعتزى: يعتزيه ويُعزى ينسب.

ومنها:

أُقَبِّلُهُ شوقًا تملكنى لما حكى وشهيدى لو يفوه قبال

وأبى اشتراكًا فى التزام شراكه وحسبى منه عصمة وثمال

ومعقده مما عقدت به الهوى فلا صح عزمى إن صحا لى بال

مراغى من تمريغ شيبى فيه إن تسح من الرحمى على سجال

ومن وصفه فى حر وجهى ورفعه لقمة رأسى أن يعز مآل

فأحظى بحظى من جوار محمد وهل بعد تنزيل الجوار نوال

وقالت الشيخة أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يحيى الحميرى الأندلسى القرطبى وتعرف بسعدونه وقد بلغها قول بعض الأدباء الغرناطيين فى صفة مثال نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أبيات أحدها:

سألثم التمثال إذ لم أجد للثم نعل المصطفى من سبيل

فزادت عليه قولها رحمها الله تعالى ورضى عنها:

لعلنا نحظى بتقبيله فى جَنَّة الفردوس أسنى مقيل

فى ظل طوبى ساكنًا آمنا اسقى بأكواس من السلسبيل

وامسح القلب به غلة يسكِّنُ ما جاش به من غليل

فطال ما استهى باطلال يهواه أهل الحب من كل جيل

وقال ابن الأبار فى التكملة لها رواية عن أبيها وجدها وخالها أبى القاسم عامر وأبى يحيى وأبى بكر ابنَىْ أبى الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدى وكانت أدبية شاعرة ووقفتُ على خطها بالإجازة وتوفيت بمالقة فى سنة أربعين وست مائة أو نحوها رحمة

الله عليها انتهى.

وأنشدنى من لفظه لنفسه صاحبنا الفقيه أبو الحسن على بن أحمد الخزرجى الفاسى حفظه الله بفاس المحروسة سنة سبع وعشرين وألف:

أتت شمس السماء تحط رأسا ... لها ذى النسل من دون انتقال

وتلثم تربها ذلاً لتحظى ... بما رامته من رتب المعالى

فقال لها الهلال وقد رآها ... أتخضع لا محالة للنعال

فنادته ابتدرها لا توخر ... فنيطت صبح المعالى بالمعال

وأنشدنى أيضًا لنفسه مشيرًا للتمثال الكريم وتلميحًا بكتابى أزهار الرياض لأنى ذكرت فيه المثال وبعض ما قيل فيه:

أقول لهذه الأزهار لما ... رأيت بروضها نعل المثال

وصلت الحسن يا حسنًا لحسنى ... وصلت على المعاند والمعالى

فأعجزت الورى سحرًا وشجوًا ... بما أحرزت من فرط الجمال

وحزت من الفخار كمال حسن ... وشكل النعل خاتمة الكمال

وأنشدنى لنفسه كاتب الإنشاء الذى يبذ أهل عصره ببلاغته إنشاء أبو عبد الله محمد المكلاتى الفاسى وقد رأى عندى المثال بفاس المحروسة سنة سبع وعشرين وألف:

أنظر إلى البدر وتكليفه ... بين قبال يالها من قبال

ما صار كالعرجون فى افقه ... إلا لمحاكاة لهذا المثال

ثم كتبهما بخطه وأرسلهما إلىّ ومعهما نثر من إنشائه صورته سيدنا ومولانا الأستاذ دام علاه اجعلهما زهرة فى رياضك وقطرة

فى حياضك بعد الإغضاء والنظر بعين الرضى والسلام عبدكم المكلاتى انتهى. وأشار بقوله له زهرة فى رياضك إلى جعلهما فى كتابى أزهار الرياض وهو القائل فيه حفظه الله تعالى:

يا حسن أزهار الرياض   تفتقت عنها الكمائم
صقلت هواها بالندا   أيدى السحايب والغمائم
وشدت عليها فى الأباطح   والربا ورق الحمائم

وله أيضًا فيه يخاطبنى:

امفتى الورى عهدى بأنك ناكب
عن السحران السحر زور عناكب
براعك نفاث يمد حباله
فتبدى سطوراً وهى عندى مواكب
وتوهم أزهار الرياض وأنها
سماء وأقمارٌ بدت وكواكب

وله أيضًا:

أهاتيك زهو أم أزاهر فتحت   جفونا تجافت عن سهادٍ عن أرق
وهذا ربيع أول ثم آخر   فقم نجن أزهار الرياض من الورق
فليس لعمرى بالمحرم ورده   إذا ما كساه بالحيا لؤلؤ العرق

ولنرجع إلى المقصود بالذات فنقول: وأنشدنى لنفسه بالقاهرة المحروسة أحد مفتى الحنابلة المدرس المؤلف الشيخ مرعى بن يوسف المقدسى الحنبلى حفظه الله وكتب به إلىَّ بخطه لاثبته هنا:

هنيًا لعين شاهدت نعل أحمد   وعبدٍ حوى تقبيل وطىء نعاله

تمنيت أن الخد موطىء نعله وكحل جفونى من تراب نعاله

فيا له تمثالٌ كريم مبارك يحاكى هلال الأفق شكل مثاله

ويا حبذا مرآة ذى الحسن بهجة يقبله المشتاق وهو كواله

وعبد رأى نعل الهدى ومثالها عليه أفاض الله سجل نواله

ولم لا وإن الأرض بالنعل شرفت وكل كمال فى الورى من كماله

إلهى على المشتاق مُنَّ بنظرة إلى وجهه والصحب مع خير آله

وأنشدنى لنفسه سيدنا الشريف محمد بن موسى الجمازى الحسنى المالكى حفظه الله بالقاهرة المعزية المحروسة سنة ثلاثين وألف قوله:

مذ شاهدت عيناى شكل نعاله خطرت على خواطر بمثاله

فغدوت مشغول الفؤاد مفكرًا متمنيًا أنى شراك نعاله

حتى ألامس أخمصيه ملاصقًا قدمًا لمن كشف الدجى بجماله

يا عين إن شط الحبيب ولم أجد سببًا إلى تقريبه ووصاله

فلقد قنعت برويتى آثاره فأمرغ الخدين فى اظلاله

يا رب هب لى زورة لجنابه فعساه يمنحنى بفيض نواله

إذ ذاك خير ذخيرتى ووسيلتى منسوبه يرجو الصلاح بحاله

يا خير من وفد العفاة[1] لبابه والملتجى يكفيه أمر سؤاله

بلغه فى الدارين ما من خوفه وازده توفيقًا لحُسْن مآله

يسرٌ له الرزق المقيم بأهله يا خالقى واستره بين عياله

واحفظه بين الخلق من وشك الردى واجعله فى كنف النبى وآله

إنى أتيتك قاصدًا كن كافلاً بخلاص هذا العبد من أوجاله

(١) العفاة: الراجون.

وعليك خير صلاته وسلامه تجرى على مر المدى بكماله

ولبعضهم:

أيا ناظرى إنى مثال مبجل

أحاكى التى قالت وشرفها الجعل

لئن سفلت بعض الملابس فى الورى

فإنى برجل المصطفى أبدًا نعل

وقال الشيخ الإمام أبو محمد بن برطلة الأندلسى رحمه الله ورضى عنه:

تأمل وقبل هذه نعل أحمد ترانى رأى العين منك مثالها

فلله منها أخمص قد تضمنت نور خدود أن تكون نعالها

ورأيت فى بعض الأمثلة الشريفة هذين البيتين ولا أدرى من قائلها:

مثال نعل الرسول خذه بحسن القبول

واجعله عندك ذخرًا لدفع كل مهول

فقلت مضمنًا له:

مثال نعل الرسول يرجى به نيل سؤل

فاجعله عندك ذخرًا لدفع كل مهول

إذ فضله ليس يحصى ونفعه ذو شمول

عليه أزكى صلاة تنيل حسن القبول

وهذا التضمين قد سارت فى المغرب به الركبان وكتب فى عدة أمثلة بالمغرب وكتبه راسم الأمثلة بفاس المحروسة فى عدة منها

ومنها المثال الذى وصلت به لمصر ووهبته لبعض الإخوان والأعمال بالنيات.

وقلت أيضًا فى مثل ذلك:

مثال نعل الرسول يرجى به كل سؤل
أنواره مشرقات ليست بذات أفول
وفضله ليس يُحصى ونفعه ذو شمول
فاجعله عندك ذخرًا لدفع كل مهول
واسئل به الله ذا تظفر بحسن الوصول
عليه أزكى صلاة تنيل خير القبول

وقلت:

يا من بضيائه هدى الضلال يا أفضل مرسل وذى إجلال
تمثال نعالكم لمن أمسكه يزيد غنًا يغنى عن الإقلال

وقلت:

يا من هو منقذ من الأهوال قد لُذتُ بجاهكم فحبذى الحال
ذا شكل نعالكم توسلت به أرجو بتوسلى صلاح الحال

وقلت على لسان حال المثال:

أنظر إلىَّ مثالا سموت فوق الهلال
وزاد فخرى لما حا كيت خير نعال
لأعظم الرسل طرا إنسان عين المعالى
عليه أزكى صلاة موصوفة باتصال
متبوعة بسلام مع خير صحب وآل

وقلت:

بشرف المختار قد شرفت	نعاله حتى سما ذا المثال
فاسئل به الرحمن جل اسمه	فما به يسأل إلا أنال
وكيف لا يدرك مستمسك	بالعروة الوثقى المنى بالسؤال
وجاه خير الخلق أعظم به	عمدتنا فى حالنا والمآل
نبينا المختار من هاشم	أفضل خلق الله عين الكمال
صلى عليه الله مع صحبه	وآله أجل صحب وآل
مسلمًا قد عطرت بالشذا	أرْدَانَ أرجاء صبا أو شمال
وما سرى الركب إلى روضة	حل بها إنسان عين الكمال

وقلت أيضًا:

قد قرّت العين بالمثال	ذى الحسن حاكى حلى النعال
لسيد المرسلين طرا	خير الورى صاحب المعال
فاجعله فوق الرءوس تاجًا	يقصر عن حسنه اللآلى
والثمه شوقًا وسَلْ به ما	تريده تحظ بالسؤال
عليه أزكى صلاة رب	أسماه مع صحب وآل
ما نال عبد به مرادًا	فى الماضى والحال والمآل

وقلت:

القلب تثير شوقه الأطلال	والطرف له بدمعه استهلال
ذا شكل نعال من له الإجلال	صبح نوره أضاء فى استدلال

وقلت منه أيضًا:

لله مثال نعل من كمله	بالوحى إلهه جمله

من أم لـه يفـــز بما أمـلـه ... فوزاً وبحر عطاه ألجم له[1]

وقلت أيضاً:

الصب لشـوقكم عـراه وله ... لم يدر لذاك ما عليه وله[2]

مذ أبصر شكل نعالكم قبله ... إذ ذاك بلوغ قصـده خوله

وأنشدنـي لنفســه حائز قصــب البلاغة والـبراعة، ومـالك عنان اليراعة سيدى الشيخ فتح الله البيلونى الحلبى حفظه الله قوله:

قد شرف أخمصاك قدر النعل ... والنعل مـثـالـهـا بهـذا نعل

فالروح فـدا مثـال نعليك إذاً ... والفرع لـذا شريعة كـالأصل

وقوله منه:

الشـوق يحـضنى لـلثم المثل ... من نعلك يا إمام كل الرسل

لا أعرف غير عشقى فيك ولم ... أقنع لصبـابتى بدون الوصل

وقوله منه:

قـد حرر ذا المثـال طبق النعل ... من أحمد مثل ما أتى فى النقل

فاحـفظه وكن بلثمه مـفتتـحا ... أبواب مناك فـهو عين الـعقل

وأنشدنى أيضاً حفظه الله لنفسه قوله:

لنعل المصطفى الهادى مثال ... ودون مـــثـــالـــه عزَّ المنال

له يمن يعيد العـسر يسـراً ... قـريبًا والعـثـــار به يقـال

كـمـا أن الدواء به شـفـاء ... سـريع ليس فيـه ما يقـال

وقف معه احترامًا فهو باب ... إلى كل المنى مـنه اتصـال

---

(١) من أم له: أى قصده فاز بالأمل الذى يرجوه، والجم الكثير: العطاء. وفى البيت جناس لا يخفى.

(٢) عراه وله: أى أصابه وجد شديد. حتى أنه من شدة الحب لم يدر الذى له والذى عليه.

ومرغ فيه خدك والتثمه فإن بذلك العليا تنال

وصيره الوسيلة فى ابتهال فجهد العبد ذُل وابتهال

وأعلن بالصلاة على نبى إذا ضاقت يكون لك المجال

له الجاه الوسيع لكل عاص له الحصن المنيع فلا يزال

له السر البديع بكل شأن له العز الرفيع فلا يطال

أجل الخلق أوصافا وذاتًا على أخلاقه استولى الجمال

له كمل الفخار فكل فخر بنسبته إليه له الكمال

وأدنى ماله منه انتساب يطاطى دون سطوته الجلال

فكيف مثال نعل حل منه بها قدم لها العليا نعال

نعم والله إن به لسرا له فى نقله اعتنت الرجال

فيا من عم بالجود البرايا فأدنى بذله[1] مال وحال

بباب نداك فتح الله عبد عراه لفرط زلته الملال

يمد يد السؤال ليوم عفو وبابك لا يخيب به السؤال

فكن لى منجداً دنيا وأخرى فإن عليك خيرهما بحال

عليك من المهيمن كل وقت صلاة ما لها عنك انفصال

وتسليم كذاك بلا انتهاء فكل سلامة فيه تنال

تعم الآل والأصحاب طرا وأتباعًا لغيرك لم يبال

ولبعض المعاصرين وهو الشيخ أبو السرور بن نور الدين الشعراوى الكاتب بمحكمة بولاق حفظ الله قوله.

يا حبيب الوجود يا مظهر النور اقتباسًا من نور ذاتك أسأل

---

(١) بذله: عطاياه.

يا مجلى الظلما من كل كرب ليس إلا على سناك المعول

يا رسول الإله يا من يرجى وينادى عند الكروب ويسئل

أنت باب الإله فأىُّ مريد يترجى دخول بابك يقبل

سيد الرسل إننى فى عناء ليس يخفى عليك بل ليس يجهل

أدرك أدرك يا ملجاى واغثنى واكشف الكرب سيدى وتفضل

بمحياك من له الله حبا بجمال فما يرى منك أجمل

وسنا وجهك المنير الذى فيه جلاء العيون أفضل صيقل

مذ رأته عينى فقرت وقرت بعد أن كان ضوؤها قد تمحل

فعساها تراه مرة أخرى وترى ضوءه الشريف تهلل

فيها القلب ينجلى من صداه عند مرآك سيدى ويجمل

إذ رأى لهفتى لذاك وشوقى وسرورى إذا بلغت المؤمل

وأرى جبهتى تمرغ والخد بنعل من حقها أن تقبل

فشفا مقلتى تراب لنعليك ومن لى بمقلة منه تكحل

أو بوضع على مثال شريف حبذاك المثال بل والممثل

فاخرَ الفرقدين نوراً ومرقى وسمواً ورفعةً فتأمل

وعلى النيرين تاه بفخر إذ لا قدام ذا النبى توصل

رب يسر بسر السعادة واجمع لى شملاً به وجدو تفضل

فعليه الصلاة تحمل نشرا زاكياً هادياً بند ومندل[1]

وكذا الآل والصحابة جمعا هم نجوم الهدى إذ الخطب أرهل

---

(١) نشراً: رائحة . وبند ومندل: عودان طيبا الرائحة.

مـازهت روضـة ورق نسـيم   وبدا بارق بـنجـد وأقــبل

ودعــا الله ذو غناءٍ وفـقـرٍ   فـحـباه فـضـلاً ومنه تقبل

فـغدا بالسـرور يدعى دوامـا   وعـلى ربـه الكـريـم توكـل

حرف الميم

فيه ثلاثون.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أن فيه لزومًا زائدًا لم يهد الله إليه ولا إليهم إلا بعد الفراغ من نظم ما تقدم وإلا فجاب مدحه فسيح ولسان الألكن فى مدحه عليه الصلاة والسلام فصيح فقلت:

مثالك نعل المصطفى هاج لى جوى ... جناه هوى قلب السعيد به سما

مددت له عينى مشوقٌ به على ... صبابته أن لا تحول قد أقسما

مشيت به فوق السماء فكلما ... وطئت سما فاخرت فوقها سما

مواطية قسمن فيها مناسكا ... فاسمى الذى أدناه ذاك المقسما

محمد ابكيت الثرى اذعر جتم ... وعدتم إليه بعد ذا فتبسما

وقال الشيخ أبو القاسم القبتورى:

تبصرت تمثالاً لنعل مشت بها ... لخير الورى طرًا وأسناهم قدم

وسيأتى تمامها فى الخاتمة لمناسبة اقتضت ذكرها هنالك.

وقال الإمام القاضى الكاتب الشهير الأديب أبو الحكم مالك بن المرجل السبتى دفين باب الحبشة من فاس المحروسة رحمه الله قوله وهو مما أنشد بعضه صاحب المواهب اللدنيه رضى الله عنه ونفعنا به آمين:

بوصف حبيبى طرز الشعر ناظمه

وهيم حذا الطرس بالنفس راقمه

نبى له فضل على الناس كلهم   مفاخره مشهورة ومكارمه
رؤف عطوف أوسع الناس رحمة   وجادت عليهم بالنوال غمائمه
له الحسن والإحسان فى كل مذهب   فآثاره محبوبة ومعالمه
حفى وفى لاتمين عهوده[1]   حمى أبى لا تلين شكا يمه[2]
وكم نازعته الأمر شم أغرة   فما أسلمته بيضه ولها ذمه
غدا العالم العلوى ينزعُ دونه   فتقدمه قبل اللقاء هزايمه
أما نصر الإسلام نصراً مؤزراً   فلم ينج إلا مسلم أو مسالمه
أما حسم الكفر الصريح حسامه   أما صرم الكفر الصريح صوارمه
نبى له فى حضرة الحق رتبة   ترقى بها فى عالم العلو عالمه
به ختم الله النبيين كلهم   وكل فعال صالح فهو خاتمه
أحب رسول الله حبا لو انه   تقسمه قومى كفتهم قسائمه
كأن فوادى كلما مر ذكره   من الورق خفاق أصيبت قوادمه[3]
أهيم إذا هبت نواسم أرضه   ومن لفوادى أن تهب نواسمه
فأنشق مسكًا طيبًا وكأنما   نوافحه[4] جادت به ولطايمه
ومما دعانى والدواعى كثيرة   إلى الشوق أن الشوق مما أكاتمه
مثال لنعلى من أحب حويته   فها أنا فى يومى وليلى لاثمه
أجر على رأسى ووجهى أديمه   وألثمه طوراً وطوراً ألازمه
صبابة مشتاق ولوعة هائم   نعم أنا مشتاق الفواد وهايمه

---

(١) لا تمين عهوده: لا تختلف.
(٢) شكايمه: جمع شكيمه وهى العزيمة القوية.
(٣) الوَرَق: الحمام . القوادم: مؤخرة الطائر التى تساعده على الطيران.
(٤) نوافحه: النافحة هى التى يعقد فيها المسك فى الظباء.

كأن مثال النعل محراب مسجدٍ ... فوجهى فيه شاخص الطرف دايمه

أمثله فى رجل أكرم من مشى ... فتبصره عينى وما أنا حالمه

أصُكُ به خدى وأحسب وقعه ... على وجنتى خطوا هناك يداومه

ومن لى بوقع النعل فى حر وجنتى ... لماش علت فوق النجوم براجمه

تفيض دموعى كلما لاح نوره ... يكابد ذا البرق الذى أنت شائعه

فيادمع عينى أنت تمنع ناظرى ... نعيمًا به فارفق فانك ظالمه

ويا حر قلبى أنت تحرم باطنى ... لصوقًا به فاسكن لعلك راحمه

سأجعله فوق الترائب عودة ... لقلبى لعل القلب يبرد جاحمه

وأربطه فوق الشيون تميمة ... لجفنى لعل الجفن يرقا ساجمه

الا بأبى تمثال نعل محمدٍ ... لقد طاب حاذيه وقدس خازمه

يود هلال الأفق لو أنه هوى ... يزاحمنا فى لثمه ويزاحمه

وما ذاك إلا أن حُبَ نبينا ... يقوم بأجسام الخلائق لازمه

سلام عليه كلما هبَّت الصبا ... وغنت بأغصان الأراك حمايمه

سلام عليه كلما افتر بارق ... فراقت عيون المجدين مباسمه

سلام عليه ما تفاوحت الصبا ... بزهر كان المسك تحوى كمايمه

وقال العلاَّمة ابن رشيد المغربى رحمه الله تعالى وقد أجرى ذكر هذه القصيدة وقال أنه أنشده إياها من لفظ شيخ الأدباء وخاتمتهم الناظر المكثر المعمر المرجل أبو الحكم مالك بن المرجل لنفسه وضمن صدر القصيدة مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأوردته بجملته ثم ساق ما سردناه.

وقد علمت أن صاحب المواهب اللدنية لم ينشدها كلها ثم قال

ابن رشيد بعد ذلك ما نصه قلت أنشد هذه القصيدة صاحبنا محمد بن عبد الملك وقال إن قائلها انشدها له ثم عقبها بأن قال وفى هذه القصيدة على ما فيها من إجادة تعقب من وجوه منها التضمين وهو من عيوب النظم وذلك فى قوله ومما دعانى والبيت الذى بعده ومنها الايطاء فى صوارمه فى بيتين فهذان عيبان ومنها إعادة ضمير تواسمه وهو مذكر على الأرض وهى مؤنثة وحملها على إرادة التذكير بتأويل المكان أو المحل أو شبههما أو إعادة الضمير على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأدنى نسبة كل ذلك متكلفٌ بعيدُ التناول ولو قال الربع عوض الأرض لخلص من هذا الإنتقاد.

قال ابن رشيد: هذا ما قاله صاحبنا جريًا على عادته عفا الله عنه، من انتقاص الأفاضل، واعتساف المحامل، وترك الصافى الزلال، وورود الكدر والعكر من المناهل، وكل ما قاله فاسد والنقد عليه عائد، أما هذا التضمين الذى ادعى أنه عيب فليس بهذا وإنما العيب الذى ترجم له أهل القوافى وهو ما كان بين القافية وصدر البيت الذى يليها كقوله وهم أصحاب يوم عكاظ إنى شهدت لهم مواطن صادقات أتيت لهم بصدق الود منى.

وأما هذا التضمين الذى فعله الشيخ فسبيلٌ مفيدة وطريق مستحسنةٌ عند العرب والمولدين المتقدمين منهم والمتأخرين وإنما أوقعه فى ذلك عدم معرفته باللفظ المشترك والمشكل.

وأما ما ادعاه من الايطاء فغلط وقرَ فى سمعه أو فى خطه عند كتبه، ووضعه وإنما قاله الناظم فى البيت السادس فما أسلمته بيضه

ولهاذمه وإنما وقع صوارمه فى البيت التاسع وهو الذى ألزم به النقد هذا الناقد المتعسف، وأما ما قاله فى عَوْدِ الضمير فمما تصان المسامع ويالله ويالله ويالِلمسلمين ما الذى يمنع من إعادة الضمير على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأى تكلف فيه أو أى نسبة أو بعد تناول مع إن إعادته على الضمير المخفوض فى قوله أرضه وهو ضمير المثال أو ضميره صلى الله عليه وآله وسلم وشرَّف وكرّم، صحيح حسن، ولكنها عادة تعودها ووسادة اعتمدها وتوسدها وما نعلم فى هذه القصيدة شيئا يُنقد إلا ثِقَلِ لفظٍ أصكُّ به خدى والله المرشد الملهم والإنصاف أحق ما اعتمد وأولى ما اعتضدوا إليه انتهى كلام ابن رشيد رحمه الله تعالى.

وأنشدنى من لفظه لنفسه الأثير الأصيل السيد محمد بن موسى الجمازى الحسينى المالكى حفظه الله بالقاهرة المحروسة سنة ثلاثين وألف:

شرفت نعال الهاشمى قديما	مدلا صفت من أخمصيه أديما
يا ناظرا هذا المثال فلا تكن	متغافلا عن لثمه تعظيما
وانو الشفاء بلثمه تجد الشفا	فنعاله نالت به تكريما
يا مدعى الحب اتخذ آثار من	تهوى لديك إذا خلوت نديما
وامسح به وجنات وجهك قاصدا	محض اعتقادك بالفؤاد صميما
نعل الذى لولاه ما كان الورى	فيما تراه وكان ذاك عديما
هذا الذى عم الوجود بجاهه	وأنال من والاه منه نعيما
يا طالبين شفاعة منه غدا	صلوا عليه وسلموا تسليما

وقال الأمير الكبير المعظم الأثير أمير اللواء الشريف السلطان الفقير إلى رحمة ربه المنان، ذو الفضل الذى لم يختلف فيه اثنان، صدر الأمراء الأعيان، مولانا الأمير عثمان بيك أدام الله توفيقه وتسديده فى قصيدته الجامعة المفيدة التى خدم بها الجناب الربانى النبوى المحمدى وجمع فيها سِيَرًا له وشمائل وأمداحًا وقلد أجياد سطورها ولبات طروسها وصدورها من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم دررًا غدا أنوارها وضاحا فى المقالة الحادية والعشرين فى صفة خفاف طه السنية ونعاله السبتية صلى الله عليه وآله وسلم وبارك وأنعم:

وجاء عن بعض أهل العلم والحكم	فوائد جمة لنعل ذى الكرم
ما كان تمثالها الميمون مع أحدٍ	الآ وكان له حرزًا من اللمم
وعين كل حسودٍ وظالم وغرور	ماردٍ يختشى فأحفظه تغتنم
ومن نوى عند إمساك لصورته	تبركًا نال أمنا بان كالعلم
ومن شرٍّ بغى بغاة ثم من غلب	العداة أعظم به ملجأ لمعتصم
وإن يضعه أخوضر على وجع	نال الشفاء بحول الله من سقم
وذات طلق بإمساك له بيدٍ	يمنى يسهل عليها العسر عن أمم[1]
وفيه أمان عظيم للبضاعة من	نهب وللدار من حرق بمضطرم
والفلك إن كان فيها لم تخف غرقا	لدى خضم من الأمواج ملتطم
فاجعله عندك ذخرًا للشدايد أو	لكل هولٍ من الأهوال مقتحم

(١) عن أمم: عن قُرب.

واحرص على حمله فليس يحصر ما

له من النفع والفضل ذو الكلم

وعفر الوجه والخدين مستلما

للخير ملتمسا من فيضه العَمَمِ

وأنشدنى لنفسه الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله تعالى قوله:

إن كنت تخاف صولة الأيام ... فالجأ لمثال نعل طه السامى

والثمه وكن لقدره معتقداً ... وانعم أبداً بالأمن والأنعام

وقوله منه:

من زين أخمصاه أرضًا وسما ... لابدع إذا مثال نعليه سما

والله وما أبر هذا قسما ... من لاذ به لكل داء حسما

وقوله منه:

الصب إذا سرى نسيم لنجد يوما ... من نحو حبيبه أطار النوما

ما صبرك ذا مثال نعليه فهل ... تستشعر إن لثمت إلفًا وما

وأنشدنى أيضا لنفسه قوله:

مثال النعل من خير الأنام ... شفا ما تشتكيه من السقام

فالصقه على الخدين والثم ... أواسطه بشوق منك نام

فذلك موطىء القدم التى قد ... علت فوق السماء أعلى مقام

ومرَّ به على ما تشتكيه ... مجد بالصلاة وبالسلام

وسل من جاه خير الخلق أمراً ... تروم محققًا نيل المرام

فذلك فى الإجابة فوق برق ... يلوح خلال هتان الغمام

وهذا من بديع السر فافطن ... له تظفر بذاك على الدوام

الا يا خير خلق الله إنى ... كسير موجع والدمع هام
ولذت تجاهك السامى فكن لى ... فإنى قد بعدت عن المرام
وأنت لكل ما أرجوه حسبى ... وما أخشاه فى يوم الزحام
عليك كذا على آل وصحب ... صلاة فى العداد بلا اختتام

وانشدنى لنفسه أيضًا:

تراءى لنا تمثال نعل محمد ... خيار الورى والقلب فيه غرامه
فخيل فيه ذلك القدم الذى ... رقى السبع تكريمًا وجل مقامه
ومرغت فيه الخدَّ أضرع سايلاً ... زيادته والقلب زاد هيامه
فمن نهايا مالكى فهو شافعى ... لديك فإن الذنب أعيا سقامه
فأنت الذى لا يغفر الذنب غيره ... وقد سح بالفضل العميم غمامه

وأنشدنى لنفسه صاحبنا الصالح المحصل الشيخ عبد الحق بن عبد القادر القنوى الأنصارى الشافعى حفظه الله بالقاهرة المحروسة سنة ثلاثين وألف:

ضع المثال على الخدين مذكرًا ... بوضعه قدم الموصوف بالكرم
وعفرن فيه حر الوجه مغتبطا ... والزم سبيل الهدى والحق والتثم

ورأيت فى بعض الأمثلة الشريفة بالقاهرة هذه الأبيات البديعة ولم أر قائلها وهى بديعة النسج بليغة الحوك:

مثال لنعل المصطفى سيد الورى ... نبى الهدى المبعوث من آل هاشم
حكاه لنا أشياخنا عن شيوخهم ... بإسنادهم عن عالم بعد عالم
تلقته منا أوجه بخدودها ... وألقته أيدينا مكان العمائم
فأهدى إلى أبصارنا كل قرة ... ونال به أقصى المنى كل لاثم

فقلت مذيلاً عليها والله المرجو فى القبول:

وصار إلينا فى الدعاء وسيلةً لجلب مسرات ودفع عظائم

ولم لا وقد حاكى شفيع الورى الهادى لخير المعالم

عليه من الرحمان أزكى تحية مع الآل والأصحاب أهل المكارم

ثم رأيت بعد مدة الأبيات الأول بخط ابن فهد المكى[1] داخل المثال مكتوبة وبعدها بيت نصه:

تقدست النعل التى قد غدت لها

خواضع تيجان الملوك الأعاظم

ثم عثرت بعد ذلك على كمالها واسم ناظمها من كلام ابن رشيد إذ قال ما نصه ومما حضرنى مما يتعلق بوصف النعل الكريمة ما قرأته بخط صاحبنا المفيد الأديب التاريخى القاضى أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك رحمه الله وقد ذكر مثال النعال الكريمة قال وأنشدت على شيخنا أبى الحسن الرعينى رحمه الله لنفسه فيه ونقلته من خطه:

مثال لنعل المصطفى سيد الورى نبى الهدى المختار من آل هاشم

حذاه لنا أشياخنا عن شيوخهم بإسنادهم عن عالم بعد عالم

تلقته منا أوجه بخدودها وألقته أيدينا مكان العمائم

وعفرت الوجنات فيه محبة وألصق تقبيلاً له بالمباسم

تقدست النعل التى قد غدت لها خواضع تيجان الملوك الأعاظم

إذا لم تعاينها فهذا مثالها مثير شديد الشوق من كل هائم

فلثم ثراها فيه رأى لأنفس لأن تبرد الأكباد منه حوائم

فليت جبينى كان موطئها فلا | يخاف غداً للنار لفحة هاجم
ويا فضلها لما حوت رجل سيدٍ | تقر له بالعقل كل العوالم
حبيبى رسول الله خاتم رسله | وصفوته المعطى جميع المكارم
حنينى إلى ترب له كان واطئا | تقدس من ترب حنين الروائم
فهل لى سبيل والمنى قد تتاح لى | إلى وقفة ما بين تلك العوالم
فاشفى عليلى بالتثامى ترابها | وأسقيه من دمعى بأوكف ساجم
على خير خلق الله أزكى تحية | تجب بها أيدى المطى الرواسم
فتحمل طيباً نحو طيبة زاريا | على نفحات المسك طى الأطائم
وتهديه للقبر الكريم وقد سرت | على الروض هبات الرياح النواسم

انتهى.

وقلت:

يا ناظراً فى مثال | أضحى هنا ذا ارتسام
يحكى نعالاً تسامت | فى المجد دون سنام
قبِّله تقبيل صب | موله مستهام
وضعه من فوق رأس | تاجًا لمفرق هام
وابسط له حروجه | ولا تخف من ملام
واحفظ علاه وصنه | وكن به ذا اهتمام
ففضله ليس يحصى | بنثر أو نظام
أمان خوفٍ وحرقٍ | تيسير كل مرام
لا يطرق اللص دارا | غدت به فى احترام
والفلك إن كان فيها | لم تخش من هول طام

فيا لها بركات شهيرة فى الأنام
وكيف لا وهو ينمى للهاشمى التُّهام[1]
خير البرية طرا أمام كل أمام
أندى الخليقة كفًا أرعاهم للذمام
إنسان عين المعالى مولى العطايا الجمام
عليه أزكى صلاة موصولة بسلام
والصحب والآل طرا والتابعين الكرام
واستنشقت نسمات من غير مسك الختام

وقلت أيضًا:

مثال عظيمٍ بالتشابه سامٍ حكى نعل من قد فاق كل سام
شفيع البرايا خير من وطىء الثرى شريف مسمى طيب وأسام
فكم سن أدى لمن رام رشده وكم منن أسدى الأنام جسام
عليه صلاة الله ما هبت الصبا فجَرَّد نهر الروض حد حسام

وقلت:

لم أقض حقوق حبكم وأندم كم شبت لذكر كم دموعى بدم
يا شكل نعال من سما فى القدم شرفت بنسبته لا على قدم

وقلت:

الصب له على التصابى وسم والذكر يهيج شوقه والرسم
يا شكل نعال من علا منه اسم مقدارك فوق كل قدر يسمو

---

(1) التهامى: نسبة إلى تهامة اسم من أسماء مكة.

وقلت:

من شاء ينال مطلبًا قد رامه ... فيسئل بجناب من ثوى فى رامه[1]

ذا مثل نعاله فمن لازمه ... يظفر وينل بجاهه إكرامه

وقلت:

يا صب يشوقه هوى ذى سلم ... والبان وجيرة الحمى والعلم

ذا مثل نعال من سما الكل به ... فاستشف به فذاك برء الألم

وقلت:

يا صب بكى لروية الاعلام ... شوقًا وجوى قضى على الأحلام

ذا مثل نعال من هدى الله به ... فاستشف به ولذ من الآلام

وقال الأمير الرئيس أبو عثمان سعيد بن الحكم القرشى صاحب ميزقة أعادها الله للإسلام بجاه النبى عليه الصلاة والسلام:

برأسى مثال لنعل القدم ... ألا بل مثال لنعل الكرم

مثال لنعل نبى الهدى ... حذته ثقات فما تتهم

وجاءوا به معلنًا معلما ... بأفضل ماهية للقدم

وما أن يزال متى إن بدا ... لعين امرىء مسلم مستلم

فلثمى له ممعن منعم ... وذلك عندى ألذ النعم

ويرشق أفقى إذا بان لى ... وإن بان عنى عرته ظلم

ألمت لما قد حذوه عليه ... شوقًا وما الشوق إلا ألم

وليس الشفاء سوى أن أرى ... لموطئه ألثم الترب ثم

هناك وجود فؤادى هوى ... وجسمى ثاو هنا كالعدم

---

(1) قد رامه: أى أمل فى أن ينال مطلوبه، من ثوى فى رامه: أى من سكن المدينة، وفى البيت جناس تام، رامه الأولى والثانية.

ورأيت في بعض الأمثلة الشريفة ولم أدر قائله:

يا مبصري مثال نعل محمدٍ صلوا عليه وسلموا تسليما
قوموا لرؤيته قيام تجلدٍ ثم الثموه وكرموا تكريما
فسبيل أهل الحب رعي معاهدٍ عهد الحبيب بربعهن يقيما

حرف النون

فيه ثنتا عشرة.

الشيخ محمد بن فرج السبتي رحمه الله تعالى:

نظرت بعيني هـايم القلب مدنف

شـجي أبى إلا البكا طرفه حـزنا

نعال حبيب مصطفى من حبيبه

دنى فتدلى قـاب قوسين أو أدنى

نبي جميع الرسل سـاد على كما

بمبعثـه منا جـميع الورى سـدنا

نجيٌ لرب العـرش تـاج مـحـبـة

غدا من لظى ذات اللظى وارتاعدنا

نزعنا إلى التوحيـد من فلك شركنا

ولـولاه مـــــا والله لله وَحَّدْنـا

وقلت:

هنا مـــثـال له نـورٌ وبرهان وفـضله ليس يستـوفيـه ديوان

وكيف لا وهو يحكي نعل أحمدنا قد جـاء بالوحي يتلى وهو قرآن

خـير البـرية من حاف ومنتـعل شفـيعنا من بـه الأمداح تزدان

عليـه أزكـى سـلام طيب أرج تعـطرت منه أرجـــا وأردان[1]

(١) أرج: رائحة طيبة والأردان الرائحة الطيبة أيضاً.

وقلت على لسان حال المثال الشريف:

إننى شكل أحاكى ... نعل خير العالمينا
فأتانا بالمثانى ... مصطفى الله الأمينا
فاتخذنى خير ذخر ... تحظ بالفوز يقينا
وتحقق نيل سولٍ ... بى وحاذر أن تمينا
وإذا رمت شفاءً ... كنت بالنُّجح قمينا[1]
فَبِطه حزت فخرا ... وغدا فضلى مبينا
فعليه صلوات ... تشرح القلب الحزينا
وسلام وعلى الصحب ... الكرام المهتدينا
ما سرى الركب إلى ... طيبة دار المتقينا
أو غدا الناس لشكل ... ذى المزايا لا ثمينا

وقلت:

الصب يثير شوقه معهد من ... يهوى فيبين فيه ما كان كمن
يا قلب خذ أمثال نعليه فمن ... يلثمه معظمًا كفى صرف زمن

وقلت:

من دُرِّ مقالكم تُحلَى الأذنَ ... من بحر نوالكم يمد المزن
فى شكل نعالكم تبدا الحسن ... من عظمه أزيح عنه الحزن

وقلت أيضًا:

تمثال نعال سيد الأكوان ... عظمه وزد ولا تكن بالوانى
كم ساقٍ لذى السقام برأ وشفا ... فالنفع به غدا على ألوان

---

(١) القمين: الجدير.

وقلت:

ذا شكل نعال أحمد هادينا　　للملة فاز من رأى آهادينا
فالحب يشوق لثمه حاد بنا　　والأمن به يحلٍ فى نادينا

وقلت منه أيضًا:

أكرم بمثال نعل من أرشدنا　　للحق وبأتباعه أسعدنا
كم من أثر له به أشهدنا　　ما أسعد نابه وما أصعدنا

وقلت:

ما البان وداره الحمى والمعنا　　الكل عبارة وأنتم معنا
تمثال نعالكم به من يعنى　　يحفظه فلذا يمدحه المعنا

وقلت منه أيضًا:

كم من أثر لكم رأينا حسنا　　يا من يغرامهم أزاحوا الوسنا[1]
ذا شكل نعالكم شفا المضنى　　من أجلكم ثناء وسنا[2]

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله قوله:

يا مثل نعال سيد الأكوان　　لى فيك غِنا يجل عن أعوانى
آثارك بالهدى توالت فسمت　　عن بهجة تاج صاحب الايوان

وأنشدنى أيضًا لنفسه قوله:

إن ترم من صروف هذا الزمان　　مخلصا عاجلا وكل أمان[3]
فأدخر من مثال نعل خيار الخلق　　شكلاً ففيه كل الأمان
ثم مرغ عليه خدك فى الصبح　　وعند المساء بغير توان

---

(١) الوسنا: النوم الحقيقى.

(٢) السنا: الضياء.

(٣) صروف هذا الزمان: تقلباته ونوائبه.

معلنا منك بالصلاة على المرسل للخلق بالهدى والأمان

من علا أخمصاه أعلى السماوات ووافى حضرة الرحمان

وكسا أخمصاه نعليه فخرا فهما للرءوس كالتيجان

وحبا نعله المثال بهاء فهو كالشمس فى غِنا عن بيان

فلنا من مثاله اليوم حصن فى الملمات شامخ الأركان

فيه باب مجرب للترقى فتحقق بديع هذى المعانى

يستوى منه فى الوصول غنى وفقير من كل قاص ودان

وسواء أنيل المؤمِل نيل المؤمَّل منه من أقل العبيد والسلطان

رحمة عمَّت العباد ليبقى أثر اللطف بارز العيان

فبروحى له الفداء من مثالٍ لثمه راحة لكل جنان

واثق منك بالشفاعة يرجو الفوز عنه والغفران

فاسحب الذيل من رضاك عليه فهو فى المنزلين أصل الأمان

زادك الله من صلاة صلاه مع سلام تواصلا باقتران

وعلى الآل والصحابة والتا بع والتابعين بالإحسان

حرف الهاء

فيه عشر.

قال الشيخ محمد بن فرج السبتى رحمه الله جاريًا على عادته فى الابتداء بحرف الروىّ غير أن فى ذكره هذه القطعة فى روىّ الهاء نظر، لأن الهاء لا تكون رويًا إلا إذا كان ما قبلها ساكنا أعنى هاء الضمير، وأما الأصلية فيكون رويًا من غير شرط كما علم فى محله فإذًا ينبغى أن تُذكر فى حرف القاف، وإنما ذكرتها هنا كما ذكر هو تبعا له، وثبتت مخالفته للقواعد نعم لو كانت كلها مثل قوله بأفقها لكانت من روىّ الهاء والخطب سهل:

هى النعل قد كانت سماء ورجله
هلال فما أسنى وأضوأ افقها

هيا منكرًا تقبيلها بعد بدرها
على دنف ما أنت منه بأفقها

هل القصد إلا رجل لابسها الذى
سيسمعنى يوم القيامة خفقها

هلالى وشمسى فى دجى الحشر سيدى
مبلغ نفسى ما يوافق وفقها

همت عبرتى[1] شوقًا له إذ رأيتها
فما ترتجى الأجفان من بعد رفقها

---

(1) همت عبرتى: سالت دموعى.

وأنشدنى لنفسه صاحبنا الشيخ الصالح المبرك الورع الشيخ عبد المنعم البويطى الزينى الشافعى حفظه الله قوله:

مثال حاز فخراً لا يضاهى ... ولم لا وهو يشبه نعل طه
لقد جلت محاسنها وحلت ... من العلياء أعلا منتهاها
فلازم وضعه من فوق رأس ... تنل عزاً وإجلالاً وجاهاً
على المختار أحمد ذى المزايا ... سلام مع صلاة لا تناهى

وقلت:

ألا والله تمثال كريم ... حوى حسناً وفخراً لا يضاهى
وأبدى من منافعه أمورا ... يلوح هدىً لناظرها سناها
وكم من غمةٍ جليت سريعا ... دياجيها وأوصاب شفاها[1]
فمتع فى محاسنه عيونا ... وأورد من مناهله شفاها
ولم لا وهو أضحى فليحاكى ... نعال المصطفى المختار طه
إمام المرسلين ومجتباهم ... وأعظمهم ندى وهدى وجاها
ومن ذا يستطيع ثناء عبدٍ ... إليه الفضل أجمعه تناهى
وقد أثنى عليه الله مدحاً ... بآياتٍ تبين لمن تلاها
على عليائه أزكى صلاة ... يطيب بذكره أرجا شذاها
تعم الآل والأصحاب معها ... سلام للنفوس حبا مناها

وقلت:

نعل طه لها مثال تناهى ... فضله ذو مزية لا تضاها
كم به نال قصدى ذو سوالٍ ... كم له من فضايل قد حواها

(١) دياجيها: ظلامها . أوصاب: أوجاع.

كم له من محاسن مشرقاتٍ	يقر الطرف رايقات حلاها
كيف لا وهو شكل أضحى يحاكى	نعل من أبرأ الورى وشفاها
وهى قد شرفت برجلٍ مشت	فى حضرة القدس لم يطاها سواها
رجل خير الأنام شمس هداهم	صاحب المعجزات بدر سناها
فعليه مع صحبه صلوات	وسلام تنيل نفسًا مناها
ما روينا أخباره ولثمنا	شكل نعل ذكا وطاب شذاها

وقلت:

تمثال نعال خير خلق الله	قبله وزد ولا تكن باللاهى
من كان معظمًا له نال به	ما أمله من العلى والجاه

وقلت:

يا صب يذيع دمعه نجواه	مهما ذكرت عهود من يهواه
ذا مثل نعاله قبله فكم	باللثم له تشرفت أفواه

وقلت:

مثال نعلَى طه	يولى الورى مناها
فالثمه إكرامًا له	والصق به الشفاها
واسئل به الله فكم	من كربة قد نفاها
وكم عليل ذى ضنا	أوصابه قد شفاها
وكيف لا وقد سما	بمن أتيح الجاها
أحمد ذو القدر الذى	سما فلن يضاها
كهف البرايا ذخرها	أفضل من هداها
صلى عليه ربنا	ما طيب الأفواها

نمدحــه مع فــئــة   الصــحــب ومن تلاها

والتـابعين وتـابعيـهم   ذوى العلى والجـلهـا

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى حفظه الله تعالى: قوله:

يا مثـل نعاله الذى قـد فاها   كل بمـدائح لـه وفــــاها

ما القصد سوى رضى حضرته   فــالله بكُلٍّ منحـة أصـفـاها

وقوله:

للعـارف فى مثـال نعلى طه   أسـرار هوى غرامـه أعطاها

مـا مثله العـيـان إلا وبدت   أنوار هدى عن السوء غطاها

وأنشدنى لنفسه أيضًا ما كتبه لى بخطه:

أيا مثل نعل المصطفى فـزت بالبها

ويا نعم مـا مثل لنـعليه أشـبهـا

فسبحـان من أولاك فضلاً ومنحة

وأعلاك قدراً عنه ذ ى الـقدر والنها

أمـرغ فـيك الخـد شـوقًا لقـربه

وألثم منك الوجـه فـيه تـوجهـا

ولى فيـك تهيام ولى منـك لوعة

فلم تر عينى منك فى الحسن أشبها

ومـــا أنا ممن هام بـالرسم دارسًا

ولا أنا ممن عن حـقـيقـتـه سهـا

فمن مظهر للقصد أعلن موضحا

ومن مضمر بالرسم والدار نَوَّها

وإن هيامى فيك من سر نسبة

نمتك لعلمى إن للسر منتهى

ففى كل ما فيه له شوق نسبة

لقلبى ولوعٍ إذ به قد نولها

يروق له ما فى المعدات من سنا

يروق حمى من فى ترضيه كلها

فيلهج حبًا بالوسايط والهًا

يبعد له بالقرب لاح مموها

وما المبتغى إلا محمدٌ الذى

إليه انتهى ما فى الوجود تجوها

أمثله فى السر منى فاجتلى

جمالاً رقى من بهجة الحسن أو جها

واشهد فى مرآة قلبى دنوه

لدى أمره والنهى أيان وجها

فيامن نأى عن قربه بأتباعه

إلى كم بشكوى البعد تبدى التأوها

ويا أيها العشاق فيم تقاعس

ألم يك داعى الذكر فى الحق أيها

نهى الشوق عما دونه غِيرةً له

ولو عن أدنى الوسائط ما انتهى

وذاك لحكم الحب فى أصله فلم

يزل طالبًا فى قصده الحب أوجها

يقربه هذا ويقصيه ذا كذا

تحير أهل الحب فى طرقه بها

ومن كل وجهٍ للحبيب تطلع

فكل طريقٍ موصل من توجها

ولابد فيه من دليل له به

مساس وبالنمرين فيه تفقها

وأعنى بهذا الفقه إشراق نوره

ليهدى به فى قصده المتوجها

وفى الكل باد لمعة من شروقه

وللبدر ضوءٌ ليس فى رفعة السها

كذاك مثال النعل من أشرف الورى

أمس بتحقيق الطريق لدى النها

ولو لم يكن إلا تذللنا به

إلى عزه يومًا لا غناه فى البها

هو الباب إذ فيه الترقى إلى المنى

ألا فات هذا الباب لا تك انحها

فـمـثل إلى مـثـل ومـثل وهكذا

إلى نعله والـنعل للقـدم انتـهـا

واخـمصـه من دونه كل ذى على

من الخلق طرا فـاتبع فيه مـن تها

فيا خير خلق الله يا فخرهم ومن

له الشرف العالى الـذى ما يسنها

ومن فيه معنى الحمد من كل حامدٍ

له اصـدر منه وورد بـلا انتـهـا

فلا حمـد إلا وهو فى ضمنه كذا

إليك لواء الحمد فى الحشر وجها

لقد كلّ[1] نطقى عن بيان لبعض ما

بدا لى من مـعـنـى سناك فـولهـا

فحسبى لعجزى الصمت لكن صبابتى

وواجب شكرى سوغـالِى التفوها

وقد قـال من قبلى بذا كـل قائم

بوصفـك فى تحقيق مـا عنه نَوَّها

وذا منتـهى مـا عنه يفـصح ناطق

تعـمل فـيــه فكره أو تبــدها

وماذا عسى أن يبلغ الخلق بعض ما

لـك الله حلّـى بـالثـنـاء ونزهـا

---

(١) كلّ بفتح اللام المشددة: تعب.

فيا مالكى كن شافعى أنت منقذى	أغثنى فان الركن منى قد وها[1]
ببابك فتح الله وافى لذنبه	بذُلٍّ ولكن فى حماك تجوها
وحاشاك إلا أن يكون بكل ما	يؤمل فى الدارين منك مرفها
عليك من البر الرحيم صلاته	وتسليمه ما يمم العيس مهمها
كذاك على آل وصحبٍ وتابع	على إثرهم قد فاز بالعز والبها

(١) وها: ضعف.

حرف الواو

فيه تسع.

وهذا الحرف سقط من النسخة التى رأيتها من كلام السبتى تتميم الحروف وكملها على طريقته صاحبنا الفقيه الرحال أبو الحسن على ابن أحمد الخزرجى الفاسى الشهير بالشامى حفظه الله تعالى.

فقال:

وقـفت على تمثـال نعل كـريمـةٍ
فأحييت لرسم الشـوق منى ما أقوى

وأيقنت أنى إذ ظفـرت بلثـمـهـا
تمسكت فى أخراى بالسبب الأقوى

وناديتـــهـا يا نعل عـذرا فـإننى
على مدح بعض من معاليك لا أقوى

وطيـئت ربوعًا للهـدى ومـعـالما
علاها على الرضوان أسس والتقوى

ولامـسـت رجلاً لو يطاوع تربهـا
ثريا السماء شدت لتقبيلها حقوى[1]

وقال أيضًا حفظه الله تعالى غير ملتزم الابتداء بحرف الروى:

نعال بها يشـقى الغليل من الجوى
وينفى بهـا عنه المصـائب والبلوى

---

(١) حقوى: الحقو: الخصر ويقال أخذ بحقوه وعاذ بحقوه استجار به واعتصم به المعجم الوسيط ج ١.

هي البرء إلا أن شرب دوائها
لذايقه أحلى من المن والسلوى
هلموا نقبل تربها فعسى به
تخمد جمراً من لظاه الحشى تكوى
فرب عليلٍ جاءه من حبيبه
بشيرٌ فخفت عنه من حينه الشكوى
وقلت:
مثال عظيم فيه للمدنف الدوا
هنيئا لصادٍ من مناهله ارتوى
وعظم قدراً منه علماً بأنه
حكى نعل من حاز المعالى واحتوى
عماد البرايا خير من وطىء الثرا
مخلصهم من هوة الكفر والتوى
أجل نبى جاء بالوحى صادعا
فاستبان الرشد وازداد واستوى
رسول شفيعٌ للبرايا جميعهم
إذا اشتد كرب فى القيامة والتوى
عليه صلاة الله من مادح له
روى من معاليه العظيمة ما روى
وأزكى سلام والرضى عن صحابه
وآل له فى حبهم رشده ثوى

مدى سير ركبٍ تابعين لأرضه

مداً لينٍ بالقرب الهنى عن النوى

وقلت:

يا شكل نعال أحمدَ هيجت جوى

هيمان بروض صبره الغصن دوى

ذكرت مواطيًا لأعلى قدمٍ

فى لثمك يا مثال والله دوى

وقلت:

يا من عصى وما ارعوى حتى أبان ما انطوى

هذا مثال نعل من أسرى به وما غوى

ولم يكن ينطق جل قدره عن الهوى

فالثمه واعرف حقه ففيه والله دوى

وفيه أسرار بدت كما حكاه من روى

فمن يكن مستشفعا به أتيح ما نوى

وفيه صرف معضل وأمن خوف وتوى

وقد سما بأحمد وحاز فضلاً وحوى

عليه من أصحابه تحية تبرى الجوى

وقلت:

صدحت شجواً حمامات الحمى فأثارت ما بقلبى من جوى

وسرت من نحو نجد نسيمة فتذكرت عهوداً للهوى

وبدت آثار من احببته فهفا القلب خفوقًا وهوى

والمُعَنَّى[1] ان رأى الآثار لم يستطع صبراً وأبدى ما أنطوى

مثل حالى حين أبصرت جلى شكل نعل لرسول ما غوى

لم أزل ألثمه من شغف ومن استشفى به فهو دوا

وهو يسمو بانتساب للذى أنقذ الخلق من أنواع النوى[2]

خاتم الإرسال من حاز العلى ليلة الإسراء والقرب حوى

فعليه صلوات ما حكى مسند عنه حديثا وروى

وعلى آل وصحب ما به بدرك الأمل سؤلاً قد نوى

وأنشدنى لنفسه سيدى الشيخ فتح الله البيلونى رحمه الله تعالى.

قوله:

تمثال نعال سيد الرسل روى عن أخمصه لما من اليمن حوى

آمنت بذاك يا إلهى فأعد باليمن على من منه حولا وقوى

وقوله منه:

لى فيك يا مثال نعليه دوى يشفى علل الفؤاد من حرِ جوى

لله حديثك الذى نسنده عن أخمص أحمد ومن عنك روى

وأنشدنى أيضًا لنفسه قوله حفظ الله:

أمثال نعل المصطفى لك رتبة

فى الفضل أشياخ الحديث لها رووا

لولا امتيازك فى المقام حقيقة

لرؤاك ما عطفوا العنان ولا لووا

---

(1) المعنّى: بضم الميم وفتح العين مع النون المشددة من أضناه الهوى وأمرضه.

(2) النوى: الهلاك.

فلألثمنك باعتقاد خاضعا
تبعًا لهم فيما أتوه وما نووا

فهم الأولى فى الهدى قد اهدوا لما
نقدوه مما من مآثره رووا

نشروا الحديث فطاب نشر حديثهم
وتطولوا عند البيان وما طووا

هم عنعنوه[1] ونعم ما فيه عنوا
وغنوا به عما سواه فما غووا

ما عولوا إلا عليه فاعتلوا
وبه إلى الركن الشديد لقد أووا

حملوه واحتملوا له طعن الالى
طعنوا عن الحق الصراح وما ارعووا

ما شانهم[2] قول الحواسد بل هم
لهم بنار فى جوا نحه[3] كووا

وبذا جرت سُنَنُ الإله فذو العلى
بسناهم فى المذلة قد هووا

فالنفع يقصد إن علت شمس الضحى
والبدر يقصده الكلاب إذا عووا

---

(١) هم عنعنوه: أى نقلوا الحديث عن فلان عن فلان من بداية السند إلى منتهاه.

(٢) شانهم: عابهم.

(٣) جوانحه: جمع جانحة وهى الأضلاع.

لكـنه كم بيـن من حـــادوا عن

النهج القويم ومن عليه قد استووا

هم بهـجـة الدنيـا فنور علومـهم

يحيى القلـوب وليس يثوى ان نووا

حرف لام ألف

فيه أربعة عشر.

قال صاحبنا أبو الحسن على بن أحمد الخزرجى حفظه الله على طريقة السبتى رحمه الله تعالى:

لآلى نعالى المجد أهلاً بها أهلا
وشكراً لأن كنا لتقبيلها أهلا

لآلِ رسولٍ مسها جلد رجله
بها ورد فخر يعذب العل والنهلا[1]

لآدم هذا الفخر أيضاً لأننا
بذى النعل وقينا الغواية والجهلا

لاقسم يا من لام فيه عليك لا
تعذب بتعذالى ومهلاً به مَهْلا[2]

لأنى غريق فى هوى حبها وكم
محب يرى التعذيب فى حبها سهلا

ولبعض الأكابر لم يحضرنى اسمه:

يا ناظراً تمثال نعل نبيه	قَبِّل مثال نعاله متذ للا
واذكر به قدما علت فى ليلة الإ	سرابه فوق السماوات العلى
واخضع له وامسح جبينك ولتكن	متبركا أبدا به متوسلا

---

(١) العلّ: الشرب مرة بعد مرة . والنهل: الشرب بلا انقطاع.
(٢) تعذالى: اى لا تكن عاذلى فى هذا الحب ولا تكلمنى فيه.

تنبيه:

ظاهر كلام هذا العالم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أُسرِيَ به بنعله الكريمة وقد صرح بذلك السبتى فى عدة قصائد وغيرها مما سبق، وزاد أنه أراد خلعها فنودى لا تخلع وتبعه على ذلك صاحبنا أبو الحسن على بن أحمد الخزرجى حفظه الله تعالى ووقع مثل ذلك فى كلام الشيخ عبد الرحيم البرعى رحمه الله وغير واحد من مُدَّاحه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وقع مثل ذلك فى كلام غير واحد مع أنى لم أر ما يعضد ذلك فى كتب السنة بعد الفحص الشديد فالصواب عدم ذكر ذلك إلا أن يثبت لأن مثل هذا لا يقدم عليه إلا بتوقيف وقد أنكره بعض الحفاظ غاية الإنكار وشنع على من قال به، فعهدته على من نقله واتباع المحدثين فى هذا المقام متعين لأنهم أقعد بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

ورأيت فى وسط بعض الأمثلة الشريفه بيتين ولم أدر قائلهما. وهما:

أمرغ فى مثال النعل وجهى ... فقد جعل النبى لها قبالا

ومـا حب المثال أمال قلبى ... ولكن حب من لبس النعالا

ثم رأيت بعد مدة فى بعض الأمثلة الشريفة زيادة على هذين البيتين وبعض تبديل فهما وهذه صورته:

أمرغ فى المثال بياض شيبى ... لما عقد النبى به قبالا

والثمهن عشراً بعد عشر ... كما لثم المشوق به خيالا

ومـا حب النعال أمال قلبى ... ولكن حب من لبس النعالا

فيا قلبى توخ الشوق حتى | يبلغك الإله به اتصالا

وقال السبتى رحمه الله تعالى: مما رأيته بخطه فى غير الكتاب الذى له:

انظر إلى هلالا | فاق البدور جمالا
استغفر الله ربى | فقد أفكت المقالا
فاق النبيين جاها | وسطوة وجلالا
فإن شكوت فشوق | فؤادك الصب نالا
فالمحق ليس مصيبى | وقد يصيب الهلالا
لكن حكيت نعالا | لسيد قد تعالا
فلتلثمنى فَلثمى | يشفى اشتياقًا توالا
نعم لثمتك شوقًا | لما حكيت النعالا
ومن يظن بنعل | شغفت ظن المحالا
بلابس النعل همنا | ومنه نبغى الوصالا
يارب يشكوك قلبى | يشكوك صادًا ودالاً[1]
فقرب الدار ممن | برأت فاء ودالا[2]
فما لأحمد ندرى | فى المرسلين مثالا
هذا وإن كان منهم | والكل حازو الكمالا
ففى السما نيرات | و كلها تتلألا
وليس منها مضاء | للشمس فى النور لالا[3]

---

(١) صادًا ودالاً: من الصدود والترك.

(٢) فاءً ودالاً: أى الفذ. فهو فذ بين الرسل لا مثيل له.

(٣) لا لا: تأكيد لفظى بالحرف.

صلى عليه إله ... به أزال الضلالا

ما الحق الجزم فعلا ... أو لازم النصب حالا[1]

ثم سلام عبيد ... ما ان عن الرق حالا

يخص مولى كريمًا ... عم العبيد نوالا

وآله خير آلٍ ... ان عدد الخلق آلا[2]

ما اطلع الأفق شمسا ... وأنشأ الجو الا

وقال الأديب البياني اليعمرى رحمه الله تعالى:

بنعل المصطفى عللت طرفى ... وقد أطرقت من نعل مثالا

فأجللت الممثل فى مثولى ... عن التشبيه إذ جلت جلالا

وددت لو أن لى منها مصلى ... به ألف السجود لمن تعالا

لاحظى فى التقرب فى سجودى ... وسيلته فاجعلها سؤالا

تذكرنى المواطىء من نبى ... قد أعطى فى نبوته الكمالا

مُحَمَّد أكرم الثقلين طرا ... وأشرف من سما عمًا وخالا

به ختم الرسالة فى زمان ... أتانا بالهدي ونفى الضلالا

وانى قد شغفت بحب نعلٍ ... بها شغفى قد أورثنى خبالا

وما حُب النعال أذاب قلبى ... ولكن حُب من لبس النعالا

وقال الشيخ الإمام أبو الخير محمد بن محمد الجزرى رحمه الله تعالى بمنّه وكرمه:

يا طالبًا تمثال نعل نبيه ... هاقد وجدت إلى اللقاء سبيلا

---

(١) الجزم من لوازم الأفعال والنصب من لوازم الحال فإنه يقصد بذلك مداومة الصلاة على رسول الله ﷺ.

(٢) آلا: أى نعمًا.

فاجعله فوق الرأس واخضع واعتقد   وتعال فيه وأوله التقبيلا
ومن يدعى الحب الصحيح فإنه   يبدى على ما يدعيه دليلا

وبما شاهدته مكتوبًا ببعض الأمثلة الشريفة من غير أن يسمى قائله:

هذا مثال النعل نعل المصطفى   أكرم بها نعلاً علت ومثالا
يهدى الشفاء إلى القلوب فكم به   من برح شوقٍ بالجوانح زالا
فالثمه شوقًا للنبى فإن مَنْ   عدم الأنيس يخاطب الأطلالا
وابسط لموطئه جبينك صاغرا   ليرى محلك عنده يتعالا
واسئل مستشفعًا واضرع إلى   المولى عساه يجيب منك سؤالا

وقلت على لسان حال المثال:

انظرّ إلى مثالا   أنواره تتلالا
فى شفاء سقام   ودفع خطب توالى
منافعى ليس تحصى   وقد حويت الكمالا
بنسبتى لرسولٍ   فاق الأنام جلالا
عليه أزكى صلاة   تعم صحبًا وآلا
موصولةٍ بسلامٍ   من الإله تعالى

وقلت:

يا ناظرًا تمثال نعلى قد علا   طالع محاسنه وكن متأملاً
واخضع له وامسح جبينك ولتكن   متبركًا أبدًا به متوسلا
واعرف تشرفه بأكرم مرسلٍ   خير البرية كهفها زين الملا
واسئل به متضرعًا مستمطرًا   ألطاف رب لم يزل متفضلا

فهو الوسيلة والملاذ إذا عرا ... خطب وأضحى الكرب أمراً مذهلا

فلكم أغاث من استغاث بجاهه ... وأناله أقصى المرام مسهلا

يا خير خلق الله دعوة عاجزٍ ... لم يتخذ إلا جنابك موئلا

صلى عليك الله خير صلاته ... والآل والصحب الكرام ومن تلا

ما ردد الآيات تالٍ قد تلا ... متدبراً فيما تلاه مرتلا

أو حن مشتاق لذكرك لاثماً ... لمثال نعلك ذي الثناء مقبلا

وقلت:

يانضو هوى إذا رأى الأطلالا ... يلثم أثراً لحبه إجلالا

ذا مثل نعال من هدى الضلالا ... فاستشف به واذهب الأغلالا

وقلت:

يا من بضيائه هدى الضلالا ... يا من عنت الورى له إجلالا

تمثال نعلكم لمن أمسكه ... يشفي سقماً ويذهب الأقلالا

وقلت:

يا من بهداه أنقذ الجهالا ... غوثاً لمسوف عصى إمهالا

ذا مثل نعالكم توسلت به ... دفعاً لشجي وكل خطب هالا

وأنشدني لنفسه الشيخ فتح الله البيلوني أسمى الله مقامه وأعانه على ما فيه إقامه وسلك بي وبه سبيل الاستقامة:

ما لُذت بمثل نعل طه إلا ... ألفيت لحد من يعادي فلا[1]

ما أبدع سره وما أعظمه ... من لاذ به فليس يخشى كلا[2]

---

(١) ألفيت لحد من يعادي فلاً: الحد السيف والفل الكسر.

(٢) كلاً: تعباً.

وأنشدنى لنفسه أيضًا:

يا مثال النعل من خير الملا ... لك فى التشريف قدر قد علا

كيف لا يسمو بوطى قدم ... قد علت سبعًا طباقًا كيف لا

إن نعلاً حل فيها قدم ... المصطفى تمثالها عندى جلا

فيه أسرار تبدت للذى ... باعتقاد قلبه منه امتلا

فيه للمملق[1] مال وغنا ... فيه للخامل عز وعلا

فيه للداء شفاء عاجلٌ ... فيه للمنكر بأس وبلا

أنا والله فؤادى طافح ... فيه شوقًا وهيامًا وولا

الصق الخدين فيه لاثمًا ... شافيًا منه فؤادًا ما سلا

عالمًا مقداره معترفًا ... عارفًا أسراره مبتهلا

يا رسول الله إنى واثق ... بك لا أبغى بحالٍ حولا

ثم كُن لى يوم حشرى بالذى ... يوجب الفوز وينفى الوجلا

فعليك الله صلَّى وعلى الآ ... ل والصحب الهداة البدلا

---

(١) المملق: أى الفقير المحتاج.

حرف الياء

فيه إحدى عشرة.

قال صاحبنا أبو الحسن على بن أحمد الشامى الفاسى الخزرجى حفظه الله جاريًا على طريقة السبتى فى البدء بحرف الروىّ:

يود لسانى أن يودى مدحها
نعالاً فيعيينى حلالها وحرف اليا

يودى ولكن لا يطيق كمالها
ولو أنه يغلى بيان الورى فليا

يمينًا وإنى فى يمينى صادق
لحليتها صيغت من الجنة العليا

يواقيت سر الكون والجود رصعت
بها وطأة التقديس فانتظمت حليا

يصون على رجل على من مشى بها
سلام به ما ازداد من ربه عليا

وقال الشيخ الإمام العلامة سراج الدين عمر البلقينى رحمه الله ومن خطه نقلت:

يا طالبًا تمثال نعل نبيه	هذا المراد مددًا لوليه
قبِّل مثال النعل متضعًا له	واذكر به نعلاً سما بعليه
كم ذا علته وجاورت قدم النبى	حب الإله رسوله وصفيه
يا سعد من يمشى على آثاره	فاز السعيد بطهره وتقيه

ظهرت له طرق الجنان سعى لها   سعي التتبع بقوة لتقبه

في النعل أخبار بصحتها أتت   بمثاله يروى بحسن جليه

يحذو به حذوا بقوته اتى   وبه التبرك قد جرى بحليه

ضعه على رأس تجد بركاته   واحذر سبيل الكبر سبل شقيه

صلى الا له على النبي محمدٍ   بسلامه يأتي له برويه

والآل مع صحب وتباع لهم   يقفون آثاراً أتت رضيه

ما لاح فكر أو بدت مقضية   بتضاعف يجرى على مقضيه

تبدو بطيب قد شذا في سره   وختامها مسك ذكا بشذيه

وأنشدني لنفسه سيدي الشيخ فتح الله البيلوني الحلبي حفظه الله:

مثال نعلي النبي   سما لقدر علي

في رتبة لا تسامى   وحسن مرأى بهي

ببهجة وسناه   يزيح غم الشجي

هذا الدواء الحقيقي   لكل داء دوي

يرد باليمن منه   في الحال كل ردي

ينفي الماء ويكفي   من كيد كل غوي

وفيه للقرب سر   كلمع برقٍ دجي

يزيح كل عناءٍ   يزيح كل عيي

يتيح كل مرام   وكل عيشٍ هني

يا نعم ما من مثالٍ   بكل فضل جري

فالثمه وانشق شذاه   في صبحة وعشي

وانهض لذا دون جهل   فالجهل عيب السخي

مــرغ به الخــد ألفًا	فالألف كــسب الغنى
لا ترض بالدون فيما	يعلى لنعل النبى
أرغم بـذلك أنفــا	من كل قــدم غـوى
فــذاك والله ســيرٌ	على الطريـق الســوى
إذ قــد رواه ثقــات	من كل شــهم حـفى
مــعنعنًا برواتٍ	مــن كل نــدب تقـى
كل رواه صــريحــا	كــذا بنقل قــوى
بان هــذا مــثــال	لنعل خــيــر نبى
تفــديه منى روح	وروحِ كل صــفى
فــهــو المكمل حــسنا	من كل وجــه سنى
قد فاق عن كل مدحٍ	مــن طبـع كل ذكـى
وفــات كــل مــرام	عن فـكره بقــى
فــمــبلغ الكل منه	نظــمــا وراء الروى
وورنق الحــسن مـغن	عــن حُلــةٍ وحــلـى
والله ذو العــرش أثنى	بكل حــمــدٍ جلى
وإنمــا نــحن نــثنى	تــكــرمًا لمــلــى
يا فــوز من لحــمــاه	قــد ذل ظهــر المطى
وسار يطوى الفــيافى	أســر نشــر ذكى
وقــد رأى النفع نفعــا	منهــا لطرف قــذى
فــكــل مــن لــديه	الــذ من شـــهى
يمسى ويضحى بقلبٍ	من كــل هم عــرى

يجنى ثمار التدانى | من غصن عيش طرى
فى ظل أشرف مولى | وفى لعبدٍ عصى
عليه أزكى صلاة | من الإله العلى
كذاك أسمى سلام | من السلام الغنى
تعم للآل صحبا | مع تابع ونجى

وأنشدنى لنفسه أيضاً:

يا ميت رجاه يعد بين الأحياء | كم تخضع بالسؤال بين الأحياء
ان رمت غنا فمرغ الخد على | تمثال نعال من يهدى أحياء

وأنشدنى لنفسه قوله حفظه الله تعالى:

يا مثالاً لنعل خير البرايا | بك نستدفع العنا والبلايا
بك نرجو الشفاء من كل داء | بك نستمنح الإله العطايا
خصك الله فى الورى بمقام | عنده الروح من أقل الهدايا
لك يا مثل نعله مثل ما كا | ن لها من فضيلة ومزايا
وكفى شاهداً لذلك ما | يظهر للعين مبصراً فى المرايا
كل فرع بالأصل يلحق حكما | فلك اليوم من مديحى الصفايا
إنّ جاه الرسول جاه رفيع | دون أدنى علا أعلى البرايا
عزه شامخ فكل مذل | بانتسابٍ إليه ليس بغايا

وأنشدنى أيضاً لنفسه:

مثال النعل من خير البرية | توافر فيه أسرار خفيه
روى التشريف عن نعلٍ بهيٍ | عن القدم المباركة العليه
هى القدم التى جلت وجمت | مزاياها من الرتب السنيه

تطأطأ دون أخمصها طباق السماوات المنيفة الأبيه
فمالى لا أمرغ فيه خدى وأشهد ذا على سر البريه
وألصقه إلى طرفى وقلبى وأنشق منه نفحته الزكيه
ألا يا خير خلق الله غوثا فقد أودى بنا جهد البليه
وقد عودتنا غوثاً قريباً وقد ضاقت وأنك ذو حميه
عليك أيا رسول الله منا صلاة فى الصباح وفى العشيه
تعم الآل والأصحاب طرا وتمنحنا بأصناف العطيه

وقلت بديهة:

حاز هذا المثال كل المزايا مذ حكى نعل رجل خير البرايا
أحمد المصطفى المرجى إذاما يطرق الدهر أهله للبلايا
ملجأ العالمين طرا إذا ما جمع الناس يوم تبدو الزوايا
خيرة الله مجتباه ومن حاز خلالاً حميده ومزايا
خير حافٍ ولا بسٌ لنعالٍ ذخرنا خير راكب للعطايا
فعليه الصلاة ما قبل النعل مشوق يروم محو الخطايا
وسلام له وللآل والصحب الألى قد رووا حديثاً وآيا

وقلت:

تمثالُ نعال من غدا مرتديا بالفضل ومن أتاه مبتديا
عظمه وصن فليس تخشى ضرر من كان بنور نفعه مهتديا

وقلت منه:

ذا شكل نعال من غداً متقيا بضياء سنائه مرتقيا
رد منهله فليس تخشى ظمأ من كان بنهرٍ نفعه مبتغيا

وقلت من غيره:

ذا مـــثـــالٍ خـــيـــر نبى   خـصـه الله بالمقـام العلى
قدروته الثـقات شرقـا وغربا   بأســانيـد ذات نـور جلى
فلذا حـاز بانتـمـاء اليـه   كل فـخـر بادٍ وسـر خـفى
إذ حكى نعـله وتلك نعـال   قد تسامت بالأخمص النبوى
كم لثـمناه باشـتيـاق شـهى   والقصـد ذات الجناب السنى
ومـدحنا عـلاه نثـرا ونظمـا   مع أنا ذو قـصـور وعى[1]
إذ مديح الرسول يـعجز عنه   كل سجـع وكل حرف روى
فعليـه والآل والصحب ازكى   صلوات جاءت بـعرف زكى
وعلى تابع والتـابعين سـلام   عـــرفـــه نامٍ زكـى وفى

وقلت:

رأيت مثالا بالمحـاسن حاكيا   حكى نعل من فاق الأنام مواليا
فقبلته اطفى لهيب حشاشتى   وأشفى بلثمى فيه ذا اعتلاليا
ومن كان صبًا بالمعاهد مغرما   أذا ابصـر الآثار لم يرساليـا
فكيف بآثـار النبى مـحـمـد   أمين مكين جاء بالوحى تاليا
عليه صلاة لا سبيل لحصرها   وأزكى سلام لم يزل مـتواليا
وآله والأصحاب ما أسند الورى   أحاديثـه ذات الرشاد عـواليا

فهذا ما سمح به الوقت مع شغل البال، وتراكم الشجو والبلبال[2] وجملة ذلك ما بين قصائد وغيـره ثلاث مائة وعشرون وتزاد عليها

---

(1) عِيٌّ: أى جهل.

(2) الشجو والبلبال: أى كثرة المشاغل التى تملأ البال مع الاهتمام بالعظائم رغم كثرة الهموم.

هذه القصيدة التى رأيت أن أختم بها هذا الباب وهى قصيدة أنشدنيها لنفسه العلامة الشيخ فتح الله البيلونى الحلبى حفظه الله تعالى روىُ كل بيت منها حرف من حروف المعجم على الترتيب وقد ختم أبياتها فى القافية الفتح على القول بأنها الحركة لا الحرف قال: وما أظن أنى سُبقت إليها ولقد صدق حفظه الله وهى:

أيا خير خلق الله يا من زكا نشأة
لأنت أشد الخلق فى بأسه وطأ

لك القدم العليا فمن دون أخمص
لها منتهى من نال بالرفعة القربا

فتمثال نعل مسها باتسابه
إليها له الفخر الذى جاوز النعتا

وأورثه مثلاً حكاه وهكذا
إلى يومنا هذا فيا نعم ذا ارثا

فيا راجيًا مرغ به الخد خاضعا
لخير الورى هذا هو السبب الارجا

ففى دفع ما عنى وفى الفوز بالمنى
له سر نجح لا أطيق له شرحا

له فضل جاه لا يزال مضاعفا
فطول المدى لم يكس آثاره النسخا

ومن أين يعرو النسخ آثار من محا
بشرعته الأديان واستكمل الحدا

وأوضح نهج الحق فى كل وجهة
بأعين شرع لا تحل بها الأقذا[1]
فاحرز فى الدارين أرفع رتبة
وحقق للاتباع من بعده الفخرا
فمن شذ عنه تلقه كل ذلة
ومن يتبعه يبلغ الفوز والعزا
وإنى بحمد الله فى نهج شرعه
مقيم به قد طبت فيما أتى نفسا
أقابل منه الأمر والنهى بالرضى
وأقبل بالإذعان منشرحًا بشا
ولى فيه تهيامٌ ولى منه منحة
فما زلت منه بالعناية مختصا
يقابل زلاتى بسترٍ وفاقتى
ببذل وتخليطى بإحسانه محضا
ويبذلنى باليسر من حل عسرتى
فيجعل منى القبض فى لمحةٍ بسطا
فحسبى نداه فى الضرورة لى غنا
وحسبى حماه فى المخاوف لى حفظا
فلم لا أرى لثمى لتمثال نعله
فخار أوفى مدحى له أفرغ الوسعا

---

(١) الأقذا: من القذى وهو ما يصيب العين من الشوائب.

فارغم فيه أنف من لام أو شنا

الافاستعد إن شمت من عازل نزعا

والصق به الخدين والثمه جاهدا

وقل واحد إن ما بلغت به الفا

فمن لا يرى تمثال نعل محمدٍ

أعز عليه من حياة هو الاشقا

فنفديه بالأرواح وهى قليلة

واعذر من لم يلق فى وسعه ملكا

تملك منا الكل حبًا ورغبة

فمذُ حل منا القلب فى ملكه حلا

فيا خير خلق الله يا واسع الحما

ومن بجزيل الفضل كل الورى عما

لأنت لنا ولى على كل حالةٍ

فأحرى بنا منا فاجزل لنا المنا[1]

فأنت رؤف هكذا قال ربنا

رحيم فلا تصرف عن المذنب الوجها

ببابك فتح الله يضرع خاضعا

ويسأل منك العون والصون والعفوا

عليك صلاة لا انتهاء لها كذا

سلام يضاهى ما لقدرك من أعلا

---

(١) المن وتجمع على منن وهى العطايا.

يعمان منك الآل والصحب والذى

على إثرهم بالنشر للعلم قد احيا

وبعد فهذه ثلاث مائة واثنان وعشرون وإذا عددنا بيتَىْ ابن خطيب داريًا السابِقَينِ فى حروف الراء وتذييل ابن سعد السعود وغيره مما تقدم ذكره فكان المجموع نحو ثلاثين وثلاث مائة والله ولى التوفيق وكأنى بمنتقد يفوّق نحوى سهام الملام والعتاب، ويقول ما يحتاج إلى ذكر هذه المطولات كلها فى هذا الكتاب، يكفى من الحلى ما قد حف بالجيد، والأمر أعظم من أن يحيط به البليغ المجيد، واستقصاء ذلك لا يعلمه إلا ذو العرش المجيد.

فأقول فى جوابه: إن من أحب شيئًا أكثر من ذكره، والصبّ يتسلّى بالتغزل فيطفىء نار الجوى به، وقد رأينا صاحب (قطب السرور فى وصف الأنبذة والخمور)، وما يتبعها من الشذور، جمع جملة مما قيل فى أم الخبائث على حروف المعجم، وأتى من ذلك بمطولات ومقطوعات قائلها بالشرع ملجم، إذ هى حرامٌ محضٌ، وتلك المنظومات ظلمات بعضها فوق بعض، وقد ألمعنا بما يقرب من هذا المعنى فى ديباجة نظمنا أسماء المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حيث قلنا وعلى الله توكلنا:

وبعد فالقصد بذا الدر الثمين ... نظم أسامى المصطفى الهادى الأمين

وذاك لما إن رأيت العلما ... فى كل فن قد أزاحوا الظلما

وصنفوا ما ذاع عنهم وانتشر ... وألفوا ما ليس يحصيه بشر

حتى انتحى جمع لأسماء الأسد ... وبعض منفقاته ما قد كسد

وبعضهم أسما خمر صنفا ... وقَرْط السمع بها وشنفا

هذا ولا خفاء فى تحريمها ... وطلب الأعداد فى غريمها

فكيف لا أنظم فى أسماء ... خيرة أهل الأرض والسماء

وأول هذا النظم

الحمد لله الذى قد أسمى ... قدر النبى المصطفى ذى الأسماء

صلى الله عليه وآله وسلم، ولنمسك فى هذا الباب عنان القلم والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

* * *

الباب الرابع

خواص ومنافع مجربه عن المثال

وهو فى سرد جملة من خواص المثال المجربة ومنافعه المنقولة عمن عرفها وكرع فى منهلها وعلم مشربه من الثقات الذين لا يمترى فى صدق إخبارهم والأثبات المعتمدين المستضاء بشموسهم وأقمارهم الملحوظين بعين تكبيرهم وإعظامهم، واعلم بلغك الله أملك، وزكى قولك وعملك، أن منافع هذا المثال الكريم المقدس لا يحتاج فيها إلى زيادة بيان، إذ أغنى عن خبرها العيان، وقد ذكر جملة منها جماعة من الأئمة الأعيان.

أقول فمنها ما ذكره الشيخ الإمام الرحلة الصالح أبو إسحاق ابن الحاج وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المرى الأندلسى السلمى رحمه الله ورضى عنه حسبما نقله عن أبى اليمن ابن عساكر وغير واحد قال أخبرنى القاسم بن محمد رحمه الله قال حدثنى أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخًا عالمًا عاملاً صالحًا ورعًا قال: حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءنى يومًا فقال لى: رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجبًا فقلت له وما رأيت من بركته أمرًا عجيبًا فقال أصاب زوجتى وجع شديد كاد أن يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم أرنا بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله تعالى للحين.

ومنها ما ذكره أبو إسحاق ابن الحاج المذكور أيضا قال قال القاسم ابن محمد: وهو مما جربت من بركته أنه من أمسكه عنده متبركا به كان له أمانًا من بغى البغاة وغلبة العداة وحرزاً من كل شيطان مارد، وسلطان ظالم وعين كل حاسد، وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق يسر الله أمرها بحول الله وقوته. انتهى قلت: وقد جربته فصح.

ومنها أنه أمان من النظرة والسحر كما تقدم عن شرف الدين الطنوبى فى حرف اللام.

ومنها ما قاله بعض الأئمة فيما جرب من بركته أن من لازم حمله كان له القبول التام والجاه بين الخلق ولابد أن يزور قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو يراه فى المنام.

ومنها ما صرح به غير واحد من الأئمة أنه لم يكن فى جيش فهزم، ولا فى قافلة فنهبت، ولا فى سفينة فغرقت، ولا فى بيت فأحرق، ولا فى متاع فسرق وما توُسُّل بصاحبه صلى الله عليه وآله وسلم فى حاجة إلا قضيت ولا ضيق إلا فرج عنه.

ورأيت قريبًا من هذا بخط الإمام ابن فهد المكى وسط المثال ونصه جرب أن هذا المثال الشريف إن كان فى دار لا تحرق، أو مال لا يسرق أو مركب لا يغرق، أو قافلة لا تنهب ببركة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم انتهى.

ومنها قضية شيخنا الإمام المحدث مفتى مدينة فاس الشيخ سيدى محمد القصار المغيشى الغرناطى الأصل رحمه الله ورضى عنه وهى

مستفيضة بالمغرب ولم أسمعها منه لكن حدثنى بها غير واحد من الثقات عنه وذلك أنه كان فى حال صغره قاعداً مع بعض قرابته فى أسفل دار لهم عظيمة البناء ذات مبانى عالية وغرف سامية كما هو شان بنيان فاس، وخصوصاً بنيان الأكابر منهم، وكان المثال المعظم فوق رؤوسهم فى الحائط على قدر ما إذا وقف الإنسان حاذى رأسه فكان من قدر الله أن سقط أعلى الدار على أسفلها وتهدم فقطع الناس بموتهم وبقوا أكثر من يوم يحفرون عليهم ليدفنوهم، فلما وصلوا إليهم وجدوهم أحياء من بركة المثال لم يصبهم سوء إذ كان من لطف الله بهم وجميل صنعه ما لم يخطر بالبال وهو أن الجوايز التى كان البيت مسقفا بها لما سقطت خيمت عليهم وصارت أعاليها فوق الموضع الذى فيه المثال مسندة على الحائط وأسافلها ثابتة فى الأرض، وكلما سقط جاء فوقها وهى واقية لهم وتراكم عليها من التراب والحجارة وغيرهما أمثال الجبال وهم تحتها فسبحان من أنقذهم من التلف ببركة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها ما شاهدته من شخص سمع أن من لازم حمل المثال نال ما أمل، فلازم جعله فى عمامته لقصد أمور منها التقدم على أبناء جنسه، ولم يكن فى العلم بذاك فحصل له ما طلب الإمامة والتقدم مع حضور من هو أحق منه بذلك، والجاه العظيم العريض بحسن نيته وصدقه، وعدم شكه فى منافع هذا المثالْ المقدس، وإن كان ما قصده به مما لا ينبغى أن يلتفت إليه الأخيار عصمنا الله ببركته من الأغيار.

ومنها ما حدثني به رجل من الثقات الصلحاء، وهو الشيخ عبد الخالق بن حب النبي المالكي، وقد كان كتب النسخة الصغرى من هذا الكتاب أنه لما كان نصف رمضان من هذه السنة طلع له طلوع في أسفله لا يدري ما هو واشتد به الوجع وضعفت قوته وعرضه على كثير من الأطباء والذين يعالجون الجراحات، فلم يجد منهم من يعرفه ولا من يعرف له دواء واشتد به الكرب، ثم تذكر هذا المثال الشريف ومنافعه فجعله على محل الوجع وقال: «اللهم إني أسألك بحق نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مشى بالنعل أن تعافيني من هذا المرض يا أرحم الراحمين» قال: فوالله لقد سكن وجعه وبرأ من يومه وكأنه لم يكن.

وأخبرني بعد هذا أن إبنة له أصابها مرض في عينيها أعضل دواء فقالت له إني سمعتكم تذكرون مثال نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتوني به فجاءوها به فوضعته على عينيها فبرأت انتهى.

ومنها ما شاهدته عيانًا وذلك أني لما سافرت من ثغر بطاوين حرسه الله تعالى في غراب الجزائر في ذي القعدة الحرام من عام سبعة وعشرين وألف، وكان ذلك في معظم البرد والبحر حينئذ مخوف جداً فهال علينا البحر حتى تكسرت المقاديف وأشرفنا على الهلاك ويئس أهل التجربة من النجاة وتأهبوا للموت وقد كنت أرسلت المثال الشريف لرئيس السفينة به رجاء ببركته وكان من ألطاف الله تعالى أن آلت عاقبة الأمر إلى السلامة وعد ذلك العارفون بأمور البحر علامة للكرامة.

وكان حصل لنا فى هذه السفرة أيضًا أن الريح منعتنا من السفر ونحن فى ساحل بلاد العدو الكافر دمره الله تعالى. وطال مقامنا هنالك بحيث تقضى العادة بخروجهم إلينا ولابد فلم نر بحمد الله إلا خيرًا وأخذ الله بأبصارهم عنا. ولما وصلنا تونس المحروسة سافرنا منها إلى ثغر سوسة فى مركب كبير فلما كنا فى الأثناء هال علينا البحر هولاً لم نر مثله وحصل اليأس فسلمنا الله ببركة المثال المعظم صلى الله على مشرفه وسلم.

وقد أخبرنى جماعة ممن أثق بهم أنه هال عليهم البحر فتشفعوا بالمثال المعظم وتوسلوا به إلى ذى الجلال والإكرام، فمنّ الله عليهم بالفرج التام، ببركة مشرفه عليه الصلاة والسلام.

ولما سافرت من مصر المحروسة إلى بندر السويس ركبت فى مركب صغير هندى فأخذتنا فى البحر أهوال ما رؤى قط مثلها فيما أخبر به من طعن فى السن فى هذه الأزمان وغرق بسبب ذلك عدة مراكب سلطانية وغيرها نحو السبعة وقد أشرفنا نحن على الهلاك مرات عديدة فسلم الله ببركة المثال.

وقد رأينا ذات يوم نارًا كالخارجة من البحر وبيننا وبينها نحو عشرين باعًا وقد نحت نحو المركب فهرب الربان والبحرية وأيسوا من النجاة وأيقنوا بالهلاك فنجانا الله منها بعد أن قربت منا نحو ذراعين، وكاد لهيبها يحرق المركب ثم بعد هذا لم تكن ريح ساعدة لنا بقينا حائرين فألهمنى الله أن أشرت إلى المثال الشريف وقلت مواليا بديهة.

سألت ربى بطه صاحبِ النعلينِ
ومن سما قدُره فى الأصفيا الأعلَين

فى أن يمن علينا بالنسِيم اللينِ
يسرع لنا لنحو الطيْبِ الأصلَين

فما فرغت من ذلك إلا وقد ساعدتنا الريح اللينة حتى وصلنا الينبوع ونزلنا منه ناهين إلى طيبة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وكان فى الطريق خارجى السبل ويأخذ أموال الناس فهجم وهجموا ومعهم قوم كثيرون وسلاح فأخذ الله بصره عنا حتى وصلنا المدينة المنورة ولله الحمد.

ولقد أصبحنا ذات يوم فى البحر بين شعب الحجارة وهى مكتنفة للمركب من خلفه وأمامه ويمينه وشماله حتى إنى كنت أنظر إليها وليس بيننا وبينها إلا ذراع أو نحوه والبحر متلاطم الأمواج والعادة قاضية بأنه لابد من حصول المركب على واحد منها ويكسر بذلك فتوسلنا بالمثال الشريف فسلمنا الله سبحانه وتعالى وكم لهذه من أمثال.

وأخبرنى ثقة أنه مرض مرضًا مخوفًا أشرف فيه على الهلاك قال: فألهمنى الله حيث كان فى الأجل فسحة إن أخذت المثال الطاهر المقدس وتوسلت بمشرفه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله تعالى فحصل الشفاء.

وأخبرنى بعض الأخوان ممن لا أتهمه أنه سافر فى بلاد مخوفة

جداً بحيث لا ينجو المسافر فيها من اللصوص عادة ومعه المثال الكريم فنجاه الله وقد رصده اللصوص غير مرة فلم يكن إليه من سبيل ببركته.

ومما عاينته بالقاهرة المعزية من بركة المثال أنى جعلت هذا التأليف المتشرف بالنعل والمثال فى خزانة مع بعض كتب ففتحتها لآخذ بعضا من الكتب فإذا بعقرب ميت فوق الأوراق يابسة كأنها مضت عليها مدة مديدة وما أرى ذلك إلا من بركة المثال الشريف.

وعلى الجملة فمنافعه شهيرة، والخواص التى اشتمل عليها أجلى من شمس الظهيرة، والحكايات عن ذلك من غير واحد من ذوى الرتب الأثيرة كثيرة، والاستشفاء به شأن الأئمة المقتدى بهم قديمًا وحديثًا، وقد سبق فيما جعلنا، من القصائد والمقطوعات الإلمام بشىء من ذلك فى كثير منها فحق ناظر، أن يسعى إلى لثمه[1] سعيًا حثيثًا.

وقد رأيت غير مرة مولاى العم الإمام سقى الله ضريحه من الرحمة صوف الغمام يمرغ وجهه وشيبته النيرة على المثال، وكذلك عدة من شيوخنا الأعلام وكل ذلك منهم يتبرك بمشرفه عليه أفضل الصلاة والسلام وطلب الشفاء به من الأسقام، وما هذا بمنكر ولا مستغرب فى التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم وما أحسن قول كُثَير:

خليلى هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعقلا   فلأوصيكُمَا ثم انزِلاَ حيثُ حلَّتِ

---

(١) لثمه: تقبيله.

وَمُسَّ ترابًا طالما مَسَّ جلدَها ... وظلاً وبيتًا حَيثُ باتَتَ وظَلَّتِ

ولا تيئسا أن يمحو اللهُ عنكما ... ذنوبًا إذا صَلَّيتُما حَيثُ صَلَّتِ[1]

وذكر جماعة أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[2] صاحب مصر والشام، والحجاز واليمن وفاتح البلاد ومنقذها من يد عبدة الأصنام، وهو من أجل ملوك الإسلام، أهديت له مروحة مكتوب فى أحد وجهيها هذه هدية ما أهدى مثلها لك ولا لأبيك ولا لأحد من الملوك وكانت الهدية من شريف المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، فغضب ثم قلب الوجه الآخر فإذا فيه مكتوب هذان البيتان ويقال إن الرسول قال لا تغضب حتى تقرأ ما فى الناحية الأخرى وهذا هو.

أنا من نَخلةٍ تجاور قبرًا ... سادَ من فيهِ سائرَ الخلق طرًا

شَمِلَتنى سعادةُ القبر حتّى ... صرتُ فى راحة ابنِ أيوبَ أقرا

فقال صدق والله وفرح بها ووضعها على محاجره وجعلها خير متاجره.

وقد صرح جماعة من أئمتنا المهتدى بهم بتقبيل اسمه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم فيما هو مكتوب فيه وبتبجيله والتبرك به ووضعه على العيون والرؤوس.

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد التوزرى مخمس القصيدة الشقراطسية فى مدح خير البرية صلى الله عليه وآله وسلم وشارح

---

(١) هذه الأبيات لكثير عزة ومنها:

وما كنت أدرى قبل عزةَ ما البُكا ... ولا موجعات القلب حتى تولَّتِ

(٢) يوسف بن أيوب بن شادى، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبى، الملقب بالملك الناصر ٥٣٢ - ٥٨٩ هـ/١١٣٧ - ١١٩٣م: من أشهر ملوك الإسلام. معجم الأعلام - ص ٩٦٢.

هذا التخميس بشرح لم يسبق إلى مثله مجلدات عديدة أنه ولد عندنا بتوزر غرة رجب من عام أربعة وسبعين وست مائة جدى أسود بغرة بيضاء وفيها مكتوب بالأسود محمد بخط بيّن يقرأه كل أحد فألفت فى ذلك تأليفا سميته بكتاب الغرة اللائحة والمسكة الفائحة فى الخطوط الصمدية والمفاخرة المحمدية ونظمت فى ذلك قصيدة منها:

جَدْىٌ غدا كالجدى أشرقَ حسنهُ ... فمحله فوقَ السماك الأعزلِ

رقمتْ يدًا لأقدار صفحة وجهه ... رقمًا بديعًا باسم أكرم مُرْسَل

فتلألأت أنوارُه فشعَاعُها ... كالشمس قد حلت بأشرفِ منزل

ما أبصرَ الاسمَ الشريفَ موحدٌ ... إلا وقبّل منه خيْرَ مقبّلِ

رويت به الـبَابُنا[1] فكأنما ... وردت به الأفواه أعذب منهل

فى غرة الشهر المبارك أشرقتْ ... فالناس بين مكبّرٍ ومهلّلِ

عجبٌ أتى رَجَبٌ به فتأكدَّتَ ... بركاته فى قلب كل مؤمل[2]

فكان من قد قال عشِ رجبا ترى ... عجبًا عناه بالزّمَان المجْمَل

يا غـرَّةً كالصبح تمّ حُسنَها ... خط من الليل البهيم الأليل

أشهَى وأحلَى فى النفوس من الكرى ... والذمن عذب الزلال السلسَل

هى خط إنعامٍ على لوح الهُدى ... بمؤملِ نعماه أو متأمِّل

هى تاج إحسانٍ على رأس العلى ... أحسن بتاج بالسناء مكلل

صبحٌ بدا فى لؤلؤ متلألىءٍ ... طرز على ثوب الجمال الأكمَل

---

(١) البابنا: أى عقولنا.

(٢) عجب أتى رجب. اقتباس من القول المأثور عش رجبًا ترى عجبًا.

ومنها:

طرز بـه هذا الزمـــان بأسْره ... فى الحال والماضى وفى المُستقبَلِ
با توزر الغـــراء فـزت بغـرة ... غـراء فى زمن أغـرٍ محجَّلِ
جرَى ذيولُ الزهو من فرحٍ بها ... جــرّ القناة ذيـول بردٍ مُسبَّلِ
أعطيت ما لم يعط غيرُكِ مثلُه ... شكراً لمولاك العـلى المفـضَّلِ
شرفٌ خصصت به وفضلٌ باهر ... يبقى على مـرّ الزمانِ الأطْولِ
هذا طرازُ الحسنِ لاما قـالَهُ ... حَسانُ فى حُسْنِ الطرازِ الأوَّلِ

قال الخطيب ابن مرزوق التلمسانى رحمه الله: وقفت على تأليف التوزرى هذا ونقلت منه، وهو كتاب قـد بلغ الغاية فى الإحسان انتهى وقد روى عنه هذه الأبيات وأبو عـبد الله بن حسان الشاطبى نزيل تونس، وممن رواها عن ابـن حسـان الشيخ أبو عبـد الله بن رشيد الفهرى صاحب الرحلة الموسومة على العيبة وقد تقدم ذكرها والتوزرى المذكور وهو أحد أعلام القضاة والعلماء الصدور الفضلاء وله معارف جمة وتصانيف مفيدة وكان زاهدا فاضلا نفع الله به.

وقد حكى القاضى عياض فـى الشفا وابن مرزوق فى شرح بردة المديح جمـلة حكايات فى كتابـه اسمه صلى الله عليـه وآله وسلم بقلم القدرة على الحـجارة وغيرها قلت: قـد رأيت أنا بمدينة فاس عام سنة ست وعشـرين وألف حجراً أسود قدر الكف مكتـوبا فيه بقلم القدرة (لا إله إلا الله)، وفى ناحـية، ومحمـد رسول الله فى الناحـيـة الأخـرى، ولون الكـتـابة أسـود وقد ثـقب بعض الناس للاختبار حرفًا منه بآلة حديد حتى نفذت من الناحية الأخرى وكان

ذلك زيادة فى تصحيح أنه بقلم القدرة وقد أعطيت فيه مالكته وهى امرأة من فاس وزنه مرتين ذهبا لتبيعـه منى بذلك فامتنعت فرغبتها بكل وجه ممكن فلم تفعل وبقى عندى أيامًا ورددته لها وهو مشهور بفاس يأخذ النساء الحـوامل لتسهيل الولادة، وذكرت صاحـبته أنها وجدته بساحل البحر المحيط بهذه الأزمان القريبة فسبحان من أظهر أمره صلى الله عليه وآله وسلم كل الإظهار.

وقد علم من حال كثير من المشائخ المعتمدة عليـهم التبرك بآثاره صلى الله عليـه وآلـه وسلم وآثار من يعظمـونـه للدين وهذا أمـر مستفيض، وقد عن لى أن أشير إلى بعض ما قيل فى تقبيل الأشياء المعظمة، فأقول مذهب كثير من العلماء وخصوصًا المالكية الكراهة فى غير ما ورد به الشرع الشريف كتقبيل الحجر الأسود، وكذا قال بعض الأئمة عند تكلمه على تقبيل الحجر الأسود وقول عمر رضى الله عنه فـيه: «إنى لأعلم أنك حـجر لاتضـر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلـى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبـلتك» ما نصه وفـيه كراهة تقبـيل ما لم يرد به الشرع بـتقبيله من الأحـجار وغيرها انتهى.

وقال الحافظ زين الدين العراقى رحـمه الله تعالى فى قول الإمام الشافعى رضى الله عنه: ومهمـا قبل من البيت فحسن، إنه لم يرد بالحسن مشروعيـة ذلك بل أراد إباحة ذلك والمباح من جملة الحسن كما ذكـره الأصوليون انتهى، وقال بعضـهم: إن فى كلام العراقى هذا نظر لا يخـفى، وقـال العراقى أيضًا، وأمـا تقـبيل الأمـاكن

الشريفة على قصد التبرك وأيدى الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية.

وقد سأل أبو هريرة رضى الله عنه الحسن رضى الله تعالى عنه أن يكشف له المكان الذى قبَّله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سُرَّته فقبَّلها تبركًا بآثاره وذريته صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد كان ثابت البنانى لا يدع يد أنس رضى الله عنه حتى يقبلها ويقول: يدٌ مست يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أيضًا أخبرنى حافظ أبو سعيد بن العلاء قال: رأيت فى كلام أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيل منبره؟ فقال: لا بأس بذلك، قال: فأريناه الشيخ تقى الدين ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت من أحمد عند كلامه وقال: وأى عجيب فى ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد بن حنبل أنه غسل قميصا للشافعى وشرب الماء الذى غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ولقد أحسن مجنون ليلى حيث يقول:

أمُرُّ على الديار ديار ليْلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حُبّ الديار شَغَفْن قلبى ... ولكن حُبُ مَنْ سَكَنَ الديارا

انتهى، وقال المحب الطبرى: يمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز تقبيل ما فى تقبيله تعظيم لله تعالى فإنه إن

لم يرد فيه خبر فى الندب، لم يرد فيه خبر بالكراهة.

قال: وقد رأيت فى بعض تآليف جدى محمد بن أبى بكر عن الإمام أبى عبد الله محمد بن أبى الضيف: أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبلها، وإذا رأى أجزاء الحديث قبلها، وإذا رأى قبور الصالحين قبلها، ولا يبعد هذا والله أعلم فى كل ما فيه تعظيم لله تعالى انتهى.

وقد عرفت أن مذهب المالكية فى مثل هذه الكراهة، قال ابن الحاج فى المدخل واحذر مما يفعله بعضهم من طوافهم بقبره عليه السلام وكذلك أيضا تمسحهم بالبناء ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم وذلك كله من البدع لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له عليه الصلاة والسلام، وما كانت عبادة الجاهلية الأصنام إلا من هذا الباب ولأجل ذلك كره علماؤنا رضى الله عنهم التمسح بجدار الكعبة أو بجدار المسجد أو المصحف، وتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله ولا القيام له كما يفعل بعضهم فى زماننا هذا، والمسجد تعظيمه الصلاة فيه واحترامه لا التمسح بجدرانه، وكذلك الورقة يجدها الإنسان مطروحة فيها اسم الله تعالى أو نبى أو غير ذلك فتعظيمها بإزالتها من موضع المهنة لا بتقبليها ولا القيام لها، وكذلك الولى تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده انتهى محل الحاجة منه.

فإن قلت هذا الذى قاله ابن الحاج من الكراهة فيما ذكر مخالف لما قدمتموه من غير واحد من علماء المالكية فى لثمهم مثال نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمرهم فى كلامهم بلثمه وقد تقدم

فى قصائدهم ومقطوعاتهم لكثير من ذلك فهل الصواب معهم أو مع ابن الحاج وهو من العلماء الزاهدين الورعين المعتمد عليهم والمقتدى بهم.

قلت لعل من فعله ممن يقتدى به من علماء المالكية قلد من يرى جواز ذلك من علماء الأمة والله سبحانه أعلم ولولا أمرهم باللثم والتقبيل لأمكن أن يقال غلبهم الشوق ففعلوا ما فعلوا من ذلك من غير اختيار على حد قوله.

فقلتُ ومن يملك شفاهاً مشوقةً

إذا ظفرت يوماً بمنيتها القُصْوى

الأبيات المشهورة وحكى جماعة من الشافعية أن الشيخ العلامة الكبير الشهير تقى الدين أبا الحسن عليا السبكى الشافعى رضى الله عنه وشهرته تغنى عن تحليته لما تولى تدريس دار الحديث الأشرفية بالشام بعد وفاة الإمام الصالح أحد من يفتخر به المسلمون وخصوصا الشافعية الشيخ محى الدين النواوى رضى الله عنه ونفعنا به أنشد لنفسه:

وفى دار الحديث لطيفُ معنًى أصلّى فى جوانبها وآوى

لعلّى أن أمس بحرْ وجهى مكانًا مَسَّهُ قَدَمُ النواوى

وإذا كان هذا فى آثار من ذكر فما بالك بآثار من شَرُفَ الجميع به ووصلوا وحصلوا من الخيرات على ما حصلوا.

وما أحسن قول السيد العلامة أحمد بن محمد البخارى الحنفى مغير بيتى التقى السبكى المتقدمين فى غار حراء المتشرف بمن رفع

الله به الورى صلى الله عليه وآله وسلم:

وفي غار الرسول لطيفُ معنى ... تحنُّ إلى جوانبه عظامي

لعلّي أن أمسَّ بحرِّ وجهي ... مكانًا مسَّه قدم التُّهَامِي

وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وأنس بن مالك وغير واحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين التبرك بآثاره وتوخى مواضع صلاته صلى الله عليه وآله وسلم ومواطئ أقدامه الشريفة السامية المنيفة والشرب من قدحه. وقد كان عند أنس رضى الله عنه قدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعند عائشة رضى الله عنها بعض ما لبسه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعند جماعة منهم معاوية رضى الله عنه شعر النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنه أمر أن يدفن معه في قبره تبركًا به وتشفعًا وتوسلاً بصاحبه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقدم فى الباب الأول حديث إخراج أنس بن مالك لعيسى بن طهمان رضى الله عنهما نعلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى الشفاء ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام جميع مشاهده وأمكنته ومعاهده ومالمسه صلى الله عليه وآله وسلم يده أو عرف به. انتهى.

ونحن عفا الله عنا وتقبل منا تفضلاً منه لما لم نَرَ نعله التى لبسها، وآثاره التى لمسها، اكتفينا بمثالها لعزة منالها، واقتدينا فى ذلك بأئمة أعلام، من مشايخ الإسلام، تقدم ببعض كلامهم الإمام، فشاهدنا من بركاته ولله الحمد، ووصل إلينا على السنة

الثقات بعضها بلا تعب ولا جهد.

وقد تقدم فيما سردناه من نظم الأكابر الصالحين الذين زينت بمآثرهم الطروس والمحابر، كثير من منافع المثال الطاهر، منظومة نظم الجواهر، فلتراجع هنالك وإن تكررت مع ما ذكر هنا فالمطلوب نسبتها إلى غير واحد ليرغم بذلك أنف الحاسد الجاحد على أن العيان أغنى عن الخبر وفى الإشارة ما يغنى عن الكلام ولله الحمد فى الأول والآخر، وصلى الله عليه وآله وسلم.

* * *

الخاتمة

فى ذكر زبدة ما يتعلق بالنعل والمثال

واسأل الله حسنها فى ذكر رجز من الله به على، وساق به الخيرات بفضله إلىّ، مشتمل على زبدة ما يتعلق بالنعل والمثال، لمن أراد الاقتصار عليه عوضًا عن النثر منظومًا نظم اللآل، وبعض مسائل منثورة ومنظومة مناسبة فى الجملة كان حقها أن يتقدم هذا المحل وتكون قبله.

اعلم حرسك الله من الأغيار، وسلك بى وبك سبل الأخيار أن هذا النظم الذى من جملة ما به ختمت، وأبديت محاسنه وما كتمت، يصلح أن يكون تأليفًا مستقلاً، ومصنفًا من منحات بالمراد مستهلاً وقصدى إن أنسأ الله عز وجل فى الأجل ويسر الأسباب المزيحة للعل والعجل، أن أشرحه شرحًا يكون بما روى فى النعال وما قيل فى المثال. وفيًا بالمقصود على أحسن الوجوه، بلغنا الله من ذلك وغيره ما نؤمله، نرجوه بجاه أشرف العالمين طه الأمين، عليه أفضل الصلوة والشرف التسليم كل حين، على آله وصحابته ومن تلاهم من الصالحين، والعلماء المخلصين الناصحين، وهذا نص الرجز المذكور، جعله الله خالصًا لوجهه معدودًا فى العمل المشكور، آمين آمين آمين، وقد كنت كتبته فى التأليف الصغير الذى ألفته قبل هذا وغيرت هنا مما فيه بعض مواضع لما حررته فكان الاعتماد على ما فى هذا أولى، جعلنا الله ممن أحسن عملاً

وقولاً، بجاه هذا النبى الكريم ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم:

الحمد لله الذى قد أعلاً	بلبس خير العالمين النّعْلا
وخصها بأعظم المناقب	إذ باشرت رجل النبىِّ العاقب
ومن غَدا ذا ارتفاع صاحبًا	يجر أذيالِ الكمال ساحبًا
والشكر للرب الذى عرفّنا	منَ العلوم ما به شرّفنا
وعلم الآداب والشمائل	ما ليس عن صوب الهدى بمَايلْ
وصلوات روضها قد نوّرا	يعبق عرفا ينتجى خير الورى
أشرفُ من مشى بنعل وأجل	من خصه بوحيه عزّ وجَل
من مدحه قد شنّف الأسماعَا	محمد خير الورى إجماعًا
إمامُ رسل الله طرًا طه	زين الشفاعة التى يعطاهَا
مزية خص بها ما نالها	سواه فانظر قوله أنالهَا
عليه أزكى صلوات ساميه	سحائب السلام معها هَاميهْ
مع صحبه والآل ما هبت صبَا	وحن للعهد المشوقِ وَصَبا
وبعد فالقصد بنظمى المنتقى	ذكر نعالِ من إلى الأوج ارْتقا
لأن مدحة الرسول أولى	ما استعْمل العاقل فيه القوْلا
وخدمة السيرة أعْلى ما اعتنى	بها من ادخر خيرًا واقتنى
ومقصدى الأعظم أن أكونا	ممن حوى الدعة والسكونا
فى جنة الخلد مع الأخيارِ	الآمنين من أذى الأغيار
وكنت لما أن حللت مصرا	وقد حملت لاغترابى إصْرًا
وشاهدت عيناى من أهليها	محاسنا تعجب من يمليها

فـأبدعـوا وجـملوا واتـسـوا ورصـعوا وكـملوا وحسنوا

حضرت فـيها ذات يوم ناديًا أنوار علمـه غـدت بواديًا

جرى به ذكـر المثال السـامى ووصف مـاله من ارتسـام

فقلت قد كنت بأرض المغرب صنفت فيه بعض قولٍ مُغرِب

مشتمل من نظم أعيان الفيهْ على كـثيـر زائدٍ على المائهْ

جـمعتـه من كتب عـديدة وبعـضـه مـن فكرة جـديدة

فارتاب بعض الحـاضرين قائلا إنى لذكـرها غـدوت سـائلا

فـوقع العُذر ببـُعْدِ الدارِ وكـثرة الأشـجـان والأكدارِ

فقال هذا العـذر غيرُ مجْدى والمرء يـنفق بـقـدر الجَهْد

أما سمعت أن نزرًا قد حضر أفضل من شىء كثيرٍ منتظر

كـذاك قـالُوا درة مـعـجلة أحـسن من يـاقـوت مُؤجلَهْ

فكان هذا من دواعى جَمعى فى النعل قولاً مطربًا للسمْع

مع أننى والله مـا عـثـرتُ يومًا علـى سلك له نثـرت

فى ذلك المعنى ولا أبصـرتُ مـؤلفًا فـيه لـه اختـصـرت

سوى كـلام ابن عساكـر وما لبَلْقِـيـنىُّ وَسَبْتِىُّ سَمَـا

وذا أتى فـيـه بدر ملتـقط من نظمـه نحو ثلاثين فـقط

على حروف معجم فيه درج بدأ وختمًا وهو يدعى ابن فرج

ولم أقف عـلى تمام مـاله وبعض الأصحاب انتحَى كماله

ثم رأيت بعض نظم مفـترق لذلك الحـبـر كَدُرٍّ مـتَّسِقْ

أودعـه وصف المثال وخـرج منه إلى مدح الذى حقا عرج

إلى السـما ونَوَّر الأحـلاكا[1] وأمَّ رُسُلَ الله والأمـلاكـا

---

(١) الأحلاكا: أى الظلام الدامس الشديد الظلمة.

وقد أتيتُ بجميع ما جُمع　　في ذلك المعنى مُضيئًا كاللُّمَع

وغيره جمعته مما افترق　　وبعضه من فكرتي لا مِنْ وَرَقْ

كذاك ما لابن عساكر إلى　　ما للسراج وهو شيء قللا

وزدت أضعافًا على الجميع　　مِن مَنِّ ربى الواهب السميع

وبعدما كملت ذاك وفق ما　　أملته يشفى ضنًا وسُقْمًا

أودعت فيه جملةً من ذا الرجز　　والصفح مطلوبٌ فمثلى مَنْ عجزْ

وحين أبرزت من الخدور　　أبكاره في الحسن كالبدُور

وسميته بنفحات العنبر　　في وصف نعل ذي العُلى والمنبَر

ومن إلهي جلَّ أرجو الأجرَا　　والربح فيما قد جعلت تجْرًا

فصل

فى صفة نعل النبى

صلى الله عليه وآله وسلم

فى معنى النعل وجنسها ووصفها، ولونها وكيفية لبسها، وتحديدها وتشريفها، بسيد جن الخلائق وأنسها، ووصف مثالها الطاهر المشرق المستمد من أنوار شمسها صلى الله على مشرفها وسلم، وشرف وكرم ومجد وعظم وبارك وأنعم.

كان رسولُ الله ذُو المعالى ‏ ‏ يمشى كما ثبت بالنعَال

والنعلُ ما يقنى عن الأرض القدمْ ‏ ‏ ونعل خير الخلق كانت من أدمْ

من بقر وكونها سبتيهْ ‏ ‏ كذا الصحيح طرقه ماتيهْ

وصحَّ فيها من جواب ابن عمرْ ‏ ‏ لابن جريج ما روى عنه الزمُرْ

ذات قبالين كما روى أنسٌ ‏ ‏ ذو الجانب الطاهر من كل دنسْ

قاطف أزهار الدعا المعترس ‏ ‏ خادم خير من علا متن الفرَسْ

أخرجه جماعةٌ كالترمذى ‏ ‏ حسبما أخبرنى بالمآخذِ

جامع طارق العلىْ والتالد ‏ ‏ مفتى الأنام الشيخ صنْو الوَالدِ

سعيد المقرى طاب الملحد[1] ‏ ‏ منه عن الشيخ الأجل الأوحدِ

التنسى الصدر عن أبيه ‏ ‏ عن ابن مرزوق عن أبيهِ

---

(١) الملحد: القبر.

شيخ الأنام جده الخطيب عن ... الفارقى عن أجل مؤتمن
ابن عساكر بحق الأخذ عن ... نجل رواحة الرضى الذى أوتمنْ
عن الإمام السلفىّ عن أبى ... غالبٍ السامى لأعلى الرتبِ
حدثنا الشيخ أبو بكرٍ السَّرِى ... محمد بن عمر بن جعفرِ
عن من لترمذ انتسابًا قدْ حَوى ... أعنى أبا القاسم الذى رَوَى
عن جده لأمه الخلال ... محمد ذى المجد والإجلال
حدثنا عفان نجلُ مسلم ... عن شيخه حماد أزكى معلِّم
عن الرضىّ قتادة عن أنس ... كانت نعال الهاشمى الأنفسِ
لها قبالان وقدْ حدثنا ... عن شيخه حروف الزاكى الثَّنَا
التونسىّ طيبُ الأنفاس ... نزيلُ حضرة العلوم فاس
عن الكمال الأوحدِ الطويلِ ... عن الحجازىّ عن الجليل
نجل أبى المجد عن الحجارِ ... عن الزبيدى بنقلِ جارِ
عن مسند الآثار عبد الأول ... عن الشهيرِ الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى ... عن البخارى الإمام الحبرِ
عن الرضى حماد المسند عن ... حماد الموضح أعلام السننِ
أخبرنا قتادةُ بنقله ... عن أنس بن مالكٍ بمثله
وحسبنا هذا وقد نقلنا ... من طرقه زيادة أطلْنا
وجاء فى رواية موصوفة ... صلاته فى نعله المخصوفة
قيل وكانتْ نعل خير الكونِ ... صفراء عند بعضهم فى اللونِ
وكان خيرُ الخلق فى انتعاله ... يقدم اليمين عن شماله
والخلع بالعكسِ وراوى الأمر ... به أبو هريرة بن صخرِ

وقد روت عـائشة الصـديقه ... أن الرسـول أفضل الخـليقـة

كان يحبُّ ما استطاع أى قدر ... تيـامنًا فى كل ما عنه صـدَرْ

مـثل امتـشـاطهِ وانتـعـالهِ ... وطهـره والغـير من افـعـاله

فـحـقق اللفظ الـذى المعنا ... به لأنا قـد ذكـرنـا المعْنى

وقد أفاد الحـافظُ ابنُ الجوزى ... سقى ضريحه سحاب الفوزى

إن الذى يديمُ لبسَ اليمنى ... من قـبل يسـراه ينالُ الأمْنا

من الطحال أن يكون فى النزع ... يقدم اليسرى كنصٍّ فى الشرْع

فـإصبعـان طولُها مع شـبرْ ... عند العـراقى الإمـام الحَبْرْ

وعرض بطنِ قـدم فـيما نقل ... خمس وما فوق فست لا أقل

وعـرضُهـا مما يلى الكعْبين ... سـبع أصـابع بدُون مَيْنِ

وعرض جانب القبالين ضبط ... تحـديده بأصبعـين فاغتـبطْ

ورأسُهـا كـما روى محـدد ... هذا الذى فى وضعها قد حدد

وبعض من حفظ قال قد وردْ ... مضـمون مـاله العراقى سَرِدْ

أكرم بها نعلاً بلبس المصطفى ... صلى عليـه الله نالتَ شَرِفا

وعظمت عند الورى بمَسِّهـا ... رِجْلُ شـفيع جنُّهـا وأنسهـا

ياليت حرَّ الوجـه منى كـانا ... لوطىء نعل المجـتبى مكانا

حـتى أفـوز منه بالجـوار ... فـوزاً بما ينجى من البَوارِ

واغتدى فى ثوب أمنى رافلا ... فـبدر مدحى فـيه ليسَ آفلاً

ومن إلهى ارتجى جبْر الخللْ ... والبرءَ والشفاءَ من كل العلل

والعفو عما قد جنيتُ من زَلَلْ ... ففضله أكـبرُ من ذنبى الجَلَلْ

وهذه صـفـتـهـا محـررة ... وكم منـافع لهـا مقـرّرة

وهذه صفتها كما فى مثال النعل الشريف





فصل

فى منافع المثال المعظم

صلى الله على مشرفه وسلم، وعلى صحبه ومن تلا سبيله الأقوم.

واعلم بأن للمثال الأطهر ... منافعًا أظهر من أن تشهر
وقد سردت ها هنا قليلاً ... منها غدا لما بقى دليلا
هذا وما ذكرته من نزر ... نسبته كنقطةٍ من حبر
من ذاك أن من أدام حمله ... نال قبول العالمين جمله
وشاهد النبى فى المنام ... أوزار قبره للاغتنام
وكل من أمسكه لديه ... فهو أمان يحتوى عليه
من بغى من طغى من البغات ... وغلب الأعداء والطغات
وكان حرزًا من شرور المارد ... من الشياطين وعين الحاسد
ومن يكن مصحوبه فى قافله ... لم تَكُ شمس أمنه بآفله
وإن يكن فى موضع أو دار ... أمن من النهب وحرق نار
وساعد الأمان من له لزم ... ولم يكن قط بجيش فهزم
ومن توسل به مصرحا ... باسم الرسول فى السؤال أنجحا
وكيف لا وقد حوى توسلاً ... بمن هَدَى الخَلْق وأَمَّ الرسلا
وكان بعض الفضلاء مثلاً ... صورته الحسنى لبعض النبلا
فبعد مدة أتى وأنبأ ... بعجب من أمره مما رأى

قالَ وما ذاك فقال وَصَبٌ … أصاب زوجتي وَعمَّ الوصب
وعظم الضر عليها والتوى … واشتد حتى أشرفت على التوَى
قال فألهمت لوضعه على … موضعه قصداً لإذهاب البلاء
فزال للوقتِ وقامت ما بها … بأسٌ كأن لم تشك من مُصابها
وكنت قد سألتُ عند الفعل … ربى بجاه المصطفى ذِى نعلِ
وقد رأيت شخصا انتمى إلى … طريقه لم يبر عنها مائلا
أدام وضعه لذَى عمامته … فنال ما أمَّل من إمامته
وعند ما ترحلت للجزائرِ … أنس المقيم والغريب الزائر
والعزم للأماكنِ الشريفةِ … ظلالها صافيةٌ وريفه
وقد تركت الأهل فى فاسٍ ولم … أبدأ بشىء غير قصدى لِلعلَمْ
فزرت شيخى الشاذلى القطبا … نجل مشيش فرع أهل القربا
وكنت عند قبره رأيتُ … ما يقتضى بلوغ ما رأيتُ
نفعنا الله بأوليائه … أهل المقامات وأصفيائه
وبعد ذا ركبتُ بحْرَ سَبْتَه … فجاءنا الموج العظيم بغتته
وهالَ ذاك البحر أى هول … ووصفه يعجز عنه قَولِى
فعجل الآله بالتنفيس … إذ جىء بالمثال للرئيسِ
وكنت أرسلْت به إليه … والخوف أضحى غالبًا عليهِ
فآلت العقبى إلى السلامة … وكان ذاك إذ لها علامة
كذاك فى سفرنا من سُوسه … أهوال بحر شوهدت محسوسه
مثل الجبال أقبلت من اللجج … فقدر الرحمان عنها بالفرج
من بعد ما يئس أهل التجربه … من النجاة من أمور مكربه

ومنْ عظيم نفعه فى الكرب ‏ قضيته مشهورة بالغَرْب
عن شيخنا القصَّار مفتى فاسِ ‏ مسكِ الختام الطيبِ الأنفاس
ولم أكنْ سمعتُ ذاك منه ‏ لكن حكاه لى الثقات عنهُ
وهى حكايةٌ جرت فى صِغَره ‏ دلت على بلوغ أقصى وَطَرِه
إذ كان فى أسفل بيتٍ ومعه ‏ من أهله ووقته قد جمعه
وفوق رأسه من الجدار ‏ تمثالُ نعل المصطفى المختار
ودارهم ساميةُ البناء ‏ عظيمةٌ فسيحةُ الفناء
فحكمت سوابقُ الأقدار ‏ فى ذلك الوقت بهدم الدَّار
وغيرُ البناء فيها سمته ‏ ووقع الأعلى على ما تحته
فكان فى أخشاب ذاك السقف ‏ من بركات النعل أى لُطْف
واستندت أطرافُها العليا إلى ‏ حد المثال كى يكون مُؤْئلا
وثبتت أطرافها السفلى على ‏ أرض المحل والتراب قدْ علا
وخيَّمتْ عليه مثل الظُّلة ‏ وحملت ذاك المخوف كلَّه
والناس فى هلاكه ما ارتابوا ‏ واجتهدوا أن يكشف التراب
عنه ليحمل إلى المقابر ‏ إذ صار عندهم كأمس الدَّابر[1]
فبعد جهد كشفوا عنه فلم ‏ يروا به لما وصفنا من ألم
فعجبوا من ذاك ثم أمعنوا ‏ نظرهم فاعترفوا وأذْعنُوا
وعلمو أن النَّجاة جاءت ‏ من المثال وبه أضاءت
تلك الدياجى المدلهماتِ التى ‏ خطوبها قد عظمت وجلَّت
وهكذا ألطاف ذى الجلال ‏ تأتى بشىءٍ لم يكن فى البال

---

(١) الدابر: اليوم الذى مضى بلا رجوع.

وليس بعد ضيقة وعسر   سوى الفراج وعظيم يسر

كأنما الأيام والليالى   فى نظمها ونشرها اللآلى

فصابر الأوقات فى أحوالها   واصبر وكن جلداً على أهوالها

فمن قريب تنجلى والحال   ذات انتقال والبقا محال

وهذه الدنيا كظل زائل   عمرانها إلى الخراب آئل

وعيشها المرغوب فيه فان   كاليوم والغد هما سيان

وأهلها فى حكم تصريف القدر   يسعون والزمان جرحه هدر

ومشرب الأيام صفو وكدر   وأى ورد لم يكن عنه صدر

وكل شىء فإلى انصرام   وليس يبقى غير ذى الإكرام

الواجب القدم والبقاء   وكل بدىء فإلى انقضاء

وها هنا آذن نظم بالوفا   روضاً بأزهار الهدى مفوفا

قد أينعت غصونه وأثمرت   وبلغت منه النهى ما أضمرت

كان انتهى جمعى له بالقاهرة   وذاك تاريخ حلاه الزاهرة

تسعون مع مائة بيت مكمل   قفى بها عددها بالجمل

قولى: قفى، هو مائة وتسعون، وكذلك قص على حساب أهل المشرق فى النسخة الأخرى. وقولى عددها بالجمل، هو مائة وتسعون أعنى هذا اللفظ وهو عددها بالجمل:

ولو أطلت فى المقال لم أطق   أداه حق بالكمال منتطق

وما عسى أعد من منافع   مثالها السامى بخير شافع

---

(١) قفى: بحساب الجمل وهو تحويل الحروف إلى أعداد باعتبار القاف (١٠٠) والفاء (٨٠) والياء (١٠) ولفظة عددها (١٩٠) أيضاً.

أول من يقرع بابَ الجنة ... أجلٌ من أولى البرايا المنه
كَهف الأنام عدّةُ العباد ... ملاذ كل حاضرٍ وباد
عياذُ كل خاملٍ ونابه ... إذا كشف الخطب لهم عَنْ بابه
من بابه الأعظم غير مرتجٍ ... لا سيما عن ذى افتقارٍ مرتج
وأحمد المقرى عبده غدا ... يرجوه فى شفاعةٍ تنحبى غَدَا
ويسئلُ الرحمن أن يكون من ... هو بالغفران والفوز قمن
يا أكرمَ الخلق على الله ومنْ ... يدفع بامتداحه صَرفُ الزمن
خد بيدى عند اشتداد الأمر ... فما لزيد مقصدى وعمر
سواك يا غياث كل سائلٍ ... ومنجح الأسباب والوسائل
وقد مدحتُك بهذا الوضعِ ... وغيره مما أطاق وسعى
والنعلُ يعذر على نزر حمل ... والله يجعل لوجهه العمل
ويمنح النفعَ من اعتنى به ... بجاه من ألفَ فى جنابه
صلى عليه ربُّنا وسلما ... ما أكتست البطح بَرِدًا معلما
وما روى عن جعفر وأسندا ... عن مطر روض تجلّى بالنّما
وتوجتْ هامَ الربَى العمائمُ ... من وَشْى[1] صنعاء يدُ الغمائم
وصدحتْ بسجعها الحمائمُ ... وابتسمتْ عن زهرها الكمائمُ
وما بكَى داعٍ لَهُ الشوق غلَبْ ... فنال من حسن الختامَ ما طَلبْ

* * *

وقد رأيت أن أذكر فى هذه الخاتمة مسائل، كان حقها أن يذكر فى الأوائل فمنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أحسن

(١) الوشى: التطريز يقال وشى الثوب طرزه وزينه.

البشر قدمًا، رواه ابن عساكر. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضخم القدمين، رواه الشيخان والبيهقى. وقال هند بن أبى هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شثن الكفين والقدمين سائر الأطراف سبط العقب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، لما رواه الترمذى وخمصان ضبطه جماعة بضم الخاء المعجمة ووجد كذلك مضبوطًا بالقلم فى نسخة صحيحة من صحاح الجوهرى ونهاية ابن الأثير. لكن وقع فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة ضبطه بالفتح. وقال فى النهاية: الأخمص من القدم الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطئ والخمصان المبالغ منه أى ذلك الموضع من أسفل قدميه كان شديد التجافى عن الأرض، وسئل ابن الأعرابى[1] عنه فقال: إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع عن الأرض جدًا أو لم يستوِ أسفل القدم جدًا فهو أحسن الخمص بخلاف الأول، ومسيح القدمين بميم مفتوحة فسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة معناه أنهما ليتان ليس فيهما تكسر ولا شقوق، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما سريعًا لملاستهما، فينبوا عنهما الماء ولا يقف عليهما يقال نبا الشيء ينبو إذا تباعد، وأما رواية عبد الرزاق والبزار عن أبى هريرة رضى الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطأ بقدمه جميعًا، وفى لفظ كلها ليس له أخمص، فيحتمل كما قال بعض الشيوخ

---

(١) أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد بن الأعرابى ٢٤٦هـ - ٣٤٠هـ/ ٨٦٠ - ٩٥٢م: مؤرخ من علماء الحديث - معجم الأعلام - ص ٦٤.

أنه فى هذه الحالة وطىء وطأ شديداً فيظهر موضع قدمه جميعا بخلاف الأول فإنه عند خفة الوطىء لا يرى أثر خمصانه وبه يحصل الجمع إن شاء الله تعالى وقوله عابر الأطراف يروى بالراء واللام.

وقال العلامة ابن حجر ما نصه: وأما قدمه فجاء عن غير واحد أنه شثن القدمين: أى غليظ أصابعهما إلى أن قال: وكان ذا خمص لهما أى ليس فى باطنهما كثير انخفاض بحيث يطأ به كله فهو معتدل الخمص، ومعنى رواية مسيح القدمين أن فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق انتهى، وهو من نمط ما تقدم.

وقال فى شرح الهمزية: ما صورة محل الحاجة منه إذ الأخمص من القدم الموضع الذى لا يلتصق بالأرض منها عند الوطئ والخمصان المبالغ فيه ولايرد ما رواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه: كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص، وابن عساكر عن أبى أمامة رضى الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أخمص له يطأ على قدمه كلها؛ لأن المراد أن خمصه معتدل الخمص ومن ثَمَّ قال ابن الأعرابى: إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يستوِ أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون وإن استوى وارتفع جداً فهو ذم انتهى، وهو نحو ما قدمناه والله أعلم، ومنها أن أحمد بن حنبل إمام السنة رضى الله عنه روى هو وغيره أن ميمونة بنت كردم بورن جعفر رضى الله عنها رأت سبابة قَدَم رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم أطول من سائر أصابعه.

وروى البيهقى من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: كانت خنصر رسول الله من رجله متظافرة، وفى سنده سلمة بن حفص السعدى قال ابن حبان فى حقه أنه كان يضع الحديث فلا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه وحديثه هذا باطل لا أصل له ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان معتدل الخلق، وقال العلامة ابن حجر ما صورته: وكانت سبابة قدميه أطول من بقية أصابعهما ومن روى ذلك فى اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرها متظافرة انتهى.

* * *

نقش قدمه ﷺ فى الصخر

ومنها: أن كثيراً من مادحيه صلى الله عليه وآله وسلم صرحوا بأنه كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه، وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه، حتى أنه اشتهر عند الناس قصد بعض الحجارة التى فيها شبه أثر القدم النبوية فيما يقال للتبرك بها خصوصا ما وضع منها فى المواضع المقصودة للزيارة، وقد رأيت بمصر المحروسة بتربة السلطان المرحوم أبى النصر قايتباى المحمودى[1] رحمه الله بالصحراء حجراً فيه أثر قدم يقال إنه أثر القدم النبوية والناس يزورونه، وقد رأوا له بركات وقد كان الخنكار المرحوم سلطان الروم خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان أحمد ابن مولانا السلطان محمد ابن مولانا السلطان مراد بن عثمان رحم الله سلفه ونصر خلفه نقله من هذا المحل إلى حضرته العلية القسطنطينية ثم أمر برده إلى محله وجعل عليه فضة بصنعة ملوكية وعليها مكتوب مما قرأته ما مثاله لم يعلم قائله:

تشوق حضرة السلطان أحمد ... زيارةَ موطىء القدم المكرَّمْ

فحركه بجاذبة اشتياقٍ ... على إقدام أقدام فقدَّمْ

وصيرهُ إلى قسطنطينيه ... فقال له تقدم خَيرَ مَقْدمْ

---

(١) قيتباى الأشرف المحمودى الأشرفى ثم الظاهرى، أبو النصر سيف الدين ٨١٥٥ـ ٩٠١ هـ/ ١٤١٢ـ ١٤٩٦م: سلطان الديار المصرية فى عصره، من ملك الجراكسة ـ معجم الأعلام ـ ص ٦٠٦.

وادْخُل داره بالـيُمن حُبـــا وتعظيـمـا لصاحبـه المعظَّم

حبيبُ الله سيدُنا محمـد عليـــه ربُّنا صلَّى وسلَّم

وراجـعـهُ باعزازٍ عظيمٍ إلى تلقاء موضعه المقدَّم

إلهى عمر السلطان أحمد وقدمه على من قدْ تقدَّمْ

بحرمة صاحب القدم المعلَّى إلى الدرجات فى الأفلاك سلَّم

وتشرف بزيارته سنة ١٠٢٤ انتهى ما ألفيته بحروفه، وأرخه بعضهم بقوله وهو غير مكتوب فيه وقدم مبارك بها هبَّ الصبا، وذلك أربعة وعشرون وألف ورأيت بمكة المشرفة أيضا فى القبة التى وراء قبة زمزم أثر قدم فى حجر يقولون إنه أثر قدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخبرنى بعض الناس أن بالحجرة الشريفة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حجراً كذلك ولم أره حين دخلت للتبرك بإيقاد مصابيحها ثم سألت عن ذلك الثقات العارفين؟ وأجابونى: أن الحجرة ليس فيها شىء من ذلك وإنما هو فى بعض أماكن المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام فذهبت إليه فألفيت موضعه مما لا يمكن دخوله فى الوقت الذى ذهبت إليه فيه وبعد هذا تكرر دخولى الحجرة الشريفة مرارا عديدة فلم أر فيها وذلك يقين فعلمت أن المخبر لى وهم وقد رأيت أيضًا حجراً فيه أثر قدم بقبة الصخرة الشريفة بالبيت المقدس والناس يعظمونه ويتبركونه به.

وقد صرح جماعة من الحفاظ: بأنه لا وجود لشىء من ذلك فى كتب الحديث ألبتة وممن أنكره الإمام برهان الدين الناحى بالنون

الدمشقى رحمه الله وجزم بعدم وروده، وكذا حافظ الإسلام الجلال السيوطى فى فتاواه وقال: إنه لم يقف له على أصل ولا سند ولا رأى من خرّجه فى شىء من كتب الحديث وسلّم ذلك تلميذه الحافظ الشامى فى سيرته قائلاً وناهيك باطلاع الشيخ يعنى السيوطى رحمه الله. وقد راجعت الكتب التى ذكرها فى آخر الكتاب فلم أر ذلك فشىء لا يوجد فى كتب الحديث والتواريخ كيف تصح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهى.

* * *

مسأله وجوابها فى أثر القدم الشريفة

ونص السؤال والجواب فى ذلك مسئلة فيما هو جار على ألسنة العامة وفى المدائح النبوية أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لان له الصخر وأثرت قدمه فيه وأنه كان إذا مشى على الرمل لا يؤثر قدمه فيه هل له أصل فى كتب الحديث أو لا؟ وهل إذا ورد فيه شىء من خرجه وصحيح هو أم ضعيف؟ وهل ما ذكر الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقى فى معراجه الذى ألفه مسجعًا ولفظه ثم وجها نحو صخرة بيت المقدس وعلاها، فصعد من أعلاها من جهة الشرق ووافاها، فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت، فأمسكتها الملائكة لما تحركت، ومالت. ألهذا أيضًا أصل فى كتب الحديث صحيح أو ضعيف أولا؟ وهل هذا الأثر الموجود الآن بصخرة بيت المقدس المعروف هنالك بقدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟ وهل ورد فى كتب الحديث أن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة أثرت قدماه فى الحجر الذى كان يبنى عليه البيت الذى هو الآن بالمسجد الحرام بالمكان المعروف بمقام إبراهيم هل هو صحيح أو ضعيف أو ليس له اصل؟ وهل ما قاله بعضهم أنه لم يعط نبى معجزة إلا حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثلها أو لأحد من أمته صحيح أم لا؟ ومن هو قائل ذلك؟ وهل صح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما جاء إلى بيت أبى بكر الصديق

رضى الله عنه بمكة ووقف ينتظره ألزق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق بالحائط فى الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق زقاق المرفق أو ليس لذلك أصل، وهل ما ذكره الشلبى والطرطوسى فى تفسيرهما: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما حفر الخندق وظهرت الصخرة فيه وعجزت الصحابة عن كسرها نزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخندق وضربها ثلاث ضربات وأنها لانت له وتفتتت صحيح ذلك أو ضعيف أو ليس له أصل معتمد؟ وهل إذا ثبت أن الصخر لان له صلى الله عليه وآله وسلم وأثر قدمه فيه يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟.

الجواب أما حديث الصخرة التى ظهرت فى الخندق وعجزت الصحابة عن كسرها وضربها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث ضربات فكسرها فإنه صحيح ورد من طرق بألفاظ متعددة فأخرجه البيهقى وأبو نعيم معًا فى دلائل النبوة من حديث عمرو بن عوف المزنى ومن حديث سلمانى الفارسى ومن حديث البراء بن عازب وأصله فى الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: هذه كدية شيدة عرضت فى الخندق. فأخذ المعول، فضرب فعاد كثيبًا أهيل.

وأما قوله: وهل ورد فى كتب الحديث أن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أثَّرَتْ قدماه فى الحجر الذى كان يبنى عليه البيت وهو المقام، فنعم ورد ذلك أخرجه الأزرق فى

تاريخ مكة من طريق أبى سعيد الخدرى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنهما موقوفًا عليه بسند صحيح، وأخرجه عبد بن حميد فى تفسيره عن قتادة، وأخرجه أيضًا عن عكرمة، وبقية ما ذكر فى الأسئلة لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من أخرجه فى شىء من كتب الحديث انتهى.

وقال أيضًا الحافظ السيوطى فى الخصائص: ومما أورده رزين بن صاحب الصحاح فى خصائصه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا وطىء الصخر أثر فيه وذكر الحافظ الترمذى تلميذ ابن القيم فى خصائصه فقال: وأما إلانة الحديد لداود عليه السلام فلأنَّ إلانة الحديد معروفة بالنار، وقد ألان الله الحجارة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا بغيرها وهذا أبلغ، ثم قال: وأعجب من هذا أنه كان إذا مشى على الصخر لانت تحت أقدامه، وإذا مشى على الرمل لا تؤثر فيه خرقا للعادة الجارية.

وقال فى أول كتابه: ونحن نذكر ما نقل عن كل نبى من المعجزات وما ثبت لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم من الخصائص وماله من الفضائل والفواضل انتهى.

وقد ورد كما قدمناه أن قدم إبراهيم على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام أثَّرت فى الحجر الذى هو فى المقام وقد دخلت محله المعظم مرارًا أولها عام تسعة وعشرين وألف وشاهدت أثر القدم الإبراهيمية فى المقام وتبركت وبه تمسحت بماء الورد الذى جعل فيه وشربت منه فلله الحمد والمنة فهو المسئول سبحانه وتعالى

أن يجعلنا من الآمنين آمين.

وقال العلامة ابن حجر فى شرح الهمزية للبوصيرى عند قوله:

أو يلثُمُ التُّراب من قدمٍ لا ... نتْ حبًّا من مشيها الصفواء

وما نصه ونبه بذلك على أنه ينبغى لك أيها العاقل أن تستحيى من مخالفتك ما جاء عن نبيك لأنك إذا علمت أن الحجر الأصم استحيى منه أن يبقى على صلابته مع مشيه عليه فتشق عليه صلابته فلان له حتى يسهل مشيه عليه فأنت أولى بالاستحياء منه أن تبقى على مخالفته مع علمك بجلال أوصافه وعلى أخلاقه، ثم هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على خصائصه لكن بلا سند ثم ذكر عبارة الحافظ السيوطى فى الخصائص وقد تقدمت قريبا انتهى.

وسئل الشيخ الحافظ المحدث سيدى الشيخ محمد بن أحمد المتبولى المصرى الشافعى[1] رحمه الله: هل ورد أن الذباب كان لا يقع عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولا يرى له ظل فى الشمس أم لا؟ فهل كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى لا يرى له أثر فى الرمل وتؤثر قدمه الشريف فى الصخر الجلمود نحو ذلك أم لا؟.

فأجاب: نعم روى ابن سبع والنيسابورى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقع الذباب عليه ولا يرى له ظل فى الشمس انتهى.

والحكمة فيه أن الذباب من معانيه أنه مذلة للجبارين، وهو منزه

(١) أحمد بن محمد المتبولى الأنصارى الشافعى المتوفى عام ١٠٠٣ هـ/سنة ١٥٩٤م: فقيه، من العلماء بالحديث - معجم الأعلام - ص ٧٣.

عن التجبر، وأما الثانية فهو نور ولا ظل للنور ورويا أيضًا ما ذكره السائل، والحكمة فيه أن كان ألطف الخلق من لطفه ما ذكر وتأثيره فى الصخر أبقى لأمره الشريف وإشارة إلى أن الصخر لان له خلافا للملاحدة والجاحدة ممن كفر به صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتبعه وسند الحديثين ضعيف إلا أن باب الفضائل ونحوها يتسامح فيه دون العقائد والأحكام فلا مسامحة فيها ألبتة والله أعلم. انتهى جواب الحافظ المتبولى رحمه الله.

وفى الشفاء ما نصه: وما ذكر أنه لا ظل لشخصه فى شمس ولا فى قمر لأنه كان نوراً صلى الله عليه وآله وسلم وأن الذباب كان لا يقع على جسده انتهى.

وأما كونه لا ظل لشخصه فى الشمس فقد علمت أنه رواه ابن سبع والنيسابورى وغيرهما كما تقدم فى جواب الشيخ المتبولى، وروى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو وضّاع كذّاب عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان لم يكن للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ظل فى شمس ولا قمر.

وأما كون الذباب لا يقع عليه فقد علمت أيضا مما سبق أنه رواه ابن سبع والنيسابورى بسند ضعيف وكان الشيخ الدلجى لم يقف عليه فقال: لا أدرى من رواه مع أنه مذكور فى حاشية العلامة ابن أقبرس على الشفاء أنه قال: عند قول صاحب الشفاء وما ذكر أنه لا ظل له فى شمس ولا فى قمر ما نصه هذه المقالة منسوبة لابن

سبع وعلله بقوله لأنه كان نوراً، وفى هذه العبارة بحث، لأنه عليه الصلاة والسلام بشر كما نطق به القرآن بقوله، ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى﴾[1]، وإنما تصحيح هذه العبارة أن يقال مراده أن له نورا يغلب نور الشمس والقمر فلهذا لم يظهر له ظل لاختلاف النورين فهو ذات لهذا النور وهل هذا خاص به دون غيره من الأنبياء، الظاهر أنه كذلك وأن كان لكل نور والله أعلم انتهى، وقال فى قول: وإن الذباب لا يقع على جسده ولا ثيابه ما صورته قلت: هذه المقالة أيضا لابن سبع وتعليلها أن الله طهّره تطهيراً وربما أحدث الذباب شيئا على من يقع عليه انتهى وتأمل قوله فى هذه العبارة بحث إلى آخره هل يسلم من الاعتراض فإن للنظر فيه مجالاً.

ورأيت بخط قاضى القضاة محمد بن إبراهيم المالكى المصرى رحمه الله ما نصه رأيت فى بعض المجاميع مكتوبا معزوا أن من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم أن من كتب هذه الأمور العشرة الآتية ووضعها فى بيت لم يحرق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت، الأولى ما وقع ظله صلى الله عليه وآله وسلم على الأرض قط، الثالثة لم يقع الذباب عليه قط، الرابعة لم يحتلم قط، الخامسة لم يثاوب قط، السادسة لم تهرب منه دابة ركبها قط، السابعة ولد مختونا، الثامنة تنام عيناه ولا ينام قلبه، التاسعة ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه، العاشرة كان إذا جلس على

(١) سورة الكهف: من الآية (١١٠).

قوم كانت كتفاه أعلى منهم والله أعلم انتهى.

وللمحدثين كلام فى بعض هذه العشرة وأما البعوض والقمل فقد قدمنا بعض كلام فيهما فى الباب الأول.

ومن العجب أن الحافظ الشامى لم يقف على ما ذكره ابن سبع والنيسابورى وغيرهما من تأثير قدمه الشريفة فى الصخر إذ لو وقف عليه لنبه على ضعفه أو غيره مما يتعلق به، وأعجب منه عدم وقوف شيخه الحافظ السيوطى عليه واضطراب قوله فيه فى تأليف بحيث نفى الفتاوى وجوده بالكلية كما قدمناه، وذكره فى الخصائص عن رزين وغيره إلا أن يقال إن الفتاوى متقدمة على الخصائص وهو فى الفتاوى نفى وقوفه عليه ثم عثر عليه بعد ذلك عمن ذكر فاثبته عنه فى الخصائص وهذا إنما هو بعد صحة كون الفتاوى متقدمة على الخصائص، أو يقال إن الذى نفاه فى الفتاوى وجود أصل له أو سند يعتمد عليهما فى كتب الحديث وهذا بعيد من سياق كلامه عند التأمل والله اعلم، وعلى كل حال فلم يذكره غير ابن سبع والنيسابورى وفوق كل ذى علم عليم ومنتهى العلم إلى الله العليم، ويرحم الله الشيخ القسطلانى صاحب المواهب اللدنية وغيرها قال فى شرحه على صحيح البخارى: عندما تكلم على حديث موسى مع الخضر عليهما السلام فى أوائل كتاب العلم ما معناه أنه فى قضية موسى مع الخضر عليهما السلام ردًا على من فاه من أهل العصر بأنه أعلم أهل زمانه انتهى بمعناه فراجع لفظه إن شئت.

ومنها أنه كان بالأشرفية من دمشق المحروسة نعل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم يقصدها الناس للتبرك بها وقد تقدم فى الباب الثالث من كلام الوادى آشى وابن رشيد وابن محرز ما يشعر بذلك، وقال ابن رشيد فى ملئ العيبة عند ذكر المدرسة الأشرفية وأنها إحدى المدارس الحافلة مع علو ساحتها وتشييد بنيانها وإتقان أبوابها ما نصه: وبها إحدى نعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقصدتها للتبرك بها والشفاء من مرض أصابنى فوجدت بركتها وألفيته بها مريضًا وبعض العوّاد عنده يعنى شيخه زين الدين عبدالله الفارقى الشافعى وهذه المدرسة ابتنى فى قبلتها بيتان أحدهما عن يمين المحراب وضع فيه نسخ من المصاحف والآخر عن يساره فيه النعل الكريمة فرده واحدة وقد وضع لهذا البيت باب مصفح بالنحاس الأصفر كأنه صفائح ذهب، وعلق عليه كلل حرير ثلاث خضراء وحمراء وصفراء، ووضعت النعل الكريمة على كرسى من أبنوس، ثم وضع على النعل لوح من أبنوس ونقر فى وسط اللوح بمقدار ما ظهرت النعل الكريمة منخفضة عن اللوح بمقدار النقر، ولا شك أنه بقى منها تحت أطراف اللوح مقدار ما ثبت به تحت اللوح وما أخذته المسامير التى طوقت به فإن الدار لمحيط بها كله مكوكب بمسامير فضة ويملأ ذلك الظاهر منها الذى هو منقور عليه بأنواع الطيب حتى إن الذى يلثمها يتمرغ فمه من طيبها فإذا أراد الذى يحذو عليها مثالها جاء بكاغد أورق ووضعه على مقدار النقر وخرزه بظفر، فارتسم مقدار النعل مثالاً وقدو كل بها قيم له عليها

مرتب بلغنا أنه أربعون درهما ناصرية وأمره بفتح يوم الاثنين ويوم الخميس للناس يتبركون بلثمها فاتفق أنى جئت إلى الشيخ زين الدين الفارقى شيخ التدريس بها فى غير هذين اليومين فألفيته مريضاً لزيماً للفراش فتحفى وأمر الخديم القيم بفتحها لى ففعل وتمكنت من لثمها والتبرك بها والحذو عليها هذا المثال الذى تراه فى الرق وهو محدود على المثال المباشر لها، فإن المباشر لها استوهبه منى بعض من كان له على حق من الإخوان لم أستطع رده فوهبته له وحذوت هذا عليه سواء وبين المثال الذى حذوته على النعل مباشرة وبين ما قد كان حذاه عليها شيخنا الفقيه المحدث أبو يعقوب المحاسنى رحمه الله مخالفة بين الاتساع والضيق فى الجوانب وفى جهة العقب أكثر من ذلك حسبما حذوته على المثال الذى حدثنى أنه حذاه صاحبنا المقرى المجود أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الحق الأنصارى المعروف بابن القصاب بمدينة فاس قديما على مثال شيخنا أبى يعقوب المحاسنى رضى الله عنه حدثنى به عن شيخنا أبى يعقوب رحمه الله، وسبب الاختلاف فيما تراه بين المثالين أن شيخنا رحمه الله حذا على النعل الكريمة وهى موضوعة على كرسى الأبنوسى ظاهرة كلها مستمرة عليه قبل أن يطبق اللوح عليها ثم ينقر على مقدارها فلا شك أنه بقى منها ما استمسك به تحت اللوح وما أحاطت به المسامير والله أعلم.

***

قصة

مجيء النعل الشريفة في مدرسة الأشرفية

وكان من قصة هذا النعل حسبما أخبرني به صاحب المقرى أبو عبد الله محمد بن على القصاب في الحادى والعشرين لشعبان المكرم عام سبعة وعشرين وست مائة وفى هذا التاريخ كان حذوه على مثاله الذى حذاه على مثال الشيخ أبى يعقوب المحاسنى رحمه الله عن شيخنا أبى يعقوب أن القدم التى قاس عليها كانت مما تصيرت لميمونة بنت الحارث الهلالية[1] أم المؤمنين رضى الله عنها مما تركه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فتوارثه ورثتها من بعدها إلى أن حصل بيد بنى أبى الحديد ولم يزالوا يتوارثونه إلى آخرهم موتا فترك ثلاثين ألف درهم وترك ذلك القدم وولدين له فقال أحدهما للآخر: تأخذ المال أو تأخذ القدم الشريف فاصطلحا على أن أخذ أحدهما المال والآخر القدم فذهب به إلى أرض العجم فكان يَفِدُ به على الملوك يتبركونه به، حتى رجع إلى بلاد أخلاط، فبعث به إلى الملك الأشرف ابن العادل ليتبرك به، فطلب منه أن يقطع له منه قطعة يتبرك بها ثم إن الملك تحرى عن ذلك فطلب منه أن يعوضه منه قرية ويعطيه أياه، وقال له: أنت شيخ كبير فما تصنع به؟

---

(١) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية (المتوفاة عام ٥١ هـ/ سنة ٦٧١م): آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وآخر من مات من زوجاته - معجم الأعلام - ص ٨٨٢.

فأجابه إلى ذلك، ثم إن الملك الأشرف ملك الشام استوطن مدينة دمشق فابتنى بها داراً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووقف لها وقفًا كثيراً وجعل الجانب القبلى منها مسجداً للصلاة وجعل شرقى محراب المسجد بيتًا لتلك النعل المذكورة فسمرها بمسامير فضة على تابوت من أبنوس، وجعل له قفلاً من فضة، وأرخى عليه ثلاثة ستور من حرير أخضر، وأحمر وأصفر كل سترٍ منها بمال وجعل له بابًا كبيراً مصفحًا بالنحاس كأنه الذهب، وجعل عليه فيما رتب له أربعين درهمًا ناصرية مبلغها ثمانون درهمًا من دراهمنا فى كل شهر يفتح فى كل يوم إثنين وكل يوم خميس لمن يتبرك به، ثم قال ابن رشيد: قال محمد بن على بن عبد الحق الأنصارى: نزلنا هذا المثال على النعل الذى قاسه شيخنا أبو يعقوب المحاسنى على نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للتبرك به واعتناء به، جعلنا الله من أمته المهتدين بأنوار سننه، السالكين على آثار سننه بمنه وكرمه، وقال محمد بن رشيد: فحذوت أنا على المثال الذى حذاه صاحبنا أبو عبد الله رحمه الله وها هو كما تراه بمحموله مثالا منه والله ينفع بذلك، قال محمد بن رشيد وفقه الله: ولما حذوت على القدم الكريمة قلت فى وصفها هذه الأبيات نفع الله بها هنيئا لعينى إن رأت نعل أحمد، ثم ذكر تمامها وقد تقدمت فى حرف الدال فراجعها، وإنما جلبت كلام ابن رشيد بطوله لما اشتمل عليه من تحقيق أمر النعل النبوية التى كانت بالأشرفية وقد أخبر رحمه الله عما شاهده ولم أقف على المثال الذى حذاه فى

النسخة التى رأيت مع أنها عليها خطه ولعله سقط واخذه من أراد التبرك به ولو وجدناه لكان غاية المنى وقد علم من هذا الكلام أن قوله هنيئا لعينى الأبيات ألا تعد فيما قيل فى المثال لأنها مقولة فى النعل نفسها وكذا قول ابن محرز أناظر شكلى والنواظر تعتدى الأبيات السابقة فى حرف الدال من الباب السادس وهى التى قصد ابن رشيد معارضتها رويًا وبحرًا أو مقصدًا وكذا قول ابن جابر الوادى آشى دار الحديث الأشرفية لى الشفاء إلى آخره وقد تقدمت بكمالها فى حرف الفاء من الباب الثالث فالصواب أن يسقط هذه القطع الثلاث من أعداد ما قيل فى المثال لأنها مقبولة فى نفس النعال وعلى الله الاتكال وقد سبق منى عدها فى النسخة الصغرى الموسومة بالنفحات العنبرية فى نعال خير البرية مما قيل فى المثال وذلك سهو منى، ولولا أن الكتاب سارت به الركبان لأصلحته على الصواب وإن كان ما قيل فى النعل نفسها لا ينافى أن تتشرف بالمثال المحاكى لها إلحاقًا للمثال بالمثل ولكن الأخبار الصادقة ما يطابق فى نفس الأمر والله اعلم.

وما أشار إليه ابن رشيد أن هذا النعل كانت لبنى أبى الحديد يؤيده ما وقع فى استجازة الشيخ المحدث أبى عبد الله البرزالى[1] فى أسماء المستجار لهم إذ قال: ولأحمد بن أبى الحديد صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك فى سنة تسع

---

(١) محمد بن يوسف بن يخلص البرزالى الأندلسى الإشبيلى، أبو عبد الله المتوفى عام ٦٣٦ هـ/ ١٢٣٩م: من حفاظ الحديث - معجم الأعلام - ص ٨١٢.

وست مائة انتهى.

وقد قدمنا فى الباب الثانى ذكر رجل آخر من أبى الحديد ممن كانت عنده النعل النبوية فراجع ذلك فإنها كما تقدم لابن رشيد كانت بينهم متوارثة، وقال البدرى فى تاريخه بعد كلام فى شأن الملك الأشرف ما صورته وقد كان شجاعًا كريمًا جوادًا محبًا للعلم وأهله لا سيما أهل الحديث ومقارنة الصالحين وقد بنى لهم دار الحديث بالسفح إلى أن قال: وجعل فيها نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى مازال حريصًا على طلبه من النظام ابن أبى الحديد التاجر. انتهى المقصود منه.

والشيخ ابن الرشيد الفهرى المذكور من أكابر علماء المغرب وسندى إليه بما سبق إلى الخطيب ابن مرزوق عن الرئيس العالم عبد المهيمن الحضرمى عنه، وقد رأيت نسخة من رحلته وعليها خطه بالإجازة لعبد المهيمن الحضرمى[1] كما أن عليها خط الخطيب ابن مرزوق يأخذها عن عبد المهيمن عنه رحم الله الجميع وقد ذكرت بعض ما يتعلق بابن رشيد فى أزهار الرياض وعرفت به فليراجع ثمة، وقد أجرى ذكره الحافظ العراقى فى ألفية الحديث عند ذكره بعض المسائل المتعلقة بعلوم الحديث، ثم قال ابن عبد الرشيد المذكور رحمه الله ولما وافيت سبتة بلدنا حماها الله تعالى عائدا من وجهتى أريت ذلك المثال شيخنا البليغ الناظم الناثر

---

(١) عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن، أبو محمد الحضرمى ٦٧٦ - ٧٤٩هـ/ ١٢٧٧ - ٧٤٩م: صاحب القلم الأعلى بفاس، وصدرها فى عصره - معجم الأعلام - ص ٤٧٠.

القاسم القبورى فنظم فى ذلك قصيدة وكتبها لى بخطه نفعه الله وأسمعها لى من لفظه وهى:

تبصرت تمثالاً لنعل مشت بها
لخير الورى طرّاً وأسناهم قدم

فاضرم نيران الجوى بجوانحى
وأهمى بدمعى مزنه ثرة الديم

وكل أخى وجد يهيج غرامه
إذا ما بدا ممن يحب له علم

وكم هائم أبكى وأزكى التياعه
سنا بارقٍ من نحو محبوبه ابتسم

وكم من محى دارسِ الرسم ما أمحى
جديد هوى فى القلب منه قد ارتَسمْ

ولائم آثار ليُشفِى ما به
بما من ترى آثار من وده النسم

وكلٌ كريم العهد غيُر ذميمه
حقيقٌ عليه رعى مستكرَم الذمِمْ

وآثار خير الخلق أخلق أن ترى
تثير له التحنان من كل ذى همم

فالله من ذاك المثال محبب
بهيج أريج لثمه لا يمل فَم

تناولته مستصغراً متضايلاً

لتسنى لنفسى من رضى ربى القِسِمْ

وأحسب نجيلاً حفيلاً حفيلهُ

وأوسعته لثمًا وضمًا ومَلتَزِمْ

ومسحت أعضائى به وجوارحى

لأحصيها من إن يلم بها ألم

ورفعته أبغى انحطاط مائمن

فإن حط عنى جرم نفسى فلاجَرَمْ

وما كنت بالموفيه حقًا لو أننى

على الرأس إجلالاً له قمت لا القدم

وقلت لنفسى دونك الآن فابهجى

بنعمى لها فضل على كبر النعم

وخذ منعمًا يا من أرانيه مهجتى

وعش سالمًا ما حن صب لذى سلم

فما يدك البيضاء فيه لدى بالمكا

فيها سود وحمر من النِعَمْ

ويا مبصر النعل الكريمة نفسها

غنمت وبيت الله أنفس مغتنم

ونلت منى كم همة قد أهمتها

بإدراكها تسر والمسرأت كلٌ هم

ويا عجبا إنى أطقت اجتلاءها

ألم يغشك اللألاء من نورها ألَمْ

ويا عجبا صبٌّ يرى ما رأيت لَمْ
يصبه لا فـراط السـرور به ألَمْ
ولو أن مـقـضى اللبـانة منه قـد
قـضى وقـليل منه ذلـك لم يَلِمْ
فـيسر آلهى لى لبيتك حـجـة
ولا نحر من عينى اجتلا ذاك الحرمْ
وأتمـم علـى المنّ منـك بـزورة
لطيبة مـثوى الطيب الطاهر النِّسمْ
أبى القاسم المسنى من الفضل قسمة
بيـعثـتـه للعرب أجـمَع والعَجَمْ
محـمدٌ المبعوث بشـرى ابنُ مريم
دعاءُ الخليلِ المصطفى سيد الأمُمْ
خطيـبـهم يـوم المعـاد إمـامـهم
شـفيـعهم إذ لا شـفيع سـواه ثَمّْ
لا يرى مـا بى من غلـيلٍ برؤيتى
معـالم فيـها خِيمُ المجـد والكَرَمْ
فـبشـراى إن بالخد باشَرتُ تُربَهـا
وعفـرت شيبى فـيه بدأ ومخـتتم
واهدى له أزكى السـلام تحيـة
شذا المسك منها يستمد متى يُشَمْ
يـلُم بـهِ مـنـهاَ وبـالـزهـر آلـه
واصحـابه شهبِ الدجى والأشمل الأعَمْ

وقوله: قدم في البيت الأول هو فاعل قوله مشت بها وليس هو تمييز لقوله وأسناهم ووقف عليه بالسكون على لغة ربيعة لأنه يبقى الفعل الذي هو مشت على هذا التقدير بلا فاعل فاعلم ذلك فإنه سبق إلى بعض الأوهام مثل ذلك فلهذا نبهت عليه.

ثم قال ابن رشيد: وقد أجيبت دعوة هذا السيد الفاضل السري الكامل فيه لقرب من نظم هذه القصيدة تيسر له الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة المصطفى عليه السلام، ثم عاد إلى وطنه فلم يقره الشوق إلى تلك المعاهدة الكريمة، ولا فارقه التوق إلى نيل تلك البركات العميمة، فتوجه ثانيًا وحج ولم تزل بطيبة ناديًا إلى أن أصبح بها ناويًا نفعه الله، ونفع به انتهى وإنما كتبت هذه القصيدة هنا مع أن محل سرد جملتها حرف الميم من الباب الثالث لقول ناظمها مخاطبًا لابن رشيد: ويا مبصر النعل الكريمة نفسها إلى آخره ونحن الآن قد نتكلم في النعل نفسها فلأجله ذكرت جميعها في هذا الموضع وألممت هنالك بها وأدخلتها في العدد وأحلت بتمامها بعد ذكر مطلعها على هذا الموضع للمناسبة التي أبديت لك والأمر في هذا سهل والمقصود حاصل والله سبحانه وتعالى الموفق.

وقد كان أهل دمشق يستشفعون بهذه النعل النبوية عند نزول المعضلات بهم فيرون بركتها، وقد حصلت لهم مظلمة عظيمة أيام الناصر محمد بن قلاوون[1] على يد نائبه بالشام بدمشق سيف الدين

---

(١) محمد ـ الملك الناصر ـ ابن قايتباي المحمدي الظاهري، أبو السعادات، ناصر الدين ٨٨٧ ـ ٩٠٤ هـ/ ١٤٨٢ ـ ١٤٩٨م: من ملوك الدولة الجراكسة في مصر والشام والحجاز ـ معجم الأعلام ـ ص ٨٨٢.

كراى، وذلك أنه قرر على أهل دمشق ألفا وخمس مائة فارس، وكانت العادة مائتى فارس تعجز عن ذلك أهل دمشق وأغلقت البلد لأنه أدخل فى هذه المظلمة أهل الأسواق، وحواضر البلد، وأملاكها، وحاراتها وأمر نائب السلطنة المذكور بكتابة الأسواق والحارات، وجميع أملاك دمشق ليوظف عليها، فضج الناس وشكوا إلى القضاة والخطباء والأئمة، فتواعد الجميع على الطلوع إلى النائب سيف الدين كراى المذكور، فلما كان يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الأولى من عام أحد عشر وسبع مائة أخذ الخطيب جلال الدين القزوينى صاحب تلخيص المفتاح والإيضاح المصحف المكرم العثمانى، ونعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم من دار الحديث الأشرفية وأعلام الجامع التى تكون بين يدى الخطباء وخرج من باب الفرج، ومعه العلماء والفقهاء والقراء والمؤذنون، والأئمة، وعامة الناس فلما وصلوا إلى النائب واستغاثوا أمر بضربهم وقال للجلال القزوينى حين سلم عليه: لا سلم الله عليك، وضرب النقباء الناس، ورموا المصحف العثمانى والنعل الشريفة النبوية فعندها رجمهم الناس وأخذوا الجلال القزوينى إلى القصر وخلص العوام المصحف والنعل الشريفة والأعلام ودخلوا البلد فما مضت عشرة أيام إلا وقد أخذ الله سيف الدين كراى النائب المذكور، وقيد وسجن بأمر الناصر محمد بن قلاوون وناله من الإهانة ما هو مشهور، وكل ذلك لتهاونه بالمصحف الشريف والنعل النبوية، وفرج الله عن أهل دمشق، وفرحوا بانتقام الله من هذا النائب

الفرح العظيم.

قلت وقد فحصت عن أمر هذه النعل الشريفة فى زماننا هذا فلم أجد لها عند أحد ممن سألت خبرا، وأظن أنها ذهبت فى فتنة تيمورلنك[1] حين خرب دمشق، وأحرقها سنة ثلاث وثمان مائة حسبما هو مشهور، وقد سئل بعضهم عن تاريخ تخريب تيمورلنك لدمشق فقال سنة خراب يعنى أن لفظة خراب هو التاريخ وهذا نحو قوله لما سئل عنه سنة قيامه وثورته فقال سنة عذاب يعنى ثلاثة وسبعين وسبع مائة وهاتان ثوريتان عظيمتان فيهما اتفاق غريب يعرف ذلك كل أريب، ثم بعد كتبى لما ذكرته بمدة وقفت على نور النبراس علىَ سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين الحلبى رحمه الله فإذا فيه نحو ما ظننته مع زيادة ونصه فائدة الذى بقى من آثاره صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة الآن فيما نعرفه كان بقى نعلان بدمشق كل فردة فى مكان واحدة بالأشرفية دار الحديث بقرب القلعة أنشد شيخ الإسلام شيخنا الإمام المحدث أمين الدين الأتقى المالكى.

وفى دار الحديث لطيف معنى ... وفيها منتهى اربى وسؤلى
أحاديثُ الرسول علىَّ تُتْلَى ... وتقبيلٌ لآثارِ الرّسول

والفردة الثانية فى الرباعية المدرسة المعروفة للشافعية ذهبتا فى وقعة تيمورلنك لا يدرى أين ذهبتا والله أعلم، ورأيت فى آخر

---

(1) تيمورلنك، أ تيمور الأعرج ١٣٣٦ـ ١٤٠٥م: ملك المغول، وحفيد جنكيزخان. المنجد فى الأعلام - ص ١٨٩.

مصر مكانًا مبنيًا على النيل محكم البنيان، وله طاقات مطلة على النيل، ومكان ينزل إليه وبركة بماء النيل ومطهرة بماء من النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة من المنزة، وميل من نحاس أصفر، ومخضب صغير وملقط صغير، لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها وقد زرناها غير مرة وهو مكان مليح فى غاية من النزاهة وما بعده إلا بساتين وقد زرناه مرة فرآنى الإمام جلال الدين ابن خطيب داريا[1] الدمشقى بسوق كتب القاهرة فسألنى: أين كنتم قلت زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء فقال: هل نظم أحد فى ذلك شيئا فقلت: لا فقال: أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين فأنشدنى ذلك، وهما:

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره

فلك الهناء لقد ظفرت بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

انتهى كلام الحافظ الحلبى وقد مر لنا فى حرف الراء كلام يتعلق ببيتى ابن خطيب داريا هذين وكلام الحلبى هذا مما يؤيد بعض ما ذكرناه هنالك وهنا ولله الحمد على الموافقة.

وذكر المقريزى[2] المؤرخ المصرى رحمه الله فى تاريخه المسمى

---

(١) محمد بن أحمد بن سليمان بن يعقوب الأنصارى الخزرجى، ابن خطيب داريًا، الدمشقى المولد، البيانى الوفاة ٧٤٥ - ٨١٠هـ/ ١٣٤٤ - ١٤٠٧م: أديب، جيد الشعر، حسن التصنيف. كان شاعر دمشق فى عصره - معجم الأعلام - ص ٦٦٩.

(٢) أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسينى العبيدى، تقى الدين المقريزى ٧٦٦ - ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥ - ١٤٤١م: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك. من أشهر كتبه: السلوك فى معرفة دول الملوك - معجم الأعلام - ص ٥٦.

بالسلوك ما معناه أن السلطان سيف الدين جقمق لما غضب على القاضى زين الدين عبد الباسط وأمر بخلعه وجعله فى البرج دخل عليه والى القاهرة وأمر أن يخلع جميع ما عليه من الثياب فإنه نقل للسلطان أن معه (اسم الله الأعظم) ولذلك كان كلما هم بعقوبته صرفه الله عنه، فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة، ومضى بها الوالى وبما فى أصابع يديه من الخواتم فوجد فى عمامته قطعة أديم ذكر لما سئل عنها أنها من نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى المقصود منه وأنها لعلها كانت من التى بالأشرفية بالشام. وكان لهذا القاضى الجاه العريض والتصرف فى مملكة الإسلام بمصر والشام وما يليهما. فلا يبعد أن يحصل له ذلك منها أو من غيرها من النعال النبوية التى كانت يتوارثها من خصَّه الله بها والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ السخاوى فى تاريخه الذى ذيل به كتاب السلوك المقريزى فى ترجمة الزينى عبد الباسط بعد كلام ما نصه: حتى استقرت قدم السلطان جقمق، وهو مستمر على وجاهته وتنفيذ أمره المقيد والمطلق، وجرى على قاعدته وسنته فى الاستبداد بالأمر، ومخالفة الملك فى سره وعلنه، فلم يحتمل له ذلك بل بادر بالقبض عليه، وحبسه عن سائر الممالك، وكذا قبض على حتى ولده وغيره من الخواص من أهل مؤدته واختصاصه وشرع فى إيراد المال الجواهر واللآلئ وكثرة الأمتعة والملابس الفاخرة المتنوعة بأيدى أحاد الناس وإبراز ما لا يخفى من الناس، من كثرة ما بيع منها

بقصد إظهار العجز والإفلاس، حتى كان مجموع ما بذله وساقه إلى الملك وجملته ثلاث مائة ألف دينار فيما قيل، إلى غير ذلك من الأقاويل، التى ينفر عن إيرادها المتوقف بالدليل، ومما أخذ منه قطعة نعل منسوبة إلى المصطفى حاز بادخاره إياه فخرًا وشرفًا انتهى.

ومما ينخرط فى سلك ذكر النعل النبوية المذكورة بدمشق ما ذكره الشيخ الإمام العلامة الحافظ أبو الخير محمد السخاوى وغير واحد أن المجد اللغوى صاحب القاموس[1] قرأ بدمشق بين بابى النصر والفرج تجاه نعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ناصر الدين محمد بن جهبل صحيح مسلم فى ثلاثة أيام وتبجج بذلك فقال على سبيل التحدث بنعمة الله تعالى:

قرأت بحمد الله جامعَ مسلم ... بجوف دمشق الشام جوف الإسلام

على ناصر الدين الإمام ابنِ جهْبل ... بحضرة حافظٍ مشاهير أعلام

وتمَّ بتوفيق الإله بفضله ... قراءة ضبطٍ فى ثلاثة أيام

وحكى عن نفسه الشيخ القسطلانى صاحب المواهب فى شرحه على البخارى أنه قرأ صحيح البخارى على شيخه أبى العباس أحمد بن عبد القادر بن طريف فى خمسة مجالس وبعض مجلس انتهى.

ومما هو من هذا القبيل فى السرعة ما ذكره الذهبى فى المشتبه له أن الحافظ أبا بكر بن ثابت الخطيب قرأ على إسماعيل بن أحمد

---

(1) يقصد مجد الدين الفيروزآبادى صاحب القاموس المحيط.

صحيح البخارى فى ثلاث مجالس، قال وهذا أمرٌ عجيبٌ وذلك فى ثلاثة أيامٍ وليلة انتهى.

وذكر غير واحد منهم صاحب نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس أن الخطيب المذكور قرأ صحيح البخارى على كريمة بمكة فى خمسة أيام انتهى، ومن ذلك ما رأيته فى كتاب إرشاد المهتدين لمشائخ ابن فهد تقى الدين إن شيخ الإسلام الحافظ القاضى شهاب الدين ابن حجر العسقلانى صاحب فتح البارى وغيره كانت له سرعة فى الكتابة والكشف والقراءة حتى قرأ صحيح البخارى فى عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات.

قال: وأسرع ما وقع له أنه قرأ فى رحلته الشامية معجم الطبرانى الصغير فى مجلس واحد بين صلاتى الظهر والعصر، والمعجم المذكور فى مجلد يشتمل على نحو من ألف وخمس مائة حديث بأسانيدها لأنه خَرَّج فيه عن ألف شيخ كل شيخ حديثًا أو حديثين انتهى، وبعضه بالمعنى وأكثره بلفظه.

وقال السخاوى فى الجواهر والدرر أنه اتفق لشيخه الحافظ ابن حجر أنه قرأ سنن ابن ماجه فى أربع مجالس، وصحيح مسلم فى أربع مجالس سوى مجلس الختم وذلك فى نحو يومين وشيىء.

ثم قال السخاوى: وما وقع لشيخنا فى قراءة صحيح مسلم أجل مما وقع لشيخه المجد اللغوى صاحب القاموس: وحكى ما تقدم نقله.

ثم قال: وكذا قرأ شيخنا كتاب النسائى على الشرف فى عشرة

مجالس كل مجلس منها نحو أربع ساعات.

ثم حكى قراءته معجم الطبرانى كما قدّمناه عن ابن فهد بقوله وأسرع شىء وقع له إلى آخره.

ثم قال: ومن الكتب الكبار التى قرأها فى مدة لطيفة صحيح البخارى حدث به الجماعة من لفظه، فى عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات انتهى.

وهذا وإن تقدم نقله عن ابن فهد لكنى ذكرته عن السخاوى لتصريحه بأنه حَدَّث به الجماعة من لفظه.

ثم قال السخاوى ما نصه: ثم رأيت فى ترجمة إسماعيل بن أحمد النيسابورى من تاريخ الخطيب أنه قرأ صحيح البخارى فى ثلاثة مجالس اثنان منها في ليلتين قال كنت ابتدئ بالقراءة وقت المغرب، واقطعها عند صلاة الفجر والثالث من ضحوة النهار إلى المغرب، ثم من المغرب إلى طلوع الفجر، وحدَّث به الذهبى فى ترجمة الخطيب فى تاريخه فقال إنه قرأ جميعه فى ثلاثة مجالس قال: وهذا شىء لا أعلم أحداً فى زماننا يستطيعه، والذى رأيته الآن فى ترجمة الخطيب أنه قرأ فى خمسة أيام أظنه الصواب انتهى.

وقد وقع لمعاصرى ابن حجر ومباريه القاضى الحافظ بدر الدين محمود العينى الحنفى رحمهما الله أنه كتب القدورى فى ليلة واحدة حسبما ذكره ابن خليل الحنفى فى كتابه: الروض الباسم فى حوادث العمرى والتراجم وحكى فى هذا الكتاب عن الشيخ زين

الدين عبد الرحمن[1] بن يوسف بن الصائغ المصرى صاحب الخط المنسوب، أنه يذكر عنه فى أمور الكتابة عجائب منها قضية اتفقت له بسوق الكتبيين كتب فيها ثلاث كراريس وهو مستندٌ لبعض الحوانيت واقف على قدم واحدة من ابتداء السوق أو بعده إلى حين انقضائه. انتهى.

وقد سمى الحافظ ابن حجر والد زين الدين عبد الرحمن هذا المذكور عليًا وهو سهو منه كما نبه عليه بعض الأئمة على أنه سماه فى موضع آخر يوسف علَى الصواب والله تعالى أعلم.

وذكر ابن الشحنة فى صدر سيرته حين عرَّف بأبى الفتح ابن سيد الناس صاحب السيرة المشهورة الموسومة بعيون الأثر أنه كان يكتب المصحف فى جمعة واحدة وعيون الأثر فى عشرين يوما. انتهى.

وقيل: إن محمد بن جرير الطبرى مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة. حكاه فى نور النبراس.

وذكر غير واحد من الإمام ابن شاهين فى كثرة الكتابة والتأليف ما هو كخرق العادة، وقد ألم بشىء من ذلك الولى سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى بعض مؤلفاته فراجعه.

وقد صرح ابن الجوزى فى المنتظم عن ابن شاهين هذا بالعجب العجاب، إذ قال يقال إنه بلغت عدة مؤلفاته ثلاثة وثلاثين ألف مصنف منها تفسير القرآن ألف جزء والمسند الكبير فى ألف وخمس

---

(1) عبد الرحمن بن يوسف، زين الدين القاهرى، ابن الصائغ ٧٦٩ - ٨٤٥ هـ/ ١٣٦٧ - ١٤٤٢م: شيخ الخطاطين فى عصره، من أهل القاهرة، الصائغ: صناعة أبيه. معجم الأعلام - ص ٤٠٩.

مائة جـزء، انتهى هـكذا ذكره ابن خليل الحنفى عنه والذى رأيته لبعض العلماء أن ابن شـاهين المحدِّث صنف ثلاث مـائة وثلاثين مؤلفًا منها تفسير القرآن فى ألف مجلد وست مائة ومنها المسند فى ألف وست مائة مجلد، وحسبوا مـداد التصانيف فجاء ألفى قنطار حبر وثمان مائة قنطار.

وحكى الإمام السبكى أن بعض علمـاء أخميم صنف في مذهب الشافعى ألف مجلد.

وحكى السبكى أيضًا والأسيوطى أن الشيخ أبا الحسن الأشعرى[1] حُرِق له تفسير فى النظامية ست مائة مجلد.

وحكى بعض الثقـات أن القاضى عبد الوهاب المالكى البغدادى ألف كتاب النصرة فى نصرة مذهب مالك على غيره فى مائة مجلد وأن هذه النسخة صارت بيد بعض القضاة الشافعية فغرقها فى بحر النيل غَيرةً على مـذهبه، قال: فـاتفق أنه غرق فى بحـر الفرات. انتهى وغرقه كان فى واقعة تيمورلنك فيما أظن، وكان محفوظ ابن جرير الطبرى ثمانين بعيرًا، وكان ابن الأنبارى يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة وكان حفظ الواحدى مائة وعشرين بعيرًا.

حكى هذا السبكى رحـمه الله فى كتاب له وذكر بعـضهم أنه لما احترقت كتب المدرسة النظامية ببغداد حزن لذلك نظام الملك فقالوا له: لا تحزن فإن هنا مـن يملى لنا من حفظه جميع مـا احترق من

---

(1) على بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابى أبو موسى الأشعرى ٢٦٠ - ٣٢٤هـ/ ٨٧٤ - ٩٣٦م؛ مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. معجم الأعلام - ص ٥١٠.

تفسير، وحديث، ولغة ونحو وغير ذلك فى مدة ثلاث سنين هكذا نقل والله أعلم. انتهى.

قلت: وكنت فى حال الصغر أحفظ كثيراً بالنسبة إلى أقرانى فحدثنى مولاى العم الإمام، مفتى الأنام سيدى الشيخ سعيد بن أحمد المقرى رحمه الله أن بعض شيوخه من أهل تلمسان كان يطالع الكراس الكبير، بسرعة فيحفظ ما فيه من وقته من غير تأمل، ولا بطيء ألبتة فانكسرت نفسى، وعلمت أن هذه مواهب ربانية يخص الله بها من يشاء من عباده.

ورأيت فى تذكرة الصلاح الصفدى أن بعض الكتّاب وسمّاه كتب يومًا بمدةٍ من القلم مائة وعشرين سطراً انتهى.

وذكر الحافظ فى تاريخه الذى ذيل به تاريخ المقريزى وسَمّاه بالتبر المسبوك فى ذيل السلوك فى ترجمة الأديب النواجى ما نصه وكان يعنى النواجى سريع الكتابة.

حكى العز التكرورى أنه شاهده كتب صفحة فى نصف الشامى فى مسطرةسبعة عشر بمدة واحدة انتهى.

ورأيت وأنا بالمغرب فى كتاب روض النسرين فى مناقب الأربعة المتأخرين لبلدينا العالم الحافظ الصالح أبى عبد الله محمد بن صمد التلمسانى الأنصارى رحمه الله ورضى عنه، أن حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسى الفاسى، نزيل تونس كان بعد انتقاله إلى تونس يقرأ أيام الاستسقاء جميع صحيح البخارى بلفظه فى يوم واحد يبدؤه بعد الصبح ويختمه بعد الظهر، أو قال بعد العصر وقال

الشك منى الآن لطول عهدى بالكتاب المذكور، ولم تزل إلى الآن العادة بفاس المحروسة، بقراءة صحيح البخارى عند الأزمات والكُرَب والمهمات وهو مجرب لذلك منصوص عليه حسبما عُلِم فى محله.

وقد خرجنا بما أوردناه من شرط الكتاب، ولكن المناسبة اقتضت ذلك مع ما فيه من الاعتبار وعظيم قدرة الواحد القهار، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فسبحان القادر الذى لا إله إلا هو، ولا يتعاصى عن قدرته ممكن المنفرد بالبقاء والدوام الحاكم بالفنا، على جميع الأنام فكم تحت التراب من حفاظ أعلام، وجهابذة نقاد أصبحوا أثراً بعد عين، وانقرضت أخبارهم إلا من الأوراق، رجع التراب إلى التراب كما اقتضت فى الخلق طراً حكمة الوهاب الخلاق:

وما تنفعُ الآداب والعلمُ والحجى ... وصاحبُها بعدَ الكمال يموتُ
كما مات لقمانُ الحكيمُ وغيرُه ... فكلهمُ تحتَ التراب سُمُوتُ[1]

فيا سعادة من عَلِمَ فعمل، وأخلَص فتخلَّص، واغتنم هذا الفىء قبل أن يتقلص، ولابد من هجوم ما يترقبه المرء ويخشاه، كما قال الأستاذ الشيخ العلامة ابن عرب شاه.

فعشْ ما شئتَ فى الدنيا وأدرِكْ ... بها ما شئت من صيتٍ وَصوْتِ
فحبلُ العيش موصولٌ بقطعٍ ... وخيطُ العمر معقودٌ بموْت

اللهم يا من بيده مقاليد الأمور إختم لنا بالحسنى، وألحقنا بأهل

---

(١) سموت: الأصح صموت من الصمت.

المقام الأسنى، واكشف عن قلوبنا الرَّين، واجعلنا ببركة هذا النبى الشريف صلى الله عليه وآله وسلم من سعد الدارين، آمين.

وقد آن تمام ما أوردناه، وختام ما أردناه، من شأن النعل النبوية وسردناه، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ما تعاقبَ الليالى والأيام، وما جلبناه، وإن كان صبابة لا يشفى غلة ظام[1]، ونبذة يسيرة مما يتعلق بها وبمثالها من النثر والنظام، فعذرنا واضح، وأمرنا لايح، لمن نظر بعين الرضى، فكان مسلماً محسن الظن ولم يكن منتقداً، ولا معترضاً على من رمته قسى الغربة، بسهام الكربة، فأدْمَت وأصمَت[2]:

تركتُ رسومَ عِزِّى فى بلادى ... وصرتُ بمصر مَنْسِىَّ الرسوم
ونفسى رُضْتُها بالذلِّ فيها ... وقلتُ لها عن العَلْياء صُومى
ولى عزمٌ كحدِّ السيف ماضٍ ... ولكنَّ الليالىَ من خُصُوم

جبر الله الصدع على أحسن الوجوه، وبلغنا فى الدارين ما نؤمله ونرجوه، بجاه خير البرية سيد المرسلين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع الخلائق أجمعين، عليه من الصلاة الزكية والسلام التام، يكون مسك الختام.

وبعد وصولى إلى هذا المحل رأيت كلاماً نفيساً فى مثال النعل لبعض العلماء المتقدمين من أهل المغرب فى تاليف له سقط من خطبته بعض شىء ونص ما ألفيته منه.

---

(1) ظام: من الظمأ أى شدة العطش.
(2) فأدمت وأصمت: أدمَت أخرجت دماً، وأصمت أى أصابت الصمم.

وبعد فإن بعض فرسان البراعة، وأعلام البيان واليراعة من أوليائنا المعظمين وأصفيائنا المكرمين، كرم الله عرضه ومقصده وعظَّم قدره، فى الدَّارين وأسعده، سأل منى نظم أبياتٍ فى مثال نعل نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه لرسمها مع ما انتدب لنظمه فى هذا المعنى وندب إليه فلم أجد بدًا من إسعاف مراده، وأضعاف إسعاده، فإنه دعا إلى صالح عمل يرجى فيه جزيل الثواب، وندب بواضح أمل لا يمكن أن ينقلب بدون الجواب، وإن كان الشعر ليس لنا لباسًا، فلم أر الآن بتقمصه بأسًا لما يودى إليه هذا الغرض من ذكر سيد البشر، والشفيع المشفع فى المحشر، بنبينا محمد الذى أعد حبه أفضل أعمال وأعتد ذكره أفضل أقوال فنظَّمتُ قطعًا خمسًا أضفتها إلى سادسة إلى قديمة تتضمن جميعًا ذكر مثال النعل الكريمة فقلت مسعفًا بذلك أكرم سائل، راجيًا من الله تبارك وتعالى أن يجعلها لى من أنفع الوسائل:

إذا لاحَ للصَّبِّ المشوق مثالُ   منْ آثارِ مَنْ يهواهُ هَاجَ خَيَالُ

القصيدة بكمالها مع القِطَع الخَمْس التى تليه ولما تيَّسر لى بيمن الله وفضله نظم هذه القطع المرسومة، وكان قد حركت من الشوق كامنه، وأثارت مكتومه بقى الخاطر بإعادة الأجر، فى هذا المضمار معمورًا، ولم يزل التشوق إلى المصطفى المختار، يزداد مع الساعات وفورًا، ويظهر من الغرام بمجده، ومخالفة الفؤاد لوجده، ما كان أكثره مستورًا، فطالبتنى لاعجات المحبة والشوق،

ومزعجـات الصبابة والتوق، بما لم أزل على القديم متشوقًا إليه، فى حق الرسول الكريم وأهل بيته الأكـابر وأصحابه الجلة وجلائله الكرائم كلـفًا من النظم فى فـائق عــلاه وعـلاهم، ورائق حـلاه وحلاهم، بما يكون لى شرفًا يـوم لا شرف وحَـسَبٌ ينفع، ووسيلة حين لا شفيع يشفع، وحضنى الخـاطر ملحًا على انتيابه ومهيبًا لى إلى ولوج بابه فـأحـجـمـت وقلت: أنَّى يتأتـى لى البلوغ إلى هذا المعنى وكيف والوجد دليل والحافل والذهن كليل وتقـصير القصور مستـضعف من تعاطى أمثاله مـسـتـضـعـف، فاحتج بما اعتمدنى به المولى الكريم من الإعانة حديثًا وقديمًا، وعودنى تعالى من أنى لا أنقلب عن باب تأميله، إلا بالوصـول إلى مناى والحـصـول على مبتغاى اعتناءً منه كريمـا، واستدل بأنه لا غرو أن يحيد المقصد إذا أعدته من الله تعالى معونة فـإنه تعالى إذا شاء تكليف الصعب فلا تكلف ولا مؤنة.

ولما ألح فى هذا المعنى ولج، وبان بصدق مـا احتج به أنه حج، تعلقت بأذيال استخارة ذى الجلال والإكرام، وسـألـت من إفضاله العام، تسهيل صعب هذا المرام، فناجانى العزم المستمر بأن سحائب الإعانة ماطرة ونادانى الجزم الممر أن الاعتناء من ذى الكرم والنعماء عامره، فأخذت فى نظم هذه القصيدة مفتتحًا لها بالمنزع المطلوب، مـسـتطردًا إلى مدحه عليـه أفضل الصـلاة والسـلام بأبدع أسلوب، ومتـوصلاً إلـى ذكر مـا أمكن من فضـائله وكرامـاته، وباهر آياته

ومعجزاته، على الغرض المرغوب، مستعيناً بالله تعالى الذى منه التوفيق والإعانة، وبأفضاله الإجازة والإبانة، وأضفت إلى مدحه صلى الله عليه وآله وسلم، مدح آله الكرام، وحلائله الطاهرات وأصحابه الأعلام، رجاء أن أقضى بذلك حاجة فى صدرى لم تزل تلجلج ويتقد العزم والغرام، بها ويناجج ويحسب ما ضمنتها من المعنى المقدم، وزينتها به من أوصاف الشرف النبوى المعظم، وجملتها به من ذكر الآل والصحب، والحلائل خصوصاً وعموماً، فلاحوا فى سمائها شموساً، وبدوراً ونجوماً، اطلت النظم على متقدم الأمل، ومددت القول وبلغت الغاية التى شاهدنى فى سابق الأزل، ذو المن والطَّول وكملت تزيد على ثلاثة مائة بيت فى العدد فى أيسر وقت بالنظر إلى صعوبة مأخذها وأقرب مدة، وأنا أضرع إلى الله تعالى أن يجعلها لى عنده أرجى وسيلة وأنفع عدة وأن يتقبلها عملاً وينجح بها غداً أملاً.

وأرغب منه أن لا يرد على بضاعة عملى المزجاة، ويزوى عنى رحمته المرتجاة، وأن يرزقنى من عذابه النجاة، إنه جواد كريم، وذو فضل عظيم، وهذا نص ما سمح به الخاطر، بتوفيق المولى فعسى أن تسمح لها الناظر، وهو الأليق والأولى سمح الله لنا برحمته وأعاننا على القيام بوظائف خدمته فقلت:

يا ويح للصب أن يبدو له أثر
من الحبيب يهيج أشواقه النظر

يلفى صبوراً علـى غض الزمان فإن

لاحت رسوم له لم يبق مصطبرا

يهفو الفؤاد نزاعًا أو يذوب جوى

من نار وجْد له فى القلب تستعر

وربما استبقت من دمعه درر

شوقًا ودرت له منه هوى درر

وذاك غير رميم للعميد إذا

قضى برشد الهوى التنقيح والنظر

فما على الصب من وجد يكابده

فيه ولو طال من نار الجوى شرر

ولا عليه اعتذار عن صبابته

وهل عليه من التوفيق مقتدر

هدى أصل عزا القلب حين رأى

مثال نعل وهذا فيه معتبر

هدى يضل ضلالاً يهتدى دنف

به إلى الرشدان ينظر فيعتبر

إن الضلال إذا لاح الهدى فَرَقًا

يفر منه وهذا للهدى يفر

رأى مثال نعال للنبى فما

أطاق صبراً على ما أثر الأثر

هفا النزاع به للمصطفى كلفا
واحتاجت أشواقه الذكرى أو الفكر
وحن صب فإن الصب حين غدا
والدمع منتظم والصبر منتشر
وليس نكر نزاع عند ذاك ولا
كن النزوع عن الذكرى به ذكر
لله قلبٌ مشوق ما يطالعه
إلا اعتدى بمذيب الشوق ينفطر
وحاش لله أن يهدى الفؤاد فلا
يهتاجه أثر ممن له أثر
ومن له شرف جاء الكتاب به
وعظمت قدره الآيات والسور
محمد خير الورى يمشى على قدم
وخير ما ولدت عدنان أو مضر
وخير رسل إله العرش قاطبة
فلا يعج بك عن هذا الهدى نظر
فيا مطار فؤادى إن رأى اثراً
شوقًا لمرآه قد أودت به الذكر
مثال نعل النبى من نعله عوض
وإن يكن باقيًا لم نقنه العصر

مشـرف الرقة البـيضاء حـين غدا

بها مـصونًا فـما طافت به الغـير

والعين تشتاقهـا العين الذى شغفت

برؤيـة الحب إن يـــدوا لـه أثر

فالثمـه مستسقيًا من دمـعها مطرا

شوقًا لمن كـان يستسـقى به المطر

وامسح جـبينًا به مستشفـيًا نعلاً

من كان يشفى به الأمراض والضرر

ومـرغ الشـيب فـيه خـاضـعًا فـ

ما شابه الشوب فى الأعـمال يغتفر

واذكر به قـد ما قـامت على قدم

بمستـــوى مـا رآه للورى بـصـر

وتحت أخمصهـا ما كان من فلك

فى السبع أو ملك والشمس والقمر

فـــيـــا لمثـــابة من آثـاره أبدًا

يهتاج ذو الشوق والأجـفان تنهمر

يعر والخيال إذا لاح الخـيال كما

قد يكشف البـال والبلبال يستـعر

واركب من الشوق للمختار منتهجًا

يضىء ويشجى فـلا يبقى ولا يذر

يقضى بأن لاقرار دون زورته

بطيبة لمشوق بشوقه يفر

وإن تحل أبحر ألا تمتطى غرراً

من دونه وفياف بلقع غرر

بالبحر بالروم لا تجرى السفين له

والبر بالشر لم يؤمن به ضرر

فيبصر الدار والآثار من كثب

ومهبط الوحى فى الماضى فيذكر

ويبصر المسجد الأقصى الذى فضلت

فيه الصلاة بألف ما بدا قمر

والمنبر المرتقى فيه وروضته

تفوح مسكًا به إذ ضمه الحفر

ويشرق النور أعلاها به صعداً

إلى السماء عموداً فيه معتبر

فبين روضته حقًا ومنبره

من جنةٍ روضة يجرى بها نهر

فحوضه باعتبار تحت منبره

كذا أتى الخبر المروى والأثر

يا سعد من زاره أو من رآه كما

رآه قد ما أناس قبلنا أخر

وسعد من قد رآه فى المنام ففى

إبصاره اليمن والخيرات والبشر

طوبى له وهنيئًا نال بغيته

فتولته رضى يحظى به الخير

وليت إذ لم تزر تسوى زورته

مراحلاً قبل أن يطوى لنا العمر

أو نكحل الطرف من أنوار وجنته

قبل اللقاء يود بنا له السفر

فيبلغ الرسل من مراوز وده

من ذكر الإله فى المدكر منتظر

فهو النبى الذى أسرى به شرفًا

لسدْرة المنتهى كى توثر الأثر

رأى بها عبرًا ثم ارتقى صعدا

حتى اعتلا مستوى لم يرقه بشر

أراه فى باهر الآيات فيه فما

طغى ولا زاغ لما أبصر البصر

وقاب قوسين أو أدنى دنا شرفا

من الإله فحل الجاه والخطر

واختاره من خيار طاب مجدهم

فطاب منهم بذاك الخبر والخبر

هم منظر بشر لكن لمجدهم

من المآثر ما يعنا به البشر

وهو المبارك أمًا منهم وأبًا

ومذهبًا فى الهوى والدين يفتقر

وهو البشير النذير المصطفى ختمت

فخرًا به الأنبيا والرسل والنذر

وهو الرسول إلى كل الأنام إلى

يوم القيامة لا ريب ولا سدر

وهو الذى نبعت للجيش أنمله

بالماء ريًا فطاب الورد والصدر

واشبع الصحب من قل الطعام وهم

نحو الثمانين أو سبعين إذ حزروا

وهو الذى سبح الحصا فى يده

وانشق نصفين إعجازًا له القمر

وكلمته ذراع الشاة مشعرة

بالسم كى ينثنى عن جسمه الضرر

والجذع حن له والضب أفصح فى

تصديقه وكلا الأمرين مشتهر

وسلمت أفضل التسليم فصحته

عليه مهما رأته الأرض والشجر

والوحش والطير فى جو السماء وما

بالأفق من مشهب والبيت والحجر

وهو الذى كان يستسقى الأنام به

قطر الغمام إذا ما أمسك المطر

فتستهل له من حينه ديم

وتستدر له وفق المنى درر

فيا ليمن محياه به حييت

فى الجدب طيبة والبدو والحضر

يمناه لليمن واليسرى له أبدا

لليسر ما فيه إلا اليمن واليسر

أيمن وأكرم بيمنى ما عطيتها

إلا المون[1] على الإعسار والبدر

وهو الذى أكسب الأيام مولده

طيبًا ينم به الآصال والبكر

وحملت أرجاء من طيب محتده[2]

ريح الصبا فشذا ماد أيما عطرو

وأسعدت فرقه التوحيد بعثته

ففاز منهم بما يبغيه مؤتمر

---

(١) المون من مانه يمونه: أى عطاه.

(٢) المحتد: الأصل الكريم.

وضوعفت بركات للأنام به
فأقبل الخصب نحو الأرض يبتدر

وهو المؤمل فى يوم النشور إذا
طال الوقوف وقد وافت به سقر

سوداء كالقار لا يخبو لها لهب
من غيظها يرتمى منها له شرر

وأدنيت من رؤس الخلق يومئذٍ
شمس السماء ولا ظل ولا قمر

وألجم الناس من حر لها عرق
وأكرب الكرب واستولى به الضجر

وهو الشفيع لهم من هول ذاك إذا
جاؤا إليه ولا ملجا ولا وزر

ولا شفيع سواه يرتجى وله
فينا خصوصا شفاعات له أخر

يعطى مناه بها فى كل أمته
حتى يوافقه الإسعاد والظفر

وهو الخطيب إذا عزَّ المقال غداً
وأفحم الأنبياء الهول لا الحصر[1]

---

(١) الحصر: الحبس عن الكلام لعله فى اللسان. قال الشاعر
أعوذ بك من حصرٍ وعِيّ ومن نفسٍ أعالجها علاجًا اهـ.

يقوم يحمد مولاه فيلهمه

محامداً ما اهتدى قبلاً لها البشر

له اللواء لواء الحمد خص به

والحوض كوثره السلسال والخصر

أصفى من المزن أحلى فى مناقبه

من سكر هو فى جناته نهر

فمن يرده فلا بؤسٌ ولا ظمأ

ومن يزد عنه لا يحمد له صدر

له تفتح أبواب الجنان إذا

أتى ومن بعده تستفتح النذر

يقول رضوان لم أومر بغيرك يا

محمد فلك التنويه والأثر

وكم له من كراماتٍ ومكرمةٍ

جلت ومن معجزات ليس تنحصر

وهو النبى الذى فى حبه شرف

فالق الإله به مهما انقضى العمر

وكن بخير الورى هيمان ذا شغف

قد أحكمت كلفًا من حبك المزر

واعمر فوادًا خلا من غيره فصفا

بحبه أبدًا يسنى لك الظفر

فحب أحمد به موف بالمحب على
مشارع العفو صفواً مالها كدر
واصبر على ما تلاقى من محبته
تحظى بعدنٍ إذ تحظى بها الصبر
وفى الصلاة عليه أيما ذخر
مضاعف وهو مقبول ومدخر
وأى زاد فقد منه فى مَهَل
إلى المعاد فنعم الزاد والذخر
وداوم عليها ولا تنسى مواعدها
لناهج سبلها يغفو ويغتفر
تقضى بها وطراً من ذكره وعسى
أن لا يعوقك عنها دايمًا وطر
فإنها فى غدٍ ذخر لمخلصها
إن خف وزن وزور إن تخف عرر
صلى الإله عليه والملائكة
الأعلون كلهم والجن والبشر
والعرش والفرش والكرسى والقلم
المأمون واللوح مع ما فيه مستطر
والشمس والبدر والأنوار والظلما
ت البهم أجمعها والأنجم الزهر

والوحش فى القفر والأطيار فى وكر

وفى السماء إذا تعلو وتنحدر

أسنى صلاةٍ وأذكاها وأحفلها

بكل معنى لهذا الوجه يعتبر

كالشمس فى حملٍ كالروض فى قلل

كالبدر فى حلل إذيالها السحر

كالبدر مؤتلقًا كالمسك متنشقًا

كالدر متقابل دونها الدرر

صلاة بر وتصديقٍ دلايلها

جلت وأجلت فلا ريب ولا سدر

تزور دأبًا ثراه وهى نافحة

فيستمد شذاها العنبر الذفر

وترغب المسك أن تهدى له أرجًا

من عُرفها وكذاك الروض والزهر

إذا انبرى من شذاها رايح فسرى

باراه فى شرف المقصود مبتكر

فلا تزال بها الأفاق عاطرة

منها النواسم والأزهار والعفر

ولا تزال بها الأذان خالية

يتلى لها سور يحلو بها السمر

يستجلب النوم أن يدنو القصى بها

يحدوا بها العيس يستعدد بها السفر

بلا انتهاء ولا حصر ولا عدد

ما روق الليل أو ما أورق الشجر

أو غرد الطير فى غصن النقا سحر

أو جرد الصبح عضبًا أو سرى قمر

وبعدها تهمى جودًا سحابيها

على صحابته دأبا وتنهمر

تخص صدرًا فصدرًا منهم وهم

أهل السوابق تتلوا زمرة زمر

ثمت تعم جميعًا بالرضى أبدًا

إذا انقضت ذرة منها أتت درر

صحابه عُدَّ فى الترتيب أولهم

خليفة المصطفى الصديق والوزر[1]

إمام أهل التقى والموثرين أبو

بكرٍ موازره والدِّين منتشر

وأول الصحب إيمانًا وسابقهم

للخير والسبق فى الإسلام معتبر

وينفق المال قبل الفتح مبتغيًا

مرضاته فيه لا يبقى ولا يذر

---

(1) الوزر بفتح الواو وكسر الزاى بمعنى الوزير.

ضجيعه فى الثرى فى الغار صاحبه
وفى العريش[1] وفى الهيجاء تستعر

أعلى صحابته قدراً لديه بما
أعلاه سبق وتصديق ومختبر

وبعده المتقى العدل القوى أمير ال
مؤمنين فاروق الهدى عمر

سراج جنة عدن والمحدث ما
يخفى له من ضمير القوم ما ستروا

ذاك الذى بالفتوح لعز دولته
والعدل زينت فطاب الخبر

راعى الرعية من ناء ومقترب
فالحيف منقبض والعدل منتشر

لم تبق مملكة إلا له فتحت
تنبيك عن كل هذا الكتب والسير

ثم الحيبى أمير المؤمنين وذو
النورين عثمان الزاكى له العمر

ذاك المجهز جيش العسر محتبساً
خيلاً وأبعرة[2] ألفاها خطر

---

(١) العريش: خيمة القيادة فى غزوة بدر والتى صنعت لرسول الله ﷺ.

(٢) أبعرة: جمع بعير.

والمشترى من يهودى بئر رومة إذ

علواً بعشرين ألفاً فارتوى البشر

واقى الصحاب شهيد الدار حين سطا

من الرعاع عليه البغى والأشر

وجامع الذكر فى صحفٍ وخاتمه

فى ركعةٍ فى الدجى إذ أنسه السور

ثم العلى على ذو الفخار أمير

المؤمنين الرضى والصارم الذكر

وصيه المهتدى الهاد لمنهجه

أخوه حين تواخى صحابته الخير

أقضى الأنام وبحر العلم أنزله

منه كهارون موسى جابه الأثر

ليث الوغى أسد غيث الندا صمد

فتاح خيبر لما آيس الظفر

زوج البتول أبو السبطين أقربهم

إليه فيه أثارت سرها الأثر

ثم الزبير حوارى النبى ومن

أضحى الفخار لعلياه متى فخر

لاقى الكتيبة يوم الروح منفردا

ما أن يبالى أقل القوم أو كثروا

والصارم الغصب لاتنبـوا مضاربه

والجـازم الرأى لا يخـطى له نظر

هو ابن عمـته الليث الشـجاع إذا

يثنى الكماة طعـان أو عرا خور[1]

له الجـلالة مضـمـونًا لها شـرف

ومجده الجد فى عين العلى حور[2]

وطلحة الجـود وافى المصطفى بيدٍ

من ضـربة فـبـيمناه لـهـا أثر

من رد عنه قريش الكفـر فى أحدٍ

بالمشرفى[3] ولولا رده ظـفـــروا

وشج فى الدفع عن خير الأنام به

بضعًا وستين والأبطال قد زعروا

سخاه واحتسابًا بنفس ما لها ثمن

فأوجب الأجر من دون الألى حضروا

ذاك الصبيح الفصيح المحتذى فله

بنان كف بعـذب الجـود تنفجـر

وخال خير الورى سـعد فـإن به

على جـلالتـه قد كـان يفتخـر

---

(١) الخَوَر: الجبن.

(٢) الحَوَر: اتساع فى العين ومنه الحور العين.

(٣) المشرفى: اسم للسيف ومنه قول الشاعر

أيقتلنى والمشرفىُّ مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

هو السنى العلى الأسمى له شرف

وبيت عـز على الأزمان مـشتـهر

وسـابع الصـحب إيمـانًا وأولهم

رميًا بسهم على القوم الأولى كفروا

مسدد الرمى والرامى الذى كسرت

به الأكـاسر ما من قـبله كـسروا

من مـوقف قصـعت فيـه بسالتـه

أساور الفرس قصفًا لاصح إلقنا كسر

ثم الأمـين التـقى أمين أمتـه

أبو عـبـيدة السـامـى له الظفـر

مسـتفتح الشـام والميمون مـأخذه

فى كل ما كان منه ما يأتى أو ما يذر

مظفـر الجيش والمنصـور ألويه

بها القياصـر ذعنوا فى الوغى قصروا

من لم يمل قط للدنـيا وزهرتهـا

ولم يرقـه لهـا روض ولا زهر

ولا استـجـار تقـاةٍ إن تعلقـه

طوال إمرته من عـمـرها عـمـر

وسـادس السـتـة الـرهط الذين

لمنصب الخلافـة قد سماهم عـمر

ذاك الثرى ابن عـوفٍ والمؤمن فى
أمـر الخلافـة مـصـروفًا له النظر

سخاء واحتسـابًا بنفسٍ ما لها ثمن
فأوجب الأجر من دون الأولى خضروا

هو الأمين فـمن يرضى لمنصبـها
فـهـو الخليـفة أن يأمـر فـمؤتمر

والمسـتـقل بشوراها الحـرى بهـا
لكنـه كـان يأباها ويـنـشـمـر

وقـدوة الأغنيـاء المفـضـلين تقى
والسـيـد العف لا زهو ولا أشـر

ثم الرضى عن سعيدٍ فهو أقدمهم
سـبقًا وهجـرة استعلى به الخطر

الناسك المتقى والمرتضى شـيـمًا
وعاشر الصـحب إن عدوا وإن ذكروا

والمعتلى فى غـدٍ منصبًا فـيـه
يوم الفـخار وبالفـاروق تفـتخـر

ثم الأهـم الغـر الأولـى رضى
المختار عنهم وأرضوه الرضى الزهر

أئمـة شـهـد المصـدوق أنهم
فى جنة الخلد والمأوى بما صبروا

وحمزة أسد الهيجا مكانته

في الدّين والذب عنه ليس يحتقر

فأمره الجد فيه غير مستتر

ونصرة المصطفى والدّين مشتهر

ليث الحروب وغيث المسدى سقيت

بسيفه الباتر الأبطال والجزر

عم النبيّ وذو العليا ناصره

وسيد الشهداء الماجد الوزر

والقدوة السيد العباس ذو شرف

فيهم تمنى سناه الشمس والقمر

ساقى الحجيج أبو الأملاك صنوابى[1]

خير الأنام ومن تسمو به مضر

فهو الرضى في قريش والإمام ومن

خيرت له في المعال والعلى الأثر

ومن به عمر استسقى الغمام لهم

فانهل في الحين غيث السحب منهمر

ومن لأبنائه شتى العلى جمعت

تنبيك عنهم وعنه الكتب والسير

أهل الخلافة باقى الدهر قولهم

في كل سمع من أسماع الورى خبر

---

(١) صنو الأب: العم.

يكفيه فى الفخر عبد الله أولهم

مفسر الذِّكْر لامين ولاهذر

وترجمان كتاب الله حنكه

بريقه المصطفى كى تفهم السور

ويعد سبطا رسول الله انهما

إن فاق مجدهما فالسن يعتبر

تقدما شرفًا إن قدموا كبرا

والسبق للمجد لا ما يقتضى الكبر

فما كسبطى رسول الله من أحدٍ

ولا يضاهيهما فى الفخر مفتخر

وهل كفاطمة الزهراء أمهما

بنت النبى المصطفى بشر

فإنها بضعة منه وما أحدٌ

كبضعة المصطفى إن حقق النظر

ومن أبوه علىّ والنبى له

جد فقد فاق منه المجد والخطر

ريحانه المصطفى المختار مجدهما

من مجده وبهذا المجد يفتخر

والسيدان كما سماهما فهما

كالفرع ينمى على ما كانت الشجر

وهل كجعفر الطيار عمهما

أخى على فغى علياه مفتخر

هو ابن عم رسول الله موضعه

من التحفى به والبر مشتهر

واسم الأسبق إيمانًا مكملهم

سبقا بإسلامه فالسبق يعتبر

عبدُ الإله ابن مسعودٍ مقربهم

من النبى إذا ما يحجب الأخر

وابن الزبير ونجل المرتضى عمر

ونجل عمرو فهم فى صحبه غرر

هم العبادلة[1] الأعلام صيتهم

فى الفضل والعلم حتى الآن منتشر

واذكر أسامة حب المصطفى وأبا

ذر وسلمان أهل الفخر إن فخروا

وأحسن الناس صوتًا بالقرآن أبا

موسى الذى كان بالتمييز يشتهر

واعمر بمحمدة عمار وسائرهم

بالنظم أسماء أهل الفضل ما عمر

فذاك مدحته فرض وواجبة

وكلهم مدحهم دين ومعتبر

---

(١) العبادلة: عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن عمرو بن العاص.

وهو الأمير الذى هالت مواقفه

في مؤتة بثباتٍ فيه معتبر

بغى الشهادة بالأقدام فى لجب

للروم لم يثنه عن نيلها خور

ومن دنا من رسول ا لله منتسباً

فهو الكريم فإن يفخر فمفتخر

وكل من هو ذو قربى وذو رحم

منه فلم يخطه مجد ولا خطر

وخالد بن الوليد اعرف مكانته

فهو الهمام الذى فى أمره عبر

سيف الإله الذى جلت وقايعه

بالروم والفرس والعرب الألى كفروا

لولاه فى ردةِ الأعراب ما طفيت

نيرانها وغدت تفشو وتستعر

واذكر معاوية فالحلم شيمته

وكتبه الوحى للمختار مشتهر

صهر النبى أمير المؤمنين فلا

يكن بصدرك مما قد جرى وحر

فاجتهاد جرى فالكل مجتهد

والإثم بعد التحرى فيه مغتفر

ومن أصاب له أجران فيه كما

أتى وأجر إذا ما أخطأ النظر

واضمم له عمرو بن العاص إن له

سهم له مفخر في الصحب معتبر

وجندب الخير والمقداد أشجعهم

يوم الكريهة والهيجاء يستعر

ولا تناسى أبا هر[1] ملازمه

كي لا يشد له عن حفظه خبر

وأعذب الناس تأذينًا مؤذنه

بلالاً المقتفى فيه له أثر

واعمر بمدحة عمارٍ وسايرهم

بالنظم أسماع كل الخلق ما عمروا

وأبدأ بالأنصار أهل الفضل إنهم

حازوا الفخار فهم آووا وهم نصروا

هم الشعار كما قد قال عيبته

نصحًا وعضداً له والسمع والبصر

وهم كتيبته الغراء إنهم

على الطعانِ وفي ضنك الوغا صبر

هم بايعوه وهم قاموا بدعوته

والناس حرب فما خافوا ولا فتروا

---

(١) أبا هرٍ هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخرٍ الدوسي وكنيته أبو هريرة.

وبيــضت وجـه أيام لهم ظـفـرا
فاسـود للكفر وجـه واعتلى قـتر
وقــاســموه ومن وافــاهم مـعـه
فى المال حـتى أتاه الفتح والظفـر
خطيـبـه ثابت منهم وشـاعـره
حسان إن خطب الأقـوام أو شعروا
هذا فـصــيح بليغ فى خطـابـتـه
يوم الوفــادة لاعى[1] ولا هــدر
وذاك فـحل مجيـد النظم فايقـه
يوم الفـخـار ولاعى ولا حـصـر
وأفرض الصـحب زيد منهم وأبو
قتادة الـفارس الصمصامـة الذكر
وسعـد السيد العـدل الحكومة فى
بنى قــريظة لا مـيـل ولا بطر
ومن له اهتـز عـرش الله تكرمـة
ومن له بـقـيـامٍ إذ أتى أمــروا
ومنهم أنس ذو الفـضل خـادمـه
ومن بدعــوتـه جــاب له الأثر
وذو العلوم أبو الـدرداء أدومـهم
فكراً فـالأكثـر من أعمـاله الفكر

---

(١) لا عِىٌ: أى عيب فى منطقه ولا جهل.

وأعلم الصحب قطعًا بالحلال وبا

لحرام شرعًا إذا ما أشكل النظر

معاذًا القانت الأواه أورعهم

وذو التواضع لا باوٍ لا صغر

ومقرىء الصحب ذو الإتقان أقرؤهم

أبى المرتضى الزاهى به الخير

هو الذى أخذ القرآن أجمعه

من فى[1] الرسول فلم تشكل[2] له السور

علامة المؤمن الأواب حبهم

فحبهم لرسول الله مشتهر

وحب كل الصحاب الغر مفترض

من بعده فهم فى الأمة الغرر

القائمون بنصر الله ما وهنوا

والمقدمون إذا ما أخرو الخور

والأسد فى مارق الحرب الذين بهم

لم يبق للشرك لا عين ولا أثر

هم فى الخيار الخيار المرتضون وفى

سادات أهل الفخار السادة الفخر

---

(١) من فِىْ رسول الله: أى من فمه الطاهرة ﷺ.

(٢) تشكل أى فى تصعب عليه السور فى حفظها وتلقيها.

من يقتدى بهداهم يهتدى فهم

أئمة فى الهدى والأنجم الزهر

فاقصر عليهم نظام المدح عن شغف

فالمجد ستته أن يمدح الخير

واضمم لسلكهم امداحٌ نسوته

خير النساء فهن الصون الطهر

وأمهات جميع المؤمنين ومن

لهن أسنى الحلى والشان والخطر

خديجة عرسه الأولى العلى لها

مكانة عنده ما نالها الأخر

والبرة المرتضاة الأنس حين رأى

جبريل فى أفق فاغتمه الحذر

وزيره الصدق فى الإسلام ملجأه

إذ لا وزير له فيه ولا وزر

هى التى صدقته حين لا أحد

مصدق فهى الصديقة الوزر

وأم أبنائه غير الذى ولدت

مارية فكذا أدى لنا الأثر

وهى التى بشر الروح الأمين

صحت به بعد تسليم لها البشر

بيت بجنة عدن من زمردةٍ
خضراء لا صخب فيها ولا غبرُ
وبعدها ابنة خير الناس كلهم
بعد الرسول أبي بكر كما أثروا
علامة الدِّين ذات الفضل عائشة
فهي التي بالتُّقَى والعلم تشتهر
أن يحضر العلم في يوم السباق بها
يضمن لها السبق مع تبريزها الحضر
أحظى حلائله المشهور موضعها
من حبه فهو حب فيه مفتخر
فإن تغر فبحكم الحب غيرتها
وشدة الحب عذران علا أثر
وليس من خلقها لكن يغالبها
فرط الهوى فليزل عن صدرك الوحر
وتلوها حفصة بنت الرضى عمر
في حظوةٍ وتقى الفضل مشتهر
لها اجتهاد الى تقوى إلى ورعٍ
ومعى بر لدى الرحمن مبتأر
تلاوة لكتاب الله عاكفة
على اعتبارٍ فتتلوه وتعتبر

صوامة فى هجير الحر مكثرة
ذكر الإله إذا تمسى وتبتكر

قوامة والدياجى تستلذ كرى
أو تستطال إذا يرخى لها الأزر

وزينب بنت جحش وهى من عرفت
لها المكانة إذ تتلى بها السور

ومن تصدقها طالت يدين به
وفى تورعها كانت لها الأثر

الله زوّجها من فوق سبع سما
وات له وبهذا الفخر تفتخر

وسودة فلها فيهن حرمة إن
يفخرن بالسبق إن يدعى ويعتبر

هى الخليلة بعد المرتضاة بها
كان التأنس حتى عاقها كبر

وبنت صخر أبى سفيان أم حبيبة
فمجد أبيها القرم مشتهر

مكانها عنده سام بهجرتها
ثناؤها يتمنى عرفه العطر

وإن ترد ذكر باقيهن فى نسق
من كل من ضمت الأبيات والحجر

فـهن مـيـمونة هند جـويرية

صـفـيـة الطاهرات الصـون الخُيَرُ

فكلهـن بحـمـد الله ملتـحف

ثوب الحيـاء ببرد الصون معتجر

فـالكل طهـرهـن الله مـعـتنيًا

فكلـهن بتـقـوى الله مـوتزر

إن كن بالزهد من حلى الدنا عطلا

فـحليـهن التقى والـدين والخفـر

وهن أفضل أصناف النسـاء سوى

بنت الرسـول فما مـثل لها بـشر

خصصن بالمصطفى إذ مجدهن له

أعلى فـخـار قـواه لـيس ينبتـر

فقن النساء اعـتلاء فى السناء فلم

يصلحن إلا لمن فـاقت به مـضـر

حزن افتخـارًا بأن أضحين نسوته

فهـو الفخـار لمجد فـيه مـفتـخر

مـا الفـخـر إلا لمن جل الأنام به

وصرحت عن عـلاه الآى والسور

وما حكى المصطفى والصحب مدركة

بالوصف إن نظموا الأمـداح أو نثروا

ولا حكى الطاهرات الغر نسوته

هيهات يعجز عن إدراكها البشر

ولا يفى النثر والنظم البديع بها

ولا تلم بها الأذهان والفكر

فإن يُرم غاية من وصفهم أحد

برده قاصراً عجزاً فيقتصر

فكل ذى لسن بالعجز معترف

وذو البلاغة أن يطنب فمختصر

وكل لفظ بديع دون واجبهم

وكل وصف لهم إن طال مختصر

فما احتيالى فى استيفاء مدحهم

وكل باع به عن حقهم قصر

وما حلاهم بأسنى الوصف مدركة

وإن تتمَّمْ لهم من مدحهم حبر

لو أن كل لسان كان عونى فى

استيفائه لثناها العى والحصر

فليس إلا موالاة الصلاة عليه

والرضى عنهم ما امتد بى عمر

وخالص الحب لكن الرسول له

أضعافه فهو المأمول والوزر

وهو النبى الذى فاقوا بصحبته

من بعدهم وبه نعلو وتفتخر

وذكر ما ساعد الإسعاد من مدحٍ

فما القصور بتقصير فيعتبر

والعجز بعد اجتهادٍ فى الوصول إذا

ما يبذل الجهد والمجهود مغتفر

وليس ذلك عجزاً بل مآثرهم

كرمل ببرين كثراً ليس ينحصر

فكيف يبلغ ما التطويل ليس يفى

ببعضه فتساوى الطول والقصر

ودل عجز على الإدراك فيه كما

دل الحجى إن غدا بر الفتى عذر

وأى ذامٍ لمن رام امتداحهم

فعاقه عن بلوغ الغاية القدر

فما لسانى وذهنى فيه عافهما

والحمد لله لا عى ولا حصر

بل أوتيا حسن إدراك فجاءهما

من المدايح ما راقت له درر

وأجريا لم ينى بعد المدى بهما

إلى مدى شرف باغيه موتجر

وبالغا فيه كي ما يبلغاه فلا
يفوت من صحبه أنثى ولا ذكر
فإنهم فيه تنهل سحب رضى
المولى ورحمته جوداً متى ذكروا
خصا وعما فجاء المدح إذ برعا
نظمًا توفر عن إبداعه العذر
هو الوسيلة لى والمبتغى فيها
ينال مستنجز منه ومنتظر
والأجر فى حبهم طرًا ومدحهم
معجل منه فى هذى ومدخر
فيا إلهى انفعنى بمدحهم
وادخر لى الأجر فيه حبذا الذخر
واعمر فؤادى بالتقوى وحبهم
حتى ألاقيهم إذ ينقضى العمر
وأوصلنى إلى قبر النبى فلى
شوق إليه ولى فى لثمه وطر
ومن مناى مماتى عنده فعسى
يضمنى معه فى طيبة العفو
ولتحشرنى يا ربى غدا معه
فى وفد أصحابه منها إذا حشروا

ولتجرنى بالرضى والعفو عن ذللى

يوم اللقاء إن يقضى لى السفر

انتهى ما ألفيته من كلام هذا العالم المغربى الأندلسى رحمه الله وقد قصد بهذه القصيدة الرائية معارضة قصيدة الحافظ الشهير بأبى الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى رحمه الله تعالى وقد ذكرنا بعضها فى حرف الراء من الباب الثالث من هذا الكتاب، فراجعه إن شئت، ولم أقف على تمام قصيدة الكلاعى وقد ذكرنا صدر هذه القصيدة هنالك فى عدد ما جلبناه فى حرف الراء وأحلنا فى تمامه على هذا الموضع وليكن هذا آخر الكلام فى غرضنا فإنه بحر لا ساحل له.

وقد ذكرت بعض ما حضرنى فيه على قلة بضاعتى وكثرة إضاعتى، وما قصدى الحقيق علم الله بذلك سوى التبرك بآثار سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وخدمة جلاله الأسمى، والدخول فى زمرة من نال من هذا الغرض حظًا وافرًا وقسمًا، كما أشار إلى ذلك الفاضل الهمام مفتى الأنام الفقيه الشيخ الإمام خطيب بلد الله الحرام أوحد العلماء العظام حايز قصب السبق فى النثر والنظام، سيدنا ومولانا الشيخ عبد الرحمن[1] بن عيسى بن مرشد الحنفى مفتى السلطان بمكة المشرفة، حرس الله كماله وبلغه آماله، وزكى أقواله وأعماله، فى آخر مكتوب وصلنى من حضرته ألم فيه من

(١) عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد، أبو الجاهة العمرى المرشدى ٩٧٥هـ - ١٠٣٧هـ/ ١٥٦٧ - ١٦٢٨م: مفتى الحرم المكى، وأحد الشعراء العلماء فى الحجاز. معجم الأعلام - ص ٤٠٢.

هذه الخدمة بما صورته وما أفاده من إبداع ذلك التأليف اللطيف فى النعل الكريمة التى يحق لها أن تكون للهامات تاج تشريف ثم تلخيصه فى النظم الذى ذكر أنموذجه، وشرح بتلك النبذة طريقه الواضح ومنهجه فيا لها من خدمة شريفة، شارك فيها أنس بن مالك، ونعمة منيفة، بارك فيها بارك برأس مالك، فلا شك أن ما تشرف بتلك القدم بتطاول الأيدى إلى تناول فضائله، وتشير الأصابع إلى كماله، وتسعى الأقدام إلى حيازة شمائله، فتعطى جزؤ هذا السعد بيمينك لا بشمالك، وتستوفى عطاها بما يضيق عنه فضاء برودك، لدى التناول وشمالك، انتهى والله أسأل أن يحقق لى ذلك، وأن ينير بأنوار هذا القصد الجميل أرجاء قلبى الحالك، ويجعله من العمل الذى لم يُشَب برياء حتى يكون خالصاً لوجه ذى الجلال والعظمة والكبرياء.

وقد كنت عند الشروع فى هذا المنحى لم أطلع عليه أحداً من خلق الله تعالى حتى أخبرنى بعض الثقات عن بعض الصالحين أنه رأى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام، وقد قُرِّب إليه مركوبٌ عظيم بعدةٍ محلاةٍ أحسن تحليةٍ قال: فجعل الناس يعجبون من حسن تلك الحلية ولا يدرون من أهداها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا قائل يقول: هذه هدية أهداها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلان يعنى: العبد الفقير مؤلفه. فلما أخبرنى بذلك أوَّلته بمدح النعل الشريفة لأنها مركوبٌ كما تقدم أوائل الكتاب ما يشعر بذلك وحليتها وصفها ومدحها والأعمال بالنيات.

وأخبرني شخص آخر عن بعض أهل العصر أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام وهـو يمدحه بعدة أمـداح، ثم التفت فرأى مؤلفه الفقير وقد حضر ذلك المحفل المعظم وهو ينشده صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا فى المثال أو فى النعال أو كلاما هذا معناه والله أعلم.

ورأيت فى إحدى توجهاتى إلى طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام بالموضـع المشهور بالروحـاء يوم الأحد سـادس شوال سنة إحدى وثلاثين وألف أن لـى بستان بضـفة النيل من جمـلة بساتين هى لأناسٍ شتى، وكلها لم يجـر إليها ماء النيل فتعـجبت من عدم دخـوله لها مع قـربها منه، فـاحتـلت حتى أدخلت مـاء النيل فى بستـانى من غيـر كبيـر كلفةٍ فـحصل له الرى دون تلك البـساتين ففـرحت بذلك غاية الفرح وقلت ليت شـعرى[1] مـا أزرع فى هذا البستان حيث روى، فبينما أنا كذلك جاءنى رجل بمثالين من أمثلة النعل الشـريفة وقال لى: ازرع هذين فى بسـتانك فـسررت بذلك وأظن أنهمـا المثالان الأولان مما ذكرته، فأولت ذلك بهـذا التأليف والنيل نيل جعله الله لوجهه الكريم.

وقد توسلت فى نيل السعـادة إلى الله تعالى بجاه المصطفى الذى كـان نبيـا فى القـدم أن يخرجنا إلى الوجـود من العـدم، بحرمـة صاحب القـدم، صلى الله عليه وآله وسلم وقـد تمثلت بقول بعض من تقدم:

---

(١) ليت شعرى: لست أدرى.

يا ربِّ بالقَدم التى أو طائها من قابِ قوسين المحلَّ الأكرَمَا
ثبت على متن الصراط تكرُّمًا قدمى وكنْ لى منقذا ومسلّما

وأملت من كرمه سبحانه أن يكفر عنى إثمًا ويثيبنى على حسن نيتى فى مدح المثال الذى أكثرت فيه لثمًا وأعملت فكرى فى ذكر بعض محاسنه التى ليس لها اكتتام، كى أنال بفضل الكريم المنان، سبحانه حسن الختام.

وكان الفراغ من تحرير أصل هذا الكتاب بشوال من عام ثلاثين وألف بالقاهرة المعزِّية المحروسة وكتبت منه عِدةَ نسخ حُمِلَت إلى بلاد الروم وغيرها، ثم ألحقت به زيادات بعد هذا التاريخ، ثم حررت هذه النسخة بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بين القبر الشريف والمنبر المنيف بالروضة السامية تجاه الرأس الشريف لصق شباك الحجرة المعظمة النبوية، فى الناحية التى تليها سارية التوبة، فى الصف الذى فوق باب الحجرة النبوية، المعروف بباب الوفود، وكان ابتداء ذلك يوم الثلاث المبارك غرة رمضان من عام ثلاث وثلاثين وألف انتهاؤه يوم الثلاث الخامس عشرين من الشهر المذكور، وكنت أكتب كل يوم من وقت الضحى إلى الظهر فكَمُلَت ولله الحمد والمنة على هذه الصفة فى نصف شهر، وقد نظمت بعض ما ألحقته هذا المحل الأسنى ومامناى الأعظم بعد حصول هذه النعمة إلا شفاعة هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم والأمن من المخاوف دنيا وأخرى، والنفع بهذا الكتاب الذى جعلته لما ذكر ذخراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال هذا وكتب بخطه لصق الحجرة الشريفة بالروضة المنيفة مؤلفه الفقير أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى أخذ الله تعالى بيده فى يوم الثلاث منتصف رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وألف بطيبة المنورة على ساكنها وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآله وأصحابه الأكرمين أزكى الصلاة وأنمى التسليم.

* * *

قال فى الأم المنقول منه هذه النسخة ما صورته

وأقول أنا أبو المظفر محمد المدعو بشريف الدين الفاروقى الحنفى الفالمى الدكنى الحيدر أبادى قد استكتبت هذا الكتاب من ثمانية كاتبين حين مجاورتى بالمدينة المنورة سنين وكان ابتداء ذلك فى أول رمضان إلى أن كملت فى آخر الشهر المذكور سنة سبع وثلاث مائة بعد الألف من الهجرة المقدسة فى المدينة المنورة فى المسجد النبوى قريب الحجرة الشريفة من نسخة كانت مكتوبة بيد المؤلف رحمة الله تعالى عليه وكل ذلك بقصد التبرك بهذا النبى الكريم عليه ألف ألف تحية وتسليم آمين.

يقول مصححه بمطبع دائرة المعارف النظامية كان الله له: إن من حسن الاتفاق تطابق شهر طبع هذا الكتاب مع شهر كتابة أصل المؤلف فى شهر رمضان المبارك وأيضا كما كان الفراغ من تأليف هذا الكتاب فى شوال كان فراغ الطبع أيضا فى شوال ولله الحمد على تطابق الفرع بالأصل.

وقال فى آخر النسخة الأخرى التى قوبلت بهـا وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب يوم الأربعاء رابع شهر شعبان سنة سبعين والف على يد أحقر العباد وأفقرهم إلى مغفرة ربه عبد الفتاح الأشمونى المعترف بذنوب العيوب، المعترف بعيوب الذنوب، مستغفراً ومصلياً ومسلماً على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وقال فى آخر النسخة الأخرى التى قوبلت بها أيضاً: وكان الفراغ من هذا التأليف على يد كاتبه الفقير عبد الفتاح الأزهرى يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة سنة خمس وستين وألف وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾.

* * *

التقريظات المكتوبة على الأمهات القلمية المنقول عنها

هذه صورة تقريظ لشيخ الإسلام العالم العلامة، والحبر البحر الفهامـه، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث المالكى الصديقى أعلى الله درجاته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُ من رفع أَحْمَدَ مقـامًا عليًا، ونصب له فوق رواق الملكوت ومـعارج الجـبـروت لواءً خـفَّاقًا منشورًا ومطـويًا، وشرَّف بقدمِه الشريف، ومقـدمه المنيف ذروة الجوزاء وأثير الثريا، وأعقب لعـقبه المبارك ما أكسب النواظر قرة، وأعاد رميم الخواطر حيا، وأكرم من أجل قامتـه الكريمة، وهيئته الفخيـمة، قبيلاً وعنـصراً، وأرومة[1] وفخـذاً، وساقًا وحـيًا، وملأ باطنه الأزهر، وصدره الأطـهر علمًا ويقـينًا، وإسلامًا وحيًا وحيًّا، وجـعل وجـهه الـشريف، وظهـره المنيف، قبلة يتوجـه إليها من كان عند الله وجيهًا مـرضيًا، وأكمل ذاته المنيرة كمالا ذاتيًا، وطلعتـه المزهرة نوراً مزهراً بهيًا، وجمع له من صفات الـكمال، ونعوت الجلال، ما لـم يهيأ لأحدٍ فلم يتـهيأ وخص نعله الرفـيع بأن جعله لرؤس الرؤس تاجًا ولأجـياد الجياد حُلِيًا، وقدَّس بها أرضًا مباركة الرسم والوسم والمُحيًا.

---

(١) الأرومة: الأصل.

وأشهد وحبذا تلك الشهادة التى هى بالسعادة قاضيه، ولنَيلِ الأمانى موجبة مستقبلة وماضيه، بأن الله الذى تفرد فالكثرة فى ذاته محاله، وتَوحّدِ فالآمال ليست إلا على فضله محاله، ذو الجلال والإكرام والكمال والإعظام فى كل آونة وحالة، أبدع من صنائع الحكم محكم المصنوعات، وأسدى من سوابغ النعم توابع المبدعات، متفرقات ومجموعات، فهى من حضرته مستفادة منها له، سبحانه من إله أفاض علينا جوده وأفضاله، وأماط عن قلوبنا رين الرّان والجهالة.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذى أزال بنور نبوته حنادس[1] الضلالة، وخصه بجوامع الكلم، ومجامع الحكم، وعموم الرسالة، فكانت الكمالات مفرغة عليه منهالة، والمقصور عليه حسن البيان والإيماء والإشارة والدلالة، والمستند إليه معارف التحقيق وعوارف التصديق فى المقالة، والمصطفى من خير الجراثيم والعرانين، والمرتضى من أكرم القبائل والأساطين، ذوى الأحساب والجلالة، من تقاصرت عن مبادى مقدمات جلاله وكمالاته آيات ذوى النهى والبسالة، وتقاعست عن استبصار موجهات إفضاله غايات أفكار مبدأ أمرها السهى فلن تدرك نظيره ولأمثاله، صلى الله عليه صلاة تستشرف عرائس الجود من مقاصير الجواد، وتستنشف هرائس السعود من موائد الإمداد، وتتفيأ من الدوح الرحمانى ظلاله، وسلامًا يفوح نشره فيزرى بالخزامى والعبهر،

---

(١) حنادس جمع حندس وهى شدة الظلام أو الظلام الحالك.

ويستروح من أرج ريحه المسك والعنبر، فلن يبلغ أحد فى الكمال كماله، وعلى آله وصحبه البلغاء اللمس، والفصحاء القمس، الذين ما منهم إلا وفتح الله لعين قلبه الحكمة وجلاله، فأنَّى يتسنى لصحب مقام أو يدانى ما اطلع الله فى فلك السعود لأهل المداد والجود برقة وآله، واطلع بدر الرشاد، فى أعظم هاله، آمين.

أما بعد فإن الفضائل وإن تشابهت فى الأبصار رياضها، وتشاكلت فى الأنظار غياضها، وهى فى البصائر متباعدة المرامى متباينة الأطراف، متقاعسة الأكوار شاسعة الأكتاف، وأجلها ما كان لعقود الأوهام حلالاً، ولأفهام ذوى الإفهام مدامًا وحلالاً، وأعذبها ما كان حلو الجنى والقطاف، محمود العواقب شهى السلاف، مديد الظلال رسيخ القدم، سمى المنال رفيع العلم، لا سيما ما تعلق بمن سما وتحقق إجلاله وتسلسل صافى ورده وتراسلت أنباؤه وأنواؤه نبى الأنبياء ولا فخر، صفى الأصفياء ولا نكر، من تشرفت المجامع باسمه الأسمى، وتشنفت المسامع بذكر ماله من المقام الأسمى:

صدورُ معاليه مطالعُ أنجم ... لها فى صدور المعتدين مَغارِبُ
تزيدُ على شهب المجرّة كثرة ... جيوش بها يغزو العدا ومقانبُ
وأكثر ما قد قاده من مقالب ... خلال جلال حازها ومناقبُ
مراقٍ من العليا والعز ما ارتقت ... إلى مثلها شهب الدجى والأشاهبُ
أفاض نداه مغنيًا عن سواله ... فما عز مطلوبٌ ولا ذل طَالِبُ
وجلى هداه ليل كل ضلالة ... فلم تدج من ليل الضلال غياهبُ

نجوم هُدى تجلو الدُّجى ما لنورها

غـروبٌ وأنوارُ النـجـوم غـواربُ

وسحْب ندًى تشفى الصداما لمائها

نضـوب أمْواهِ السحـاب نواضبُ

وما باعد الأعداء عن هديه سوى

نفوس أضـلتها الأمـالى الكواذبُ

وقــرب منه المهــتـديـن هداهم

فـفـاز بما خاب العـدو المجـانبُ

ورى قدحه فى الفعلِ والقولُ وارتدى

بأنجح قـدح فيـهما وهـو ضاربُ

ففى صدره بحـرٌ من العلم زاخرٌ

وفى كفه غـيثٌ من الجود ساكبُ

فـمن يور زنداً أو يغص زجاجـة

فما قدحه حابٍ ولا القدح خائبُ

ختـام الرسل وفتـاحهم، وشمس إشـراقهم وصبـاحهـم، عليه وعليهم أفضل صلاة وتسليم، وأشرف تحيات يتحملها نسيم.

وكان مما دخل فى هذا السلك السعيد، والعقد النضيد، والرحب الرحيب، والبر القسيب، البـحث عن نعل تلك القدم المقدم سماءً وأرضًا، والمتوج به رؤس الرؤس طولاً وعرضًا، كـيف وثراه الثريا والأثير، ولم لا وقد تُدكْدَكَ من هيبته يلملم[1] وثبير.

(١) يلملم ميقات الإحرام لأهل اليمن.

نعل سما فوق هام الفرقدين[1] وما

داناه تاج على رأس وإن صعدا

هو الهلال الذى قد شق فى فلك

من أجل هيبة من لله قد سجدا

فبزاهى زهرته يتشرف المثال، وبباهى نضرته تضرب الأمثال، فقد جمع من شتات الكمال ما تفرق، واستوكف من ظلال تلك السحائب ما تألق نوره وأشرق، وسح[2] سحاب سماء فضله وأغدق، استوكف السماء شرفًا، واستنزل الأفلاك غرفًا.

وقد قلت أيضًا فى مثاله وإن لم يكن له مثال، وأنى لأحدٍ أن ينال ذلك المثال وهو ما تراه:

تمثال نعل أضاءت شمس غرته	فاكسبت نور بدر التم إشراقا
وأعلنت بلسان الحال صورته	تصوير صورتنا معناه قد راقا
من ذا يماثلنا من ذا يناظرنا	حزنا من المجد أجيادًا وأطواقا
فلا برحت تزينا حسن صورته	تجلو قلوبًا عماها عم إشفاقا

ولما وقفت للوقوف على هذه الفوائد التى يرحل إليها والفرايد التى يعول فى هذه المقاصد عليها، فى هذه المهمة الفياح، والمهيع التى تتقاصر عن مباديه البطاح، والمورد الأطيب، والمنهل الأعذب، والمصدر الذى ينحو نحوه القلوب فإليه تعمل ولا تهمل لفريد الزمان، ووحيده وتاج رأس الأوان، وحلى جيده نادرة الدهر، وقرة

(١) مثنى فرقد وهو نجمٌ قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع يهتدى به [النجم القطبى] وبجواره نجم آخر مماثل له وأصغر منه وهما فرقدان. المعجم الوسيط ج ٢.

(٢) سح اى نزل المطر غزيرًا او امتلئ السحاب بالمطر.

عين، ودرة عقد العصر بلامين، فخر الأنام وكشاف معضلاتهم، وسعد أئمة الإسلام وسيد سرواتهم، من ورث العلم كابراً عن كابر، وعم بسعد أبيه وعمه البادى والحاضر، وأخذ هذا السر عن أهله ذوى السرائر والبصائر من شفت وصفت منه السرائر والضمائر

مولى تفرد عن كرام وجوههم
وبنانهم للمجتلى والمجتنى

فاقوا الأنام على وهم من جنسهم
ومن الحجارة أثمد فى الأعين

وما أحقهم بقول من قال فى هذا القبيل وقال:

تعاصر عنك الفاخرون وأحجموا
وخيل المعالى غير خيل المراكب

فإن زعم الأقوام انك منهم
فخارا فإن الشمس بعض الكواكب

إمام العلماء غير أنه خطيبهم، وقدوة الأعلام إلا أنه رئيسهم وأريبهم:

إمام متى يشدى بذكراه تستطر ... قلوب وأسماع سروراً وتشده
وكم نزه الألباب فى حسن منطق ... ملقى بتحميد القلوب منزه
وعلم بمأثور الحديث منبه ... على أنه يروى عن ابن منبه
سحبت على سحبان ذيل بلاغةٍ[1] ... فأصبح عيياً كالعيى المفهمه[2]

---

(١) سحبان: عربى ضرب به المثل فى الفصاحة فيقال أبلغ من سحبان.
(٢) العيى المفهمه: من انحصر لسانه عن النطق وعدم حلاوته.

جامع شوارد مفردات المعقول والمنقول، حايز قصبات السبق وأنّى يكون لأحد للحاقه من وصول، ساحب أردان البلاغة فوق صحائف المعارف، وسابق فرسان الفصاحة فى ميادين العوارف، الشمس التى أضاءت به المشارق العلمية، وإن كانت غربية، واستنارت به الشوارق البهية، وإن كانت كلماتها عن غير الاستضاءة بها أبيه، معارف يقمر فجرها فى أفق ذلك الغربى ويشمس، وتزيل وحشة من سلى عن غيرها فى الغرب وتؤنس، عماد لم يسمح الزمان له بنظير، ولم يسبق بنافع نفعه، وإن روى عن ابن كثير، فما أحق ذلك المشرق الذى أضاء به ذلك الكوكب الغربى، وجاد جود الجواد به فى هذا الأفق المصرى، وإن كان قبل أبى يقول القايل: فالشمس بالقوس أضحت وهى نازلة إن لم يزرنى وبالجوزاء إن زال مالك أزمة التحقيق وسيد أهل التصوير والتحقيق منطيق منطق الزمان وفخره، وتحريره وتاجه وجيده وتحريره، علامة المشرق والمغرب والعلامة التى أنباء فضائله ينبى عنها الملوان ويعرب الشيخ الأمجد والمحتد الأوحد، أحمد بن مولانا الشيخ البركة محمد المغربى المقرى المالكى مذهبًا، الشاذلى طريقة وأدبًا، أدام الله للعالمين أنسه، وأشرق فى هذا الوجود بجوده شمسه، ولا برحت ألوية معارفه على رؤوس الأعلام خفاقه، وبحار معالمه فى جداول مكارمه على رياض الأفهام دفاقه، وهى فوائده التى عقد عقد بيانها وأحكم آى قرآنها وحلى بجلية العرفان جمانها فى كتابه المسمى بفتح المتعال فى وصف النعال، الذى ما سمح الدهر له بمثال، فى

ذكر ما للنعل الشريف من الصفات والإجلال، وكان ذلك بعدما أشار على وقوفى على ذلك الطراز المُحلَى والقدح المُعلَى، وأن أكتب عليه ما تسمح به القريحة من التقريظ والترصيع، وتتسع له الصحيفة من التوشيح والتسجيع، وعلمت أن ذلك سبيل ليس لمثلى أن يسلكه، ولا لمن كان على قدرى أن يقود زمامه ويملكه فأحجمت عن ذلك إحجامًا، وقلت: إنى نذرت للرحمن صيامًا مخافة واحتشامًا، ثم لما علمت أن أمره قد ورد على سبيل الإيجاب، وإن قاضى الإنصاف لا يرضى إلا بشهادة الحق وقول الصواب، فأقدمت بعد الجموح، ودخلت إلى رحبات التوكل من باب الفتوح، فاستخرت الله تعالى فى الإجابة، مقبلاً بكليتى على طواعية ما أندبنى إليه من هذه الجريبة المستطابة، وتأملت ما فى مطاوى هذا البرد المفوف الأردان، المطرز الحواشى بما هو أحسن من قلائد العقيان، فرائد الجمان، وذكرت قول ربنا المنان: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1]، وعلمت أن هذا السر ليس إلا من فتوحات الغيب يأتى وينساب، ولا لأحد عليه طاقة ولا يدخل إليه من باب، وما هذا الناظم لهذا العقد الفريد إلا عبد أنعم الله عليه بما يعجز عن وصفه الكتاب، ولا يدرك شأو، وتحار دون أدنى معرفته الألباب، ألفاظه جزلة المعانى متناسقة الأطراف، متواخية الدلالة متشاكله الأكناف، سحرها حلال، وسكرها زلال، وروضها أنيق، وأرجها عبيق، كم سحرت تلك

(١) سورة الرحمن الآيات: ١ ـ ٤.

الألفاظ فعقدت لسان شانيها، وحلت سويداء قلبه عند ما جلت أقوال منشيها، فقلت الله أكبر: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾[1]، أو روضة حسن حورُ معانيها عليها تقصر، أو جنَّة فضل عليها تعقد الخناصر ولا تهصر[2]، لكن أقبلت بعد ما وصفت على نفسي بالتأفيف[3]، وعاتبتها عتاب الزاجر باللوم العنيف والتعنيف، فقلت: من أين للروضة الغنا هذا المعنى حتى أجياد الجياد لها تثنى، وتستوجب أن تهتز لها منابر الخطابة إذ عليها يثنى، الدر يلتقط من جداول حروفها والثمرات بأنواعها تجتنى، من أفنان صنوفها وأصناف قطوفها، أرج المسك يُشْتَمُ من خلال سطورها، وعبير العنبر يُسْتَنْشَقُ من رياض منثورها، ومطاوى منشورها، قد أخرس والله منشئها ألسنة اللسن فما تجسر أن تقول، وقصر باع حاكيها فلا يستطيع أن يحوك على منوالها أو يطول، وأنى لهما الوصول من هذا الفضل الذى كم بينها وبينه من فصول، وإن حاولا فما أخَالُهُ[4] إلا من الفضول:

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل

لقد اجتهد والله فى ترتيبها على أحسن الوجوه، فقلَّد أعناق الأدباء بذلك منا، وأذاقهم من حلاوة ألفاظه التى تنفطر لها مرارة الحسود منّا، فما وسعه إلا أن يتلو على نفسه وما منا، وشهدنا بأنه

---

(١) سورة المدثر: من الآية (٢٤).

(٢) يهصر: هصر هصراً: كسر الغصن. وهصر الشيء هصراً: مال والهَصِرُ الأسد المعجم الوسيط ج ٢.

(٣) تأفف: أى استعلاء وتكبر.

(٤) أخاله أى أتخيله.

زهير الزمان ونابغته، وقُسُّ[1] هذا الأوان ونادرته، بل لو كان لبيد[2] فى عصره لقطع إليه الفدافد والبيد[3]، أو طرفة بن العبيد، لقال: هذا هو الطرفة وأنا المريد، أو هذا السيد وأنا من العبيد، خير اعترف به كل طويل النجاد، بالقصور عن منازل أبياته وخضع كل كثير العناد، عند ظهور آيات فقراته، وحين عاينت ما لذ ذو وقع على حسن سبكه الأجماع، ويا نعم ذلك الإيقاع، فرقيته لما راق من سمعى ورق، وأخذ بمجامع مع قلبى واسترق، وتلوت قول ربنا ﴿الذى خلق، خلق الإنسان من علق﴾، ﴿قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق﴾، فلله دره فى هذا الصنع الناصع، والبديع البارع، والمفرد الجامع، أُجِلُّ معانيه أن يحصرها بيانى، أو يسطرها بيان قلمى أو قلم بنانى:

وأين الثريا وأين الثرى　　　وأين الحسام من المنجل

وهذا وإنى إليه لمعتذر، وإلى عفوه عن مثل هذه الفقرات لمفتقر، طالبًا من حضرته دعوة رحمة وانعطاف وإمدادٍ ونظرة إسعاف، وله الحمد سبحانه على أن أرانا مثل هذا العزيز فى مصرنا، وأبرز مثل هذا الإبريز بين أظهرنا فى عصرنا، وقد استوفينا ولله الحمد ما قصدنا فى هذا الموضع من الغرض آخذين من هذا العين تاركين

---

(١) قس هو قس بن ساعدة الإيادى الفصيح البليغ المعروف فى العرب قال شوقى عن أحمد عرابى:

إذا جئت المنابر كنت قسًا　　　إذا هو فى الزحام على السادا

(٢) لبيد: شاعر معروف من فحول الشعراء وكذا طرفة بن العبد.

(٣) الفدافد والبيد الصحراء والوديان ، والفدافد الأرض الواسعة والبيد من الطعام الردىء والبيداء الفلاة جمع بيد المعجم الوسيط ج ١.

للعرض، غير ناظرين إلى انتقاد منتقد أو إلى اعتراض من اعترض، والصلاة والسلام على من هو للأنبياء الفَتّاحُ والختام، وعلى آله الكرام، وصحبه العظام، ما غَرَّدَ الحمام وازدان نورٌ بكِمَامٍ، والحمد لله على الدوام والسلام.

قال ذلك ورقمه العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوارث الصديقى المالكى عفا الله عنه آمين.

* * *

صورة تقريظ لمولانا الشيخ أحمد بن محمد الغنيمى الخزرجى الأنصارى رضى الله عنه وأرضاه.

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمه اللطيف أحمدُ من خَصَّ بالكمالات أحْمَدُ، وعنه شَقًا شِقُّ الحسَّاد أخرس وأخْمَدَ، وأنالَه من حضرته العلية أجل مقام أمجد، وجعله السابق بالذات فلا يدرك مقامه ذو عزيمة تكاسل أم جد، وأصلى وأسلم على أحمد العالمين، محمد وآله وصحبه الطاهرين الظاهرين، وأشهد أن لا إله إلا الله الذى من شاء جماله أشهد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى رأى الشمس طالعة فقال: على مثل هذا فاشهد.

وبعد فلما منَّ الله العظيم على خدمة العلم الشريف بالقاهرة المعزية، والأقطار المصرية، بعين أرباب الكمال والكلام، صدر الإسلام لسان الحق الناطق ببيان الحلال والحرام، يد الزهادة ومنهج

الطريقة، وهو السرى، بل البرهان على الحقيقة، من خضع له العلماء ودانو، أو تطامنو، والترفعه بالمعارف واستكانوا، فقد امتطى رتبة الجد إلى درك المرام.

وأنشده صدق العزيمة إذا قالت حزام: سلك مسالك التحقيق، وتتبع مواقع أقطار الفضل والتدقيق، حتى فاز بالقدح المُعَلَّى من بغيته، وبلغ إلى غاية المعالى بهمته، وجليت عليه عوانى المعالى فتملى وتحلى، فياله من إمام همام، طالت منه الفروع والأصول، كما طابت العناصر فهو المقول، فى حقه كم ترك الأول للآخر، أعنى به مولانا وسيدنا حافظ العصر، ونادرة الدهر العلامة الفهامة الأوحد أحمد بن الشيخ محمد المقرى المالكى حمدنا الله على ذلك، واستبشرنا من أنفاس معارفه بعود دروس قد درست فيما هنالك، وبه حيى الجود، ومات كل جاهل وحسود، فدعونا الله سبحانه بأن يديم إقامته بهذه الديار، لينفع الطلبة، بل والعلماء الأبرار، غير أنى فهمت من حاله الشريف أنه قوَّض للسفر الخيام، شوقا للوطن والأولاد والاجتماع بأولئك السادة الأعلام، لما شرفنى بالوقوف على مثال نعله الشريف الذى بترب عبيره يتمسك، وبتقبيله ووضعه على الرأس، وحفظه ينادى لسان الأسرار بَشَّرت فإن الضرورة والنار لن تمسَّك، فى تأليف له سماه: «فتح المتعال فى مدح النعال» فتصفحته ليلة كاملة حرفًا حرفًا، وأقريته من التقبيل ألفًا، فوجدت وصفه كإسمه فتح المتعال، فعند ذلك تحيرت فى وصفه وفيما فيه يقال، فقد بلغ فى ذروة المعالى والمعانى

والمعارف فأحيا موات القلوب بتلك اللطايف، فاتضح بها ما أشكل من معضلات الأمور، وأبرز بمقاطر أقلامه ما كان مكنونًا فى الصدور، فما قلايد عقيان بأجياد وصائف، وما فراء يد أخبار فى سطور طروس[1] معارف، تالله ما هذه إلا أنفاس إلهية عاطرة هبت من المبدأ الفياض، بعوارف المعارف، وظرائف اللطايف، والمدد الفضفاض، وعلى الجملة فما رأيت والله من نسج على منواله، ولا أتى بمثاله، ولا أقول إلا حقًا، ولا أتكلم إن شاء الله تعالى إلا صدقًا، فعين الله تعالى على منشئه، وعنايته الصمدانية على مخترعه ومبدئه، آلا وهو مولاى وسيدى ومالكى أحمد بن الشيخ محمد المقرى المالكى:

أعد ذكر من أهوى ودعنى من الكنى

فلا خير فى اللذات من دونها ستر

قاله وكتبه عجلاً خجلاً امتثالاً لأمر مولانا المذكور أعلاه صاحب العرفان، وإلا فهذا العبد الضعيف ليس من فرسان هذا الميدان، وخصوصًا مع ما به من الضعف ومزيد الاشتغال للبال، من هموم وغموم متراكمة والله تعالى هو العالم بحقيقة الحال، أحمد بن محمد العثيمى الخزرجى الأنصارى فى ساعة من الليل وأنا تصبان، فلا أخذ بما فيه من تحريف ونقصان إن كان، ومثل مولانا من يُصلح الخلل، ويستر الزلل، وها أنا سايل من فيض فضله وإحسانه ان لا ينسانى وأولادى وأصحابى من الدعوات بالعفو والعافية

(١) طروس: جمع طرس وهو الكتاب أو الصحيفة - ج ٢ للمعجم الوسيط.

والستر إلى الممات فإن اعتقادى أن الدعاء منكم وخصوصاً بظهر الغيب، متقبل بلا ريب، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه آمين انتهى، وهذا نص ما كتبه بحروفه حفظه الله وأبقاه.

* * *

هذه تقريض أيضا للشيخ العلامة عالم الشريعة الطاهرة الشيخ عبد الكريم القاضى بالقاهر، رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا تصح المحامد إلا له، والصلاة والسلام على نبيه النبيه محمد خاتمة رسالة الرسالة، وآله المتفيئين من دوح الشرف الرفيع ظلاله، وصحبه الفايزين بالقدح المُعَلَّى من السؤدد فيَّاله، ما تبسمت ثغور الزهور من بكاء الغمائم، وترنمت على منابر الأفنان خطباء الحمائم.

وبعد فلما عُدْتُ إلى كنانة الله متقلداً صارم القضاء والعود أحمد، وألفيتها مشحونة بالسادة الفضلاء ولا سيما واسطة القلادة العلامه الأوحد أحمد، وقد ترامت به قسى الأسفار، وتلاعبت به صوالجة الأقدار:

فينتحى تارة نجداً وأونه شعب العقيق وأخرى قصر تيماء

سايراً كنسيم الأسحار، من ديار إلى ديار، حتى أراح الدهر عنه وعثاء السفر بإناخة المطيه بالقاهرة المعزية فابتسمت به ثغورها، وتضاعفت بوجوده سرورها، وتلألأ من جانب الغربى نورها،

أشرقت الشمس من المغرب واكتحلت عينى برؤياه، ونظمنى سلك المجالس وإياه، وملأت السمع منه كلما تحسد العين عليه الأذنا، فتعطر منزلى تارة بعبير أنفاسه، وتارج أخرى بعنبر أنفاسه، وجمعتنى وإياه لحمة الأدب، التى تقصر عنها أخوة النسب، فأسفرت أسفارى عن صفقة الرابح، والميزان الراجح، كيف لا وهو العلم الفرد فى تحقيق العلوم وتقريرها، والجهبذ الفذ فى تحرير الرسوم وتحبيرها وصاحب الذهن المتوقد فى فهم المشكلات وحل رموزها، وصائب الفكر المتوهج فى فك طلاسمها وفتح كنوزها:

يحل رموزاً لا يرى من يحلها

وما شذ فهماً من كلام الأوايل

عالم أجمع العالم على انفراده ما بين أفذاذ الدهر وأفراده بحر زاخر يتلاطم أمواج الفضايل عبابه، وحبر أذخر لفتح ما أغلق من عويصات العلوم بابه، ومرجع اتخذ لتيسير ما عسر فى الاستخراج على ألباب الكمل لبابه، أخذ بلهام أبيات العلوم فذلل جامحها، وسهل طامحها وأدنى من قطوف المباحث العلمية ما كف مطامع الأناظر ومطامحها:

طبع الامام على الخلاف وفضله فى الناس مسئلة بغير خلاف

طرز ملل العلوم بوشى أرقامه ورمى أغراض الفنون بسهام أقلامه:

سهام إذا أمارا شها بنانه أصاب بها قلب البلاغة والنحو

تنزه عن مواقع القذى الخطاء مناهل أنظاره، وصحت من غمام

الأوهام آفاق أفكاره، وشح ببراعة براعته صدور المهارق، وأتى من معجزات بلاغته بالخوارق، إن نظم أزرى بعقده الجمان والثريا أو نصر أخجل زهر الروض الباسم المحيا، له منظوم أرق من الدمع، ومنثور يقطب بنان السمع، بكل لفظ كأنه نَفَسٌ غير مَل، لطول ترديد إذ أنطق يطلع نور الفضل من أفق بيانه أو كتب يجرى زلال الأدب من ميزاب قلمه ببنانه:

قلم أقام ولفظه متداول ما بين مشرق شمسها والمغرب

هو المتقدم فى البلاغة وقد أربى على سحبان وايل، والمتأخر زمانا وقد أتى بما لم تستطعه الأوايل، استخدم القلم فأعرب، وأغرب وأبدع فأطرب، وجاء بلفظ كاد من العذوبة يشرب:

يا رب معنى بعيد الشأو أسلكه

فى سلك لفظ قريب الفهم مختصر

فإن فاق من فى الأفاق وهو منهم فالمسك بعض دم الغزال، والياقوت بعض أحجار الجبال، وليلة القدر منتظمة فى سلك الليال، لو قيل من الفضل تجسد لصدق القائل، أو نقل كون الفضل منه تجسم لم يتهم الناقل، مناقب مثل أعداد الرمال، تكد أنامل حسابها وتتعب السن دراسها وتفنى قراطيس كُتَّابها.

لاجرم ما جمعه من الفضائل يُعْجِزُ مهرة الحساب إحصاؤه وتعداده، وربما يصلح مثالاً لكلى لا تتناهى أفراده بماذا أصف تلك المفاخر التى يضيق عن إحاطتها نطاق الأرقام، وتنضب عندها ليق المحابر وتحفى أقدام الأقلام، وبالجملة تفصيل تلك المناقب مما يطيل

إرعاف أناف المزابر، وأذراف أصناف مداد المحابر، فالأليق الأوفق الإلماح بشيء منها إذ يتعذر استقصاؤها حقيقة وكنّها:

وإن قميصًا خيط من نسج تسعة
وعشرين حرفًا عن معاليه قاصر

لم ينل أحدٌ من العلم ما ناله، ولا بِدَع فإنه لم يرث ذلك التراث عن كلاله، بل قد نبع من روض الفضل الأنق فأمدته غيوث غيوم العلوم فأمرع ونما ونبع له في تلك الرياض من ذلك المبدأ الفياض، ما روى عن النعمان عن ماء السماء:

إن السرى إذا سرى فبنفسه
وابن السرى إذا سرى أسراهما

لم تنصرف الفضايل عن ذاته العلية لأنه منتهى جموعها، وتفجرت له أنهار العلوم من ينبوعها:

ليس الدخيل إلى العلى كمعرق
ورث المعالى كابرًا عن كابر

فمن شاهد ما تكامل له من الوصف بالجميل والاستعداد تيقن أن المراد لا يتم إلا بهذا الإصدار والإيراد، وقد عجز عن إحاطة أوصافه الحقيقة والمجاز، ولو تعدى الوصف الإعجاب وبلغ الإعجاز، فكل إطناب وصف في حقه إيجاز:

تجاوز قدر المدح حتى كأنه
بأحسن ما يثنى عليه يعاب

ألقى عليه الشرف رداءه والمجد سرباله فاستعد بخدمة نعل المصطفى عليه الصلاة والسلام ما هبت الصبا فطوبى له، وناهيك بنعلين لو أن الفرقدين خيّرا أملاً لهما أن يكونا لهما بدلاً يا له من مجموع مفرد جَمَع أنواعًا وأجناسًا من المحاسن، وجرى ماء

البلاغة فى جداول طروسه غير آسن، نفث فى عقد العقول بسحره، وسبى أفئدة البلغاء بنظمه ونثره، شفت ظروف حروف مبانيه، فنمت على سلافة لطافة معانيه، كما تم الزجاج على الرحيق، والنسيم على شذى الروض الأنيق:

إنى لأقسم لو تجسد لفظه أنفت نحور الغانيات الجواهرا

فكأن البلاغة قالت: لا أعصي لك أمراً، وبحور الشعر أطاعته فاستخرج منها جوهراً ودراً، فرشحات تلك الأقلام ما فتات المسك نِدّها:

والعنبر الرطب غدا قائلاً لا تدعنى إلا بيا عبدها

فلما استكشف وجوه عرائس معانيه المخبات تحت براقع أسجاعه وقوافيه لمحت ربات حجال قد حسرت لثامها عن منظر متهلل باسم، فتمثلت بشعر الأديب الناثر الناظم، أبى الفتح كشاجم:

شخص الأنام إلى صنيعك فاستعذ من شرِّ أعينهم بعيبٍ واحد

فعلمت أن إجالة القلم بإرادة التقريض فى ذلك المحال، ليس إلا للاستعاذة من شرعين الكمال، فما أحقنى بقول من قال:

جعلت تقريضى له عوذةً تقيه من شر أذى العين

فمن تنزه فى تلك الحديقة الأنيقة والروض الأريض لا يقع البصر منه فيما حواه طرفاه على عيب سوى هذا التقريض نسأل الله الإمداد والسداد، والسلامة من الوصمة والإسعاد، بالتوفيق والعصمة والإرشاد، إلى سلوك طريق التقوى والإرفاد، بالتمسك بسببها الأقوى ما ضحك القرطاس من عبرات القلم، وأسفر ليل

النفس عن فجر الحكم، قال ذلك أقل خدمة الشريعة الطاهرة، عبد الكريم القاضى بالقاهرة جعل الله سبحانه من التقوى زاده، وعامله من نيل الحسنى وزيادة وبلغه فى الدارين مراده، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده.

* * *

هذه صورة تقريض للشيخ تاج الدين المالكى خادم العلم الشريف بالبلد الحرام المنيف:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى منح أحمد الكتاب المبين عن صحة دعواه ورسالاته، وآتاه جوامع الكلم فأتى فى المختصر من أقواله بتحصيل البيان الذى لا يستوفيه المطيل فى إطالاته، نحمده على أن زاد موطأ الهدى تمهيداً، ونشكره على أن سبك فى قوالب قلوبنا تصديقًا بما جاء به وتوحيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد ولا ند له شهادة أرجو المدخل بها فيه فى شامل بركاتها، والمخرج من الظلمات إلى النور بمصباح مشكاتها، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذى هو خير البرية من منتعلٍ وحافٍ، وصفيه وخليله وحبيبه الذى بدر كماله وفضائله إلا على أكمه البصيرة غير خاف، صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه الذين أضحت بهم فروع الأحكام المختلطة مستخرجة مدونة، وأصول الإسلام المنضبطة ثابتة الأساس مبينة، صلاة وسلامًا يكونان

لقائلهما ذخيرة وتبصرة، ومعونة وتذكرة.

وبعد فقد وقفت على الكتاب المسمى بفتح المتعال فى مدح النعال فإذا موضوعه بأن يكون محمولاً خليق، وقياس شكله الأول والثانى يقضى النظر فى تصور تصويره بالتصديق، وصغرى مقدمات أدلته ذات البراهين كبرى عند الاستنتاج، وجزئيات قواعده ذات القوانين كليات عند الاستنباط والاستخراج، وتلخيصه لبديع المعانى مفتاح العلوم التى لم يطرق بابها بعد ارتاج، كيف لا ومؤلفه راضع در التحقيق، ولبانه واضع در التدقيق، عقداً على لباته، رافع طراز سند الحديث وراياته، كشاف أسرار التنزيل، ومحكم آياته، مجمع يَجْرِى المعقول والمنقول، منبع نَهْرَى الفروع والأصول، ساحب ذيل البلاغة على (سحبان وائل):

علامة العلماء واللج الذى لا ينتهى ولكل لج ساحل

مالك أزمة اليراعة والبراعة والفضائل المنشىء الذى إذا تفقه أعيى مالكًا جدلاً، الفقيه الذى إذا أنشأ أو أنشد حرك السواكن حذلاً، ذو المدارك التى دلت على أن باب الاجتهاد الذى لم يأجه سد، والاستدراكات التى لا مدفع لواردها ولا رد، والمناسب التى أسلته من الشرف المكان النجد، والمناصب التى أعربت عن كونه عرابة راية المجد، حامل أعباء التدريس والإفتاء على مذهب مالك، القائم بوظيفتيهما فى جميع الممالك، الخطيب المُفَوَّه بمدينة فاس، الإمام المنوه به فى أرجائها الأرجة الأنفاس، الهمام الضارب علاه على قمة الجوزاء والمشترى، مولانا الشيخ أحمد ابن مولانا الشيخ

هلال علا بالغرب كان ظهوره تألق علوى السنا منه كالبرق
وما زال يسرى فى بروج كماله إلى أن بدا بدراً على أفق الشرق

حفظ الله كمال بدره فى علو مداره، وحفظه من مفارقة أوجه ومفارقة سراره، ولا زالت شموس العلوم به متألقة، وأنهارها من زخار بحره متدفقه، ورياض البلاغة عن أزهارها متفتقه، فلقد فجر فى كتابه هذا أنهار العلوم، ونثر فيه أزهار المنثور والمنظوم، وأرانا استهلال البلاغة ببراعة استهلاله، وأتى بالسحر الذى لا حرج فى القول باستحلاله، وأودع فيه من نظمه ونثره ما لم تسمح قريحة بمثاله وأبدع فى نسجه ما لم يكن فى طاقة بشر حكاية حياكته والنسج على منواله، فكأنما التقط الدرارى من الأفلاك، واخترط الدرر من الأسلاك، فَسَبَكُها تُوَقد ذكائه فى قوالب الألفاظ، وسكبها قس بلاغته فى سوق العبارة لا فى سوق عكاظ، ولعمرى قد برهن بانتشاره فيه على سعة اطلاعه، ودل على قوةيده فى العلوم وباعه، وأنه الذى تناول أفنان الفنون فهصرها، وهز إليه بجدعها فجمع إليه متساقطاتها وحصرها، وفهم بلمحات ذهنه إشارات رموزها، وحل بسحر بيانه طلسمات كنوزها، وجمع شمل العلوم بعد أن كانت كالقضايا العادمة الرابطة، أو الجزئيات التى لم تدخل تحت قاعدة وضابطة، أو العقود التى انفصمت من أسلاكها الواسطة، أو العنقود التى انقصمت حباته فلم تجد لساقطته النفيسة لاقطه، وكان رابطة قضياتها، وضابطة جزئياتها، واسطة عقودها

ولاقطة حبات عنقودها، وأضحت مداركه منتهى جموعها المختلفة، وأقام بمعارفة وزنها ولا ينكر فى أحمد الوزن والمعرفة، فالله أسأل أن يديم اجتماع شملها به، ويطلع شمسها مستمدة من ضوء شهابه، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

قال ذلك وكتبه الفقير تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المالكى المكى خادم العلم الشريف بالمسجد الحرام المنيف، والخطيب والإمام ببت الله الحرام، بذلك المنبر والمقام، رزقه الله تعالى حسن الختام.

* * *

هذه صورة تقريض للأستاذ العارف صاحب المعارف والموارف سيدى أبى الاسعاد وفاذى المقامات والكمالات والاصطفا رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل حَمْدَ أحْمَدَ العالمين واجبا فى سائر الدوائر، وصير تراب نعله الشريف الذى لا مثل له إثمد الأبصار والبصائر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا إن شاء الله من أعظم الذخائر، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله الذى اصطفاه من أطيب العناصر، وفَضّله على الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أولى المناقب والمآثر، وجعلنا وأحبابنا وذرارينا من خُدَّامِ خُدَّام نعله الشريف الطاهر، آمين.

وبعد فلما رأيت (فتح المتعال) الذى يعجز عن وصفه المقال،

وظفرت بمشاهدة غُرَرِه، ومطالعة دُرَرِه، قلت مخاطبًا مصنفه فسح الله تعالى فى مدته، وأعاد عليَّ من بركته:

أسيدنا أبا البركات أبشِرْ	بما فوق المؤمل يا إمامُ
لآلى العلم أنت لها نظام	وكتبك للأنام بها القيامُ
فدم واسعد بتأليف وبثٍّ	فمثلك من يُرام له الدوامُ
ولا زال البرية منك تحظى	بحظ لا يكون له انفصامُ
بجاه محمد خير البرايا	ومن بقدومه رحل الظلامُ
وآلٍ ثم أصحاب كرامٍ	لهم فى السؤدد الهمم العظامُ
مدى الأيام ما مدحت نعال	لها فى ذروة العليا مقامُ
وأبديتم بمدحتها علومًا	منوعة سحائبها سجامُ
وراقمها أبو الإسعاد لمّا	رأى من فضلكم ما لا يرامُ
بجر فاعذروه ولا تلوموا	فما سور القريحة لا يُلامُ

ولما خاطبته بهذه الأبيات التى تُعرِب عن كنيته وتُعَرِّف بوصفه وحليته، وقلت أيضا مخاطبا له:

خدم النعال أجله	لكن كخدمتكم فلا
خدموا بصدق كلهم	حقًا وفازوا بالعلا

فعلمت أن هذا المصنف من المدد المفاض، لأنه أبهج من أزهار الرياض، وأحسن من الوجوه الصِّبَاح، وأبلج من أنوار الصباح، وأملح من أطواق القِمَارِى، وأزكى من العود القِمَارى، فلله در مصنفه الذى هو إمام العصر فى المغرب والمشرق، وخطيب جامع

الفضل الأزهر المشرق، أدام الله تعالى نفائس أنفاسه العلية، وجعله هو ومصنفاته نفعًا لساير البرية، وزاده منحًا وإسرارًا، ورزقه فى هذه الديار قرارًا، آمين قال ذلك وكتبه الفقير أبو الإسعاد وفا حسبه ربه وكفى.

ووجدنا على لوح النسخة المقابل بها قال صاحب هذا التأليف البديع شكر الله صنيعه: مما ألفته بمصر المحروسة وحرر منه هذه النسخة وجميع الزيادات على ما كان بمصر المحروسة بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام بين القبر الشريف والمنبر المنيف بالروضة الزاهره، عند شباك الحجرة التى أنوارها باهره، وبالقرب من ناحية الرأس الشريف وبعد الفراغ من هذا التحرير أدخلته الحجرة النبوية وتركته يومين وليلة تحت الستر الشريف على الصندوق الذى هو علامة على ناحية الرأس الشريف وكل ذلك بقصد التبرك بهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، فلهذه النسخة بذلك مزية وفضل والله ذو الفضل العظيم، وكان تاريخ ما ألف بمصر سنة ثلاثين وألف وتاريخ هذا التحرير بطيبة الغراء التى أضاءت بأنوارها الغبراء برمضان سنة ثلاث ثلاثين وألف والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين آمين.

ثبت بأهم مراجع التحقيق

* القرآن الكريم.
* تفسير القرطبى ـ للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.
* تفسير الكشاف ـ للإمام محمود بن عمر الزمخشرى.
* تفسير البحر المحيط ـ لأبى حيان التوحيدى.
* صحيح البخارى ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخارى الجعفى.
* صحيح مسلم ـ للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى.
* سنن ابن ماجه ـ للحافظ أبى عبد الله محمد بن القزوينى.
* سنن الترمذى ـ لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة.
* صحيح ابن حبان ـ علاء الدين على بن بلبان الفارسى.
* المستدرك على الصحيحين ـ للحاكم النيسابورى.
* الجامع الكبير ـ للإمام جلال الدين السيوطى.
* خادم النعل الشريفة ـ الحافظ السيوطى ـ خ برلين رقم ٩٧٤٤.
* روضة الصفا فى وصف نعال المصطفى ـ أحمد سليمانى زاده الطرابلسية برسم خزانة السلطان عبد الحميد الثانى خ ١١٨٩ خسرو باشا ٤٠ دار الكتب ١٩١٢٤.
* مثال نعال النبى ﷺ ـ يوسف بن إسماعيل النبهانى ١٣٥٠ هـ ط سركيس ١٨٤١.
* صفة نعال النبى ﷺ ـ أبى اليمن بن عساكر بن عبد الصمد بن عبد الوهاب ٦٦٠ هـ خ طاهرية ١٦ ورقة ـ ٢٠.
* فتح المتعال فى وصف النعال ـ أحمد بن أحمد المقرى ١٠٤١ هـ حيد أباد سنة ١٣٣٤ خ دار الكتب ٢١٤١٤ الطاهرية سيرة ٥٩ الأزهر.
* منهاج الفوارق للقاضى عياض ، مخطوط.

- الضعفاء لابن الجوزي ، مخطوط .
- التاريخ الكبير - البخاري .
- لسان الميزان - ابن حجر .
- تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة الدينوري .
- تثبت دلائل النبوة - القاضي عبد الجبار الهمذاني .
- مرآة المروآت - الثعالبي .
- عيون الأخبار وفنون الآثار - القاضي النعمان .
- عجائب الخطب - ابن الجوزي مخطوط .
- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - المقريزي .
- عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان - البدر العيني .
- تشنيف السمع بانسكاب الدمع - الصفدي .
- تهذيب اللغة - لأبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري اللغوي .
- الكامل في اللغة والأدب - للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر بن عمر البغدادي الحنفي .
- مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .
- حلبة الكميت - شمس الدين محمد بن الحسين النواجي .
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام - السبكي .
- الكواكب الدرية في مناقب السادة الصوفية - محمد عبد الرءوف المناوي .
- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - ابن زيني دحلان المكي .
- جواهر الأدب - أحمد الهاشمي .
- معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ - صلاح الدين المنجد .
- الحاوي للفتاوي - للشيخ جلال الدين السيوطي .
- دائرة المعارف الإسلامية - لجنة من الأساتذة .
- الأعلام - خير الدين الزركلي .
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - محمد خليل المرادي .
- المعجم الشامل للتراث المطبوع - محمد عيسى صالحية .

* تاريخ آداب اللغة العربية - جورجى زيدان.
* دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى.
* البداية والنهاية - للإمام ابن كثير.
* صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء - للقلقشندى.
* الأغانى - أبو الفرج الأصفهانى.
* المنجد فى اللغة والأعلام - لجنة من الأساتذة.
* البريقة المحمودية فى شرح الطريقة المحمدية - لأبى سعيد المفتى الخادمى.
* كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - حاجى خليفة.
* إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون - البابانى البغدادى.
* هدية العارفين - إسماعيل باشا البغدادى.
* نهاية الإرب فى فنون الأدب - شهاب الدين النويرى.
* شرح الرسالة القشيرية - الشيخ عبد الحليم محمود.
* سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى.
* الأسفار الأربعة - صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى.
* إعلام الساجد بأحكام المساجد - للشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى الشافعى.
* الشكوى والعتاب - عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبى.
* الفتاوى - عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) المعروف بابن الصلاح.

***

فهرس الموضوعات

* * *

طبع بمطابع الدار العربية لتجارة وتصنيع الورق
ميتكيس



Pavilion of the Sacred Relics

The Sacred Trusts

Topkapı Palace Museum, İstanbul

Hilmi AYDIN



Author	Hilmi Aydın
Editors	Ahmet Doğru, Talha Uğurluel
English Language Edition Editors	Dr. [illegible]
Assistant Editors	Korkut Altay, [illegible]
Content Editor	Dr. [illegible]
Consultant Editors	Dr. [illegible], Dr. [illegible], Recep Çakır, [illegible]
Translations	Dr. [illegible], Korkut Altay, [illegible]
Copy-editing	[illegible]
Project Management	[illegible]
Art Director	[illegible]
Design and Layout	[illegible]
Photographer	[illegible]
Calligraphy	[illegible]
Transliteration	[illegible]
Color Separation and Printing	[illegible], İstanbul, [illegible] 2005
Binding	[illegible]

Published by The Light, Inc.
26 Worlds Fair Dr. Suite C
Somerset, New Jersey, 08873, USA
www.thelightpublishing.com

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Aydın, Hilmi.
[Hırka-i Saadet Dairesi ve mukaddes emanetler. English]
The sacred trusts : pavilion of the sacred relics, Topkapı Palace Museum, Istanbul / by Hilmi Aydın ; editors, Talha Uğurluel, Ahmet Doğru.
p. cm.
First published in Turkish under title Hırka-i Saadet Dairesi ve Mukaddes Emanetler by Kaynak Yayınları, 2004.
Includes bibliographical references and index.
ISBN 1-932099-72-7
1. Reliquaries, Islamic--Turkey--Istanbul. I. Uğurluel, Talha. II. Doğru, Ahmet. III. Topkapı Sarayı Müzesi. IV. Title.
BP186.97.A9313 2004
297'.074'49618--dc22

2004026146

ISBN 1-932099-72-7

www.thesacredtrusts.com

Pavilion of the Sacred Relics

The Sacred Trusts

Topkapı Palace Museum, Istanbul

sented to S
ble. The h

The Prophet's footprint brought from Tripoli during the reign of Sultan Abdulmecid. The gold frame and cover date from the reign of Abdulhamid II. T.P.M. Inv. No: 21/195




سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
افندمز حضرتلرينك نعلين شريفلريدر

The Sacred Sandals

According to hadith, Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, wore sandals. This kind of footwear suited the sandy environment and hot climate of the Hijaz. In Arabic, a single sandal is called *na'l* and a pair of sandals *na'layn*. The soles of the sandals were made by stitching together a few layers of tanned leather. Along with the straps ([illegible]) that crossed the foot and the ankle, two more bands passed between the toes ([illegible]). The Sacred Sandals, which are described in the hadith, display remarkable craftsmanship.

The Prophet was also known to wear shoes (*khuff*), which were not common in the Hijaz. One of the two pairs he wore was sent to him as a gift by Ashama, the Negus (king) of Abyssinia, and the other was given to him by Dihyah al-Kalbi, one of his Companions.







Representations of the Sacred Sandals

It was a commonly believed that if a representation of the Prophet's sandals were kept in a house, it would be protected from material and spiritual disasters as well as blessed with abundance. Thus, drawings or prints of the Sandals of the Prophet can be found in the homes and workplaces of pious Muslims. An Arabic poem written about one of these representations explains this belief: "The sandals of Muhammad are over the head of the universe / All the people have been exalted under their shadow / I have served the representation of the Prophet's sandals / In order to live under his shadow both in this and the next world / Sa'd ibn Mas'ud was in the service of his sandals / and I am happy with the service of the representation of his sandals / Moses was told to take off his sandals at Mount Sinai / However, the Prophet was not allowed to take off his sandals even during the Ascension."



